الجامع في الهدايات القرآنية

سُورَة آل عمران

جمع واستنباط

نخبة من الأساتذة وطلاب العلم في التفسير والقراءات والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة العربية والتربية والعلوم الطبية وغيرها، من مختلف دول العالم عبر مجموعة واتساب متخصصة في الهدايات القرآنية

إشراف

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

رعاية

كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

ومؤسسة النبأ العظيم الوقفية بمكة المكرمة

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[آل عمران: ١-٢].

أولاً: المناسبات بين سورة آل عمران، والسور التي قبلها:

١- تفيد دقة المناسبة بين السور الثلاث (الفاتحة – البقرة – آل عمران)، حيث قال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فالذين أنعم الله عليهم هم المؤمنون، والذين غضب الله عليهم هم اليهود، ولذلك فقد كان الحديث عنهم وخطابهم أكثر في سورة البقرة، والضالون هم النصارى فكثر خطابهم في سورة آل عمران.

٢- تفيد أن بين سورتي البقرة وآل عمران تناسباً لفظياً وتناسقياً موضوعياً من وجوه متعددة ومتنوعة، ومن تلك الوجوه ما يلي:

- أن السورتين افتتحتا بـ ﴿الٓمٓ﴾، وهي من الحروف المقطعة.
- أن السورتين مدنيتان، وتوصفان بالزهراوين.
- أنه ذكر في سورة البقرة إنزال الكتاب مجملاً، في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة:٢] بينما ذكر الكتاب في سورة آل عمران مفصلاً، قال تعالى: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران:٧].
- أنه لما ختمت سورة البقرة بسؤال النصر: ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، جاء في مقدمة سورة آل عمران نصرة المؤمنين على الكفار، في قوله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ... وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾.
- أنه جاء في مقدمة سورة البقرة قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [البقرة:٤] مجملاً، في حين جاء في مقدمة سورة آل عمران مفصلاً، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:٣-٤] فصرح هنا بذكر الإنجيل؛ لأن السورة خطاب للنصارى، ولم يقع التصريح بالإنجيل في سورة البقرة، وإنما صرح فيها بذكر التوراة خاصة؛ لأنها خطاب لليهود.
- أن خاتمة سورة آل عمران جاءت مناسبة لفاتحة سورة البقرة؛ وبيان ذلك: أن سورة البقرة افتتحت بذكر المتقين، وأنهم هم المفلحون، بينما خُتمت سورة آل عمران بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠] وأيضًا افتتحت سورة البقرة بقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ

﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [البقرة:٤] وختمت سورة آل عمران بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران:١٩٩].

- أنه ﷻ افتتح سورة البقرة بقصة آدم وخلقه من تراب، دون أب ولا أم؛ وذكر في سورة آل عمران نظيره في الخلق من غير أب وهو عيسى عليه السلام؛ ولذلك ضَرَب له المثل بـ آدم. قال العلماء: اختصت سورة البقرة بذكر آدم عليه السلام؛ لأنها أول السور، وهو أول في الوجود وسابق؛ ولأنها الأصل، وهذه كالفرع والتتمة لها، فاختصت بالأغرب، ولأنها خطاب لليهود الذين قالوا في مريم عليها السلام ما قالوا، وأنكروا وجود ولد بلا أب؛ ففُوتحوا بقصة آدم عليه السلام؛ لتثبت في أذهانهم، فلا تأتي قصة عيسى عليه السلام، إلا وقد ذُكِر عندهم ما يشهد لها من جنسها، ولأن قصة عيسى عليه السلام قيست على قصة آدم، والمقيس عليه لا بد وأن يكون معلومًا، لتتم الحجة بالقياس، فكانت قصة آدم، والسورة التي هي فيها، جديرة بالتقديم.

- أنه لما كانت سورة البقرة قد عالجت شبهات اليهود وادعاءاتهم بشيء من البسط والتفصيل، وتعرضت لشبهات النصارى على وجه الإجمال؛ جاءت -بالمقابل- سورة آل عمران تواجه وتعالج شبهات النصارى بشي من التفصيل، وبخاصة ما يتعلق منها بـ عيسى عليه السلام، وما يتعلق بعقيدة التوحيد الخالص، كما جاء به دين الإسلام. وتصحح لهم ما أصاب عقائدهم من انحراف وخلط وتشويه. وتدعوهم إلى الحق الواحد الذي تضمنته كتبهم الصحيحة التي جاء القرآن بتصديقها؛ مع إشارات وتقريعات لليهود، وتحذيرات للمسلمين من دسائس أهل الكتاب.

- أنه وقع في سورة البقرة، حكاية قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة:١٢٩] ووقع في سورة آل عمران قوله ﷻ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران:١٦٤] والتلازم بين الآيتين هنا في غاية الظهور.

- أنه تعالى ذكر الشهداء في سورة البقرة على وجه الإجمال، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢ﴾ [البقرة:١٥٤] بينما فصَّل القول في أحوالهم، وما صاروا إليه في سورة آل عمران، فقال سبحانه: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ * يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧١].

- أنه جاء في سورة البقرة في صفة النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾، ولم يأت في الجنة: أعدت

للمتقين، مع افتتاحها بذكر المتقين والكافرين معًا، وقال في سورة آل عمران: ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ فكأن السورتين بمنزلة سورة واحدة.

– أنه تكرر في سورة آل عمران ما يتعلق بالمقصود الذي هو بيان حقيقة الكتاب: من إنزال الكتاب، وتصديقه للكتب قبله، والهدى إلى الصراط المستقيم كما تكررت آية: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا... ﴾ بكاملها مع اختلاف يسير في الألفاظ، كما ذكر هناك خلق الناس، وذكر هنا تصويرهم في الأرحام، وذكر هناك مبدأ خلق آدم، وذكر هنا مبدأ خلق أولاده.

– أنه ورد في الآثار أن اليهود لما نزل قول الله جلَّ وعلا: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة:٢٤٥] قالوا: يا محمد، افتقر ربك يسأل عباده القرض، فنزل ردُّ الله عليهم: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران:١٨١].

– أنه جاء في سورة البقرة: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ ﴾ وذلك إنما يدل على الوجوب إجمالًا وفصَّله هنا في سورة آل عمران بقوله: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾ وزاد: بيان شرط الوجوب بقوله: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

– أنه قال في سورة البقرة في أهل الكتاب: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ فأجمل القليل وفصَّله هنا بقوله: ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾.

– أنه جاء في سورة البقرة: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ فدلت على تفضيل هذه الأمة على اليهود تعريضاً لا تصريحًا، وكذلك قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ في تفضيل هذه الأمة على سائر الأمم بلفظ فيه يسير إبهام، وأتى في هذه بصريح البيان فقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وزاد وجه الخيرية بقوله: ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ ﴾.

– اشتمال السورتين الكريمتين على اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣] وفاتحة آل عمران: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران:٢]، وصحح هذا الحديث غير واحد من أهل العلم.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴾.

٣- افتتحت هذه السورة بالحروف المقطعة في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾، والسور التي افتتحت بهذه الحروف الثلاثة هي ست سور، وهي: البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، وقد اختلف العلماء في الحروف المقطعة في أوائل السور، وفي الحكمة منها على أقوال، ويمكن حصرها في قولين:

القول الأول: أن لها معنًى وفسروا هذا المعنى؛ لكنهم اختلفوا في تعيين معناها: هل هو اسم لله ﷻ؛ أو اسم للسورة؛ أو أنه إشارة إلى مدة هذه الأمة؛ أو نحو ذلك؟

القول الثاني: أن لها معنًى الله أعلم به، وهي مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله، ولم يفسروها؛ لأنهم يقولون: إن القرآن لا يمكن أن ينزل إلا بمعنى.

قال ابن كثير: « ولا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثًا ولا سدى؛ ومن قال من الجهلة: إنَّه في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية، فقد أخطأ خطأً كبيرًا، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر، فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقلنا: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين، وإنما اختلفوا، فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه، وإلا فالأسلم فيها السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبثا بل لحكمة لا نعلمها.

٤- يفيد الابتداء بالحروف المقطعة في هذه السورة وفي غيرها استنزالا لطائر عناد المشركين الذين يشككون في كتاب الله تعالى بأن يأتوا بهذا الكتاب الذي هو مؤلف من الحروف التي يتكلمون بها.

٥- تفيد الحروف المقطعة التحدي والإعجاز، ولفت اهتمام المشركين إلى آيات هذا الكتاب المنظومة من حروفهم التي يعرفونها.

٦- يفيد ذكر الحروف المقطعة في القرآن الكريم، أن الصوت الذي يصدر عن بني آدم والمسمى بالحروف يؤجر العبد إن تلفظ بهذه الحروف وقرأها، قال ﷺ: «لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، وإن لم يدرك معنها.

٧- يفيد عدم إنكار المشركين على هذه الحروف المقطعة مع حاجتهم الشديدة لأي علة يطعنون من خلالها في كتاب الله تعالى، دليلا على أن المراد منها كان معلوما لديهم، وأن المنطوق به في تهجيها هو أسماء تلك الحروف.

٨- تفيد أن هذا الكتاب من الله تبارك وتعالى وأن ألفاظه منضبطة بحسب تلقيه عن أمين الوحي، حيث إن هذه الحروف تشبه في صورتها فاتحة سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ..﴾ إلا أن هذه تُلفظ حروفاً مقطعة، وتلك تُلفظ حرف استفهام... وفي ذلك رد على من قال: إن القرآن من عند محمد ﷺ، كما تفيد أن القرآن يؤخذ عن الضابط المتقن.

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

٩- تفيد وجوب إفراد الله تعالى بالألوهية لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا معبود بحق سوى الله ﷻ، فهو الإله الحق الذي يتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، وذلك لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، وفقر غيره له، وهو الغني ﷻ عن العالمين.

١٠- تفيد ما يدل على المبالغة في الثناء على الله تعالى، من خلال قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ حيث حصرت الألوهية له، وهو مثل قولهم: "لا كريم إلا فلان" أبلغ من قولهم: فلان كريم.

١١- تفيد ما يدل على عظمة هذه الآية التي جاء في الحديث أن فيها اسم الله الأعظم، حيث بدئت وصدرت بأعظم الكلمات وأجلها، وهو لفظ الجلالة [الله]، وكلمة التوحيد والإخلاص والتقوى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وختمت بأعظم الصفات وأرفعها لله تعالى: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾

١٢- يفيد افتتاح هذه السورة -التي اعتنت بمجادلة أهل الكتاب وخصوصا النصارى- بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ رداً على النصارى الذين أشركوا بالله وجعلوا المسيح إلهاً من دونه، في إشارة واضحة من فاتحة السورة إلى أن عبادتهم باطلة، فهم صرفوا العبادة لمخلوق ناقص ليس قائم بذاته، ولا مستغن بنفسه، وإنما هو عبد من عباد الله، ونبي من أنبيائه. وهنا تظهر للمتأمل والمتدبر دقة التناسق الموضوعي بين فاتحة السورة الكريمة ومضمونها.

١٣- تفيد تفرد الله تعالى بالربوبية؛ لأن انفراده جل وعلا بالألوهية يتضمن انفراده بالربوبية، وأن ما سواه مربوبون له مفتقرون إليه.

١٤- تفيد إثبات هذه الأسماء لله تعالى: ﴿ٱللَّهُ﴾ و﴿ٱلۡحَيُّ﴾، و﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ وما تضمنته من الصفات

١٥- تفيد إثبات صفة الحياة الكاملة لله ﷻ، فحياته ﷻ أزلية لم تسبق بعدم، ولم تبدأ من مبدأ، ولم تأت من مصدر آخر كحياة الخلائق المكتسبة الموهوبة لها من الخالق، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. كما أن حياته لا يلحقها زوال، فلا تنتهي إلى نهاية، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، كما أن حياته لا يلحقها نقص، فالحياة الكاملة له وحده وهو واهب الحياة لخلقه، وكل حي منه يستمد حياته.

١٦- تفيد أن الذي يموت ويفنى، ويعتري حياته النقص، ويستمد حياته من غيره، لا يستحق أن يعبد، وإنما الذي يعبد من له الحياة الكاملة الباقية.

١٧- تفيد إثبات قيومية الله ﷻ، فهو ﷻ قائم بنفسه، قائم على غيره؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾، وهذا الوصف لا يكون لمخلوق؛ لأنه ما من مخلوق إلا وهو محتاج إلى غيره؛ والكل محتاج إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦]، فليس هنالك من هو قائم على غيره في جميع الأحوال إلا الله، قال تعالى: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ [الرعد: ٣٣].

١٨- تفيد عظمة الله تعالى وجلاله ورفعته؛ لأنه إذا كان كل من وصف بالحياة والقوامة دل على عظمته ورفعته، كما يقال: رجل حي، والرجال قوامون على النساء، فكيف بمن اتصف بالحياة والقيومية المطلقة؟

١٩- تفيد إثبات كمال غنى الله ﷻ عما سواه، وإثبات حاجة وفقر جميع الخلق إليه؛ فهو القائم على جميع خلقه في أرزاقهم وأمورهم وآجالهم وأعمالهم وحسابهم، فبه قيام كل موجود، بل لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده إلا به. فاسمه القيوم مقتض لتدبير أمر العالم العلوي السفلي، وقيامه بمصالحه وحفظه دون معين أو ظهير، قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس: ٦٨].

٢٠- تفيد إثبات كمال العلم والقدرة والحكمة لله تعالى؛ لأن ذلك من لوازم كامل القيومية، وقد قيل: ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ العالم بالأمور، من قولهم: فلان يقوم بهذا الكتاب، أي: يعلم ما فيه.

٢١- تفيد أنه إذا كان كل شيء قائما في وجوده بالله، والكون كله قائم بحفظه وتصريفه وتدبيره، فلا ينبغي للعبد أن يصرف تعلقه إلا بالذي بيده مفاتيح الأمور وتصريفها، الحي القيوم، العليم الحكيم، القوي القدير، وفي هذا رد قوي كما تقدم على النصارى وغيرهم من المشركين الذين اتخذوا آلهة من دون الله، يعبدونهم ويستغيثون بهم، ويصرفون أنواع العبادة لهم.

٢٢- تفيد وجود التباين العظيم بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فحياته ﷻ ليست كحياة المخلوق، وهكذا سائر الصفات، ولا ينقدح التشبيه من خلال إثبات الصفات إلا في قلب منحرف.

٢٣- تفيد أن الله ﷯ يحب أن يمدح نفسه، ويعلم عباده كيفية مدحه والثناء عليه، ليثيبهم على ذلك، لا لينتفع بمدحهم.

٢٤- تفيد أن في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وقد ثبت في السنة النبوية الصحيحة أن اسمُ اللهِ الأعظمُ في ثلاث سُوَرٍ من القرآنِ، في "البقرةِ وآلِ عمرانَ وطه"، وهذه المواضع هي: آية الكرسي، وهذه الآية، وقوله تعالى في سورة طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾. وإنما كان هذان الاسمان أعظم أسماء الله الحسنى لأنهما يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمن والتزام؛ فالحي: من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام على غيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين، من فعله ما يشاء من الاستواء، والنزول، والكلام والقول، والخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية البارئ، قال أهل العلم: «وإنما كان الاسم الأعظم في اجتماع هذين الاسمين لأنهما تضمنا جميع الأسماء الحسنى؛ فصفة الكمال في ﴿ٱلۡحَيُّ﴾، وصفتا الإحسان والسلطان في ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾. فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال، مستلزمه لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال».

قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣].

٢٥- تفيد دقة المناسبة فبعد أن بين ﷻ في الآية السابقة، أنه هو وحده المستحق للعبودية، وأنه متصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة والقيومية، أتبع ذلك

بذكر ما به حياة العباد وقوامهم، وهي الكتب المنزلة من عند الحي القيوم، وأعظمها وأفضلها الكتاب المنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ.

٢٦- تفيد إثبات صدق رسالة النبي ﷺ الذي أنزل عليه الكتاب.

٢٧- تفيد امتنان الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ بإنزال القرآن الكريم عليه.

٢٨- تفيد إبطالا لقول المشركين: إن القرآن من كلام الشيطان أو من طريق الكهانة، أو يعلمه بشر؛ لقوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

٢٩- يفيد وجود التغاير بين العبارتين، حيث جاء التعبير بـ[نزل] -بصيغة التضعيف- في جانب الكتاب المنزل على محمد ﷺ في قوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ دون الكتابين المنزلين على موسى وعيسى عليهما السلام ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ للدلالة على عظم شأن نزول القرآن الكريم، وأن نزوله مختلف عن نزول الكتب السماوية الأخرى.

٣٠- يفيد التعبير باسم [الكتاب] للقرآن المنزل على محمد ﷺ، في قوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ إيذانا بتفوق القرآن الكريم على بقية أفراد الكتب المنزلة، فكأنه هو الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه، كما يلوح به التصريح باسمي التوراة والإنجيل.

٣١- تفيد الثناء على الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله.

٣٢- تفيد فضل القرآن حيث قدمه الله تعالى في الذكر، ووصفه بالحق، وبين أنه مصدق لما بين يديه.

٣٣- تفيد أن كل ما جاء به الكتاب المنزل على محمد ﷺ، من العقائد والأخبار والأحكام والحكم حق من عند الله تعالى، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ [فصلت:٤٢].

٣٤- تفيد علو الله ﷻ؛ لأنه إذا كانت الكتب نازلة من عنده لزم أن يكون هو عاليا؛ لأن النزول يكون من فوق إلى تحت.

٣٥- تفيد أن هذا الكتاب المنزل على محمد ﷺ موافق ومؤيد لما اشتملت عليه الكتب السابقة من الدعوة إلى وحدانية الله، وإلى مكارم الأخلاق، وإلى الوصايا والشرائع التي تهدي الناس وتسعدهم في كل زمان ومكان.

٣٦- تفيد أن الشرائع الإلهية واحدة في جوهرها وأصولها؛ لقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.

٣٧- يفيد تقييد تنزيل القرآن بحال كونه ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ حثا لأهل الكتاب على الإيمان بالمنزل، وتنبيههم على وجوبه، فإن الإيمان بالمصدق يوجب الإيمان بما يصدقه حتما.

٣٨- تفيد البلاغة القرآنية، فإن في قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، فيه نوع مجاز؛ لأن ما [بين يديه] هو ما أمامه. فسمى ما مضى [بين يديه] لغاية ظهوره واشتهاره.

٣٩- تفيد أن القرآن حق من عند الله وكل ما فيه فهو حق وهدى وخير ورشد وهذا مشجع للإقبال على تعلم وتلقي هذا الكتاب.

٤٠- تفيد رحمة الله تعالى بالإنسانية حيث رحمها من خلال ما هداهم إليه من خير من خلال كتبه المنزلة.

٤١- تفيد إقامة الحجة على أهل الكتاب للإيمان بالقرآن والرسول ﷺ، حيث جاء موافقا لما دعت إليه جميع الكتب والرسل ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾، وهنا قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

٤٢- تفيد وجوب الإيمان بالتوراة والإنجيل في الجملة، وأنها منزلة من عند الله، وهذا يستلزم الإيمان برسالة موسى وعيسى عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤].

٤٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن بين ﷻ في الآية السابقة أنه نزل الكتاب على رسوله محمد ﷺ وأنزل التوراة والإنجيل، بين في هذه الآية أنه أنزل التوراة والإنجيل قبل أن إنزال القرآن، وأنه إنما أنزلهما هدى للناس.

٤٤- يفيد التصريح بنزول التوراة والإنجيل ﴿مِن قَبْلُ﴾ مبعث النبي محمد ﷺ ونزول القرآن الكريم، مع ظهور هذا الأمر واشتهاره، مبالغة في البيان؛ وإشارة إلى أن إنزالهما متضمن للإرهاص لبعثته ﷺ، حيث قيد الإنزال المقيد بـ ﴿مِن قَبْلُ﴾ بقوله ﷻ: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي:

أنزلهما كذلك لأجل هداية الناس الذين أُنزلا عليهم إلى الحق الذي من جملته الإيمان به ﷺ واتباعه.

٤٥- تفيد أن في ذكر هذا القيد في قوله: ﴿ مِن قَبۡلُ﴾ إشـــارة إلى أن هدى التوراة والإنجيل قد انقطع بعد مجيء هدى القرآن الكريم، ولم تعد مستمرة بعد نزوله، وفي هذا القيد أيضا إشارة إلى أن التوراة والإنجيل كالمقدمات لنزول القرآن الكريم، الذي هو تمام مراد الله من البشر ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، فالهدى الذي سبقه غير تام.

٤٦- تفيد أن القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، كلها مشـــتملة على جميع أنواع الهدايات الدينية والدنيوية، الصالحة النافعة لجميع الناس؛ لقوله تعالى: ﴿ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾.

٤٧- تفيد أن المقصـد من إنزال الكتب من الله تعالى هو هداية الناس للتي هي أقوم، ومن هنا كان تدبر كتابه وتفسيره وفهمه غايته الوصول للهداية.

٤٨- تفيد أن الوصـول للهداية دون وحي سـراب يحسـبه الظمآن ماء، فكل دعوة لم تؤسـس على نور الوحي فهي ضلال بعيد عن الصراط المستقيم، فإذا أردت أن تعرف هداية شخص أو جماعة فانظر لقربهم وبعدهم عن الهدى.

٤٩- تفيد مكانة ومنزلة الإنسـان ومدى عناية الله تعالى به حيث أنزل إليه كتب وأرسـل إليه رسله.

٥٠- تفيد أن القرآن الكريم وسـائر الكتب السـماوية، والمعجزات الإلهية، أنزلها الله تعالى فرقانا بين الحق والباطل؛ وبين النافع والضـار؛ وبين أولياء الله وأعداء الله؛ وغير ذلك من الفرقان فيما تقتضي حكمته التفريق فيه؛ لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾.

٥١- تفيد أن في وصـــف القرآن الكريم - بعد بيان هدي التوراة والإنجيل-، بأنه الفرقان – وذلك على القول بأنه هو المراد به في قوله: - ﴿ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ – إشارة إلى تفضيل هدي القرآن الكريم على هدي التوراة والإنجيل؛ لأن التفرقة بين الحق والباطل أعظم أحوال الهدى، لما فيها من البرهان، وإزالة الشـبهة؛ ولهذا قال تعالى في آية أخرى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾.

٥٢- تفيد أنه عندما تزداد الشـبه والفتن وتختلط الأمور تشـتد الحاجة لتنبيه الناس للرجوع إلى الفرقان.

٥٣- تفيد أن التبصر والاهتداء يكون بالتمسك بالفرقان لا بالبعد عنه.

٥٤- تفيد بيان شدة عذاب من كفر بآيات الله تعالى، في الدنيا بالقتل والأسر والغلبة، وفي الآخرة بالإذلال والخزي، ودخول النار؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ﴾.

٥٥- تفيد دقة مناسبة خاتمة هذه الآية لمضامين ما قبلها من الآيات، فبعد أن قرر ﷻ أمر الإلهية في الآية السابقة، وأمر النبوة بذكر الكتب المنزلة على أنبيائه في الآية التي بعدها، توعد من كفر بآيات الله المنزلة في خاتمة هذه الآية، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ﴾؛ وذلك لأن الكفر بتلك الآيات كفر بالمنزِل، والمنزَّل عليه، ولهذا وصف عذابهم بالبالغ في الشدة.

٥٦- تفيد أنه لما أنزل ﷻ آياته هدى ونور للناس رحمة وعناية بهم، استحق من أعرض عن الهدى وكفر بآيات ربه أن ينال العذاب الشديد فالرحمن الرحيم عزيز ذو انتقام.

٥٧- تفيد إضافة الآيات إلى الاسم الجليل في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ تعييناً لحيثية كفر هؤلاء الكفرة، وتهويلاً لأمرهم، وتأكيداً لاستحقاقهم العذاب.

٥٨- تفيد إثبات اسم العزيز لله تعالى، وما تضمنه من صفة؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾.

٥٩- تفيد بيان قدرة الله تعالى وعدم عجزه عن إلحاق النقمة والعذاب بمن عصاه وكفر بآياته.

٦٠- يفيد المجيء بكلمة [ذو] الدالة على الملك في قوله: ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾؛ للإشارة إلى أنه انتقام عن اختيار لإقامة مصالح العباد، وليس هو تعالى مندفعاً للانتقام بدافع الطبع أو الحنق، ولهذا قال جمع من العلماء، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهم الله جميعا-: إن الله ﷻ لا يوصف بالمنتقم على وجه الإطلاق؛ لأن هذه الصفة ليست صفة كمال بذاتها إلا إذا كانت مقيدة بمن يستحق الانتقام؛ ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[آل عمران: ٥].

٦١- تفيد دقة المناسبة مع ما قبلها، فبعد أن ذكر ﷻ في فاتحة السورة أنه هو القيوم، والقيوم هو القائم بإصلاح مصالح الخلق ومهماتهم، وكان ذلك لا يتم إلا بمجموع أمرين: أحدهما: أن يكون عالما بحاجاتهم على جميع وجوه الكمية والكيفية.

والثاني: أن يكون بحيث متى علم جهات حاجاتهم قدر على دفعها. وكان الأول: لا يتم إلا إذا كان عالما بجميع المعلومات، والثاني: لا يتم إلا إذا كان قادرا على جميع الممكنات، فقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ إشارة إلى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات، فحينئذ يكون عالما لا محالة مقادير الحاجات ومراتب الضرورات، لا يشغله سؤال عن سؤال، ولا يشتبه الأمر عليه بسبب كثرة أسئلة السائلين ثم في قوله تعالى في الآية التي بعدها: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ إشارة إلى كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات، وحينئذ يكون قادرا على تحصيل مصالح جميع الخلق ومنافعهم، وعند حصول هذين الأمرين يظهر كونه قائما بالقسط قيوما بجميع الممكنات والكائنات.

٦٢- تفيد مع ما قبلها علو القرآن وعظمته، فإن الذي أنزله، هو العليم بكل شيء الذي لا يخفى عليه شيء؛ فبعد ذلك لا تسأل عن تمامه وكماله ودقته وشموله وإحكامه.

٦٣- تفيد مع ما قبلها أن من جملة ما لا يخفى على الله ﷻ إيمان من آمن بآياته وكفر من كفر بها.

٦٤- تفيد مع ما بعدها أن من جملة ما يخفى على الله ﷻ تلك الأجنة التي في البطون والأرحام، والتي لا يدركها بصر المخلوقين، ولا ينالها علمهم، وهو تعالى يدبرها بألطف تدبير، ويقدرها بكل تقدير.

٦٥- تفيد عظمة الله تعالى الذي أحاط علمه بالوجود يعلم ما في السماوات والأرض، وما تخفيه الصدور وما هو غائب في البحور، فمن تفكر في سعة معاني هذه الآية في الدلالة على عظمته وعظمة علمه، قال: [سبحانك ربي].

٦٦- تفيد هذه الآية الواردة في فاتحة سورة اعتنت بمجادلة أهل الكتاب، ردا على النصارى في دعواهم ألوهية عيسى عليه السلام، لأن عيسى عليه السلام يخفى عليه بعض الأشياء باعترافهم، فلا يصلح أن يكون إلهاً، فإن الإله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فالنصارى في ادعائهم إلهية عيسى عليه السلام، عوّلوا في ذلك على شبهتين: شبهة متعلقة بالعلم، وشبهة متعلقة بالقدرة. فأما المتعلقة بالعلم فهو أن عيسى عليه السلام كان يخبر عن الغيوب، وكان يقول لهذا: أنت أكلت في

دارك كذا، ويقول لذاك: إنك صنعت في دارك كذا، وأما المتعلقة بالقدرة، فهو أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وليس للنصارى شبه في المسألة سوى تلك الشبهتين، ثم إنه تعالى لما استدل على بطلان قولهم في إلهية عيسى وفي التثليث بقوله في فاتحة السورة: ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ يعني الإله يجب أن يكون حيا قيوما، وعيسى ما كان حيا قيوما، لزم القطع أنه ما كان إلها، فأتبعه بهذه الآية ليقرر فيها ما يكون جوابا عن هاتين الشبهتين: فأما الشبهة الأولى: وهي المتعلقة بالعلم، وهي قولهم: إنه أخبر عن الغيوب فوجب أن يكون إلهاً، فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ وتقرير الجواب: أنه لا يلزم من كونه عالما ببعض المغيبات أن يكون إلهاً لاحتمال أنه إنما علم ذلك بوحي من الله إليه، وتعليم الله تعالى له ذلك، لكن عدم إحاطته ببعض المغيبات يدل دلالة قاطعة على أنه ليس بإله لأن الإله هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فإن الإله هو الذي يكون خالقا، والخالق لا بد وأن يكون عالما بمخلوقه، ومن المعلوم بالضرورة أن عيسى عليه السلام ما كان عالما بجميع المعلومات والمغيبات، فكيف والنصارى يقولون: إنه أظهر الجزع من الموت فلو كان عالما بالغيب كله، لعلم أن القوم يريدون أخذه وقتله، وأنه يتأذى بذلك ويتألم، فكان يفر منهم قبل وصولهم إليه، فلما لم يعلم هذا الغيب ظهر أنه ما كان عالما بجميع المعلومات والمغيبات، والإله هو الذي لا يخفى عليه شيء من المعلومات، فوجب القطع بأن عيسى عليه السلام ما كان إلها فثبت أن الاستدلال بمعرفة بعض الغيب لا يدل على حصول الإلهية، وأما الجهل ببعض الغيب يدل قطعا على عدم الإلهية، فهذا هو الجواب عن النوع الأول من الشبه المتعلقة بالعلم.

أما النوع الثاني من الشبه، وهو الشبهة المتعلقة بالقدرة: فأجاب الله تعالى عنها في الآية التي بعد هذه الآية في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾ والمعنى أن حصول الإحياء والإماتة على وفق قوله في بعض الصور لا يدل على كونه إلهاً، لاحتمال أن الله تعالى أكرمه بذلك الإحياء إظهاراً لمعجزته وإكراما له، أما العجز عن الإحياء والإماتة في بعض الصور يدل على عدم الإلهية، وذلك لأن الإله هو الذي يكون قادرا على أن يصور في الأرحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب، والتأليف الغريب، ومعلوم أن عيسى عليه السلام ما كان قادرا على الإحياء والإماتة على هذا الوجه، وكيف! ولو قدر على ذلك لأمات أولئك الذين أخذوه على

زعم النصارى وقتلوه، فثبت أن حصول الإحياء والإماتة على وفق قوله في بعض الصور لا يدل على كونه إلها، أما عدم حصولهما على وفق مراده في سائر الصور يدل على أنه ما كان إلها، فظهر بما ذكر أن هذه الشبهة الثانية أيضا ساقطة. منقول بتصرف واختصار من تفسير الرازي.

٦٧- تفيد أن التعبير بعدم الخفاء أبلغ من التعبير بالعلم، وأشد في التحذير من مخالفة أوامر الله.

٦٨- تفيد أن التعبير عن معلومات الله تعالى بـ[ما في الأرض والسماء]، مع كون معلوماته أوسع من ذلك؛ لقصور العباد عن العلم بما سواهما من أمكنة مخلوقاته وسائر معلوماته، ولكونهما أعظم ما يشاهده المخلوقات، قال الرازي: « أما قوله ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ فالمراد أنه لا يخفى عليه شيء. فإن قيل: ما الفائدة في قوله ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ مع أنه لو أطلق كان أبلغ؟ قلنا: الغرض بذلك إفهام العباد كمال علمه، وفهمهم هذا المعنى عند ذكر السماوات والأرض أقوى، وذلك لأن الحس يرى عظمة السماوات والأرض، فيعين العقل على معرفة عظمة علم الله ﷻ والحس متى أعان العقل على المطلوب كان الفهم أتم والإدراك أكمل، ولذلك فإن المعاني الدقيقة إذا أريد إيضاحها ذكر لها مثال، فإن المثال يعين على الفهم».

٦٩- تفيد أن تقديم الأرض على السماء فيه إظهار الاعتناء بشأن أحوال أهلها، وإشارة بالوعد لذوي الهدى، ووعيد لذوي الضلالة منهم، وخصوصا بعد أن تقدم الوعيد للذين كفروا بآيات الله.

٧٠- تفيد رداً على الفلاسفة والمناطقة في قولهم: إن الإله لا يعلم الجزئيات إلا بوجه كلي؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ...﴾.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران: ٦].

٧١- تفيد دقة المناسبة فبعد أن بينت الآية السابقة عموم علمه ﷻ وأنه لا يخفى عليه شيء من الموجودات في الأرض ولا في السماء، ذكرت هذه الآية أن من جملة معلوماته ما لا يدخل تحت الوجود، وهو تصوير عباده في أرحام أمهاتهم من نطف آبائهم.

٧٢- تفيد مع ما قبلها بيان كمال علم الله تعالى وقيوميته، فقد علم عقلا وحسا أن التصوير في الرحم أدق شيء علما وقدرة، فعلم فاعله بغيره والقدرة عليه من باب أولى، فثبت أنه لا كفؤ لله تعالى في علمه وقدرته.

٧٣- تفيد ما بعدها من الآيات الواردة في مجادلة النصارى، براعة الاستهلال، وحسن التوطئة في شأن عيسى عليه السلام، حيث إنه ممن صور في الرحم، وحملته الأنثى ووضعته.

٧٤- يفيد تعريف الجزأين في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ ﴾ دليلا على قصر صفة التصوير عليه تعالى، وهو قصر حقيقي لأنه كذلك في الواقع؛ إذ هو مكون أسباب ذلك التصوير، وفي هذا إيماء إلى كشف شبهة النصارى إذ توهموا أن تخلق عيسى بدون ماء أب دليل على أنه غير بشر، وأنه إله، وجهلوا أن التصوير في الأرحام، وإن اختلفت كيفياته، لا يخرج عن كونه خلقاً لما كان معدوماً، فكيف يكون ذلك المخلوق المصور في الرحم إلها؟

٧٥- تفيد أن الله تعالى مصور حي قيوم عليم قدير، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

٧٦- تفيد أن رحم الأمهات هو المكان الأفضل لخلق الجنين وتصويره، والموضع الأكثر أمانا لنموه واكتمال خلقه، حيث يتقلب الجنين فيه من طور إلى طور، ومن نطفة إلى علقة ثم إلى مضغة، ثم إلى غير ذلك من الأطوار المذكورة في الكتاب والسنة، وفي هذا إيماء إلى بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام مع تقلبه في الأطوار، ودوره في فلك هذه الأدوار حسبما شاءه الملك القهار.

٧٧- تفيد أن الرضا باللون والشكل والحجم والهيئة التي خلق عليها الإنسان نوع من الرضا بقضاء الله وقدره؛ لقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾.

٧٨- تفيد حسن تدبير الله تعالى وعنايته بخلقه وحفظه لهم منذ أن كانوا في بطون الأمهات، يوم لم يكن الإنسان شيئا مذكورا، وهذا مما يستوجب شكره وعبوديته.

٧٩- تفيد إثبات المشيئة لله تعالى، لقوله: ﴿ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾، ومعلوم أن مشيئته تابعة لحكمته؛ لقوله تعالى في خاتمة الآية: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

٨٠- يفيد قوله: ﴿ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ إشارة إلى أن تصوير الأجنة في الأرحام يكون بسبب وبغير سبب؛ لأن ذلك متعلق بمشيئته فقط، فقد يكون من نطفتي ذكر وأنثى، أو نطفة أنثى وحدها، وفي هذا رد ضمني على النصارى الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام.

٨١- تفيد الرد على النصـــارى القائلين إن عيســـى عليه السلام ولد الله، وكيف يكون ولدا له، وقد صوره الله في الرحم كغيره من المخلوقات، بل هو عبد مخلوق كغيره من المخلوقات.

٨٢- تفيد أن تصـوير الأجنة في الأرحام راجع إلى مشـيئة الله تعالى، فهو سبحانه وتعالى يهب لمن يشـاء إناثا ويهب لمن يشـــاء الذكور، ويجعل من يشـــاء جميلا، ويجعل من يشـــاء قبيحا، وكل ذلك بحكمته سبحانه وتعالى.

٨٣- تفيد كمال ربوبيته جل وعلا ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ بما يسـتوجب ألوهيته؛ ولذا ختمت الآية بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٨٤- تفيد أن توحيد الربوبية مســـتلزم لتوحيد الألوهية؛ فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى معاني ربوبيته من الخلق والتصوير في الأرحام، قال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وفي هذا رد على المشركين الذين يقرون بأن الخالق المصور في الأرحام هو الله، لأن إقرارهم بهذا الأمر يستلزم أن يجعلوا العبادة له وحده لا شريك له؛ فإن لم يفعلوا فهم متناقضون.

٨٥- تفيد أن معرفة معاني الربوبية هو الســـبيل لمعرفة موجبات الألوهية، فإن العبد إذا علم أن له رباً أفاض عليه بالنعم الظاهرة والباطنة، المتصرف كيف يشاء أدرك بكل سهولة أنه المستحق للعبادة دون سواه.

٨٦- تفيـد أن تقـديم توحيـد الألوهيـة للنـاس بعيـدا عن توحيـد الربوبيـة يخـالف منهـج القرآن الكريم، فهذه الآية جعلت توحيد الربوبية مقدمة لتوحيد الألوهية.

٨٧- تفيد إثبات هذين الاسمين لله تعالى، وهما: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ، وما تضمناه من صفة.

٨٨- تفيد دقة مناسـبة خاتمة الآية لمضـمونها ومضـمون ما قبلها فبعد أن أسـقط سبحانه وتعالى في هذه الآية والتي قبلها، شـــبه النصـــارى في ادعائهم ألوهية عيســـى عليه السلام، أعاد كلمة التوحيد زجرا للنصـــارى عن قولهم بالتثليث، وتوكيدا لما قبلها في فاتحة الســـورة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ومبالغة في الرد على من ادعى إلهية عيســـى عليه السلام فقال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فالعزيز إشـارة إلى كمال القدرة، والحكيم إشـارة إلى كمال العلم، وفي هذا تقرير بأن علم المسيح عيسـى عليه السلام ببعض الغيوب، وقدرته على الإحياء والإماتة في بعض الصـور لا يكفي في كونه إلها، فإن الإله لا بد وأن يكون كامل القدرة وهو العزيز، وكامل العلم وهو الحكيم.

٨٩- تفيد فصاحة القرآن الكريم، وقوة أسلوبه، وبلاغة ألفاظه، وروعة معانيه، حيث جمعت هذه الآية الكريمة القصيرة، بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

٩٠- تفيد دقة المناسبة فبعد أن ذكر ﷻ في الآيات السابقة أنه هو القيوم والقائم بمصالح الخلق، وكانت مصالح الخلق منقسمة إلى قسمين: جسمانية وروحانية، وكانت المصالح الجسمانية قد ذكرت في الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾، جاءت هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ...﴾، فذكرت المصالح الروحانية التي أشرفها العلم الذي يسعد الروح والجسد في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

٩١- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن أشارت فاتحة هذه السورة الكريمة إلى ما يدل على أن المسيح ليس بإله ولا ابناً للإله، وذلك في قوله: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، جاءت الآية التي بعدها فأشارت إلى ما يدل على أن المسيح وإن كان يخبر ببعض الغيب فإنما هو من إخبار الله له، فهو لا يعلم كل خفي في الأرض وفي السماء، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، فجاءت الآية التي بعدها فأشارت إلى ما يدل على أن المسيح قد تقلب في رحم أمه، وتنقل فيها من طور إلى طور قبل وضعه، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ جاءت هذه الآية الكريمة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ...﴾ لتشير إلى ما يدل على سقوط آخر شبهات النصارى، حيث تمسكوا في هذه الشبهة بما ورد في القرآن الكريم بأن عيسى روح الله وكلمته، وقالوا: إن هذا يدل على أن عيسى ابن الله، فبين الله تعالى بهذه الآية أن القرآن مشتمل على محكم وعلى متشابه، والتمسك بالمتشابهات وترك المحكمات غير جائز، فأنتم أيها النصارى قد تمسكتم بالمتشابه وتركتم المحكم، وهذا مما لا يجوز ولا ينبغي عليكم، بل كان الواجب عليكم أن تردوا المتشابهات إلى المحكمات التي تنص على عبودية عيسى عليه السلام لكونها هي الأصل والأم؛ -وعندي أن في ذكر لفظة الأم في سياق ما يشير إلى إسقاط ورد

شبهات النصارى فيه دلالات وإشارات لمن تأمل وتدبر وتمعن – فما اعظم كلام الله وما ألطف هداياته، وأرق عباراته، وأدق إشاراته.

٩٢- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن أشارت فاتحة هذه السورة الكريمة إلى ما يدل على أن المسيح ليس بإله ولا ابناً للإله، وذلك في قوله: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، جاءت الآية التي بعدها فأشارت إلى ما يدل على أن المسيح وإن كان يخبر ببعض الغيب فإنما هو من إخبار الله له، فهو لا يعلم كل خفي في الأرض وفي السماء، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، فجاءت الآية التي بعدها فأشارت إلى ما يدل على أن المسيح قد تقلّب في رحم أمه، وتنقَّل فيها من طور إلى طور قبل وضعه، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ جاءت هذه الآية الكريمة ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ لتشير إلى ما يدل على سقوط آخر شبهات النصارى، حيث تمسكوا في هذه الشبهة بما ورد في القرآن الكريم بأن عيسى روح الله وكلمته، وقالوا: إن هذا يدل على أن عيسى ابن الله، فبين الله تعالى بهذه الآية أن القرآن مشتمل على محكم وعلى متشابه، والتمسك بالمتشابهات وترك المحكمات غير جائز، فأنتم أيها النصارى قد تمسكتم بالمتشابه وتركتم المحكم، وهذا مما لا يجوز ولا ينبغي عليكم، بل كان الواجب عليكم أن تردوا المتشابهات إلى المحكمات التي تنص على عبودية عيسى عليه السلام لكونها هي الأصل والأم؛ -وعندي أن في ذكر لفظة الأم في سياق ما يشير إلى إسقاط ورد شبهات النصارى فيه دلالات وإشارات لمن تأمل وتدبر وتمعن-. فما أعظم كلام الله وما ألطف هداياته، وأرق عباراته، وأدق إشاراته.

٩٣- يفيد سياق الآية بإشارة خفية إلى أن على العالم والداعية أن يبدأ كلامه بذكر الحقائق والأدلة الصحيحة مجملة من دون ذكر لأي شبهة من شبهات الخصوم الباطلة، لأن من عادة النفوس البشرية أن تتعلق بأول شيء يقابلها، وقد تشوش عقول بعضهم بسماع الشبه الباطلة أولا، فينبغي على العالم والداعية أن يلقي على أسماع الناس أولاً الحقائق والأدلة الصحيحة، لتتلقفها الأسماع ويتشبعون منها، ثم يورد لاحقاً الشبهات الباطلة للخصوم والرد عليها بالتفصيل.

٩٤- تفيد أن من أسماء القرآن الكتاب، بل إذا أطلق الكتاب فلا ينبغي أن يكون في العقل غير كتاب الله، وهو الكتاب الوحيد الذي كمل في صفاته.

٩٥- تفيد أن هذا القرآن كلام الله؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

٩٦- تفيد إثبات علو الله لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ والنزول لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل.

٩٧- تفيد امتنان الله تعالى على رسوله محمد ﷺ وعنايته به وبشارته بتشريف إنزال الكتاب عليه، ووجه ذلك: تقديم الظرف ﴿عَلَيۡكَ﴾ على المفعول ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

٩٨- تفيد أن القرآن الكريم ينقسم إلى محكم ومتشابه، لقوله: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾. وقد وردت في القرآن الكريم آيات تدل على أن جميعه محكم، وآية تدل على أن جميعه متشابه، ولكن ليس بهذا المعنى الوارد في هذه الآية بل بمعنى آخر، ومن ذلك قوله تعالى:﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١] وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾[الزمر:٢٣]، فالمراد بالمحكم بهذا المعنى أنه صحيح الألفاظ، قويم المعنى، فائق في البلاغة والفصاحة، غاية في الإحكام والإتقان، والمراد بالمتشابه بهذا المعنى أنه يصدق بعضه بعضا ويشبه بعضه بعضا في الصحة والفصاحة والحسن والبلاغة.

٩٩- تفيد أن الطريقة الصحيحة في تعلم القرآن تعلم المحكمات ثم رد المتشابهات إليها، وكل من ضلَّ في فهم القرآن ضلَّ باتباع المتشابه وعدم رده للمحكم.

١٠٠- تفيد وجوب الرجوع إلى المحكم إزاء المتشابه، لقوله: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، يعني مرجعه، وإنما لم يجمع بأن يقال: (هن أمهات الكتاب)، لأنَّه أراد: جميع الآيات المحكمات أمُّ الكتاب، لا أن كل آية منهن أم الكتاب، ونظير ذلك قوله تعالى:﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾[المؤمنون:٥٠]، ولم يقل: (آيتين)؛ لأنّ معناه: وجعلنا جميعهما آية؛ لأنَّ المعنى واحد فيما جُعلا فيه عبرةً للخلق.

١٠١- تفيد أن في وصف المحكمات بأنهن أم الكتاب، وتقديمهن في الذكر على المتشابهات في قوله: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾؛ وذلك ليتبادر إلى الذهن أول ما يتبادر أنه يردّ المتشابهات إلى المحكمات؛ لأنها كالأمّ لها؛ فالمحكَمات تُفهَم بذواتها، بينما المتشابهات لا تُفهَم إلا بالاستعانة بالمحكمات.

١٠٢- تفيد حكمة الله تعالى في جعل القرآن الكريم منقسماً إلى قسمين، ووجه الحكمة أنه بهذا يحصل الابتلاء والامتحان، فالمؤمن لا يضل بهذا الانقسام، والذي في قلبه زيغ يضل، كما أن الله ﷻ يمتحن العباد بالأوامر والنواهي فهو يمتحنهم بالأدلة، فيجعل هذا محكما وهذا

متشابها؛ ليتبين المؤمن من غير المؤمن، ولو كان القرآن كله محكما لم يحصل الابتلاء، ولو كان كله متشابها لم يحصل البيان، والله ﷻ جعل القرآن بيانا، وجعله محكما متشابها للاختبار والامتحان.

١٠٣- تفيد أن وجود المتشابه في القرآن الكريم قصد به امتحان الخلق، وبيان تفاوت قدراتهم في علم هذا الكتاب بين طالب علم، وعالم، وراسخ في العلم.

١٠٤- تفيد أنَّ اللهَ ﷻ أنزَل المتشابِهَ؛ ليمتحِنَ قلوبَنا في التَّصديق به، للتمييزِ بين الثابت على الحقِّ والمتزلزل فيه، لأن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وأن المحكم الصريح ليس محلا للفتنة، لوضوح الحق فيه لمن قصد اتباعه، فلو كان كلُّ ما ورَد في الكتاب معقولًا واضحًا، لَمَا كان في الإيمان شيءٌ من معنى الخضوعِ لأمرِ الله تعالى والتَّسليمِ لرُسلِه، ولكي يكونَ حافزًا لعقل المؤمنِ إلى النَّظر كيلا يضعُفَ فيموتَ، ولتعويد حَمَلَةِ هذه الشَّريعةِ، وعلماءِ هذه الأمَّةِ بالتَّنقيبِ، والبحثِ، واستخراج المقاصدِ من عويصاتِ الأدلَّة، وليظهر فيها فضلُهم، ويزداد حِرصُهم على أن يجتهدوا في تَدبُّرِها، وتحصيل العلوم المتوقِّف عليها استنباطُ المراد بها، فينالوا بها، وبإتعابِ القرائحِ في استخراجِ معانيها، والتوفيقِ بينها وبين المحكَمات الدَّرجاتِ العُلى عند الله تعالى.

١٠٥- تفيد أهمية سلامة القلب من الزيغ والهوى والضلال لتقبل وفهم القرآن الكريم؛ ولذا وضعه العلماء في شروط المفسر.

١٠٦- تفيد أن علم المحكم والمتشابه من علوم القرآن المهمة لمن أرادوا تعلم معاني القرآن الكريم وتدبر آياته، وهو من العلوم التي لا يستغني عنه مفسر.

١٠٧- تفيد أن من علامة الزيغ اتباع المتشابِه من القُرْآن، سواء تبِعه الإنسان بالنِّسبة لتصوّره فيما بينه وبين نفسِه، بإيراد الآياتِ المتشابهاتِ عليها، وكان يورد على نفسه آيات متشابهات، أو كان يتَّبع ذلك بالنِّسبة لعَرْضِ القُرْآن على غيره، فيقول للناس مثلا: ماذا تقولون في كذا وكذا، ويأتي بالآيات المتشابهات بدون أن يحلها أو يبين للناس هذا التشابه.

١٠٨- تفيد أن أعظم الفتنة فتنة الناس باتباع متشابة القرآن الكريم؛ ولذا جاءت الفتنة هنا بال التعريف.

١٠٩- يفيد وصف المتبعين للمتشابه بـ : ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ من أكبر وسائل التحذير من منهجهم والبعد عنهم، ولذا جاء في صحيح البخاري، لما تَلا رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآيةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. قالَتْ عائشة رضي الله عنها: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتَّبِعون ما تَشابَه منه، فأولئك الذين سَمَّى اللهُ، فاحذَروهم».

١١٠- تفيد بيان أثر ما في القلب على الجوارح في الاتباع.

١١١- تفيد أن منهج جميع أهل الأهواء والبدع في الاستدلال بالنصوص قائم على مسلك اتباع المتشابه، وقائم أيضا على الإيمان والأخذ ببعض الكتاب وترك بعضه الآخر، وهو مسلك الانتقاء الذي ذمه الله تعالى وهو مسلك بني إسرائيل: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾.

١١٢- تفيد أن هؤلاء الذين يتبعون المتشابه تارة يبتغون الفتنة، وصد الناس عن دينهم، ونزع الثقة من قلوبهم بالنسبة للقرآن؛ لقوله: ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾، وتارة يريدون بذلك أن يحرفوه إلى المعنى الذي يريدون، وذلك لأنهم لو أرادوا أن يحرفوا المحكم ما قبل، لكن يأتون بالمتشابه ليتمكنوا من تحريفه على ما يريدون، لأنه إذا كان متشابها فإن المخاطب الذي يخاطبونه يكون قد اشتبه عليه الأمر، فيقبل ما جاءوا به من التحريف، وبهذا يزول الإشكال الذي يعرض في قوله: ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ لأن ابتغاء التأويل على الوجه المراد أمر مطلوب، وليس من شأن ذوي الزيغ، بل هو من شأن أهل الإيمان، لكن ذوي الزيغ يأتون بهذا المتشابه من أجل أن يحرفوه على ما يريدون، لأنه ليس محكما واضحا حتى يعارضهم الناس، بل متشابه، فيحصل بذلك ما يريدون من التحريف. منقول.

١١٣- تفيد سعة علم الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾. على قراءة الوقف.

١١٤- تفيد أن في القرآن الكريم معان فوق طاقات البشر، وهذا إذا جعلنا الواو استئنافية في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾.

١١٥- تفيد أن للعلماء في الوقوف على ﴿ٱللَّهُۗ﴾ من قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ قولان: فالجمهور يقفون عندها، وبعضهم يعطف عليها ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾، وذلك كله محتمل، فإن التأويل إن أريد به علم حقيقة الشيء وكنهه كان الصواب الوقوف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ لأن المتشابه

الذي استأثر الله بعلم كنهه وحقيقته، نحو حقائق صفات الله وكيفيتها، وحقائق أوصاف ما يكون في اليوم الآخر ونحو ذلك، فهذه لا يعلمها إلا الله، ولا يجوز التعرض للوقوف عليها، لأنه تعرض لما لا يمكن معرفته، وإن أريد بالتأويل التفسير والكشف والإيضاح، كان الصواب عطف ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ على ﴿اللَّهُ﴾ فيكون الله قد أخبر أن تفسير المتشابه ورده إلى المحكم وإزالة ما فيه من الشبهة لا يعلمها إلا هو تعالى والراسخون في العلم يعلمون أيضا، فيؤمنون بها ويردونها للمحكم ويقولون ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ وما كان من عنده فليس فيه تعارض ولا تناقض بل هو متفق يصدق بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض، وفيه تنبيه على الأصل الكبير، وهو أنهم إذا علموا أن جميعه من عند الله، وأشكل عليهم مجمل المتشابه، علموا يقينا أنه مردود إلى المحكم، وإن لم يفهموا وجه ذلك.

١١٦- تفيد أهمية معرفة علم الوقف والابتداء وأثره في التفسير.

١١٧- تفيد التنبيه على أهمية السياق في الدلالة على معاني الألفاظ القرآنية.

١١٨- تفيد أن العلماء مراتب، أعلاهم من سماهم الله تعالى بالراسخين في العلم، وهم يعلمون تأويله إذا جعلنا الواو عاطفة، وإذا جعلناها استئنافية يكون من صفات العلماء عدم الخوض فيما ليس لهم به علم؛ بل يردون علمها إلى الله تعالى.

١١٩- تفيد منزلة العلم والعلماء، حيث قادهم علمهم إلى الفهم السليم والتعامل الصحيح مع المتشابه.

١٢٠- تفيد فضيلة الرسوخ في العلم، وهو الثَّبات فيه، والتعمق في أخذه، حتى يصل المرء إلى جذوره، وضد الرسوخ في العلم: السطحية في العلم، وما أكثر هذه السطحية فينا في هذه الأيام، فبالرغم من كثرة الجامعات ودور العلم، إلا أننا نجد تسطيحاً في المخرجات والرسائل والأبحاث العلمية، حيث تحولت تلك المخرجات والرسائل والأبحاث العلمية -إلا ما رحم ربك- إلى عملية إجرائية سطحية تجري لتحقق عائداً مادياً للجامعات وأساتذتها، وسلما في درجات علمية للباحث، دون اهتمام بالرسوخ في هذا التخصص أو ذلك. -والله المستعان-.

١٢١- تفيد أن إنكار ما جاء عن الله، والتبجح في رده، لا يكون إلَّا من السَّطحيِّين الَّذين تخدعهم قشور العلم، بخلاف الراسخين فيه.

١٢٢- تفيد أن الرسوخ في العلم قدر زائد على مجرَّد العِلم؛ فالراسخ في العلم يقتضي أنْ يكون عالما محقّقًا، وعارفا مدقِّقًا، قد رسخ قدمه في أسرار الشريعة؛ علما وحالا وعملا.

١٢٣- تفيد أنه ينبغي لطالب العلم أن يحرص على أن يكون راسخا في العلم، لا مجرد جامع له فقط؛ فالرسوخ في العلم يُولّد عند الشخص ملَكةً يستطيع من خلالها تقريب العلم بعضِه من بعض، وقياس بعضه على بعض.

١٢٤- تفيد أن الراسخين في العلم يعلمون أن الذي من عند ربهم لا يكون فيه تناقض واختلاف؛ ولهذا فهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾.

١٢٥- تفيد مدح الراسخين في العلم، والثناء عليهم بجودة الذهن، وصحيح الفهم، وحسن النظر؛ لقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾.

١٢٦- تفيد الثناء والمدح وتزكية منهج الراسخين من جهتين:

أ) وصفهم بالراسخين في العلم في مقابل وصف مخالفيهم بـ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾.

ب) وصفهم بـــ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وهم أصحاب العقول السليمة الذين استعملوا عقولهم فيما خلقت له، وفيما تحسنه، فقادتهم إلى الرسوخ في العلم المثمر، وأدى بهم الى الإيمان والتسليم والانقياد للكتاب كله والوحي المعصوم. وعدم رد شيء منه ولا معارضته لا برأي ولا بمعقول، ولا بقياس، ولا بسياسة ولا مصلحة، ولا بغير ذلك من المعارضات.

١٢٧- تفيد أن على من لم يرسخ قدمه في العلم أن يقتدي بمن رسخت أقدامهم فيه.

١٢٨- تفيد التوجيه إلى أن يفزع الناس في الزمن الذي تكثر فيه الشبهات حول بعض الآيات، إلى الراسخين في العلم فيسألوهم.

١٢٩- تفيد بإشارة إلى عظمة هذا الكتاب الذي يراعي خطابه قدرات الناس، وإمكاناتهم العقلية ويلبي رغبات أصحاب العقول الكبيرة والفهوم الدقيقة، فالمتشابه يشتغل به الراسخون بالعلم، الذين لا يشبعون من هذا الكتاب تعلما وتعليما، فيتحقق بذلك توجيه الله لأولي الألباب لتدبر هذا الكتاب، فيستخرجون منه كنوزا عظيمة، ويقفون على ألوان من الإعجاز جديدة، ففي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد:٢٤] جاء الخطاب لكل أحد، وكل بحسب قدراته وملكاته، فيستطيع تدبر القرآن صاحب العلم البسيط المتواضع، كما يتدبره الراسخ في

العلم، وفي هذا دليل على أن هذا الخطاب من عند خالق حكيم، خبير بخلقه وبإمكاناتهم وقدراتهم.

١٣٠- تفيد أن من علامات الرسوخ في العلم، أن يقول العالم: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.

١٣١- تفيد وجوب الإيمان بكل ما جاء من عند الله ﷻ لقوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.

١٣٢- تفيد بيان منهج الاستدلال عند الراسخين ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ ومنهج الذين في قلوبهم زيغ: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾.

١٣٣- تفيد أن منهج أهل الرسوخ قائم على الإيمان بالكتاب كله محكمه ومتشابهه ورد متشابهه الى محكمه كما قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾.

١٣٤- تفيد أن من لوازم الإيمان بالكتاب كله الإيمان والتسليم والانقياد للسنن. فهي من الوحي المعصوم، وأمر الله تعالى بطاعة نبيه في الكتاب في أكثر من ثلاثين موضعا، وأهل السنن هم أهل الرسوخ العالمون بكتاب الله تعالى، ولذا قال عمر ﵁: «إذا جادلَكم أهلُ البدَعِ بشبُهاتِ القرآنِ فخذوهم بالسنَنِ فإنَّ أهلَ السننِ أعلمُ بكتابِ اللهِ تعالى منهم».

١٣٥- تفيد أن من أكبر أسباب الفتن وزيغ القلوب اتباع المتشابه دون المحكم من النصوص. كما أن من أكبر أسباب النجاة من الفتن وزيغ القلوب الرسوخ في العلم والإيمان بالكتاب كله وعدم رد شيء منه أو معارضته.

١٣٦- تفيد أن في إضافة العندية إلى لفظ الرب في قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾؛ إشعار بأن من مُقتضى الربوبية النظر في مصلحة العباد، فلولا أن في المتشابه مصلحة ما أنزله الله تعالى، ولجعل كتابه كله محكما.

١٣٧- تفيد أن التذكر والاعتبار بآيات الكتاب من صفات العلماء أصحاب العقول الراجحة.

١٣٨- تفيد أنه لا ينتفع بهذا القرآن ولا يتذكر بآياته إلا من كان له عقل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

١٣٩- تفيد أنه كلما ازداد المرء عقلا، ازداد تذكرا بكلام الله تعالى، وكلما نقص تذكره دل ذلك على نقص في عقله، بناء على قاعدة: الحكم المعلَّق على وصف يزيد بزيادته، وينقص بنقصانه.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[آل عمران: ٨].

١٤٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن حكى ﷻ عن الراسخين في العلم أنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾حكى عنهم في هذه الآية أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾.

١٤١- تفيد مع ما قبلها أن أخطر الزيغ زيغ القلب، ولهذا لما ذكر ﷻ في الآية السابقة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ...﴾جاء في هذ الآية دعاء الراسخين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا...﴾ وذلك لأنهم علموا أنهم أحوج ما يكونون إلى دعاء ربهم في سؤال التثبيت، وألا يزيغ قلوبهم بعد هداية الله لهم.

١٤٢- تفيد مع ما قبلها أن الراسخ في العلم يتواضع لله بعلمه، ويتبرأ من حوله وقوته، ويطلب العون والتوفيق والسداد منه ﷻ.

١٤٣- تفيد مع ما قبلها أن من جملة ما قصد بوصف الكتاب بأن منه محكماً ومنه متشابهاً - إيقاظ الأمة إلى ذلك؛ لتكون على بصيرة في تدبر كتابها: تحذيراً لها من الوقوع في الضلال، الذي أوقع الأمم في كثير منه وجود المتشابهات في كتبها، وتحذيراً للمسلمين من اتباع البوارق الباطلة، مثل ما وقع فيه بعض العرب من الردة والعصيان بعد وفاة الرسول ﷺ؛ لتوهم أن التدين بالدين إنما كان لأجل وجود الرسول بينهم.

١٤٤- تفيد مع ما قبلها ومع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أن الراسخين في العلم هم أخشى الناس وأتقاهم لله، وهم أولى الناس برحمة الله تعالى، لكونهم يكثرون من دعاء الله تعالى وطلب الرحمة منه.

١٤٥- تفيد مع ما قبلها أن الرسوخ في العلم يلزمه دوام الاستعانة بالله بالثبات على أمره، وتسخير العقل والفهم لخدمة هذا الكتاب والصدور عنه في جميع الشؤون.

١٤٦- تفيد مع ما قبلها أهمية تسليم الخلق بأن العلم كل العلم مرده إلى الله تعالى، فهو منه وإليه، فالذين يشار إليهم بأنهم أهل العلم الراسخون فيه؛ سلموا لربهم أن العلم والهدى منه وبتوفيقه وتيسيره سبحانه.

١٤٧- تفيد مع ما قبلها وما بعدها أن الراسخ في العلم أعرف الناس بالله؛ حيث يزداد رغبة ورهبة إليه ﷻ، ويبقى على حذر ووجل، معلقاً نجاته يوم المعاد بتوفيق ربه.

١٤٨- تفيد أن أهل الرسوخ في العلم يدعون لأنفسهم وإخوانهم من أهل الإيمان، وهذا يدل على فقههم ورسوخهم؛ لأنه من أسباب الإجابة، وفيه مع الدعاء زيادة الأجر بقدر ما يضمره من خير للمسلمين.

١٤٩- تفيد مشروعية الدعاء بهذه الصيغة؛ لأنه دعاء الراسخين في العلم وأولى الألباب.

١٥٠- تفيد أن أعظم الدعاء ما علمه الله أهل الإيمان في كتابه؛ لأنه قد تكون ذكرت على وجه التعليم.

١٥١- تفيد بيان قرب منزلة العلماء الراسخون من ربهم، لقوله: ﴿رَبَّنَا﴾.

١٥٢- تفيد أهمية أن يستحضر العبد قرب الله تعالى عند دعائه، لقوله:﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾.

١٥٣- تفيد أن غالب الأدعية الواردة في القرآن الكريم مصدرة بلفظ الرب﴿رَبَّنَا﴾، وذلك لأن الدعاء يتطلب الإجابة، والإجابة من الأفعال، والأفعال علاقتها بالربوبية أكثر من علاقتها بالألوهية.

١٥٤- تفيد أن العبد لا يملك قلبه، ولهذا ينبغي له أن يسأل الله ﷻ دائما أن لا يزيغ قلبه، وقد أخبر النبي ﷺ أن « القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاءَ أن يُقيمَهُ أقامَهُ وإن شاءَ أن يُزيغَهُ أزاغَهُ »، أخرجه البغوي في كتابه السنة، برقم: [٢١٩]، وصححه الألباني.

١٥٥- تفيد أن في صلاح القلب صلاح جميع الجسد؛ لكونه مدار العمل؛ لهذا قال العلماء الراسخون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾. وقد قال عليه الصلاة والسلام: « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». رواه البخاري في صحيحه، برقم: [٥٢]، ومسلم في صحيحه، برقم: [١٥٩٩].

١٥٦- تفيد أن للقلب حالين: حال استقامة، وحال زيغ، والعبد المستقيم يخاف من تحول قلبه من حال الاستقامة إلى حال الزيغ، ولهذا كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». أخرجه الترمذي في السنن، برقم: [٢١٤٠]، وصححه الألباني.

١٥٧- تفيد أهمية أن يتوسل العبد إلى الله تعالى بنعمه السابقة عليه؛ لقولهم: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾. وفي قولهم هذا تحقيق للدعوة على سبيل التلطف؛ إذ أسندوا الهدى إلى الله تعالى، فكان ذلك كرماً منه، ولا يرجع الكريم في عطيته.

١٥٨- تفيد أن الراسخين في العلم هم أعلم الناس بقدر الهداية وعظم شأنها وأهميتها في حياته، فيحرص عليها كل الحرص ويدعو الله أن يثبته عليها.

١٥٩- تفيد أن الهداية إلى الحق، والعصمة من الزيغ والضلال، من أعظم ما يتفضل الله به على عباده من رحمته.

١٦٠- تفيد أن الثبات على الهدى من النعم العظيمة، والمقاصد الجليلة لأهل الإيمان؛ لأنها سبب الفوز والفلاح.

١٦١- تفيد أن من هداه الله إلى الحق، وعافاه عن الزيغ فهو في نعمة عظيمة تستوجب الشكر.

١٦٢- تفيد أن الله تعالى كثير الفضل والعطاء على عباده يعطي ما يشاء بغير حساب، وهذا يستوجب محبته وعبوديته.

١٦٣- تفيد الثناء على هؤلاء الراسخين، حيث اعترفوا لله تعالى بالنعمة التي منَّ بها عليهم، وهو ﷻ أهل للفضل والإنعام، لقولهم: ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾، وهذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ١١﴾ [الضحى:١١].

١٦٤- يفيد السؤال بلفظ الهبة في قوله: ﴿وَهَبۡ﴾ وختم الآية بقوله: ﴿أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾إشارة إلى أن الهداية والرحمة تفضل محض منه ﷻ من غير شائبة وجوب عليه عز شأنه؛ وفي هذا رد على من يقول: يجب على الله فعل الأصلح للعبد.

١٦٥- تفيد أهمية طلب التخلية قبل التحلية، قال الرازي: « واعلم أن تطهير القلب عما لا ينبغي مقدم على تنويره مما ينبغي، فهؤلاء المؤمنون سألوا ربهم أولاً أن لا يجعل قلوبهم مائلة إلى الباطل والعقائد الفاسدة، ثم إنهم أتبعوا ذلك بأن طلبوا من ربهم أن ينور قلوبهم بأنوار المعرفة، وجوارحهم وأعضاءهم بزينة الطاعة». أي: أنهم قدموا التخلية في قولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾ ثم طلبوا التحلية بقولهم: ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾.

١٦٦- تفيد أن العباد مفتقرون إلى رحمة الله ﷻ؛ لقولهم: ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾.

١٦٧- تفيد أن الرحمة التي أثبتها الله لنفسه رحمة حقيقية دل عليها الكتاب والسنة والعقل.

١٦٨- تفيد أهمية أن يتوسل العباد بأسماء الله تعالى وصفاته في دعائهم، لقولهم: ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾.

١٦٩- تفيد إثبات اسم ﴿الْوَهَّابُ﴾ لله ﷻ.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

١٧٠- تفيد دقة المناسبة مع الآية السابقة فبعد أن سأل الراسخون الله ﷻ أن لا يزيغ قلوبهم بعد الهداية، وكانت ثمرة انتفاء الزيغ وحصول الهداية إنما تظهر في يوم القيامة، أخبروا في هذه الآية أنهم موقنون بيوم القيامة، والبعث فيه للمجازاة، وأن اعتقاد صحة الوعد به هو الذي هداهم إلى سؤال أن لا يزيغ قلوبهم، قال ابن عاشور في بيان وجوه مناسبات أخرى: « استحضروا عند طلب الرحمة أحوج ما يكونون إليها، وهو يوم تكون الرحمة سبباً للفوز الأبدي، فأعقبوا بذكر هذا اليوم دعاءهم على سبيل الإيجاز، كأنهم قالوا: ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ﴾، وخاصة يوم تجمع الناس، كقول إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]. على ما في تذكر يوم الجمع من المناسبة بعد ذكر أحوال الغواة والمهتدين، والعلماء الراسخين».

١٧١- تفيد مع ما قبلها أن اليقين بوجود يوم القيامة وما فيه من الجزاء والحساب هو الموجب للعمل الرادع عن الزلل.

١٧٢- تفيد مع ما قبلها ثناء على الراسخين في العلم، من خلال الإخبار بإيمانهم وإيقانهم بيوم القيامة وخوفهم منه، وانشغالهم بالعمل لذلك اليوم، وهو من علامات رسوخهم في العلم.

١٧٣- تفيد مع ما قبلها أن الذين يتبعون ما تشابه من القرآن الكريم ينكرون وجود يوم الجمع، وما فيه من البعث والحساب والجزاء.

١٧٤- تفيد مشروعية التوسل بالإيمان، ومنه الإيمان بالبعث واليوم الآخر.

١٧٥- تفيد أن يوم القيامة يوم لا شك في وجوده لصدق من أخبر به، وإن كان يقع للمكذب به ريب فهو بحال ما لا ينبغي أن يرتاب فيه؛ أو أن ريبه مما لا اعتداد به؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾.

١٧٦- تفيد وجوب أن يؤمن العبد إيمانا لا شك فيه بوجود يوم القيامة، وما يقع فيه من البعث والنشر والحشر والحساب والجزاء.

١٧٧- تفيد بيان تمام قدرة الله ﷻ بجمع الناس كلهم من أولهم إلى آخرهم في هذا اليوم؛ لقوله تعالى: ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾.

١٧٨- تفيد حكمة الله تعالى في جمع الناس لهذا اليوم؛ لأن هذا الجمع له ما بعده، وهو جزاء كل عامل بما عمل، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، قال تعالى في آية أخرى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ...﴾، وقال تعالى أيضا: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾[هود:١٠٣].

١٧٩- تفيد انتفاء صفة خلف الوعد عن الله ﷻ، وكمال صدقه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾وهذه الصفة من صفات الله ﷻ السلبية؛ والصفات السلبية هي التي ينفيها الله ﷻ عن نفسه. وتتضمن أمرين هما: نفي هذه الصفة؛ وإثبات كمال ضدها.

١٨٠- تفيد كمال قدرة الله تعالى؛ لأن الذي يخلف الميعاد إنما هو يخلفه لعجز وعدم قدرة؛ والله ﷻ لكمال قدرته لا يخلف الميعاد.

١٨١- تفيد أن في استفتاح الراسخين دعاءهم بالثناء على الله، والإقرار بصدق ما جاء من عنده، ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ثم ختمهم الدعاء بالثناء على الله، والإقرار بصدق ميعاده: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾، إشارة لطيفة ودلالة خفية إلى استحباب تقديم الثناء على الله في الدعاء وختمه بذلك، وقد كان نبينا ﷺ يفعل ذلك، كما ثبت في صحيح البخاري ومسلم أن النَّبِيُّ ﷺ كان إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ: فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» صحيح البخاري، برقم: [١١٢٠] وصحيح مسلم، برقم: [٧٦٩].فتأملوا أحبتي الكرام، كيف قدم النبي ﷺ جملا كثيرة قبل دعائه، كلها حمد لله، وثناء عليه، وتمجيد له، واعتراف بالفقر إليه، وإقرار بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ثم بعد ذلك كله بدأ بالدعاء، والذي كان جملة واحدة فقط وهي: «فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت»، وهكذا كان دعاء الراسخين في آية واحدة، وهي قولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ﴾.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران: ١٠].

١٨٢- تفيد دقة التناسب لما قبلها فبعد أن حكى الله ﷻ عن المؤمنين إيمانهم ودعاءهم الذي سينجيهم من عذابه، وأن يوم الجمع كائن لا محالة تحدث هنا عن شدة بأسه وعقابه على الكافرين في يوم الجمع الذي لن ينفعهم فيه مال ولا بنون.

١٨٣- تفيد مع ما قبلها بشارة الاستجابة لدعاء أهل الإيمان في الآيتين السابقتين، حيث تحققت لهم الرحمة في يوم يهلك فيه من لا تدركه رحمة الله.

١٨٤- تفيد مع ما قبلها أن أهل الإيمان يرجون رحمة الله ويخشون عذابه، وأهل الكفر يغترون بدنياهم ويظنون أنها تغني عنهم إذا لاقوا ربهم.

١٨٥- تفيد مع ما قبلها بلاغة القرآن الكريم، حيث بدأ ببيان الحق وإثباته، ثم ذكر حال أهل الكفر والجحود، وبيَّن سبب إعراضهم عن الحق وسبب استغنائهم، ومثل لذلك بالأموال والأولاد.

١٨٦- تفيد أن الذي ينفع بالدنيا ليس بالضرورة أن ينفع بالآخرة، فالنفع والضر والحسن والقبيح يعرف من مصدري الهدى والنور، الكتاب والسنة.

١٨٧- تفيد مع ما بعدها براعة استهلال وحسن تهيئة وروعة تمهيد، إذ أن فيها تشجيع المؤمنين على مواجهة الكافرين وقتالهم والانتصار عليهم، ووجه ذلك: أنه متى ما طلب المؤمنون النصر من الله والتجأوا إليه، فإن ما عند الكفار من الأسلحة الفتاكة، ورؤوس الأموال الضخمة، والأعداد البشرية الهائلة، لا تغنيهم من الله شيئا، وأن الله ﷻ سينصر عباده المؤمنين، ولهذا قال تعالى في آية لاحقة: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ١٣﴾.

١٨٨- تفيد نذارة شديدة لأهل الكفر.

١٨٩- تفيد أن الكفر يقع في النفوس حينما يغتر الإنسان بنفسه ويظن أن لديه ما يستغني به عن الحق.

١٩٠- تفيد أن الكافر يملك؛ لقوله: ﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾فأضاف المال إليهم، وهو دليل على أن الكافر يملك ماله، واختلف العلماء في المرتد الذي يكفر بعد إسلامه، هل يزول ملكه عما تحت يده

أو لا؟ على قولين لأهل العلم، والراجح أنه لا يزول إلا إذا مات على ردته، فإن ملكه لا ينتقل إلى ورثته، بل ينتقل إلى بيت مال المسلمين، وللاستزادة من هذه المسألة يرجى الرجوع إلى أمهات كتب التفسير والأحكام.

١٩١- تفيد أن الكفار قد يرزقون الكثير من الأموال والأولاد في هذه الدنيا.

١٩٢- تفيد أن الكفار لا تنفعهم لا أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا، سواء في الدنيا أو في الآخرة.

١٩٣- تفيد أن المؤمنين ينتفعون بأموالهم وأولادهم؛ وذلك لأن المؤمن يتصدق بماله فينتفع، ويدعو له ولده في حياته وبعد موته فينتفع، وأما الكفار فلا ينتفعون بشيء من ذلك في الآخرة.

١٩٤- تفيد بيان كمال قدرة الله ﷻ، وأن قدرته ﷻ لا يمكن مواجهتها بأي قوة، مالية كانت أو بشرية؛ لقوله تعالى: ﴿لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾، وأما من غير الله فقد تغني عنهم شيئا، كمن يدفع شيئا من ماله لينقذه أحدهم من ورطة، وكمن لديه أولاد شجعان يدفعون عنه أذى الأعداء.

١٩٥- تفيد أن صفة يوم القيامة مخالفة لصفة الدنيا؛ لأن أقرب الطرق إلى دفع المضار إذا لم يتأت في ذلك اليوم، فما عداه بالتعذر أولى.

١٩٦- تفيد إثبات عذاب النار، لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾.

١٩٧- تفيد أن الكفار في النار، وأنهم وقودها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾، وقد صرحت آية أخرى في هذه السورة شبيهة بهذه الآية أن كَوْنَ الكفار وقُود النّار هو علَى سَبِيلِ الخُلُودِ فيها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[آل عمران: ١١٦]. وقد اكتفت هذه الآية بذكر أن الكفار هم وقود النار، وجاءت آية أخرى أن الأصنام التي تعبد من دون الله هي أيضا وقود النار، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

١٩٨- تفيد بيان شدة عذاب الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾وذلك أنه لا عذاب أزيد من أن تشتعل النار فيهم كاشتعالها في الحطب اليابس.

١٩٩- تفيد تحقير للكافر، وذلك بنعته بصورة تخرجه عن صورة الإنسان المكرم، فيوصف بالحطب.

٢٠٠- تفيد أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وهذه الآية هي تكذيب لدعوى الكفار حيث كانوا يدَّعُون أن الله ﷻ ما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا إلا لكرامتهم عليه واستحقاقهم لذلك، وأن الآخرة كالدنيا يستحقون فيها ذلك أيضا فكذَّبهم في آيات كثيرة، فمن الآيات الدالة على أنهم ادَّعوا ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[سبإ: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[مريم: ٧٧]، وقال: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا﴾، يعني في الآخرة كما أوتيته في الدنيا. وقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[فصلت: ٥٠]، أي: بدليل ما أعطاني في الدنيا، وقوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾[الكهف: ٣٦]، قياساً منه للآخرة على الدنيا ورد الله عليهم هذه الدعوى في آيات كثيرة، كقوله هنا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم﴾[آل عمران: ١١٦]، وقوله: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ۝﴾[المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وقوله: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ [سبإ: ٣٧]، وقوله: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[آل عمران: ١٧٨]، وقوله: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ۝﴾[القلم: ٤٤، ٤٥].

قال تعالى: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[آل عمران: ١١].

٢٠١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذكر ﷻ في الآية السابقة أن الكفار لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا؛ ذكر مثالا لذلك في هذه الآية، أي: لن تُغْنِي عن هؤلاء الكفار أموالهم وأولادهم مثل ما لم تغن عن آل فرعون أموالهم وأولادهم؛ وكذلك السابقون من الأمم المكذبة.

٢٠٢- تفيد مع ما قبلها بيان نصر الله تعالى لنبيه ﷺ على إيذاء الكفرة، وبشارته بأنه سينتقم منهم كما انتقم من الأمم السابقة المكذبة لأنبيائه ورسله؛ وأن أموال هؤلاء الكفرة وأولادهم لن تغني عنهم من الله شيئا، وهنا تظهر للمتأمل والمتدبر دقة مجيء هذه الآية بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾وبين قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾.

٢٠٣- تفيد أن عادة هؤلاء الكفار وشأنهم ومذهبهم في إيذاء النبي محمد ﷺ والتكذيب بآياته كعادة ومذهب من قبلهم من الأمم في إيذاء رسلهم والتكذيب بما جاءوا به، وأن عادة الله

تعالى أيضا في إهلاك هؤلاء، كعادته في إهلاك أولئك الكفار المتقدمين؛ لأن سنة الله تعالى في الخلق واحدة، فليس بينه وبين الخلق نسب يراعيه؛ لقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وقال تعالى في آية أخرى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب:٦٢].

٢٠٤- تفيد أن فرعون وآل فرعون كذبوا بآيات الله الدالة على وحدانيته، وجحدوا ما جاء به نبي الله موسى عليه السلام؛ لقوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ...﴾.

٢٠٥- يفيد تقديم آل فرعون وتخصيصهم بالذكر - من بين بقية الأمم - لكونهم أكثر الأمم طغيانا، وأعظمهم تعنتا على أنبيائهم، ولأن هلكهم معلوم عند أهل الكتاب، بخلاف هلك عاد وثمود فهو عند العرب أشهر؛ ولأن تحدي موسى إياهم كان بآيات عظيمة فما أغنتهم شيئا تجاه ضلالهم؛ ولأنهم كانوا أقرب الأمم عهدا بزمان النبي ﷺ.

٢٠٦- تفيد أن فرعون وملأه يعتبرون المثل الأعلى بالكفر والعناد والاستكبار.

٢٠٧- تفيد التنبيه لأخذ العبرة والعظة ممن سبق من الأفراد والأمم.

٢٠٨- تفيد كثرة الآيات المنصوبة للدلالة على وحدانية الله تعالى وصدق ما جاء به الأنبياء والرسل، سواء كانت آيات متلوة أو مرئية؛ لقوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

٢٠٩- تفيد إثبات الآيات لله، وهي العلامات الدالة على الله عز وجل، وصدق أنبيائه ورسله؛ لقوله: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

٢١٠- تفيد أن الله عز وجل لا يظلم الناس شيئا، وإنما يؤاخذهم بسبب الذنوب والمعاصي، لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

٢١١- تفيد إظهاراً لكمال عدل الله الذي يأخذ بالذنب، ولا يظلم أحدا.

٢١٢- تفيد أن المكذبين من آل فرعون والأمم السابقة قد عذبوا في الدنيا، وأنهم سيعذبون في الآخرة كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

٢١٣- يفيد التعبير بالذنوب في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾دون قوله: [كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بتكذيبهم] إشارة إلى أن هؤلاء الكفار قد أتوا بذنوب أخرى غير التكذيب بالآيات، كالتكذيب بالله تعالى، والاعتداء على رسله وأنبيائه؛ وكعقر ثمود للناقة، وكلواط قوم لوط،

وكتطفيف قوم شعيب للمكيال والميزان، وغير ذلك، فكل تلك الذنوب جاءت بسبب التكذيب بالآيات؛ فالتكذيب بالآيات مقدمة وممهدة لجميع الذنوب والمعاصي؛ ولهذا أوثر ذكره ههنا.

٢١٤- تفيد الرد على الجبرية الذين لا ينسبون فعل العبد إليه، لقوله: ﴿بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾فأضاف الذنوب إليهم، والفعل لا ينسب إلا لمن قام به حقيقة، والجبرية يقولون: إن الفعل لا ينسب إلى العبد على وجه الحقيقة.

٢١٥- تفيد بيان سطوة الله تعالى وقوته وشدة انتقامه ممن من كفر بآياته وكذب بها؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

٢١٦- تفيد إثبات صفة شدة العقاب لله تعالى؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

٢١٧- تفيد أن النظر في عاقبة من سبق تعين على استدراك ما قد يقع بأمر الله.

٢١٨- تفيد أنه مع سبق رحمته تعالى، فقد يأخذك الله بذنبك، فكن متيقظا.

٢١٩- تفيد أن المبادرة إلى التوبة سبب لرفع العقوبة أو دفعها فسحرة فرعون بمجرد رؤية الحق آمنوا.. فلم يؤاخذهم الله بذنوبهم، بل طمحوا إلى أن يغفر الله ذنوبهم وخطاياهم، وإن تأخر إيمانهم.

٢٢٠- تفيد أن المعصية هي دأب كثير من السابقين، والعقوبة أدركت أناسا منهم، فاتخاذ السلامة عادة كالسابقين لا يعني عدم وقوع العقوبة، فالذي منع ارتكاب المعصية أوجب العقوبة وتفضل بالعفو.

٢٢١- تفيد تأنيسا للمؤمنين وتسلية للدعاة الذين تعرضوا لغطرسة المتكبرين وسطوة المتجبرين.

٢٢٢- تفيد أن الله يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، حتى ينتقم منه أشد انتقام.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢].

٢٢٣- تفيد دقة المناسبة فبعد أن أنذر الله تعالى الكفار بضرب المثل لهم بأحوال سلفهم في الكفر والتكذيب، هددهم في هذه الآية ووضح لهم وأخبرهم بأن المواجهة بين الكفر والإيمان حتمية في المستقبل، وأن أمرهم صائر إلى انخفاض وزوال، وأمر المؤمنين صائر إلى ارتفاع ودوام،

-وإنما جيء في هذا التهديد بأطنب عبارة وأبلغها؛ لأن المقام مقام إطناب لمزيد الموعظة والتذكير-.

٢٢٤- تفيد أن رسول الله ﷺ عبد مأمور، يوجه إليه الأوامر من ربه ﷻ، لقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، فهو عبد لا يُعبد، ورسول لا يكذّب.

٢٢٥- تفيد إظهارا لمزيد العناية من الله لنبيه المبلغ عنه ﷺ فيأتيه التوجيه والتسديد منه ﷻ لاختيار الخطوة المناسبة في الدعوة، وأسلوب الخطاب المناسب بالوقت المناسب.

٢٢٦- تفيد مزيد التبكيت والإهانة للكفار بأن الله لم يخاطبهم مباشرة؛ لأنهم لا يستحقون ذلك، وإنما أمر نبيه ﷺ بتبليغهم ذلك ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾وكما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾وغيرهما، ولم يرد الخطاب مباشرة للكفار بوصف الكفر إلا في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧﴾ [التحريم:٧].

٢٢٧- تفيد أهمية هذا الخبر الذي أمر الله نبيه أن يبلغه للكافرين؛ لدلالة: ﴿قُل﴾.

٢٢٨- تفيد أن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب، وإنما يخبر من الغيوب ما أخبره وعلمه ربه ﷻ؛ لقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ...﴾.

٢٢٩- تفيد بيان معجزة من معجزات النبي ﷺ، وبيان صدق إخبار القرآن الكريم عن الحوادث المستقبلية؛ لقوله تعالى: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾وهو إخبار عن أمر يحصل في المستقبل، وقد وقع مخبره على موافقته، فكان هذا إخباراً عن الغيب وهو معجز، ونظيره قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾[الروم: ٢ – ٣]، ونظيره في حق عيسى عليه السلام ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾[آل عمران: ٤٩].

٢٣٠- تفيد تقوية وتشجيع المؤمنين على مقاتلة أعدائهم الكفار، وأنه مهما بلغ أعداؤهم من العلو والاستكبار، فقد توعدهم ربهم بالهزيمة والانكسار.

٢٣١- تفيد أهمية بث الرعب والخوف والقلق في نفوس الكفار، وهي ما يعرف بالحرب النفسية والإعلامية؛ وهذه الحرب من أخطر الحروب التي ينبغي للقادة الاهتمام بها؛ لأن لها ما بعدها؛ وهنا تظهر فائدة توجيه الأمر إلى النبي ﷺ القائد الأعلى للمسلمين؛ ومن يقوم مقامه، حيث قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾وهنا أيضا قد تظهر للمتأمل والمتدبر

دقة مجيء هذه الآية وتقدمها في فاتحة هذه السـورة المليئة بأخبار المواجهة القتالية بين المؤمنين والكفار.

٢٣٢- تفيد بشارة المؤمنين في كل زمان ومكان - وخاصة في زماننا هذا- بأن النصر والغلبة لهم، وأن الخسارة والهزيمة لأعدائهم، ولكن بشرط العودة إلى الإيمان الحق في العقيدة والقول والعمل والأخلاق والآداب، وجميع ما يتعلق بالشريعة الإسلامية، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد:٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

٢٣٣- تفيد أن الله ﷻ يجمع للكفار بين العقوبتين، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة، أما عقوبة الدنيا ففي قوله: ﴿سَتُغۡلَبُونَ﴾، وأما عقوبة الآخرة ففي قوله: ﴿وَتُحۡشَرُونَ﴾.

٢٣٤- تفيد إثبات البعث والحشر والنشر والحساب والجزاء بعد الموت؛ لقوله تعالى: ﴿وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: بعد البعث والجزاء يكون منتهى حشركم إلى جهنم.

٢٣٥- تفيد إثبات عذاب النار، وبيان اسم من أسماء النار في قوله تعالى:﴿وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾.

٢٣٦- تفيد غاية الذم لجهنم وما مهد الكفار لأنفسهم فيها؛ لقوله تعالى:﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾.

٢٣٧- تفيد بيان هول جهنم، وفظاعة حال أهلها؛ لقوله تعالى: ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾.

٢٣٨- تفيد أن بعض الحق وإن بدا قاسياً، فلا بد أن يفهمه ويعلمه المتلقي.

قال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[آل عمران: ١٣].

٢٣٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن أنذر الله تعالى الكفار في الآيات السابقة بالعقوبة، وهددهم وتوعدهم بالهزيمة وتغلب المسلمين عليهم، وكان ذلك يثير في نفوس الكفار هذا السؤال: كيف نغلب وما هم فينا إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود؟ قيل لهم: إن كانت قصة آل فرعون والذين من قبلهم لم تنفعكم ولم تعتبروا بها إما لجهل أو طول عهد، فإنه ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ﴾ في زمنكم، فاعتبروا بها، وعلى هذا فالخطاب للكفار، والجملة من تكملة المقول السابق ﴿سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ...﴾. ويجوز أن يكون الخطاب للمسلمين، فيكون استئنافا

ناشئا عن قوله: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾إذ لعل كثرة المخاطبين من المشركين، أو اليهود، أو كليهما، يثير تعجب السامعين من غلبهم. فذكرهم الله بما كان يوم بدر.

٢٤٠- تفيد دقة المناسبة فبعد أن ذكرت الآية السابقة آية من آيات النبوة والرسالة للنبي محمد ﷺ؛ ومعجزة غيبية من معجزات القرآن الكريم ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ...﴾، ذكرت هذه الآية الكريمة معجزة أخرى وآية من آيات الله تعالى، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ...﴾.

٢٤١- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن شنت الآية السابقة حربا نفسية وإعلامية على الكفار ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾، كان لا بد من ذكر الوقائع الحقيقية التي تزيد من وهج وقوة هذه الحرب النفسية والإعلامية، ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ...﴾، وعلى هذا فإن من يسعون إلى شن الحرب النفسية على خصومهم عليهم أن يستندوا في تلك الحرب على الوقائع الحقيقية الصادقة لا أن يخبروا بوقائع من وحي الخيال لا حقيقة لها في الواقع، بل إنها قد توقع الضرر العظيم على أصحابها.

٢٤٢- تفيد مع ما قبلها ومع سياق هذه السورة الكريمة بث الرعب والخوف في نفوس أهل الكتاب الكفرة من اليهود، وشن الحرب النفسية عليهم، وكأنه قيل لهم: يا معشر الكفرة من اليهود، تحققوا قتال المسلمين لكم وغلبتهم عليكم ولا تغتروا بعلمهم بقلتهم وكثرتكم، فإنهم يقدمون على قتال من يرونه أكثر منهم عددا، ولا يجبنون ولا يهابون، وينتصرون فما ذاك إلا لأن الله تعالى قد ملأ قلوبهم إيمانا، وشدة على من خالفهم، وأحاطهم بتأييده ونصره، ووعدهم الوعد الجميل.

٢٤٣- تفيد مع ما قبلها أن من كانت بدايته محرقة ستكون نهايته بإذن الله مشرقة، فالمسلمون في غزوة بدر أظهروا البداية المحرقة لراية الكفار وهزيمة جيوشهم، فشاء الله أن تكون نهايتهم مشرقة أشرقت بها الأرض بنور ربها.

٢٤٤- تفيد أهمية ضرب الأمثال بالأمور الواقعة؛ لأن ذلك أبلغ في التصديق وأقرب للطمأنينة، وعلى هذا فإنه ينبغي للعالم والداعية أن يهتم بضرب الأمثال للطلبة والمدعوِّين من خلال الأمور الواقعة والمحسوسة في عصرهم، لأن ذلك أقرب للفهم وأبلغ في الوعظ والتذكير.

٢٤٥- تفيد أن العبد مهما بلغ من الصدق في أقواله وتحليلاته، فإن عرضه للحوادث والأمثال الواقعة في عصره تجعل كلامه منطقيا وأكثر قابلية للتصديق.

٢٤٦- تفيد أن قتال المؤمنين للكفار لا يكون سبباً للنصر إلا إذا كان قتالهم خالصاً لله تعالى، موافقاً لشريعته؛ لقوله تعالى: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

٢٤٧- تفيد مدح الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؛ حيث جعلوا مع الإيمان الإخلاص لله تعالى في قتالهم؛ لقوله: ﴿تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. ولم يكن قتالهم من أجل الدنيا وزينتها؛ وهنا قد تظهر للمتأمل والمتدبر دقة مجيء قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ...﴾بعد هذه الآية الكريمة.

٢٤٨- تفيد قمة البلاغة القرآنية في الإيجاز البديع، حيث لم يقل ﷻ: [فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت]، وإنما جاءت الآية من باب الاحتباك، وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازاً، يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر، وبعبارة أخرى: هو أن يحذف من كل جملة شيء إيجازا، ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه، فقال تعالى: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾. فحذف من الجملة الأولى [مؤمنة] التي تقابلها ﴿كَافِرَةٌ﴾، وحذف من الثانية [في سبيل الطاغوت] وقد ذكر في الأولى ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. وهذا من قمة البلاغة القرآنية في الإيجاز.

٢٤٩- تفيد أنه لا ألفة بين المؤمنين والكافرين، ولا ولاية بين أولياء الله وأولياء الشيطان؛ لقوله: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾. والصراع بين أتباع الرسل وأعداء الرسل قائم دائم؛ إما بالقول وإما بالفعل، إما بالقول كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾[الممتحنة:٢]، وإما بالصراع المسلح كما هو معروف. منقول بتصرف واختصار.

٢٥٠- تفيد الرد على الجبرية في قوله: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ حيث أضاف الفعل إلى الفئة، وهي إضافة حقيقية لا مجازية كما يدعيها الجبرية.

٢٥١- تفيد أن الله تعالى قد يري المجاهدين الأمر على الواقع، أو على خلاف الواقع لحكمة؛ كما تشهد بذلك آية سورة الأنفال[الآية:٤٤]: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤٤﴾لأن المقاتل إذا رأى عدوه قليلا نشط على القتال، وإذا رآه كثيرا تخاذل، فالله ﷻ أرى المؤمنين الكفار قليلا، وأرى الكافرين المؤمنين قليلا، لأجل أن يتقدم كل واحد على القتال.

٢٥٢- تفيد إثبات أفعال الله تعالى؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

٢٥٣- تفيد أن النصر ليس بكثرة العَدَد، ولا بقوة العُدد، ولكنه من عند الله العزيز الحكيم؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾. وقد قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾. وهنا قد تظهر للمتأمل والمتدبر شيئا من العلاقة التناسبية والتناسقية بين هاتين السورتين الزهراوين.

٢٥٤- تفيد أنه لا يلزم أن ينال النصر كل من قاتل في سبيل الله؛ لأن الأمر راجع لحكمة أحكم الحاكمين، ولله في إدالة العدو على المؤمنين أحيانا من الحكم الربانية ما لا يخفى؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾.

٢٥٥- تفيد أن على المقاتل في سبيل الله ألا يستبطئ النصر، لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾.

٢٥٦- تفيد إثبات المشيئة لله تعالى؛ لقوله: ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾.

٢٥٧- تفيد أنه لا يعتبر بالأمور العظيمة والخطيرة إلا أولوا البصائر؛ لقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾.

٢٥٨- تفيد أنه كلما ازداد العبد بصيرة كلما ازداد عبرة بكلام الله تعالى.

٢٥٩- تفيد أن انتفاء العبرة عن العبد يدل على ضعف بصيرته أو عدمها؛ لأن الله ﷻ قد أثبت العبرة لأولى الأبصار؛ فمن وجد في نفسه عدم الاعتبار والاتعاظ بما يحدث من حوله من الأمور العظام فليعلم أنه ضعيف البصيرة، أو عديمها.

٢٦٠- تفيد الثناء العظيم على أولي الأبصار، كما وتتضمن الذم والقدح في عُمي القلوب.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾[آل عمران: ١٤].

٢٦١- تفيد دقة المناسبة فبعد أن ذكرت الآيات السابقة حال الكفار السابقين في تكذيبهم بآيات الله الذي كان أعظم أسبابه افتخارهم واستعلاؤهم بزينة الدنيا [الأموال والأولاد] كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾[سبأ:٣٥]، جاءت هذه الآية لوعظ جميع الناس ألا يغتروا بحال تلك الأمم الكافرة فتعجبهم زينة الدنيا، وتلهيهم عن ما به الفوز في الآخرة، فإن التحذير من الغايات يستدعي التحذير من

البدايات، وقد صدر هذا الوعظ والتأديب ببيان مدخل هذه الحالة إلى النفوس، حتى يكونوا على أشد الحذر منها؛ لأن ما قارته النفس ينساب إليها مع الأنفاس.

٢٦٢- تفيد مع ما قبلها أن الفئة المؤمنة إنما تقاتل في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمة الله، لا بحثاً عن زينة الدنيا ومتاعها، كأسر النساء الكافرات والرغبة في أنجاب الأولاد منهن، ولا بحثاً عن الغنائم من الأموال والخيول والأنعام، ولا بحثاً عن أراضي الكفار الصالحة للزراعة والحرث. هذا ومن خلال تأملي وتدبري العميق في سياق هذه الآية يظهر لي -والعلم عند الله- أنها جاءت عقب الآية السابقة لتأديب المؤمنين وتحريك هممهم، وأن عليهم أن لا يسعوا في جهادهم مع الكفار وراء هذه الأمور، فإنما هي كلها متاع الحياة الدنيا الفانية؛ وعليهم أن يركزوا نظرهم إلى الحياة الأخرى الباقية؛ ﴿۞قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ...﴾، وإنني في هذه الآية الكريمة وسابقتها ولاحقتها ألتمس إشارات دقيقة وممهدات لطيفة لما سيأتي في هذه السورة الكريمة من آيات قصة غزوة أحد، والتي كان سبب الفشل الرئيسي فيها هو نزول بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- من الجبل؛ للاستحواذ على شيء من متاع الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾.

٢٦٣- تفيد مع ما قبلها من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ تحريكاً لهمم أولي الأبصار إلى العلو عن رتبة أكثر الناس، والنظر إلى هذه الأمور المذكورة في الآية بعين البصيرة لا بعين البصر فقط، كما فعل الذين يريدون الحياة الدنيا عندما نظروا إلى كنوز قارون بعين البصر فقط، وقالوا: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[القصص:٧٩]، وقال العلماء الذين نظروا إلى كنوز قارون بعين بصيرتهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص:٨٠].

٢٦٤- يفيد تخصيص هذه الأمور السبعة بالذكر في هذه الآية بالرغم من وجود شهوات ومشتهيات غيرها؛ لكونها أعظم شهوات الدنيا، وغيرها تبع لها.

٢٦٥- تفيد حقيقة هذه الحياة الدنيا فهي مجرد أمور مزينة إذا نظرت إلى حقيقتها زهدت فيها.

٢٦٦- تفيد حكمة الله ﷻ في ابتلاء الناس بتزيين حب الشهوات لهم في هذه الأمور السبعة. ووجه الحكمة: أنه لولا هذه الشهوات التي غرست حبها في قلوب العباد وفطرهم لم يكن للابتلاء في الدين فائدة، لأن الانقياد إلى الدين إذا لم يكن له منازع يكون سهلا ميسرا، ولهذا فإن أول من يستجيب إلى الرسل هم الفقراء -الذين غالبا- حرموا من الدنيا، لأنه ليس لديهم شيء ينازعهم لا مال ولا رئاسة ولا غير ذلك.

٢٦٧- تفيد أن العبد لا يُذَم إذا أحب هذه الأمور إلا إذا كان على وجه محبة الشهوة؛ وذلك لأنه إذا زينت له محبة هذه الأمور لا لأجل الشهوة لم يكن ذلك سببا لصده عن دين الله، ويدل لذلك قوله ﷺ: «حبب إلي من دنياكم النساء والطيب»، ويدل لذلك أيضا أنه ﷺ حث على تزوج المرأة الولود، وهذا يتضمن حب الأولاد والبنين.

٢٦٨- تفيد أن في التعبير بقوله: ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ دون قوله: [حب المشتهيات من النساء...] إشارة إلى ما ركز في الطباع من محبتها والحرص عليها حتى كأنهم يشتهون اشتهاءها، كما قيل لمريض: ما تشتهي؟ فقال: أشتهي أن أشتهي، أو تنبيها على خستها لأن الشهوات خسيسة عند الحكماء والعقلاء ففي ذلك تنفير عنها وترغيب فيما عند الله تعالى.

٢٦٩- تفيد قمة البلاغة وقوة التعبير القرآني، وأنه في أعلى مقام الفصاحة والبيان، حيث قال تعالى: ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، ولم يقل: [حب النساء، أو حب البنين] فسلط الحب على الشهوات، لا على هذه الأشياء، وذلك لأن هذه الأشياء حبها قد يكون محمودا.

٢٧٠- تفيد أن في تقديم النساء على جميع المذكورات دليل على عراقتهن في معنى الشهوة، فهن حبائل الشيطان، وموضع قضاء شهوة الرجل، فالميل إليهن مركوز في طبع الرجل، وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» رواه البخاري، برقم: [٥٠٩٦]، ومسلم، برقم: [٢٧٤٠]. ويقال: فيهن فتنتان: قطع الرحم، وجمع المال من الحلال والحرام، وإنما لم يتعرض لذكر الرجال لأن ميل النساء إلى الرجال أضعف في الطبع، وإنما تحصل المحبة منهن للرجال بالإلف والإحسان وغالباً لا يكون إلا لواحد فقط.

٢٧١- يفيد ذكر البنين بعد ذكر النساء؛ لكونهم من ثمرات النساء وفروع عنهن، وهم شقائق النساء في الفتن؛ وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «الولد مبخلة مجبنة» صححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم: [٢٩٢٧]، ويقال: فيهم فتنة واحدة وهي جمع المال، وإنما لم يتعرض لذكر

البنات لعدم الاطراد في حبهن، فالبعض يحبهن، والبعض الآخر يكرههن، وقيل: إن البنين تشملهن على سبيل التغليب.

٢٧٢- تفيد أن في إيجاد حب الزوجة والولد في قلب الإنسان حكمة إلهية بالغة، فإنه لولا هذا الحب لما حصل التوالد والتناسل، ولأدَّى ذلك إلى انقطاع النسل.

٢٧٣- يفيد تقديم النساء والبنين على الأموال المقنطرة لأن حب الإنسان لهما أكثر من حبه لماله؛ فقد يبذل القنطار من المال مهرا لزوجته، وقد يدفع القناطير المقنطرة لإنقاذ ولده، وعلاج فلذة كبده.

٢٧٤- تفيد أنه كلما كثر المال ازدادت فتنة العبد في شهوته وحبه له، لقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾، ولهذا نجد بعض الفقراء يجود بكل ماله، والغني لا يجود بكل ماله، بل إن بعض الأغنياء -نسأل الله السلامة والعافية- يشتد بخلهم ومنعهم كلما كثرت أموالهم.

٢٧٥- تفيد أن من طبع الإنسان حبه ونهمه الشديد لتكديس الأموال من الذهب والفضة، بغض النظر عما يستطيع هذا المال توفيره لصاحبه من الشهوات الأخرى؛ لقوله: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ دون قوله: [والذهب والفضة]، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كان لابنِ آدمَ واديان من مالٍ لابتغَى ثالثًا، ولا يملأُ جوفَ ابنِ آدمَ إلَّا التُّرابُ، ويتوبُ اللهُ على من تاب». رواه البخاري، برقم: [٦٤٣٦]، ومسلم، برقم: [١٠٥٠].

٢٧٦- تفيد أن الخيل أعظم المركوبات فخرا، ولا سيما إذا كانت مسومة، أي: معلمة معتنى بها، أو مسومة مطلقة في المراعي معتنى بها في رعيها؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾.

٢٧٧- تفيد أن فتنة الأنعام - الإبل والبقر والغنم- دون فتنة الخيل، بناء على الترتيب، والترتيب في هذه الآية يكون من الأعلى إلى الأدنى؛ وأيضا فإن دلالات تقديم الخيل على الأنعام في سياق آيات جهاد الكفار واضحة لمن تأمل وتدبر.

٢٧٨- تفيد بيان افتتان الناس في الحرث والزراعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾.

٢٧٩- تفيد أنه لا حرج في أن يستمتع العبد بهذه الأشياء من خلال الطرق التي أباحها الله ﷻ؛ مع العلم أنها لا تعدو أن تكون متاع الحياة الدنيا؛ لا الحياة الرفيعة العالية، فهي إما أن يزول عنها أو تزول عنه؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

٢٨٠- تفيد التزهيد في التعلق بهذه الأشياء؛ لقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، فمن علم أن هذه الأشياء إنما هي متاع الدنيا حرص أن لا يتبعها نفسه لأنها متاع زائل، واستعان بما في يده منها على طاعة مولاه الذي عنده حسن المآب.

٢٨١- تفيد أن العبد مهما أوتي من حظ وافر في حياته من هذه المشتهيات، فليعلم أن بقاءه للتمتع بها قليل، وسوف تزول عنه أو يزول عنها، وأن الآخرة خير لمن اتقى، فليتزود من يومه لغده، ومن دنياه لآخرته.

٢٨٢- تفيد أن ما عند الله خير من هذه الدنيا؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾.

٢٨٣- تفيد ترغيب العبد فيما عند الله ﷻ، والترهيب من تعليق قلبه بمتاع الدنيا؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾.

٢٨٤- تفيد أن من آتاه الله الدنيا يجب عليه أن يصرفها إلى ما يكون فيه عمارة لمعاده، ويتوصل بها إلى سعادة آخرته، لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾.

٢٨٥- تفيد تسلية الفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير المغترين بها.

٢٨٦- تفيد أن الناس ينقسموا في زينة الحياة الدنيا بحسب الواقع إلى قسمين: قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زاداً لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء وامتحاناً لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة لهم وطريقاً يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما قال الله فيها ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فجعلوها معبرا إلى الدار الآخرة ومتجرا يرجون بها الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زادا إلى ربهم، وصدق الشافعي حين قال:

إنَّ للهِ عِبَاداً فُطَنَا****طلقوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الفِتَنَا

نظروا فيها فلما علموا ***أنها ليست لحيٍّ وطنا

جعَلُوهَا لُجَّة وَاتَّخَذوا ***صالحَ الأعمالِ فيها سفنا

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

٢٨٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن عدد ﷻ نعم ومتاع الدنيا في الآية السابقة، بين في هذه الآية أن منافع الآخرة خير منها، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [الأعلى:١٧].

٢٨٨- تفيد دقة المناسبة فبعد أن ختمت الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ بينت هذه الآية أن ذلك المآب كما أنه حسن في نفسه فهو أحسن وأفضل من هذه الدنيا، فقال: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡ﴾.

٢٨٩- تفيد مع ما قبلها عناية الله ﷻ بخلقه، وإخباره بما فيه هدايتهم وصلاحهم، فبعد أن ذكر لهم من الشهوات في الأمور السبعة، أمر رسوله ﷺ أن ينبئهم بما هو خير وأهدى وأصلح لهم من ذلك.

٢٩٠- تفيد مع ما قبلها أن لكل شيء ثمن، فشهوات الدنيا لها مقدمات وأسباب حتى يحصلها العبد، وكذلك شهوات الآخرة وموعود الله من الخير في الآخرة، لها مقدمات وأسباب حتى يبلغها ويظفر بها.

٢٩١- تفيد مع ما قبلها أنه لا مقارنة بين نعيم الدنيا وزينتها وشهواتها ونعيم الآخرة.

٢٩٢- تفيد مع ما قبلها أن نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا، وزينتها خير من زينة الدنيا، لأن زينة الدنيا ونعيمها مشوبان بالمضرة والوساخة والأذى، بخلاف زينة ونعيم الآخرة، فالنساء اللاتي يشتهين في هذه الدنيا ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ لا ينفك عنهن الأذى من الحيض والنفاس وسائر الأحوال المنفرة كسوء العشرة وسوء الخلق، بخلاف النساء اللاتي يشتهين في الآخرة، فهن ﴿مطهرات﴾ أي: مطهرات من كل أذى ونجاسة، وقبح وسوء خَلْق وخُلُق، وعلى هذا فقس وتأمل في جميع ما ذكر من الأمور الستة الأخرى في الآية السابقة.

٢٩٣- تفيد مع ما قبلها أن الناس في زينة الحياة الدنيا ومتاعها منقسمون إلى قسمين: متقين وعصاة، لمفهوم قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ بعد قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾.

٢٩٤- تفيد مع ما قبلها أن العبد الذي جمع الله له في هذه الدنيا كل زينتها ومتاعها ثم اتقى الله تعالى فيها، فإن الله ﷻ يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة؛ ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾.

٢٩٥- تفيد مع ما قبلها ذكر أنجع وسيلة لضبط السلوك الإنساني المدفوع فطريا باشتهاء المزينات ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾النابعة من الحاجة للجنس ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾. والحاجة للإنجاب ودوافع الأبوة والأمومة ﴿وَالْبَنِينَ﴾. والحاجات المادية والمعنوية الأخرى ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ...﴾، فالدوافع الناتجة من تلك الحاجات توجه السلوك الإنساني عامة ﴿لِلنَّاسِ﴾. ولذلك تتخبط البشرية في تنظيم ذلك السلوك لكبح جماحه. وذلك بوسائل وأساليب مختلفة ومكلفة جدا، وكلها خارجية سواء كانت قوانين أو مراقبة ومتابعة بالشرط والكاميرات وغيرها، ولكن الآية تشير إلى المنظم الداخلي والضابط القوي لدوافع السلوك بتقديم البديل المشبع لكل حاجات الإنسان والذي سيجعله يتحمل ضغط تلك الدوافع المشتهاة، وذلك الضابط هو الحصول على خير من كل ذلك، وهو ما يوجد في الجنات التي وعد بها الله ﷻ المتقين. الذين وقوا أنفسهم من اللهث وراء تلك الحاجات المشتهاة والذين سعوا لطلب مرضاة الله ﷻ، والله أعلم.

٢٩٦- تفيد مع ما قبلها التبكيت والإهانة للمتبعين لشهواتهم ونزواتهم، المنشغلين بمتع الدنيا ونعيمها عما خلقوا من أجله، ووجه ذلك أن الله ﷻ لم يخاطبهم مباشرة؛ لأنهم غير مستحقين لخطاب الرب الذي أعطاهم هذه النعم فصرفوها في غير وجهها، فصرف الله خطابه إلى نبيه محمد ﷺ وأمره أن يبلغهم بهذا الأمر.

٢٩٧- تفيد أهمية هذا النبأ، وذلك من وجهين: الأول: تصديره بـ﴿قُلْ﴾فهو أمر بتبليغه على وجه الخصوص، وهذا يدل على العناية به، الثاني: إتيانه بصيغة الاستفهام الدالة على التشويق.

٢٩٨- تفيد أن الرسول ﷺ عبد مأمور، تُوجه إليه الأوامر من ربه ﷻ، لقوله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾، فهو عبد لا يُعبَد، ورسول لا يكذّب.

٢٩٩- تفيد أن القرآن يهدي العباد دائما للتي هي أقوم وأنفع وأخير.

٣٠٠- تفيد أن التعبير بالإنباء دون الإخبار في قوله: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾إشارة إلى عظم هذا النبأ المذكور.

٣٠١- تفيد أن في تنكير خير في قوله: ﴿بِخَيْرٍ﴾دلالة على فخامته وعظمه.

٣٠٢- تفيد أهمية العناية بأسلوب الخطاب في التعليم والدعوة، وأن على العالم والداعية أن يأتي بالألفاظ التي توجب الانتباه والتركيز والتشويق لدى المتعلمين والمدعوين، خصوصاً إذا تشوش فكرهم وتشتت تركيزهم واختل انتباههم وانشغلوا بالكلام السابق الذي يذكر فيه أمور

محببة لهم، كالنساء والأولاد والأموال؛ عن الكلام اللاحق المهم، قال تعالى بعد أن ذكر في الآية السابقة زينة الدنيا المحببة للنفس: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥].

٣٠٣- تفيد جواز المفاضلة بين الشيئين اللذين بينهما فرق عظيم وبون شاسع؛ لقوله تعالى: ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ ومعلوم أن كل ما ذكر من الشهوات السبع لا يساوي شيئا أبدا بالنسبة لثواب الآخرة، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾ [الفرقان: ٢٤]، وقال تعالى في مقام موافقة الخصم بدعواه: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل: ٥٩]، ومعلوم أن ما يشركون به لا خير فيه أبدا.

٣٠٤- تفيد أن الخير المذكور والذي شوق الله العباد إليه ثابت للمتقين؛ لقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [آل عمران: ١٥] وفي ذلك بيان لفضيلة التقوى وحث وترغيب عليها، وهي سبب السعادة الحقيقية في الآخرة، والكرامة الربانية.

٣٠٥- تفيد بعث النفوس إلى الاستمساك بالتقوى ولزومها في كل الحالات، فعاقبتها حميدة ونعيمها أبدي.

٣٠٦- تفيد عناية الله تعالى بالمتقين عناية خاصة، حيث أضافهم إليه بالربوبية الخاصة في قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥].

٣٠٧- تفيد فضيلة المتقين وبيان مكانتهم، حيث إنهم عند أكرم جار، وخير دار، إنهم في دار السلام عند ربهم، لقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾.

٣٠٨- تفيد عظم هذه الجنات لكونها عند الله بجواره ﷻ.

٣٠٩- تفيد أن هؤلاء المتقين يتنعمون في الجنات بكل ما لذ وطاب، وبكل أنواع النعيم المقيم من الأكل والشرب والنكاح، وهذه أصول لذائذ البدن.

٣١٠- تفيد أن أصول اللذائذ البدنية وإن عظمت فلن تتكامل إلا بالأزواج اللواتي لا يحصل الأنس إلا بهن، لقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ وقد وصفهن الله ﷻ بصفة واحدة جامعة لكل مطلوب، فقال: ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ ويدخل في ذلك الطهارة من الحيض والنفاس وسائر الأحوال التي تظهر عند النساء في الدنيا مما ينفر عنه الطبع، ويدخل فيه كونهن مطهرات من الأخلاق الذميمة، ومن القبح وتشويه الخلقة، ويدخل فيه كونهن مطهرات من سوء العشرة.

٣١١- تفيد فضيلة الأزواج في الجنة بكونهن مطهرات حسا ومعنى.

٣١٢- تفيد أن تمام نعيم المتقين وكمال فرحهم هو بحلول رضوان الله تعالى عليهم، وقد بين ﷻ في آية أخرى أن هذا الرضوان هو أكبر النعيم، فقال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢]، وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير كله في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً». أخرجه البخاري، برقم: [٦٥٤٩] ومسلم، برقم: [٢٨٢٩].

٣١٣- تفيد إثبات صفة الرضا لله تعالى، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته؛ لقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾.

٣١٤- تفيد أن جميع الخلق عباد لله، المتقي منهم وغير المتقي، لقوله: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، بعد قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، ولم يقل: [والله بصير بهم] أو [بصير بالمتقين].

٣١٥- تفيد إحاطة الله ﷻ بعموم عباده علما ورؤية؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

٣١٦- تفيد التحذير من مخالفة أوامر الله ﷻ؛ لأنه متى ما علم العبد أن الله بصير به، فسوف يردع نفسه عن مخالفه ربه، لأنه إذا خالف ربه فالله بصير به، وسوف يجازيه بحسب مخالفته.

٣١٧- تفيد أن الله ﷻ عالم بمصالح العباد؛ لقوله: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، فيجب على العباد أن يرضوا لأنفسهم ما اختاره لهم من نعيم الآخرة، وأن يزهدوا فيما زهدهم فيه من أمور الدنيا. وهنا تظهر للمتأمل والمتدبر دقة التناسب وروعة التناسق بين خاتمة هذه الآية ومضامين ما قبلها.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران: ١٦].

٣١٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذكر ﷻ في الآية السابقة ما أعده للمتقين في الجنات من الخير العظيم والفوز الكبير، فسر ﷻ في هذه الآية والتي بعدها أحوال هؤلاء المتقين، وذكر شيئا من صفاتهم وأوصافهم التي استحقوا بها رضوان الله تعالى ودخول الجنات، حثاً على التخلق بتلك الأوصاف.

٣١٩- تفيد مع ما قبلها أن المتقين جل همهم وعظيم حرصهم في هذه الدنيا هي البحث عن طريق نجاتهم في الآخرة، فهؤلاء المتقون لم يسألوا الله تعالى في دعائهم شيئا من متاع الدنيا وزينتها، بل طلبوا المغفرة من الذنوب والوقاية من النار، فهم عرفوا قيمة الدنيا وانشغلوا عنها وعن متاعها بأمور الآخرة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من كانتِ الآخرةُ همَّهُ جعلَ اللَّهُ غناهُ في قلبِهِ وجمعَ لَه شملَهُ وأتتهُ الدُّنيا وَهيَ راغمةٌ، ومن كانتِ الدُّنيا همَّهُ جعلَ اللَّهُ فقرَهُ بينَ عينيهِ وفرَّقَ عليهِ شملَهُ، ولَم يأتِهِ منَ الدُّنيا إلَّا ما قُدِّرَ لَهُ». صححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم: [٢٤٦٥].

٣٢٠- تفيد مع ما قبلها أن رأس التقوى الإيمان بالله تعالى.

٣٢١- تفيد مع ما بعدها أن المتقين يجمعون بين القول والفعل، فهم لا يكتفون بترديد الدعاء فقط، بل يسعون إلى الأخذ بوسائل وأسباب إجابة الدعاء، المعنوية والوقتية، من الصبر إلى الاستغفار في الأسحار.

٣٢٢- تفيد أن من صفات المتقين إعلانهم الإيمان بالله، واعترافهم بالعبودية له سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾. والقول هنا يكون باللسان ويكون بالجنان.

٣٢٣- تفيد أهمية أن يستشعر العبد في دعائه قرب الله تعالى ومراقبته والأنس به؛ لقولهم: ﴿رَبَّنَآ﴾ حيث أسقطوا ياء النداء.

٣٢٤- تفيد إشارة إلى قرب منزلة أهل التقوى من الله تعالى.

٣٢٥- تفيد مدح الله تعالى وثناءه على القائلين بهذا القول.

٣٢٦- تفيد مشروعية وشرف هذا الدعاء بحروفه، وأن قوله سمة من سمات المتقين.

٣٢٧- تفيد جواز التوسل بالإيمان؛ لقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

٣٢٨- تفيد أنه لا بأس بأن يخبر العبد ويعترف لربه بأنه قد أتى واستجاب لما أمر به من الإيمان والطاعة ولا يعد ذلك تزكية منه لنفسه، فهؤلاء المتقين الذين مدحهم الله، يقولون: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾.

٣٢٩- يفيد إتيانهم بـ[إن] المؤكدة في قولهم: ﴿إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾، للإشارة إلى أن إيمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط، وأنه ليس كإيمان المنافقين والكسالى.

٣٣٠- تفيد مشروعية التوسل بالعمل الصالح بين يدي المسألة؛ لقولهم: ﴿إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا...﴾.

٣٣١- تفيد أن من صفات المتقين عدم الإعجاب بالنفس، وأنهم يرون أنهم مقصرون في طاعة الله تعالى، ولهذا فهم يطلبون المغفرة منه ﷻ، لقولهم: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

٣٣٢- تفيد أنه ينبغي للعبد أن يجمع في دعائه بين خيري الدنيا والآخرة، فيسأل الله المغفرة في هذه الدنيا، والوقاية من النار في الآخرة؛ لقولهم: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

٣٣٣- تفيد أن التقوى لا تعصم العبد نهائيا من الوقوع في الذنوب والمعاصي، بل يمكن أن يقع المتقي في الذنوب والمعاصي، ولكنه يبادر بالتوبة والاستغفار إلى الله ﷻ؛ لقولهم: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

٣٣٤- تفيد إثبات عذاب النار؛ لقوله: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

٣٣٥- تفيد أنه لا يقي من عذاب النار أحد غير الله تعالى؛ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل؛ لقولهم: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

٣٣٦- تفيد أن الوقاية خير من العلاج، حيث قالوا: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، ولم يقولوا: [اعتقنا].

٣٣٧- تفيد كمال العناية من الباري ﷻ بعباده المتقين.

٣٣٨- تفيد إظهار إشفاق المؤمنين وشدة خشيتهم من يوم المعاد وأحواله.

٣٣٩- يفيد جمعهم في دعائهم بين المغفرة من الذنوب والوقاية من النار، مع أن كليهما يستلزم الآخر، وقد يغني أحدهما عن الآخر، وذلك للإشارة إلى أنه في باب الدعاء ينبغي للعبد البسط فيه لأربعة أسباب:

٣٤٠- السبب الأول: أن يستحضر العبد جميع ما يدعو به.

٣٤١- السبب الثاني: أن الدعاء مخاطبة لله ﷻ، وكلما تبسط العبد مع ربه في المخاطبة كان ذلك أشوق وأحب إليه مما لو دعا على سبيل الاختصار.

٣٤٢- السبب الثالث: أنه كلما ازداد العبد دعاء، ازداد قربة إلى الله ﷻ.

٣٤٣- السبب الرابع: أنه كلما ازداد العبد دعاء، كان فيه إظهار افتقاره إلى ربه، ولهذا جاء في الحديث: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، علانيته وسره، وأوله وآخره»، وهذا كله

يغني عنه قوله في الأول: «اللهم اغفر لي ذنبي كله»، ولكن دل هذا على أن مقام الدعاء مقام ينبغي للعبد البسط فيه. منقول بتصرف واختصار.

قال تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[آل عمران: ١٧].

٣٤٤- تفيد دقة المناسبة فبعد أن ذكر الله تعالى المتقين وأنهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾، أخبر في هذه الآية بأوصاف دالة على أنهم صادقون فيما أخبروا به من قولهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾، وأن أقوالهم موافقة لأفعالهم.

٣٤٥- تفيد مع ما قبلها ضرورة وأهمية الاستغفار من الذنوب، فبعد أن قدم في الآية السابقة أن من صفات المتقين أنهم يستغفرون من ذنوبهم ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾، ختم هذه الآية الكريمة بذكر أنهم يستغفرون في الأسحار ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾.

٣٤٦- تفيد مع ما قبلها أنه ينبغي على من يقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ أن يتصف بصفة الصبر والصدق، وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

٣٤٧- تفيد مع ما قبلها أن المتقين يستغفرون الله في كل وقت، لقولهم في الآية السابقة: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾وخصوصا وقت السحر لقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ وإنما خص السحر بالذكر، وإن كانوا مستغفرين دائما، لأنه وقت مظنة الإجابة.

٣٤٨- تفيد فضيلة هذه الصفات التي أثنى الله عليها بها على عباده المتقين، فقد جمعت هذه الصفات الخير كله، فالقلب امتلأ بالتقوى، واللسان يتكلم بأطيب الألفاظ وأبرها، والجوارح تقوم بأعمال البر.

٣٤٩- تفيد ترغيب وحث كل مؤمن لأن يكون من ركب هؤلاء الذين مدحهم الله؛ فيتمثل هذه الصفات.

٣٥٠- تفيد بيان أصول فضائل صفات المتقين: وهي [الصبر] الذي هو ملاك فعل الطاعات وترك المعاصي. و[الصدق] الذي هو ملاك الاستقامة وبث الثقة بين أفراد الأمة. و[القنوت]، وهو ملازمة العبادات في أوقاتها وإتقانها، وهو عبادة نفسية جسدية. و[الإنفاق] وهو أصل إقامة أود الأمة بكفاية حاجة المحتاجين، وهو قربة مالية والمال شقيق النفس. وزاد

[الاستغفار بالأسحار] وهو الدعاء والصلاة المشتملة عليه في أواخر الليل، والسحر ثلث الليل الأخير؛ لأن العبادة فيه أشد إخلاصا، لما في ذلك الوقت من هدوء النفوس، ولدلالته على اهتمام صاحبه بأمر آخرته، فاختار له هؤلاء الصادقون آخر الليل لأنه وقت صفاء السرائر، والتجرد عن الشواغل.

٣٥١- يفيد تقديم [الصابرين] على جميع الصفات الأخرى للإشارة إلى أن صفة الصبر أفضل هذه الصفات؛ لأن العبد إذا حقق الصبر حقق جميع هذه الصفات؛ لأن من أقسام الصبر: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله.

٣٥٢- تفيد أنه بالرغم من الصفات الحميدة والأوصاف الشريفة التي يتصف بها هؤلاء المتقون، فإنهم لا يرون لأنفسهم حالا ولا مقاما، بل يرون أنفسهم مذنبين مقصرين فيستغفرون ربهم، وينتهزون الفرصة في أوقات الإجابة كوقت السحر، لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾، وقد جاء في الحديث: « يَنْزِلُ ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا، حينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخر، يقولُ: من يَدعوني فأَستجيبُ لهُ، من يَسْأَلُني فأُعْطِيه، من يَستغفرني فأَغْفِرُ لهُ». رواه البخاري، برقم: [١١٤٥]، ومسلم، برقم: [٧٥٨].

٣٥٣- تفيد بيان شرف وقت السحر، وأن فيه مزية القرب من الله سبحانه، ومزية إجابة الدعاء، وتحقق المغفرة للمستغفرين، كما جاء بالأحاديث.

٣٥٤- تفيد جواز حذف ما يعلم من السياق، حيث حذفت متعلقات هذه الأوصاف للعلم بها، والمعنى: الصابرين على تكاليف ربهم، والصادقين في أقوالهم، والقانتين لربهم، والمنفقين أموالهم في طاعته، والمستغفرين الله لذنوبهم في الأسحار.

٣٥٥- تفيد ذم الاتصاف بضد هذه الصفات، وهي الجزع، والكذب، وقلة الطاعة، والبخل والشح، والاستكبار عن الاستغفار.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

٣٥٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذُكر أهل الإيمان الذين تلمسوا وحدانية الله في كل آية من آيات الوجود، جاءت هذه الشهادة العظيمة على وحدانية الله تعالى.

٣٥٧- تفيد دقة المناسبة فبعد أن أخبر ﷻ بوحدانيته في أول السورة، واستدل عليها وأخبر عما أعد للكافرين، واستدل عليه بما دل على الوحدانية، وختم بالإخبار بما أعد للمتقين مما جر إلى ذكره تعالى بما يقتضي الوحدانية أيضا من الأوصاف المبنية على الإيمان، أنتج ذلك ثبوتها ثبوتا لا مرية فيه، فكرر تعالى هذه النتيجة على وجه أضخم من الماضي كما اقتضته الأدلة، ففي هذه الآية ضرب من رد العجز على الصدر. قال الحرالي: لما أنهى تعالى الفرقان نهايته ببيان المحكمين والمتشابهين في الوحي والكون، انتظمت هذه الشهادة التي هي أعظم شهادة في كتاب الله بآية القيومية التي هي أعظم آية الوجود لينتظم آية الشهود بآية الوجود. منقول بتصرف.

٣٥٨- تفيد مع ما قبلها أن أهل التقوى يشهدون بما يشهد به الله سبحانه فهم أصحاب الإيمان الكامل واليقين الصادق.

٣٥٩- تفيد فضيلة التوحيد، ومنزلته ومكانته وعناية الله تعالى به، حيث أخبر سبحانه وتعالى به عباده بلفظ الشهادة؛ فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾.

٣٦٠- تفيد شهادة الله تعالى لنفسه بأنه لا إله إلا هو؛ لقوله تعالى:﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وفي هذا تنبيه للعباد على غناه عن توحيدهم له، فهو سبحانه وتعالى الموحد نفسه بنفسه، والشاهد بنفسه لنفسه.

٣٦١- تفيد أجل شهادة من أجل شاهد على أجل مشهود به، وهو التوحيد.

٣٦٢- يفيد الفصل بين المعطوف عليه والمعطوف بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ دون قوله: [شهد الله والملائكة وأولوا العلم...] وذلك للدلالة على الاعتناء بذكر المفعول، وكذلك بيان تفاوت درجة المتعاطفين.

٣٦٣- تفيد فضيلة الملائكة وبيان علو مقامهم ومكانتهم عند ربهم، حيث جعلهم في المرتبة الأولى في الشهادة بالتوحيد بعده ﷻ، لكونهم ذوو علم وعقل راجح؛ لأن علمهم حاصل من تعليم الله تعالى لهم، وذلك أقوى العلوم وأصدقها؛ لقولهم في آية أخرى: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[البقرة: ٣٢]، فلذلك قدموا في الذكر على أولي العلم؛ الذين تعليمهم بواسطة الملائكة.

٣٦٤- تفيد فضيلة علم أصول الدين وشرف أهله؛ لقرنهم باسمه تعالى واسم ملائكته.

٣٦٥- تفيد رفعة شأن العلماء ومكانتهم فقد قرن الله تعالى شهادتهم بشهادته عز وجل وشهادة الملائكة على أجلِّ مشهود به وهو التوحيد.

٣٦٦- تفيد أن البشر ينقسمون في وحدانية الله تعالى إلى عالم وجاهل، بخلاف الملائكة فإنهم في علمهم وشهادتهم بوحدانية الله تعالى سواء، لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾.

٣٦٧- تفيد أهمية تأكيد الشيء الهام، وإن كان المخبر به من أهل الصدق، حيث صدر ﷻ وحدانيته بالشهادة، وبين أن هذه الشهادة ليست له وحده، بل له وللملائكة ولأولى العلم.

٣٦٨- تفيد التأكيد للناس على وحدانية الله تعالى بشـــهادة الأثبات، فهم أهل العلم الذين يصلون إلى علمهم بالاستدلال والاستنباط.

٣٦٩- تفيد أن الشـهادة لا تكون مقبولة إلا إذا كانت مقرونة بالعلم، لقوله:﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾. وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[الزخرف:٨٦]، وقال ﷺ لرجل: «ترى الشَّـــمسَ؟ قال: نعم. قال: على مثلِها فاشـــهدْ، أو دعْ»، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء: [٢٠/٤]، وإسناده ضعيف، قال ابن عثيمين: «ولكنه مع ضعف إسناده إلا أن متنه صحيح».

٣٧٠- تفيد أن أهل العلم قد وصلوا بشهادتهم للوحدانية مرتبة المشاهد المعاين.

٣٧١- تفيد وصف الله تعالى بكمال القيومية وتمام العدل؛ لقوله تعالى: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾.

٣٧٢- تفيد أن الله تعالى هو المسيطر على هذا الكون القائم عليه بالحق والعدل، فيما يقسم من الأرزاق والآجال، وما يأمر به الخلق من العدل، وبعدله يثيب ويعاقب على ذلك.

٣٧٣- تفيد التوجيه والإرشـــاد لأهل العلم بأن يتحلوا بالعدل في كل شـــؤونهم، فهم الذين يرثون الأنبياء، فيرجع إليهم الناس بالفتيا والقضـاء، فكما شـهدوا بشـهادة الله، يحكمون بحكم الله، ويعاملون بالقسط والعدل.

٣٧٤- تفيد أن الله ﷻ لما شـــهد لنفســه بانفراده بالألوهية، أكد ذلك بالحكم به لنفســه؛ فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٣٧٥- تفيد أن الشـــهادة المقبولة ينبغي أن يعقبها حكم القاضـــي، ولهذا حكم أحكم الحاكمين بعد شهادة الملائكة وأولي العلم، بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

٣٧٦- تفيد أن على من شـــهد بالحق من أهل العلم ألا يكتم هذه الشـهادة، بل يعلم غيره ممن جهلها، وأن يعلنها مدوية ومصـدعة لرؤوس أهل الزيغ والضـلال؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٣٧٧- تفيد حث العباد على تكرير كلمة التوحيد، فإن أشرف كلمة يذكرها العبد هي هذه الكلمة، فإذا كان في أكثر الأوقات مشتغلا بذكرها وبتكريرها كان مشتغلا بأعظم أنواع العبادات، وفي هذه الهداية وما قبلها تظهر للمتأمل والمتدبر بعض أسرار تكرار وإعادة هذه الكلمة العظيمة؛ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٣٧٨- تفيد انفراد الله ﷻ بالألوهية، لقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾وفي هذا رد على المشركين الذين يعبدون غير الله أو يصرفون شيئا من حقوق العبادة لغيره.

٣٧٩- تفيد إثبات اسمين من أسماء الله تعالى، هما: ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

٣٨٠- تفيد دقة المناسبة فبعد أن ذكرت الآية السابقة الشهادة في وحدانية الله تعالى، وكان المقتضى بعد الشهادة وبعد حكم الحاكم جل وعلا على وحدانيته، أن يستسلم العباد للواحد الأحد فيذعنوا له ويخضعوا له الرقاب، جاءت هذه الآية لتخبر بأن الدين الذي يستسلم العباد فيه للواحد الأحد ويخلصون له فيه التوحيد، هو الدين المسمى بالإسلام.

٣٨١- تفيد أنه لا أكمل من هذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ، وهو دين الإسلام، وجميع الأديان التي تقدمته لم تكن بالغة غاية المراد من البشر في صلاح شئونهم، بل كان كل دين مضى مقتصرا على مقدار الحاجة من أمة معينة في زمن معين.

٣٨٢- تفيد أن الدين المعتبر عند الله هو الإسلام الذي اختاره واصطفاه وشرفه بالعندية، فقال: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾.

٣٨٣- تفيد أن دين الأنبياء واحد وهو الإسلام، والاختلاف إنما هو في الشرائع، ولذا لا يصح أن نقول: الأديان السماوية وإنما نقول: الشرائع السماوية؛ لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ..﴾ [الشورى: ١٣].

٣٨٤- تفيد أن أولئك الذين اختلفوا في شرع الله تعالى كانوا قد أوتوا الكتاب، وأن الحجة قد قامت عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾.

٣٨٥- تفيد بيان ضلال أولئك الذين ينادون بتقارب الأديان الثلاثة [الإسلام- اليهودية- النصرانية]، ويجعلون اختلاف هذه الأديان مثل اختلاف المذاهب الفقهية في الأمة الإسلامية، وهذا فيه ضلال عظيم، ومداهنة لليهود والنصارى، لأن اليهودية والنصرانية دينان نسخهما الله تعالى بدين الإسلام، فصار الإسلام هو الدين السماوي المقبول الذي لا يمكن أن يشركه أو يقاربه دين آخر.

٣٨٦- تفيد أن اختلاف اليهود والنصارى في الشرع كان عن علم، وبعد أن جاءهم العلم اختلفوا، لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾.

٣٨٧- تفيد كمال التوبيخ واللوم على اليهود والنصارى ما هو ظاهر؛ لأنه كان الواجب والأحرى بهؤلاء الذين أوتوا الكتاب ألا يختلفوا فيه؛ بل يتفقوا عليه؛ لكنهم اختلفوا فيه مع تفضل الله عليهم بإتيانهم ما يفرقون به بين الحق والباطل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾.

٣٨٨- تفيد أن اختلاف هؤلاء لم يكن طلبا لإحقاق الحق، ولا قصدا لإبطال الباطل؛ بل لقصد البغي والعدوان، فكان يضلل بعضهم بعضا، ويكفر بعضهم بعضا.

٣٨٩- يفيد حذف متعلق الاختلاف في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ إشارة إلى أن الاختلاف الحاصل في أهل الكتاب يشمل جميع الاختلافات، وهي في مجملها ثلاثة أنواع: أحدها: اختلاف كل أمة مع الأخرى في صحة دينها، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾ [البقرة: ١١٣]. وثانيها: اختلاف كل أمة منهما فيما بينها وافتراقها فرقا متباينة المنازع، كما جاء في الحديث المشهور عن النبي ﷺ أنه قال: «افترقتْ اليهودُ على إحدى وسبعينَ فرقةٍ كلُّها في النارِ إلا واحدةٌ، وافترقتْ النصارى على اثنتين وسبعين فرقةٍ كلُّها في النارِ إلا واحدةٌ، وستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةٍ كلُّها في النارِ إلا واحدةٌ». رواه ابن ماجه، برقم: [٣٩٩٢]، وأبو داود برقم: [٤٥٩٧]، وغيرهما. وثالثها: الاختلاف بينهم في أمر الإسلام، ورسالة خاتم الأنبياء؛ إذ قال قائل منهم: هو حق، وقال فريق: هو مرسل إلى الأميين، وكفر فريق، ونافق فريق.

٣٩٠- تفيد أن كل من طلب الحق في كتاب الله تعالى بتجرد، ودون هوى أو بغي أو عدوان، وفقهم الله للائتلاف والاتفاق، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾.

٣٩١- تفيد ذم وقبح حال من آتاهم العلم فلم يتعلموا، وشناعة حال من جاءهم العلم فاختلفوا واقتتلوا.

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

وهنا يظهر للمتأمل والمتدبر سر قوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ دون قوله: [من بعد ما علموا].

٣٩٢- تفيد أن الاختلاف في كتاب الله تعالى يعقبه كفر بآياته؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾. ولهذا قالَ عليه الصلاة والسلام: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ» رواه البخاري، برقم: [٥٠٦٠]، ومسلم، برقم: [٢٦٦٧].

٣٩٣- تفيد ضعف الحديث الذي يروى عن الرسول ﷺ أنه قال: «اختلاف أمتي رحمة»؛ فالاختلاف ليس برحمة على إطلاقه؛ وقد تقدم بيان هذه المسألة في آية سابقة.

٣٩٤- نفيد أن غالب انحراف أهل الكتاب كان عن بغي وسوء قصد لا عن جهل ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾.

٣٩٥- تفيد أن العلم لا ينفع صاحبه - بل قد يكون وبالا عليه - وذلك إذا صاحبه سوء قصد وبغي وهوى.

٣٩٦- يفيد ذكر هذه الأحوال الذميمة من أحوال أهل الكتاب تحذير المسلمين أن يقعوا في مثل ما وقع فيه أولئك الكفار الذين أوتوا الكتاب، ووجه ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾، والبغي معلوم أنه محذر منه، غير مرغوب فيه.

٣٩٧- تفيد أن كل مخالف للحق بعد ما تبين له فهو باغ ضال، وإن قال: أنا لا أريد البغي، ولا أريد العدوان.

٣٩٨- تفيد سوء مغبة البغي وأثره في الانحراف عن الحق.

٣٩٩- تفيد بإشارة إلى أنه يجب على العالم إذا خالفه الآخر، ألا يتطاول عليه، وألا يقصد بسوقه الأدلة المؤيدة لمذهبه البغي عليه، بل يقصد إظهار الحق؛ لينتفع هو وينفع غيره، أما أن يأتي بالأدلة من أجل أن يعلو ويشتهر على حساب أخيه، وأن يكون قوله هو الأعلى، فهذا خطأ عظيم وخطر جسيم.

٤٠٠- تفيد التحذير والترهيب من الكفر بآيات الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

٤٠١- تفيد تهديدا لهؤلاء الكفار؛ لأن سريع الحساب إنما يبتدئ أولا بحساب من يكفر بآياته؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

٤٠٢- تفيد الحث على الإيمان بآيات الله تعالى؛ لأن القدح والتحذير من الشيء مدح وترغيب لضده؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

٤٠٣- تفيد بيان قدرة الله ﷻ بكونه سريع الحساب؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

٤٠٤- تفيد أن العباد سيحاسبون وسيجزون على أعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

٤٠٥- تفيد الرد على الجبرية القائلين بأن العباد مجبورون على أفعالهم، ووجه ذلك: أن الله ﷻ أسند هذه الأفعال إلى فاعليها، في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، وقوله: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

٤٠٦- تفيد أن في ترتيب الحساب والعقاب على مطلق الكفر في قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إثر بيان حال أولئك المذكورين، إيذان بعسر حسابهم وشدة عقابهم.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

٤٠٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن تقدم في الآية السابقة بيان أن الدين الكامل عند الله تعالى هو دين الإسلام، قيل للنبي ﷺ في هذه الآية: إن نازعوك وحاجوك، وأنكروا دين

الإســلام، فقل لهم: لا أهتم بإنكاركم ولا بمنازعتكم ومحاجتكم، لأني أســلمت وجهي لله. لأن هذا الدين الذي جئت به، وتحاجوني فيه يترجم اسمه عن حقيقته، لهذا فإنني ﴿أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾.

٤٠٨- تفيد دقة المناسبة فبعد أن أظهرت الآيات السابقة ما يدل على صحة دين محمد ﷺ وصدق رسالته، فأولها: أنه تعالى ذكر الحجة بقوله: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ على فساد قول النصارى في إلهية عيسى عليه السلام وبقوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ على صحة النبوة، وذكر شبه القوم، وأجاب عنها بأسرها على ما تقدم بيانه، ثم ذكر لهم معجزة أخرى، وهي المعجزات التي شاهدوها يوم بدر على ما تقدم بيانه في قوله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ﴾ ثم بين صحة القول بالتوحيد، ونفى الضد والند والصاحبة والولد بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ثم بين تعالى أن ذهاب هؤلاء اليهود والنصـــارى عن الحق، واختلافهم في الدين، إنما كان لأجل البغي والحسد، وذلك ما يحملهم على الانقياد للحق والتأمل في الدلائل لو كانوا مخلصين، فظهر أنه لم يبق من أسباب إقامة الحجة على فرق الكفار شيء إلا وقد حصل، فبعد هذا قال: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ يعني: إننا بالغنا في تقرير الدلائل، وإيضاح البينات، فإن تركتم الأنفة والحســد، وتمســكتم بها كنتم أنتم المهتدين، وإن أعرضــتم فإن الله تعالى من وراء مجازاتكم. منقول بتصرف واختصار.

٤٠٩- تفيد مع ما قبلها بيان إعراض أهل الباطل عن الحق وعتوهم.

٤١٠- تفيد مع ما قبلها أن الاختلاف يفضــي إلى المحاجة والمجادلة بالباطل، فهؤلاء الذين اختلفوا قد أفضــى بهم اختلافهم إلى محاجة خير الخلق وأصــدقهم وأعلمهم ﷺ وبرروا له ما هم عليه من الدين، وأنهم ليسوا على أقل مما جاء به دين الإسلام.

٤١١- تفيد مع ما قبلها أن على العالم المحق إذا ابتلي بمخالف لجوج عالم بالحق مكابر عنه، أن يختصر معه الكلام، فلا يعرض عنه نهائيا، ولا يسترسل معه في الجدال والمحاجة، بل يتوسط في ذلك، فيصــرح له ولغيره بموقفه الذي يعتقده ويؤمن به، ســواء قبله أو لم يقبله، لقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾، ولم يقل ﷻ: [فإن حاجوك فحاججهم]، أو [فإن حاجوك فأعرض عنهم وقل سلام].

٤١٢- تفيد أن للنبي محمد ﷺ أعداء يحاجونه في أصل الدين وفروعه، ويوجدون له الشبهات الكثيرة لعرقلة دعوته إلى دين الحق؛ لقوله: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾.

٤١٣- تفيد مع ما قبلها أن الإعراض والتولي عن الدخول في دين محمد ﷺ، هو معاداة للحق وللعلم بعد مجيئه، وأنه لا حجة لمن تولى عن الدخول في دين الإسلام إلا البغي والشقاق والعدوان والمجادلة بالباطل؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ﴾.

٤١٤- تفيد أنه لا بد للداعية أن تقع له الخصوم والجدال والمحاجة من أهل الباطل، فطريق الدعوة ليس مفروشا بالورود والأزهار، فعلى من يسلك هذا الطريق الصبر والتضحية على ما يصيبه من أهل الباطل المكابرين المتعالين على الحق.

٤١٥- تفيد أن النبي ﷺ حجيج لأتباعه المسلمين، لقوله: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾، ويؤيده ما جاء في حديث فتنة الدجال: «فإن يخرجْ وأنا بين أَظْهُرِكم، فأنا حَجِيجٌ لكلِّ مسلمٍ».

٤١٦- تفيد أن بعض الجدال والمحاجة لا تحتاج من صاحب الحق إلى مزيد عناء، وكثير مشقة وتكلف في الرد لظهور الحق ووضوحه، فيكفي أن يبين لصاحب الباطل موقفه ويصدع بما يعتقده من الحق والصواب؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾.

٤١٧- تفيد أن على الداعية أن لا يترك دعوته إلى الحق والفضيلة بسبب التشغيب وإثارة البلبلة عليه من ضعاف النفوس ممن لا تعجبهم دعوته؛ وأن يصرف نظره عنهم، ولا يبدد جهوده في الردود والمحاجة معهم، بل يستمر في دعوته ومهمته في بيان الحق وهداية العباد؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾، ولم يقل: [وقل لهم وللذين أوتوا الكتاب والأميين].

٤١٨- تفيد أن أتباع الرسول محمد ﷺ يحذون حذوه في إسلامهم لله، وتفويض الأمر إليه؛ لقوله تعالى: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾.

٤١٩- تفيد التوجيه للاستفادة من سيرة النبي الكريم المؤيد المسدد، ونتبعه فيما علمه ربه من أسلوب الخطاب والمحاججة.

٤٢٠- يفيد التعبير بالوجه عن جميع وكامل الذات والنفس، في قوله:﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ دليلا على أن الوجه أشرف الأعضاء الظاهرة، ومظهر القوى والمشاعر، ومجمع معظم ما يقع به

العبادة، وبه يحصل التوجه إلى كل شيء، فإذا خضع الوجه فما سواه أخضع. ولهذا كان أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد؛ لأنه يضع أشرف أعضائه على موطئ الأقدام.

٤٢١- تفيد أن العبادة متى ما كانت مخلصة لله قبلت.

٤٢٢- تفيد أن النبي ﷺ متبوع، وأن الأمة الإسلامية كلها تابعة له، مقتدية بهديه؛ لقوله تعالى: ﴿...وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾.

٤٢٣- تفيد فضيلة اتباع النبي ﷺ وخطورة الابتداع في دينه، وتحريف نصوص شريعته، ولي أعناقها؛ لتوافق أهواء أصحابها واتجاهاتهم.

٤٢٤- تفيد حرص الشارع على الدعوة إلى الإسلام؛ لهداية العباد والإعذار إليهم؛ لقوله: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾.

٤٢٥- تفيد ليس قول أحد من أهل العلم حجة على الآخر لأنهم تابعون لا متبوعون، وأن كل أحد منهم يؤخذ من قوله ويرد؛ إلا النبي محمد ﷺ، لأن الكل مأمورون باتباعه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾، وعلى هذا فكل عالم خالف هدي النبي ﷺ وجانب سنته، فإنه يرد عليه قوله، ويضرب به عرض الحائط.

٤٢٦- تفيد أهمية أن يتعلم الداعية فنون الخطاب والاقناع تجاه المدعوين؛ وأن لا يكون كلامه كله أمرا ونهيا، فإن بعض النفوس تأنف من ذلك؛ ولهذا أمر الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ أن يقول للذين أوتوا الكتاب والأميين ﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾ بصيغة الاستفهام، دون صيغة الأمر: [أسلموا]، وبهذه الهداية العظيمة تظهر للمتأمل والمتدبر قمة التعبير القرآني في تنويع خطابه الدعوي.

٤٢٧- تفيد أهمية أن يتعلم الداعية كيف يستغل المواقف الصعبة والحرجة التي يوقعه فيها أعداؤه لصالح دعوته، حيث حول ﷻ وجهة المحاجة وطريقها التي أرادها الأعداء إلى وجهة دعوة وطريق إرشاد ونصح وترغيب في الإسلام لجميع الناس؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ...﴾.

٤٢٨- تفيد بيان عظيم منة الله ﷻ على العرب ببعثة الرسول ﷺ، ووجه ذلك: أنه قال: ﴿لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ وفرق بين من أوتي الكتاب، وبين الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، لكنهم ببعثة الرسول عليه الصلاة والسلام كانوا هم أهل الكتاب حقا.

٤٢٩- تفيد التوبيخ بالبلادة والسفاهة والعناد وقلة الإنصاف لمن جادل وعارض دون أن يستسلم لله؛ لأن المنصف إذا تجلت له الحجة أذعن للحق؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾.

٤٣٠- تفيد وجوب الدخول في دين الإسلام، لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾.

٤٣١- يفيد المجيء بصيغة الماضي في قوله: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ دون أن يقول: [أتسلمون] على خلاف مقتضى الظاهر؛ وذلك للتنبيه على أنه يرجو تحقق إسلامهم، حتى يكون كالحاصل في الماضي، ويتفرع من هذا أن على الداعية أن يكون متفائلا دوما في تقبل الناس لدعوته، وأن يحسن الظن فيمن يدعوهم، فعسى أن يخرج الله من بينهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا.

٤٣٢- تفيد بطلانا لدعوة أهل الضلال والانحراف الذين يدعون إلى تقارب الأديان؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾؛ فعلق هداية أهل الكتاب وجميع الناس بدخولهم في دين الإسلام.

٤٣٣- تفيد أن أهل الهدى هم المسلمون؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾.

٤٣٤- تفيد أن من لم يدخل في دين الإسلام فهو ضال؛ لأن الله ﷻ علق الاهتداء بالإسلام؛ فقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾.

٤٣٥- تفيد تحقق حصول الهداية لمن أسلم ودخل في دين الإسلام، بدلالة التعبير بصيغة الماضي المصحوب بـ [قد] الدالة على التحقيق، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾.

٤٣٦- تفيد وجوب البلاغ على الرسول الكريم ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ ويدخل في ذلك كل من كان قائما مقام الرسول ﷺ وحائزا لميراثه.

٤٣٧- تفيد حصول البلاغ منه عليه الصلاة والسلام وإقامة الحجة.

٤٣٨- تفيد أنه لا يجب على الداعية إلا البلاغ الذي هو هداية دلالة وإرشاد، وأما هداية التوفيق فإلى الله وحده سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾.

٤٣٩- تفيد أن العبد لا يسأل عن عمل غيره، وإنما يسأل عن عمله هو، فيجب على العبد أن يقوم بما يجب عليه خير قيام؛ لقوله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾.

٤٤٠- تفيد الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لمن تولى عن الدخول في الإسلام بعد أن يدعى إليه؛ والحث والوعد بالخير العظيم لمن أسلم؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ والمعنى: أن الله مطلع على أحوال عبيده فيجازي كلا من المسلم والمعرض عن الإسلام بما تقتضي حكمته.

٤٤١- تفيد عموم وسعة علم الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾.

٤٤٢- تفيد تحذير عموم العباد من مخالفة أوامر الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم إذا خالفوا الأوامر، فالله بصير بهم، وسوف يجازي كلا بحسب مخالفته.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[آل عمران: ٢١].

٤٤٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن ذكرت خاتمة الآية السابقة من يعرضون ويتولون عن الدخول في الإسلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾ جاءت هذه الآية لتذكر أهم وأخطر ثلاث صفات، من صفات هؤلاء المتولين والمعرضين عن الإسلام، فالصفة الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، والصفة الثانية: قوله تعالى: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾، والصفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

٤٤٤- تفيد مع ما قبلها أن من كذب بآيات النبي محمد ﷺ، لزمه أن يكذب بجميع آيات الله تعالى؛ لأن من تناقض لا يكون مؤمنا بشيء من الآيات، إذ لو كان مؤمنا بشيء منها لآمن بالجميع.

٤٤٥- تفيد مع ما قبلها أن تفوق الدعاة وأتباعهم بالحجة والبيان على خصومهم من أهل الباطل، لا يجعلهم في مأمن من مكرهم، لأن أهل الباطل إن لم يجدوا بغيتهم ولم يحققوا أهدافهم وغاياتهم بالطرق الدبلوماسية الخبيثة المعروفة لديهم، سوف يصعدون من وتيرة الخصومة وسيتجهون إلى طريق العنف والقتل وسفك الدماء.

٤٤٦- تفيد مع ما قبلها أن الدعاة إلى الله وأتباعهم، معرضون للابتلاء والامتحان، بدءا من جدالهم ومحاجتهم لأهل الباطل، ومرورا بسجنهم وتعذيبهم، وانتهاء بقتلهم وسفك دمائهم، وعلى هذا فإن طريق الدعاة وأتباعهم، ليس مفروشا بالورود والأزهار كما قد يتوهم البعض.

٤٤٧- تفيد مع ما قبلها أن من عادة اليهود وأعظم جرائمهم، قتلهم للأنبياء والذين يأمرون بالقسط من أتباع الأنبياء، فينبغي لأهل الإسلام الحذر منهم، فهم معروفون بقبائحهم وعنفهم وإرهابهم أبا عن جد، ولا يمكن الوثوق بهم مهما وقعوا من مواثيق وعهود.

٤٤٨- تفيد أن الكفر أعظم الذنوب للبداءة به في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

٤٤٩- تفيد ذما شديد ووعيدا لكل كافر بآيات الله تعالى؛ ومسكت لصوت الحق ونداء العدل.

٤٥٠- تفيد وجوب الإيمان بآيات الله الشرعية والكونية؛ لأن الله توعد هؤلاء الكافرين بالعذاب الأليم.

٤٥١- تفيد أن الكفر بآيات الله تعالى والتعدي عليها، يؤدي بهؤلاء المعتدين إلى التعدي على حملة الشرع، والانتقاص منهم، والتجرؤ على أذيتهم؛ بل وقد يصلون إلى قتلهم واستباحة دمائهم.

٤٥٢- تفيد حرمة قتل النبيين وأنه قتل بغير حق، وهو من جملة الكفر، لكن نص عليه لشدة شناعته وقبحه.

٤٥٣- تفيد أن قتل نبي واحد هو كقتل جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾، ومعلوم أنهم لم يقتلوا الأنبياء جميعا بل قتلوا بعضا منهم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾.

٤٥٤- يفيد مجيء فعل القتل بصيغة المضارع في قوله: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ ﴾ مع أن المراد: من كانوا في عصر النبي ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرۡهُم﴾، وهؤلاء لم يصدر منهم قتل للنبيين؛ وذلك للدلالة على أمرين: أحدهما: أن فعل القتل لما كانت طريقة أسلافهم جاز إضافتها إليهم، إذ صنع الأب قد يضاف إلى الابن لا سيما إذا كان راضيا به. الثاني: أن من شأن هؤلاء القتل إن لم يوجد مانع، ومعلوم في تاريخ السيرة النبوية أن اليهود قد حاولوا قتل النبي ﷺ عدة مرات، وبأشكال متعددة ومختلفة، وقتلوا بعض صحابة النبي ﷺ ممن يأمرون بالقسط والعدل، ولا زالوا يقتلون من أمته كل وقت.

٤٥٥- تفيد بيان حقيقة اليهود؛ وأنهم جانبوا كل حق وانسلخوا من كل خلق.

٤٥٦- تفيد تشنيع صورة اليهود، وذلك باستحضار مشهد استحلالهم لقتل أنبيائهم والمصلحين بغير وجه حق، وهو مشهد تعافه النفوس السوية والمجتمعات الراقية، ومحرم في كل الشرائع.

٤٥٧- تفيد شناعة وقبح كل من يقتل أو يقاتل من يأمر بالقسط من الناس.

٤٥٨- تفيد أن من يحارب منهج الأنبياء بملاحقة الآمرين بالقسط لا يختلفون عن سابقيهم فأولئك قتلوا أشخاص الأنبياء وهؤلاء قتلوا أرواح الأنبياء ودعوتهم.

٤٥٩- تفيد أن الآمرين بالقسط موجودون بين الناس في كل زمان ومكان، وما يتعرضون له من الأذى لا ينقطع بانقطاع الأزمنة؛ لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

٤٦٠- تفيد أن اليهود أصل كل فساد، ومبدأ كل شر، حيث منعوا دعاة الخير من الدعوة إليه، فحالوا بينهم وبين الإصلاح ونشر القسط، فأفسدوا الأفراد والمجتمعات.

٤٦١- تفيد فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه كان في الأمم السابقة، وهو شأن أتباع الأنبياء من قديم الزمان.

٤٦٢- تفيد أن القائم بالأمر بالمعروف تلي منزلته في العظم منزلة الأنبياء، وقد جاء في الحديث عن أبي عبيدة بن الجراح قال: «قلت يا رسول الله: أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال: «رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهي عن منكر‘‘». ثم قرأها. ثم قال: «يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل، فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعا من آخر النهار». رواه البزار في مسنده: [١١٠/٤]، وضعف إسناده الألباني في السلسلة الضعيفة.

٤٦٣- تفيد فضيلة الصبر على الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الأذى فيه قد يصل إلى القتل ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

٤٦٤- تفيد ثبوت العذاب على هؤلاء المتصفين بهذه الصفات؛ لقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، وفي ذلك مزيد وعيد لهم.

٤٦٥- تفيد أن العذاب الذي يبشـر به هؤلاء ليس عذابا هينا يمكن تحمله، ولكنه عذاب بالغ الشدة والألم.

٤٦٦- تفيد شدة عذاب النار، وأنه مؤلم للقلوب والابدان والأرواح.

٤٦٧- تفيد أنه ينبغي للمؤمن أن يبشـر كل كافر بآيات الله تعالى بالعذاب الأليم؛ لقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

٤٦٨- تفيد التهكم والسخرية من الكفار وسفكة الدماء الطاهرة، وذلك ببشارتهم بالشر؛ لقوله: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

٤٦٩- **فائدة**: جاء في هذه السورة ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ بصيغة التنكير، وجاء في سورة البقرة ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[البقرة: ٦١] بصيغة التعريف؛ لأن الجملة هنا أخرجت مخرج الشرط، وهو عام لا يتخصص، فناسب أن يكون المنفي بصيغة التنكير حتى يكون عاما، وفي سورة البقرة جاء ذلك في صورة الخبر عن ناس معهودين من بني إسرائيل، وذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[البقرة: ٦١] فناسب أن يأتي بصيغة التعريف، لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنفس عندهم كان معروفا، كقوله: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾[المائدة: ٤٥] فالحق هنا الذي تقتل به الأنفس معهود معروف، بخلاف ما في هذه السورة.

قال تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾[آل عمران: ٢٢].

٤٧٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما ذكر سبحانه ما توعد به الذين كفروا بآيات الله وعملوا على محاربة الفضيلة بقتل دعاتها، جاء في هذه الآية بيان عظم الوعيد في حقهم، وشناعة العذاب الذي ينتظرهم، وحتى لا يظن ظان أن ما عمله هؤلاء من أعمال صالحة في ظاهرها تنفعهم، فأكدت الآية أن أعمالهم لا قيمة لها، وعذابهم الأليم دائم ليس لهم من ينقذهم منه أو ينصرهم.

٤٧١- تفيد عدم انتفاع الكفار بالأعمال التي عملوها وحرمانهم من ثوابها.

٤٧٢- تفيد مع ما قبلها: أنه قابل الجرائم الثلاث [الكفر بآيات الله، وقتل الأنبياء، وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس] ثلاثة جزاءات [عدم الانتفاع بالأعمال الصالحة وفقد الثواب، العذاب الأليم، دوام العذاب ولا منقذ لهم منه].

٤٧٣- تفيد التخويف من هذه الجرائم التي تحبط الأعمال في الدنيا والآخرة.

٤٧٤- تفيد أن للأعمال ثوابا ونفعا في الدنيا والآخرة.

٤٧٥- تفيد أن هناك ذنوبا ومعاصي تحبط الأعمال، أخطرها وأعظمها الشرك وهو المحبط للأعمال بالكلية ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:٨٨]. وهناك محبطات جزئية لبعض الأعمال وثوابها، مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢].

٤٧٦- تفيد إثبات الآخرة، وأهمية العمل لها وأن يحافظ الإنسان على أعماله من المحبطات والمبطلات لثوابه فقد يجتهد في العمل ولكن يحبطه بأحد المحبطات.

٤٧٧- تفيد حقارة الدنيا وقلتها والتزهيد فيها؛ وهذا من تسميتها دنيا: إما من الدنو وهو القرب أو من الدناءة وهو الحقارة والسفالة.

٤٧٨- تفيد أنه لا أحد يستطيع أن ينصرهم من العذاب الذي توعدهم الله به وفي هذا تخويف وتهديد لهم.

٤٧٩- تفيد بيان عظمة الرب جل وعلا وقوته وسعة سلطانه وأن من أراد الله عذابه فلا ناصر له.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣].

٤٨٠- تفيد مناسبة ظاهرة فبعد أن ذكرت الآيات السابقة مساوئ اليهود، من الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقتل المصلحين، وأنهم أسوأ خلف لشر سلف، وعاقبتهم السيئة، جاء في هذه الآية الخطاب للرسول الكريم ﷺ، يكشف له عن أسوأ ما اتصف به سلفهم، أنهم لا يرضون بكتابهم الذي أنزله الله عليهم حكماً بينهم، وإذا دعوا إليه أعرضوا عنه فإعراضهم عن دعوته ليس بدعاً ولا غريباً عليهم فذاك ديدنهم. وبداية الآية بالاستفهام تعجباً من حالهم.

٤٨١- يفيد الإتيان بلفظة ﴿نَصِيبًا﴾ نكرة للدلالة على التهاون بهم والتقليل من شأنهم. وكذا لفظة ﴿مِّنَ﴾ للتبعيض زيادة في التهاون والتقليل منهم وتعريضاً بأنهم لا يعلمون إلا حظا قليلا.

٤٨٢- تفيد الإشارة في قوله ﴿فَرِيقٌ﴾ أن هذا التولي لم يكن وصفهم جميعا فمنهم من آمن بالرسول ﷺ ومنهم من هدي للحق، وفي هذا دليل على دقة وعدل خطاب القرآن لأنه يفيد أن الذين دعوا إلى كتاب الله ليسوا جميعا تولوا عنه، وإنما فريق منهم.

٤٨٣- تفيد وجوب تحكيم الكتاب والرجوع إليه، خصوصاً عند الاختلاف؛ ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل:٦٤].

٤٨٤- تفيد أن القرآن نزل ليحكم بين الناس فيما هم فيه يختلفون.

٤٨٥- تفيد فضل القرآن الكريم؛ حيث أضافه الله إليه.

٤٨٦- تفيد فضل الدعوة والتحاكم إلى كتاب الله ﷻ.

٤٨٧- تفيد أن الحكم الذي جاء في كتاب الله يشمل كل شيء.

٤٨٨- تفيد ذم الإعراض والتولي عن الهدى.

٤٨٩- تفيد أن اليهود لا يخضعون لأمر الله ولا يرضون بحكمه إذا خالف أهواءهم وأنهم قدوة سيئة في الاعتراض على حكم الله والإعراض عن كتاب الله جل وعلا.

٤٩٠- تفيد أن اليهود إذا كفروا بكتابهم فهم بغيره أشد كفرا، وإذا عادوا أنبياءهم فهم لغيرهم من الأنبياء أشد عداوة.

٤٩١- تفيد غلظ كفر اليهود وشدة عنادهم فقد تولوا بأبدانهم وأعرضوا بقلوبهم.

٤٩٢- تفيد تسلية لنفس النبي ﷺ فالذين أعرضوا عنك وعن كتابك وحكمك، أعرض سلفهم عن نبيهم وكتابهم ورفضوا التحاكم إليه.

٤٩٣- يفيد قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ إلى أن هذا التولي لم يكن عارضاً وإنما هو دأبهم في جميع أحوالهم.

٤٩٤- تفيد دعوة العباد إلى التزام أحكام الله التي نزلت في الكتاب وعلى لسان الرسول ﷺ، والتنفير من الإعراض عن حكم الله الذي ارتضاه لعباده، والتحذير لنا أن من يفعل ما فعل هؤلاء سيصيبه ما أصابهم من الذم والعقاب، فإذا دعي المسلم إلى كتاب الله فليستجب، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [سورة النور:٥١].

٤٩٥- تفيد أنه ليس كل من أعطي علمًا يوفق للعمل به، فلا يكفي معرفة الحق من الباطل بل لابد من إيثار الحق على الباطل.

٤٩٦- تفيد أن من أعطي علم الكتاب هو أولى الناس بالعمل به.

٤٩٧- تفيد أهمية أخذ العظة والعبرة من أحوال الأمم السابقة.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

٤٩٨- تفيد مناسبة ظاهرة فبعد أن ذكرت الآية السابقة جرم اليهود الذي ورثوه عن أسلافهم من التولي والإعراض عن كتاب الله وحكمه، جاء في هذه الآية ذكر أسباب توليهم، فقد هانت المعاصي في نظرهم، لما استخفوا بالعقوبة، وجعلوها بحسب أهوائهم، واعتبروا أن نسبهم بالأنبياء سبب لنجاتهم.

٤٩٩- تفيد مع ما قبلها أن القرآن هو الكتاب الذي يستحق أن ينسب إلى الله تعالى، وهو الذي سلم من العبث والتحريف، فهو الصالح للحكم بين الناس.

٥٠٠- تفيد أن الاستخفاف بالعقوبة واستسهالها زعماً باتصالهم بالأنبياء أو الانتساب للدين، واعتقاد أن هذا وحده يكفي هو سبب التهاون بالأحكام الشرعية وزوال حرمة الأوامر والنواهي من النفوس.

٥٠١- تفيد إثبات النار وأن اليهود يؤمنون بها ولم ينفعهم ذلك.

٥٠٢- يفيد قوله ﴿وَغَرَّهُمْ﴾ أن المخالفة إن لم يصاحبها غرور فالإقلاع عنها مرجو.

٥٠٣- تفيد أن اليهود أصحاب تبرير لجميع أعمال الشر التي يقترفونها.

٥٠٤- تفيد التأكيد على إمعان اليهود في الضلال والإعراض عن آيات الله.

٥٠٥- تفيد إثبات افتراءات اليهود وتأليهم على الله، وتلاعبهم بالأحكام وإصدارها بحسب أهوائهم.

٥٠٦- تفيد التحذير من الاستخفاف بوعيد الله سبحانه.

٥٠٧- تفيد أن الذي تهون في عينيه العقوبة ويستخف بوعيد الله، يجترئ على حرمات الله.

٥٠٨- تفيد أن من الناس من يكذب الكذبة ويفتري الفرية ويصر عليها حتى يصدقها، فيراها حقيقة، فيجادل بها، ويجادل عنها.

٥٠٩- تفيد خطورة الافتراء على الله والابتداع في الدين كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [سورة الصف:٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ

﴾[الأعراف:١٥٧]، وقد استنبط منها بعض العلماء أن كل مبتدع ذليل لقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾.

٥١٠- تفيد أن الغرور من الأسباب التي تصرف عن الحق.

٥١١- تفيد تنبيها للمسلم على عدم الاغترار، والخوف من الذنوب، وعدم الاستهانة بها، والخوف من النار.

٥١٢- تفيد أن من صفات اليهود الغرور والافتراء، وفي ضمن ذلك تحذير المسلمين من الاتصاف بهاتين الصفتين.

قال تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥].

٥١٣- تفيد مناسبة ظاهرة فبعد أن جاء في الآية السابقة تولي اليهود عن آيات الله لما هانت المعاصي في نظرهم، واستخفوا بالعقوبة، وظنوا أن نسبهم بالأنبياء سبب لنجاتهم جاء في هذه الآية الوعيد الشديد لهؤلاء في يوم يجمع الله فيه الخلق جميعا، فيحاسب كل نفس بما كسبت، فيوفيها ما تستحق من الثواب والعقاب، ففي الآية نذارة لكل من تولى عن آيات الله، وأعرض عن أوامر الله.

٥١٤- تفيد أن الله ﷻ يجمع الناس ليوم لا يعاقب فيه أحد إلا على ما اجترم، ولا يؤاخذُ أحداً إلا بما عمل، يُجزَى المحسنُ بإحسانه، والمسيء بإساءته، لا يخاف أحدٌ من خلقه منه يومئذ ظلمًا ولا هضمًا.

٥١٥- تفيد أن يوم القيامة يوم جمع عظيم، وقد وصف بذلك في بعض الآيات ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن:٩]، ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧].

٥١٦- تفيد إثبات يوم القيامة وأنه حق لا ريب فيه ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [غافر:٥٩].

٥١٧- فيها تعظيم لشأن يوم القيامة، مما يبعث الخشية في نفس من استحضر مشهد الحساب.

٥١٨- تفيد أن العباد جميعا مبعوثون ومحاسبون ومجزيون بأعمالهم لقوله ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾.

٥١٩- تفيد أن الإنسان يجازى بما كسبت يداه وأنه لا يحمل وزر غيره.

٥٢٠- تفيد أن يوم القيامة يوم عدل وأن الإنسان لا يظلم فيه ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

٥٢١- تفيد الرد على من يشكون في يوم البعث والنشور من الملاحدة والشيوعيين والدهريين، فهذا اليوم لا شك ولاريب فيه أنه واقع.

٥٢٢- تفيد أن الأعمال في الدنيا من كسب الإنسان، وأن الله يوفيه إياها يوم القيامة إن كانت خيرا فخير، وإن كانت شرا فلا يلومن إلا نفسه.

٥٢٣- فيها توجيه للاهتمام بالأعمال بأن تكون وفق الشرع الذي ارتضاه الله لعباده.

٥٢٤- تفيد نفي الظلم عن الرب جل جلاله وتقدست اسماؤه وإثبات كمال عدله جل وعلا.

٥٢٥- فيها نذارة للمسيء وبشارة للمحسن.

٥٢٦- فيها نذارة للظالم وبشارة للمظلوم.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

٥٢٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فإنه لما تولى الذين أشركوا والذين أوتوا الكتاب عن كتاب الله واستكبروا وعاندوا النبي المرسل ﷺ، جاءت هذه الآية ترد عليهم إنكارهم واستكبارهم وتعزي النبي الكريم ﷺ وتذكره بأن الله القادر سبحانه وتعالى هو صاحب الملك يعطيه لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء.

٥٢٨- فيها توجيه لنبي الهدى ﷺ كيف يتصرف أمام تكبرهم وغطرستهم: أن الجأ إلى صاحب الملك على الحقيقة واطلب منه النصر والعز والتمكين.

٥٢٩- تفيد مع ما قبلها أن الذي يعادي الله ويعبد الأوثان من دونه ليس أهلا للملك.

٥٣٠- تفيد مع ما قبلها أن بني إسرائيل قد انحرفوا عن الطريق الصحيح، فلم يعملوا بأسباب حفظ الملك فانتزعه الله منهم.

٥٣١- تفيد مع ما قبلها أن الذي جاءه الكتاب فآمن ببعضه وكفر ببعضه ولم يتخذه حكما في حياته؛ ليس أهلا للملك.

٥٣٢- تفيد مشروعية الدعاء بلفظ ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ ومعناه: يا الله.

٥٣٣- تفيد التوسل إلى الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأنه من أسباب الإجابة.

٥٣٤- تفيد عظمة الرب ﷻ وكمال سلطانه وأن الملك بيده يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء.

٥٣٥- تفيد خطورة الرئاسة والملك وأن من وصل إليها لا يتركها بسهولة بل تنزع منه نزعا، فتركها من أصعب الأشياء على النفوس ولذلك عبر عنه بالنزع.

٥٣٦- فيها دعوة إلى ألَّا يغتر صاحب نعمة بها فإن الذي آتاه إياها قادر على نزعها منه.

٥٣٧- تفيد إثبات المشيئة لله ﷻ وأن مشيئته نافذة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

٥٣٨- تفيد أن العز والتمكين بيد الله وحده، وينال بالإيمان به وطاعته.

٥٣٩- تفيد طلب العزة من الله ﷻ لأنه الذي يملكها ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

٥٤٠- تفيد ذم الحاسد الذي يحسد من أوتي الملك والعزة، فإن ذلك كله من الله، ومن اعترض فكأنما اعترض على الله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

٥٤١- تفيد إثبات اليد لله جل وعلا كما يليق بجلاله، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٥٤٢- تفيد أن الخير كله بيد الله ﷻ ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] فليسأل العباد ربهم من خيره وفضله.

٥٤٣- تفيد أن كل ما يأتي من الله هو خير وإن كانت صورته صورة الشر بدلالة قوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾.

٥٤٤- تفيد إثبات صفة القدرة لله ﷻ وكمال هذه القدرة فإن الله تعالى لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا.

قال تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧].

٥٤٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما بين الله سبحانه أنه صاحب القدرة والملك يعطي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، جاء في هذه الآية ذكر لبعض الأدلة التي تدل على عظمته وقدرته وكمال تصرفه في الكون.

٥٤٦- تفيد التذكير بآية من آيات الله الكونية وهي ازدياد مدة النهار على الليل والعكس بحسب فصول السنة.

٥٤٧- تفيد التنبيه على عظمة آية الليل والنهار وخصوصا ما ذكر في هذه الآية، مما يدل على عظمة الباري جل وعلا وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

٥٤٨- تفيد التذكير بآية أخرى عظيمة وهي إخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي.

٥٤٩- تفيد أن الله ﷻ قد يخرج الصالح من الطالح والمؤمن من الكافر والعكس.

٥٥٠- تفيد أهمية التأمل والتدبر في آيات الله ﷻ الكونية وأثر ذلك في زيادة الإيمان وتعظيم الرحمن ﷻ وإفراده بالعبادة.

٥٥١- تفيد التأكيد على أن الرزق كله من ملك أو مال أو قوة أو جاه بيد الله ﷻ.

٥٥٢- فيها دليل على كرم الرب ﷻ وأنه يرزق بغير حساب فهو أكرم الأكرمين، وفي هذا دعوة للعبد أن يسأله من فضله ولا يتعاظم المسألة، فقد ورد في الصحيحين: لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه، وفي رواية فإن الله لا مكره له، وفيهما أيضا: يد الله ملئ لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه.

٥٥٣- تفيد إثبات صفة المشيئة لله ﷻ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

٥٥٤- تفيد التنبيه على ترك الحسد وسؤال الله من فضله فهو يرزق من يشاء بغير حساب.

٥٥٥- تفيد التنبيه على أن الرزق يطلب من الله ﷻ وحده مع الأخذ بالأسباب.

٥٥٦- تفيد أن الرزق قد يكون فيه تأديب للإنسان بمنعه منه.

٥٥٧- فيها أن من حكمة الله ﷻ توزيع الرزق كيف يشاء.

قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

٥٥٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن بين سبحانه أن على النبي ﷺ وأهل الإيمان التوجه إلى الله والالتجاء إليه، مع الاعتقاد بكمال سلطانه وتصرفه المطلق في الكون، يرفع من يشاء ويضع من يشاء، يعطي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، جاءت هذه الآية لتؤكد لهم أن

لا يطلبوا العزة من غير الله، أو أن يغتروا بما عند الكفار من المنعة والقوة، فيركنوا إليهم، وفي الآية إشارة إلى أن الكافرين يستعرضون بقوتهم ويباهون بها.

٥٥٩- تفيد مع ما قبلها أن الكافرين لا تغني عنهم قوتهم شيئا أمام تقدير الله ﷻ إذا قدَّر نزع ملكهم وتدمير قوتهم.

٥٦٠- تفيد التحذير والوعيد من اتخاذ الكافرين أولياء، وفي هذا تربية للمؤمن على الولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين وهذا أوثق عرى الإيمان.

٥٦١- تفيد أن الذي يوالي الكافرين يحرم نفسه معية الله ونصرته وتأييده.

٥٦٢- تفيد توجيها للمؤمنين للأخذ بأسباب القوة والعزة والمنعة، وذلك بموالاة بعضهم بعضا.

٥٦٣- تفيد الرد على الجبرية لأن الله ﷻ نسب الفعل إلي العبد، فهو فاعل حقيقة لقوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾.

٥٦٤- تفيد الرخصة لمن خشي شر الكفار وبطشهم أن يتظاهر بموالاتهم اتقاء لشرهم.

٥٦٥- تفيد إثبات النفس لله ﷻ كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته، وقد قال المسيح عليه السلام: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦].

٥٦٦- تفيد تشديد الوعيد في اتخاذ الكافرين أولياء، فبعد النهي: ﴿لَّا يَتَّخِذِ﴾ جاء التهديد والوعيد الشديد بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ ثم ختمها بالنذارة بقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

٥٦٧- تفيد أن المرجع والمصير إلى الله ﷻ وفي هذا تهديد وتخويف لجميع العصاة وبشارة ورجاء للطائعين؛ لأن المصير إلى رب رحيم.

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٩].

٥٦٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد أن بينت الآيات عظيم سلطانه سبحانه وكمال تصرفه، ونهت المؤمنين عن موالاة الكافرين، وتوعد الله من يفعل ذلك بالوعيد الشديد، وأباح الموالاة في ظروف خاصة، بحيث يظهرها العبد دون اعتقادها في قلبه، جاء في هذه الآية التأكيد على أن الاعتبار بما يعتقده المرء في قلبه، ولا حرج في قول باللسان يظهره للكافرين اتقاء لشرهم، وأن الله مطلع على ذلك كله.

٥٦٩- تفيد الآية مع ما قبلها الترخيص في التقيّة بقصد دفع الأذى وصرف الشر. وفيها وعيد خطير لمن أخفى في قلبه شيئاً يسيراً من حب للكافرين أو التولي لهم.

٥٧٠- فيها مع ما قبلها أن التقيّة من باب الرخص، فلا يصح المداومة عليها، وإنما هي لأحوال خاصة وظروف خاصة.

٥٧١- فيها مع ما قبلها إشارة إلى أن الذي يصدع بالحق حاله أفضل من المترخص، فقد بنى على الأصل وأخذ بالعزيمة، إلا في أحوال خاصة.

٥٧٢- فيها إشارة إلى إعذار من يعتقد فيهم الخير والعلم والصلاح، ويظهر منهم مواقف تخالف ذلك.

٥٧٣- فيها مع ما قبلها ذم لمن يتقى شره بكلام بالظاهر يخالف ما يستحقه فعلا.

٥٧٤- أسلوب التلقين ﴿قُلْ﴾ لتعليم الناس وإعلامهم أن الله يعلم ما يخفونه وما يبدونه.

٥٧٥- تفيد التأكيد على أن المعتبر ما استقر في القلب، وأنه محل نظر الرب سبحانه.

٥٧٦- تفيد التربية على مراقبة الأعمال، والاهتمام بالقصد والنية.

٥٧٧- تفيد أن علم الله تعالى محيط بالسرائر والضمائر والظواهر وسائر الأحوال وفي جميع الأوقات والأماكن، لا يغيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض، والبحار والجبال.

٥٧٨- تفيد أن السر عند الله ﷻ علانية فإنه يعلم السر وأخفى، فاحرص على أن لا يرى منك إلا خيرا فإن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

٥٧٩- إثبات العلم المطلق لله تعالى.

٥٨٠- العلم صفة كاشفة والقدرة صفة مؤثرة والله سبحانه متصف بالعلم والقدرة وجمع هاتين الصفتين في هذه الآية الكريمة يحمل التهديد والوعيد لكل من يوالي أعداء الله فكأنه يقول: الله سبحانه مطلعٌ عليكم لا يخفى عليه من أحوالكم شيء قادرٌ عليكم لا تعجزونه فاحذروا من موالاة الكفار.

٥٨١- تفيد أن قدرة الله مطلقة بلا حدود فهو على كل شيء قدير.

٥٨٢- وضع القدرة في مكان العلم دليل على لطف علم الله وأنه أقدر على كشف كل شيء مهما لطف.

٥٨٣- تفيد بيان قدرة الله ﷻ على معاجلة من يوالون الكافرين بالعقوبة، وأنه لا يمتنع عليه شيء.

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٍ مُّحۡضَرًا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠].

٥٨٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما أخبر تبارك وتعالى أن علمه محيطٌ بعباده في سائر أحوالهم يعلم ما يسرون وما يعلنون، وجاءهم التحذير الشديد من أن يقدموا على ما يخالف ثوابت دينهم سواء أظهروا ذلك أم أخفوه في نفوسهم، فكل الخلق إليه صائرون مع صحائف أعمالهم الظاهرة والباطنة في يوم لا بد منه، يجد كل أحد فيه ما قدم إن خيرا فخير وإن شرا فلا يلومن إلا نفسه.

٥٨٥- تفيد التوجيه للاهتمام باليوم الذي لا بد منه، والذي فيه تظهر جميع الأعمال وينكشف كل مستور.

٥٨٦- تفيد أن الإنسان يجد كل ما عمل حاضرا محضرا وفي هذا ترغيب في عمل الخير وترهيب من عمل الشر.

٥٨٧- تفيد الحث على الخير لأنه مما يسعد الإنسان في الآخرة وإن قلّ ﴿مِنۡ خَيۡرٍ﴾.

٥٨٨- تفيد حسرة صاحب السوء في الآخرة يقول: يا ليتني قدمت لحياتي.

٥٨٩- تفيد التوجيه للاهتمام بالمصير الحقيقي والحتمي لكل أحد، بالاستعداد له وللحساب فيه.

٥٩٠- تفيد أن النفوس محضرة لا تغيب منها نفس، والأعمال محضرة لا يغيب منها عمل.

٥٩١- تفيد أن النفس تفرح وتسعد حين ترى أعمال الخير التي عملتها محضرة وتندم وتأسف حين ترى ما عملت من سوء محضرا. فإذا كنت تحب أن ترى أعمال الخير يوم القيامة فاستكثر منها وأخلص النية فيها، وإذا كنت تكره أن ترى أعمال السوء والشر محضرة فمن الآن تباعد عنها.

٥٩٢- تفيد أن النفوس تجد ما عملت من خير محضرا أي تجد أجره وثوابه بل تجده بصورته وهيئته ماثلا بالصوت والصورة والزمان والمكان والشهود... وكذلك عمل السوء فلا يستطيع أحد أن ينكر فعلته او يتبرأ منها.

٥٩٣- تفيد التنبيه على أن يحرص المؤمن على التباعد عن الخطايا والذنوب في الدنيا ليكون بينه وبينها أمدٌ بعيدٌ في الآخرة، ومن الأذكار الواردة في افتتاح الصلاة: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب.

٥٩٤- تفيد أن البعد عن الذنوب سعادة ونجاة في الدنيا والآخرة.

٥٩٥- تفيد أن هذا التحذير مظهر من مظاهر رأفته بعباده لأن استجابتهم لهذا التحذير تعني إبعادهم عن عمل السوء وصرفهم عن الشر والفساد فتصلح حياتهم في الدنيا وتحصل لهم النجاة في الآخرة.

٥٩٦- تفيد إثبات النفس لله ﷻ، وقد قال النبي ﷺ: ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم تقذرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير. رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني في الصحيحة.

٥٩٧- تفيد إثبات صفة الرأفة لله ﷻ وفي هذا تعليق لقلوب العباد بالرؤوف الرحيم.

٥٩٨- تفيد أن الله ﷻ رؤوف بالعباد في كل الأمور فلا ييأسوا من رحمته ولا يقنطوا من لطفه.

٥٩٩- تفيد الآية وعيداً شديداً ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ مع تجليات رحمة الخالق الكريم الرحيم، وإظهار لطفه بعباده ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

٦٠٠- تفيد الجمع بين الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

٦٠١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها، فلما جاء في الآية السابقة التحذير والوعيد من سيئ الأعمال والندم الذي يحل بالناس في يوم لابد منه، ثم أظهرت الآية رأفة الله بعباده، جاءت هذه الآية توجه إلى الطريق الصحيح الذي يبلغ به العباد محبة الله تعالى وتربي كل من ادعى محبة الله أنه لابد له أن يبرهن على هذه المحبة بطاعة من يحب والحرص على مرضاته، فأكد على أن مرضاته متعلقة بطاعة رسوله ﷺ ومتابعته في كل ما جاء به من الهدى.

٦٠٢- فيها إظهار لرأفة الله تعالى بتوجيه العباد إلى الطريق الصحيح الذي يرضيه عنهم، ويبتعدون به عن السوء، ويصيبون به كل الخير.

٦٠٣- في الآية مزيد عناية بنبي الهدى ﷺ بتلقينه الحجة على المعاندين.

٦٠٤- تفيد التأكيد على وجوب محبة الله ورسوله ﷺ.

٦٠٥- إثبات صفة الحب لله ﷻ فهو يُحِب ويُحَب.

٦٠٦- تفيد ما ذكره بعض العلماء الحكماء [ليس الشأن أن تِحب إنما الشأن أن تُحَبّ].

٦٠٧- فيها تزكية وتكريم للنبي الكريم محمد ﷺ.

٦٠٨- تفيد أن الطريق الموصل إلى الله ومحبته، هو اتباع هدي نبيه ﷺ.

٦٠٩- في الآية وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقوله: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن.

٦١٠- تفيد أن كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأعماله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، فالاتباع دليل وبرهان على المحبة فمن ادعى المحبة طولب بإقامة الدليل على دعواه فإن كان متبعا مقتديا موافقا صحت دعواه وان كان مبتدعا ردت عليه.

٦١١- تفيد منزلة اتباع النبي ﷺ وأنها سبب مجزوم به في تحقق محبة الله للعبد ومغفرة ذنوبه؛ أفاد ذلك الشرط وجوابه.

٦١٢- تفيد أنه على حسب حظ العباد من اتباع الرسول ﷺ يكون إيمانهم وحبهم لله ﷻ، وما نقص من ذلك نقص.

٦١٣- تفيد تعظيم شأن الإتباع والتحذير من الابتداع في الدين وأنه سبيل المحرومين من محبته تعالى ومغفرته.

٦١٤- تفيد أن الاتباع يكون في الجوهر كما هو في المظهر فمن الناس من يكتفي بالاتباع في الهيئة واللباس والسمت، والمحب الصادق يجمع بين الجوهر والمظهر فيقتدي بالرسول ﷺ في هيئته وسمته ويقتدي به في عبادته وزهده وفي حسن تعامله وطيب عشرته وتواضعه وحلمه وصبره وسائر أخلاقه.

٦١٥- تفيد إثبات صفة المغفرة والرحمة لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

٦١٦- تفيد إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى وهما الغفور والرحيم، وترشد العباد إلى سؤال الرب جل وعلا المغفرة والرحمة، والتوسل إليه بهذين الاسمين والصفتين.

٦١٧- فيها تزكية للمسلمين المتبعين لهدي خاتم النبيين ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢].

٦١٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما جاء في الآية السابقة التوجيه إلى الطريق الصحيح الذي يبلغ به العباد محبة الله تعالى وتطالب كل من ادعى محبة الله أن يبرهن على هذه المحبة بطاعة من يحب والحرص على مرضاته. جاء في هذه الآية التأكيد على ضرورة إظهار هذه المحبة، وذلك بطاعة الله واتباع رسوله ﷺ والتحذير من التولي عن طاعته.

٦١٩- في الآية مع ما قبلها إظهار لرأفة الله بعباده، وذلك بتوجيههم لما يبعدهم عن سبب الوعيد.

٦٢٠- فيها مع ما قبلها أن الطاعة والاتباع سبب للنجاة من التحذيرين السابقين ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾.

٦٢١- فيها مع سابقتها أن الذي يحب الله يحب كل ما يرد عنه، فيحب القرآن، وأن الذي يحب الرسول ﷺ يحب كل ما جاء عنه، فيحب سنته وسيرته، فالمحبة توجب الإقبال التام على المحبوب، والإعراض عن سواه.

٦٢٢- تفيد دقة المناسبة بين الآيات فبعد أن أثنى الله تعالى على المتبعين لرسوله ﷺ وهم أهل محبته ﷻ أمر الله تعالى بطاعته وطاعة ﷺ.وبعد أن ذكر الله تعالى علامات من يحبهم الله تعالى ثنى بعد ذلك بذكر الطرف المقابل وهم الذين لا يحبهم الله ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

٦٢٣- فيها مع سابقتها إبطال لدعوى اليهود والنصارى، حيث قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨].

٦٢٤- تفيد أن الطاعة تشمل الأمر والنهي، فيقوم العبد بالمأمورات، ويتجنب المنهيات.

٦٢٥- فيها مزيد عناية بنبي الهدى ﷺ بتوجيهه وتلقينه الحجة على المعاندين.

٦٢٦- تفيد أن أهم علامات محبة الله تعالى طاعته وطاعة رسوله ﷺ.

٦٢٧- تفيد أن طاعة النبي الكريم ﷺ من طاعة الله تعالى، ومحبته من محبة الله تعالى.

٦٢٨- فيها إشارة إلى أن الله قد أوجب طاعة محمد ﷺ، لأنه رسوله.

٦٢٩- تفيد الأمر باستيعاب جميع أحكام الشرع وذلك بطاعة الله ورسوله ﷺ، وقد وردت الأحكام في الكتاب على سبيل الإجمال، وجاءت في السنة على سبيل التفصيل.

٦٣٠- تفيد الآية الكريمة بيان معنى الاتباع الحقيقي وكماله وهو طاعة الله ورسوله ﷺ.

٦٣١- في الآية دليل على قول أهل السنة في الإيمان وأنه: ليس مجرد المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهراً وباطناً.

٦٣٢- تفيد معنى عدم الاتباع وهو التولي والإعراض عن طاعة الله ورسوله ﷺ.

٦٣٣- في الآية إشارة إلى أن الإعراض الكلي والتولي عن الطاعة من علامات الكفر ولذلك عد العلماء الإعراض عن دين الله من علامات الكفر ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

٦٣٤- تفيد أن عدم الطاعة وكثرة المعاصي تؤدي بالإنسان إلى الكفر، وقد قيل: المعاصي بريد الكفر.

٦٣٥- تفيد وجوب اتباع السنة والعمل بها.

٦٣٦- فيها إشارة إلى حب الله للمؤمنين وإن كانوا عصاة، بدلالة بغضه للكافرين المعرضين.

٦٣٧- فيها أن نفي محبة الله عن المعرضين المعاندين يفيد بغضه وسخطه عليهم، وأظهر العلة لهذا السخط، فقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾وهذا البغض والسخط ينسحب على كل كافر بالله متولياً عن طاعته.

٦٣٨- فيها وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[آل عمران:٣٣].

٦٣٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما كان الرد على من ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وبيان الطريق الوحيد لحصول محبة الله ونيل مرضاته، جاءت هذه الآيات متممة للحديث عن توليهم وإعراضهم ومخالفتهم، وتبين حقيقة ديانة من سبق من الأنبياء فتنقض دعوى الانتساب إليهم.

٦٤٠- تفيد الآية أن الأنبياء والرسل يتفاوتون في المنزلة عند الله ﷻ.

٦٤١- فيها تكريم وتشريف للأنبياء عليهم السلام.

٦٤٢- تفيد أن الله ﷻ يصطفي من يشاء من عباده.

٦٤٣- تفيد التأكيد على عظمة الخالق وكمال تصرفه ﷻ.

٦٤٤- تفيد أن النبوة اصطفاء من الله تعالى وليست اكتسابا كما يقوله المتفلسفة.

٦٤٥- فيها إشارة إلى أن نوحا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أول الرسل من بني آدم.

٦٤٦- تفيد فضيلة ظاهرة ومكانة عظيمة لآدم ونوحٍ وآل إبراهيم وآل عمران لأن الله ﷻ اصطفاهم على جميع الناس.

٦٤٧- تفيد أن الاصطفاء عند الله تعالى تكون لأهل الإيمان والتقوى.

قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤].

٦٤٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما أمرهم الله تعالى باتباع نبينا ﷺ وبيَّن حقيقة ديانة من سبق من الأنبياء لتنقض دعوى الانتساب إليهم، جاء في هذه الآية بيان أن هؤلاء الأنبياء المصطفون قد تساووا جميعا بالرسالة والتكليف، فكما تقرون بهم وجب أن تقروا بالجميع. واصطفاهم سبحانه لأنهم طائعين له، استحقوا محبته لطاعتهم، فكونوا على سننهم كونكم آمنتم بهم وبنبوتهم.

٦٤٩- فيها مع ما قبلها دعوة لأهل الكتاب أن يكونوا على سنن من ادعوا أنهم من ذريتهم.

٦٥٠- فيها مع ما قبلها تأكيد على أن من شك في تمام قدرة الله وكمال حكمته وتصرفه في شؤون الخلق، فقد كفر.

٦٥١- فيها مع ما قبلها أن الخصوصية والزلفى؛ بالاصطفاء لا بالنسب.

٦٥٢- فيها مع ما قبلها أن الفرع ينتفع بالأصل، والأصل يؤثر بالفرع صلاحا وفسادا.

٦٥٣- تفيد أن المقصود من ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ﴾ هو الموالاة في الدين، ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [التوبة: ٧١].

٦٥٤- فيها تأكيد لمعنى [صلاح الآباء يدرك الأبناء]؛ فإن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقرّ عينه بهم. كما جاء في القرآن الكريم ووردت السنة به". قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف: ٨٢] حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر لهما صلاح.

٦٥٥- في الآية ذكر الصنف الطيب من الناس، ممن حسُن جوهره ومظهره ترغيبا في التأسي بهم، والسير في ركبهم.

٦٥٦- فيها إشارة إلى التنفير من سلوك غير درب الصالحين الذين جاءت تزكيتهم من رب العالمين.

٦٥٧- فيها رد على من ادعى ألوهية عيسى عليه السلام فهو من هذه الذرية لا يختلف عنهم.

٦٥٨- فيها تأكيد على أن عيسى عليه السلام آدمي، من ذرية آدم وإبراهيم عليهما السلام.

٦٥٩- تفيد إثبات العلم المطلق لله عز وجل، فهو يعلم من يصلح للاصطفاء، كما يعلم من هم البعض الذين يوالون البعض بالدين والتزام شرع الله سبحانه وتعالى.

٦٦٠- تفيد إثبات صفتي السمع والعلم لله سبحانه وتعالى.

٦٦١- تفيد إثبات اسم السميع واسم العليم لله سبحانه وتعالى.

٦٦٢- تفيد إرشاد العباد إلى دعاء الله عز وجل بهذه الأسماء الحسنى والصفات العلى.

٦٦٣- تفيد الحث على مراقبة الله عز وجل وخشيته فإنه سميعٌ لما يتكلم به الإنسان عليمٌ بكل شيء لا تخفى عليه خافية.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥].

٦٦٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما ذكر أن الأنبياء ذرية بعضها من بعض وأنهم مخلوقون مربوبون ليس لهم حظٌ من الألوهية والربوبية، ذكر في هذه الآية ابتداء أمر عيسى عليه السلام بذكر قصة امرأة عمران ونذرها وصدقها مع الله عز وجل.

٦٦٥- تفيد مشروعية النذر، والإخلاص فيه لله عز وجل وحده، فمن نذر لغير الله فقد أشرك.

٦٦٦- تفيد استحباب سؤال الله عز وجل القبول للأعمال والحرص على ذلك.

٦٦٧- تفيد استحباب الدعاء بلفظ ﴿رَبِّ﴾ فهو أكثر الألفاظ وروداً في دعاء الأنبياء والصالحين في القرآن.

٦٦٨- تفيد الثناء على الله سبحانه بأسمائه الحسنى.

٦٦٩- تفيد استحباب الثناء على الله عز وجل بين يدي الدعاء، فهو من أسباب الإجابة.

٦٧٠- تفيد أن الجمع بين الدعاء والثناء أقرب الى القبول والاستجابة.

٦٧١- فيها توجيه للمؤمنات:أن تخلص المرأة نيتها في صلاح ولدها وأن تتوجه إلى الله ضارعة داعية بالقبول والتوفيق.

٦٧٢- فيها ثقة امرأة عمران بصلاح نيتها في نذر حملها.. حين ختمت دعوتها بقولها: إنك أنت السميع العليم.

٦٧٣- تفيد إثبات العلم المطلق لله عَزَّوَجَلَّ.

٦٧٤- تفيد إثبات صفتي السمع والعلم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٦٧٥- تفيد إثبات اسم السميع واسم العليم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٦٧٦- تفيد إرشاد العباد إلى دعاء الله عَزَّوَجَلَّ بهذه الأسماء الحسنى والصفات العلى.

٦٧٧- تفيد الحث على مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ وخشيته فإنه سميعٌ لما يتكلم به الإنسان عليمٌ بكل شيء لا تخفى عليه خافية.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[آل عمران:٣٦].

٦٧٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما بينت الآية السابقة نذر امرأة عمران ما في بطنها ورجت أن يكون غلاما ليقدر على خدمة الكنيسة، جاء في هذه الآية بيان ماهية الحمل الذي نذرته، وأنها وضعته على خلاف ما رغبت فيه.

٦٧٩- فيها تأكيد على عظمة الخالق سبحانه بتمام علمه، وكمال تصرفه بشؤون الخلق.

٦٨٠- فيها إظهار لأدب المرأة الصالحة، حيث قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ اعتذاراً منها أن المولود ليس بذكر ليقوى على الخدمة في بيت المقدس.

٦٨١- فيها إظهارٌ لبلاغة القرآن: فقد قال: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ ففي ذلك رد على شبهة أن يُظن أن امرأة عمران قالت ذلك على سبيل الإعلام، فالله أعلم بما حملت وبما وضعت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٦٨٢- فيها إشارة إلى أن الذكر أقوى وأقدر من الأنثى على الأعمال التي يلزمها الجهد والقوة، وفي هذا حجة على أصحاب المبادئ المادية من الغربيين ومن سار في ركبهم الذين أقحموا المرأة في سوق العمل على إطلاقه، حتى شوهدت النساء في دول الغرب تعمل أعمال الرجال التي يلزمها الوقت والجهد، بصورة أخرجتها عن رقتها وأنوثتها، وشغلتها عن إنشاء الأسرة ورعاية البيت.

٦٨٣- فيها تقرير لحقيقة كونية تؤكد على الفروق الجوهرية بين الذكر والأنثى.

٦٨٤- فيها تسلية لأم مريم مما جاء في نفسها من التحسر، لما وضعت مولودتها أنثى، فالله بعلمه وحكمته يقدر ما هو خير.

٦٨٥- فيها توجيه لتسمية المولود، واختيار الاسم الذي يسهم في تربيته، وتوجيه سلوكه.

٦٨٦- تفيد جواز تسمية المولود يوم ولادته.

٦٨٧- تفيد جواز أن تسمي الأم أبناءها.

٦٨٨- تفيد أن الاستعاذة عبادة وأنه لا يستعاذ إلا بالله ﷻ.

٦٨٩- فيها الترغيب بتعويذ الأطفال من الشيطان، ومن شر كل ذي شر.

٦٩٠- فيها تكريم وخصوصية لمريم وابنها بعدها، بصرف أذى الشيطان عنهما، فقد قال النبي ﷺ: ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان. فيستهل صارخا من نخسة الشيطان. إلا ابن مريم وأمه. متفق عليه.

٦٩١- فيها التحذير من الشيطان وكيده والارشاد إلى الاستعاذة بالله منه.

٦٩٢- تفيد أن الشيطان ملعونٌ مطرودٌ من رحمة الله ﷻ وفي ضمن ذلك تحذير للعباد من اتخاذه ولياً.

قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧].

٦٩٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما أخلصت امرأة عمران بنذرها، وأرادت بذلك مرضاة الله تعالى، وأن يتقبل منها نذرها، ولما أصابتها الحسرة وألمّ بها الألم لما كان ما وضعته أنثى، فاعتذرت لربها كون الأنثى ليست بمنزلة الذكر في القوة والقدرة، جاء الجزاء على قدر الإخلاص وحسن القصد، فتقبل ربها منها نذرها، وتقبل الصالحة ابنة الصالحة، وجعل لها من العناية والرعاية ما يعينها على صلاحها، ويجعلها من أكرم نساء العالمين.

٦٩٤- تفيد التأكيد على إخلاص النية لله ﷻ، وفضل الإخلاص؛ فإذا أخلص العبد لله أكرمه الله بالتوفيق والقبول.

٦٩٥- فيها دليل على أثر الآباء في توجيه الأبناء، واختيار ما ينفعهم في مستقبلهم.

٦٩٦- فيها العناية الخاصة من الله تعالى بمريم، وفي ذلك إشارة لعظم شأن هذه النذيرة، وأنها سيكون لها دور في الأسوة والإصلاح.

٦٩٧- فيها إشارة إلى أهمية البيئة الصالحة لبناء الشخصية الصالحة.

٦٩٨- فيها عظم تربية الله سبحانه وتعالى وإنباته لعباده الصالحين.

٦٩٩- تفيد أن الله عز وجل قد ييسر للعبد من يكفله من أهل الخير والصلاح، فيكون ذلك من أسباب فوزه وفلاحه وسعادته.

٧٠٠- تفيد فضل زكريا عليه السلام وكرمه وحسن خلقه وحبه للخير حيث كفل مريم واعتنى بها.

٧٠١- تفيد حرص الأنبياء واجتهادهم في العبادة وتخصيص مكان لها.

٧٠٢- فيها إظهار لفضل بيوت الله، وأماكن العبادة والطاعة، وأن المكث فيه مظنة حصول الخير العظيم العميم.

٧٠٣- فيها توجيه إلى ضرورة متابعة المربي للأبناء، وسؤال كل من تحته ممن تحمل مسؤولية تربيتهم عن كل ما يريبه، من أحوالهم.

٧٠٤- فيها توجيه لإكرام الأبناء، والتواضع لهم وخدمتهم سيما إذا كانوا مشتغلين بالطاعة.

٧٠٥- فيها توجيه لدوام التواصل مع الأبناء، والسؤال عن أحوالهم، ومساعدتهم وتشجيعهم للارتقاء بهم وبلوغهم أعلى مراتب النجاح في حياتهم.

٧٠٦- تفيد بإشارة إلى أنه ينبغي للشخص أن لا يسيء الظن بغيره بمجرد رؤية أمر غريب فيه؛ بل عليه أن يسأل ويتبيَّن.

٧٠٧- تفيد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعلمون الغيب، ولا يعلمون إلا ما علمهم الله عز وجل فمن دونهم من باب أولى.

٧٠٨- فيها إظهار لأثر التربية الصالحة والبيئة الصالحة على مريم، حيث أجابت أن هذا الرزق محض فضل من عند الله تعالى.

٧٠٩- فيها إظهار لولاية مريم وقربها من ربها سبحانه.

٧١٠- تفيد ما كانت عليه مريم من الاجتهاد في العبادة والانقطاع لها ولزوم المحراب.

٧١١- فيها كياسةٌ من مريم وطيب قول وحسن أدب وحكمةٌ في النصح، وكأنها تشير إلى مربيها أن يطلب ما يحب من الرزق من الله تعالى.

٧١٢- تفيد أن الله عز وجل قد ييسر للعبد ويفتح له من أبواب الرزق ما لا يكون في حسبانه ولا في حسبان أحد من الخلق.

٧١٣- تفيد أن الله ﷻ يرزق العباد بغير مكافأة ولا انتظار لمكافأة.

٧١٤- تفيد عِظَم فضل الله ورزقه الواسع لأوليائه بدون عمل الأسباب على سبيل الكرامة.

٧١٥- تفيد تواضع الأولياء والصالحين ونسبتهم الفضل في الكرامات لله سبحانه وتعالى.

٧١٦- فيها إثبات الكرامة لأولياء الله تعالى كما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً لقول المعتزلة المنكرين للكرامات.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران:٣٨].

٧١٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما رأى زكريا عليه السلام ما رأى من كرم الله تعالى للصالحة القانتة، وما عللته لما وجد عندها من عجيب الرزق؛ أنه محض فضل من صاحب الفضل، وأنه إذا أعطى يعطي بغير حساب، طمع زكريا بالولد مع كبر سنه وامرأته عاقر، فدعا في هذا الوقت الذي غلب فيه يقينه بما عند الله، حقيقة ما عنده من الأسباب.

٧١٨- فيها مع ما قبلها تحقيق لدعوة امرأة عمران لابنتها، بما أصابته من الصلاح وما نالته من الكرامة.

٧١٩- فيها أن من وجد نعمة عند شخص فالأَوْلى به أن يسأل المنعِم من فضله، ولا يحسد المنعَم عليه، كما قال سبحانه: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

٧٢٠- تفيد استحباب الدعاء بلفظ ﴿رَبِّ﴾ فهو أكثر الألفاظ وروداً في دعاء الأنبياء والصالحين في القرآن.

٧٢١- تفيد فضل الدعاء وأثره في تحقق الحاجات وحصول الرغبات.

٧٢٢- تفيد أن اقتران الثناء بالدعاء يعجل الاجابة.

٧٢٣- تفيد أهمية تحين الفرص المناسبة للدعاء ﴿هُنَالِكَ﴾ أي في تلك اللحظة التي رأى فيها زكريا عليه السلام الكرامة التي أعطيت لمريم عليها الصلاة والسلام ازداد أمله باستجابة سؤله فدعا ربه وأثنى عليه فاستجيب له، فقد تكون ملاءمتها من خلال استشعار القلب شدة الحاجة إلى ذلك الشيء.. ولحظة يقين خاصة بقدرة الله تعالى على كل شيء.. فزكريا عليه السلام لما رأى صنيع الله ﷻ بمريم في وحدتها وضعفها.. وما عقبت به في قولها ﴿قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ حيث استنهضت في نفسه الهمة للدعاء في تلك اللحظة.

٧٢٤- فيها توجيه إلى الدعاء واستغلال الأوقات والأماكن الفاضلة التي ترجى فيها الإجابة، فعندما تعجبك لمحة من لمحات قدرته، فهنالك نفحة من نفحات كرامته. فاهتبل الفرصة، وانثر كنانتك، وأرسل دعواتك.

٧٢٥- تفيد أنه متى وجدت صور الاستجابة ولو كانت لغيرك فتقرّب بسؤال حاجتك ولا تنأى فالمعطي والسامع هو الله ﷿.

٧٢٦- تفيد أن الله تعالى لا يعجزه شيء حيث استجاب الله ﷻ لزكريا ﵇، ورزق مريم بنت عمران ما يُتعجب منه؛ تلك منة وقدرة سميع الدعاء فلا تيأس ولا تستعجل.

٧٢٧- تفيد أن الذي يهب الذرية هو الله ﷻ،وتدل على ضلال من يتوجه إلى الأولياء وغيرهم لطلب الذرية.

٧٢٨- فيها إشارة إلى استحباب الدعاء بطلب الذرية الصالحة النقية.

٧٢٩- تفيد إثبات صفة السمع لله ﷻ، وارشاد العباد إلى التوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأثر ذلك في إجابة الدعاء.

٧٣٠- تفيد إثبات اسم السميع لله ﷻ وأنه لا يخفى عليه شيء.

قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩].

٧٣١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما طمع زكريا ﵇ بالولد مع كبر سنه وعدم صلاح زوجه للحمل والوضع، فأخلص في دعائه وأحسن في رجائه، وخلا بربه متوجها إليه في صلاته كان نتيجة ذلك أن نادته الملائكة تبشره بإجابة دعائه وتحقق رجائه.

٧٣٢- تفيد روعة الأسلوب عندما بدأ بالفاء في قوله: ﴿فَنَادَتْهُ﴾ إيذاناً بسرعة الإجابة لدعاء زكريا ﵇؛ إذا وافق ساعة إجابة دل على ذلك ورود فاء التعقيب.

٧٣٣- فيها التعبير عن البشرى بالنداء كأنه يشير إلى نداء من بعيد، تعبيرا عن فرح الملائكة العظيم باستجابة الدعاء.

٧٣٤- فيها بث للبشارة بأبلغ صورة، فقد كانت بالنداء لا بالوحي، ليغمر جو السعادة المكان عموما، وكأني بالبشارات العظيمة تتحقق في محراب العبادة والمناجاة، وأنه المكان الأمثل لتلقي البشارات.

٧٣٥- تفيد إثبات الإيمان بالملائكة، وهو ركن من أركان الإيمان.

٧٣٦- تفيد الرد على الفلاسفة الذين قالوا: الملائكة هي قوى الخير في النفوس وليست أجساما، ففي الآية أن الملائكة أجسام وأنهم يتكلمون.

٧٣٧- تفيد استحباب البشارة بما يسر.

٧٣٨- فيها بيان عظيم عطاء الله تعالى الذي يدهش بعطائه، فقد أعطاه الولد، وتفضل عليه بالاسم من لدنه، فكان اسمه بشارة فوق البشارة، فالرحم العاقر سيحيي بهذا الغلام، والغلام سيكون شأنه عظيماً، فيحيي القلوب بوعظه، ويسود القوم بعلمه وحكمته وصلاحه، وأثره حيٌّ وذكره باقٍ، وها نحن نذكره ونثني عليه ونسلم عليه، عليه الصلاة والسلام.

٧٣٩- فيها عظمة هذه البشارة، فأي: بشارة أعظم من هذا الولد الذي حصلت البشارة بوجوده، وبكمال صفاته، وبكونه نبيا من الصالحين.

٧٤٠- فيها بيان عظم المنة على زكريا عليه السلام وحجم السعادة والبشر الذي وقع على نفسه بتلك البشارة.

٧٤١- فيها ما جبل الله عليه الخلق من حب الولد والبشارة به.

٧٤٢- فيها مكانة الصلاة وأنها مفتاح كل خير ومغلاق كل شر. فالصلاة في المحراب إقبال على الله بأعظم العبادات وتلقٍ للبشارة بأطيب المرغوبات.

٧٤٣- فيها إشارة إلى أن المحراب موضع الاتصال بالرحمن، ومحاربة الشيطان.

٧٤٤- فيها تنبيه إلى فضل القيام بين يدي الله سبحانه وتعالى.

٧٤٥- تفيد أن القيام في الصلاة مطلوب والتطويل فيه مندوب.

٧٤٦- تفيد أهمية الاستمرار والاجتهاد في العبادة حتى الموت فزكريا عليه الصلاة والسلام رجل طاعن في السن قد وهن منه العظم ورغم ذلك ما وهن منه العزم يقوم في محرابه متبتلاً متضرعاً فما شأن الشباب النائمين؟!

٧٤٧- فيها أن القيام ركن في الصلاة المفروضة، مع القدرة.

٧٤٨- تفيد أن الصلاة كانت مفروضة في جميع الشرائع.

٧٤٩- فيها إشارة إلى أن الحياة الحقيقية تتمثل بالروح، وباستمرار أثر صاحبها.

٧٥٠- فيها ما كان عليه يحيي عليه السلام من التصديق بكلمة من الله وهو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، والسيادة على قومه، والمكانة والمنزلة العالية، وترك الذنوب والشهوات الضارة.

٧٥١- تفيد أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كان بالكلمة وليس إلهاً.

٧٥٢- تفيد جواز إطلاق السيادة على غير الله تعالى. أما السيادة المطلقة فمن حق الله تعالى وحده لحديث: [إنما السيد الله تبارك وتعالى].

٧٥٣- تفيد أن الأنبياء هم سادة الناس.

٧٥٤- تفيد فضل وأهمية وشرف أن يكون الإنسان من الصالحين، لأن الصالح من أدى حقوق الله وحقوق العباد، وقد كان يحيي عليه السلام وجميع الأنبياء كذلك.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

٧٥٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما جاءت الآية السابقة ببشارة الله لزكريا عليه السلام بالولد مع كبر سنه وعدم صلاح زوجه للحمل والوضع، جاء في هذه الآية وصف لحاله مع هذه البشارة، وتثبته من ربه إذا كان الولد منه ومن زوجه على حالهما هذه، أم غير ذلك من الأسباب.

٧٥٦- في الآية مع ما قبلها أن دعاء زكريا عليه السلام كان في عالم التبتل والانصراف عن الدنيا والإقبال على الله، وغاب عن عالم الأسباب، فلما جاءته بشارة إجابة طلبه، تذكر الأسباب وكأنه من عظيم دهشته، أراد التعرف على كرامته والتعرف على ماهيتها، هل سيكون له يد فيها، أم أنها محض هبة وفضل من الله سبحانه.

٧٥٧- فيها أن الآية جاءت من باب التعجب وليس الشك في صدق الوعد ﴿أَنَّىٰ﴾ أمران: كبر السن، وعدم الإنجاب، الذي يتعذر معهما الولادة.

٧٥٨- فيها تأكيد على عظمة الله الخالق سبحانه، وكمال تصرفه بالخلق.

٧٥٩- تفيد عدم الركون إلى الأسباب، والتعلق بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى.

٧٦٠- فيها إظهار لأهمية الدعاء وأثره في تحقيق كل مطلوب، مهما عسُر أمره، وانعدمت أسبابه.

٧٦١- تفيد إثبات الصفات الفعلية لله ﷻ فهو الفعال لما يريد.

٧٦٢- تفيد إثبات المشيئة لله ﷯ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

٧٦٣- تفيد أن الصبر مع الزوجة العاقر من خلق الأنبياء.

٧٦٤- تفيد أن الاعتقاد بكمال قدرة الله تعالى يحسم كل جدال في التعلق بالأسباب فما أجمل هذا الختام؛ أن هذا أمر الله ﷻ الذي لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر، حتى لا يكثر الكلام والتساؤل والتعجب.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[آل عمران:٤١].

٧٦٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما استقر في نفس زكريا ؑ الثقة بأن هذا محض فضل من الله وهبة منه سبحانه فقد اختصه الله بهذه الكرامة رغم عدم الأسباب، جاء في هذه الآية طلبه ؑ لعلامة يعلم بها الوقت الذي تتحقق فيه البشارة، ليزداد فرحاً بمباشرة هذه البشارة والتحقق من وقوعها، ذلك أن البشارة معناها: موعود بخير يأتي بعد حين، فسأل ربه علامة على تعيين هذا الوقت ليتلقى النعمة بالشكر. فحُبس لسانه عن التلفظ إلا بالشكر.

٧٦٦- تفيد أن الآيات تزيد من إيمان العبد بصدق موعود الله تعالى، فالطلب هنا بأن يجعل له علامة على وجود الولد ليس شكاً وحاشا أن يكون كذلك وإنما أبلغ في الحجة.

٧٦٧- تفيد توالي كرامات هذا النبي الكريم، فقد جعل له علامة حمل زوجته أن يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة أيام إلا رمزا، ويبقى على ذكره لله ﷻ.

٧٦٨- فيها أن من الآيات العظيمة أن لا يتكلم ثلاثة أيام إلا إشارة ورمزا ما عدا ذكر الله وشكره فهو بصوته، فالأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره سبحانه.

٧٦٩- فيها أن من إيجاد الأسباب الأمر له بالشكر والإكثار من ذكره ﷯ بالعشي والإبكار.

٧٧٠- فيها تأكيد على رفعة زكريا ؑ وقربه من ربه ﷯.

٧٧١- فيها إظهار لعظيم امتنان العبد الصالح زكريا ؑ ومداومته على شكر ربه سبحانه وذكره.

٧٧٢- تفيد أن الإشـــارة باليد أو الرأس يعد نوعاً من أنواع الكلام، وتترتب عليه الأحكام كمن يشير بالموافقة أو الرفض بخصوص الأيمان أو النكاح أو الطلاق وغير ذلك.

٧٧٣- فيها إشارة للاهتمام بصنف من الناس قد انقطعوا عن الدنيا فلا يستطيعون التواصل والتعبير عما في نفوســهم، ففقدوا الســمع أو فقدوا الســمع والنطق، فيُعَلّمُون لغة التخاطب بالإشارة.

٧٧٤- في قوله ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ ﴾ تذكير بربوبية الله ﷻ وأن من تربيته لعباده إمدادهم بالنعم من الأموال والبنين وغيرها، وتنبيه العباد إلى الإكثار من ذكره، وإلى أنه المســتحق للعبادة وحده لا شريك له.

٧٧٥- فيها تأكيد على دوام ذكر العبد لربه ﷻ، في كل الأوقات وعلى كل حال – الا ما استثني –.

٧٧٦- تفيد فضل كثرة الذكر وخصوصاً التسبيح.

٧٧٧- تفيد فضل التسبيح لتخصيصه بعد الأمر بالذكر عموماً.

٧٧٨- تفيد تأكد الذكر والتسبيح في الصباح والمساء.

٧٧٩- فيها تأكيد على اسـتجابة دعاء الصـالحين، وتوالي الخيرات والهبات، بسـبب خالص وصالح الدعوات.

قـال تـعـالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٤٢].

٧٨٠- تفيد مناســبة ظاهرة لما قبلها فلما فرغ مما للكافل بعد ما نوّه بأمر المكفولة بياناً لاستجابة الدعاء من أمها لها، أعاد الإشارة بذكرها والإعلام بعليِّ قدرها.

٧٨١- يفيد خطاب الملائكة لمريم عليها الصلاة والسلام عظم شـأنها ورفعة درجتها عند ربها سبحانه، حيث جاء الإخبار الملائكة لها بأن الله اصطفاها وطهرها هو بشارة لها بهذه الدرجة العظيمة.

٧٨٢- تفيد إثبات الملائكة، والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان.

٧٨٣- تفيد أن النفوس الكريمة العبادة هي التي تتأهل لاصطفاء الله تعالى.

٧٨٤- تفيد أن من اهتدى وطهر فهو بفضل الله تعالى ورحمته.

٧٨٥- تفيد أهمية اقتداء النساء بهذه المرأة الصالحة العابدة التي اصطفاها الله تعالى وطهرها على نساء العالمين.

٧٨٦- تفيد منزلة العفة والطهر والتستر والعفاف للمرأة وهي من الأعمال العظيمة.

٧٨٧- تفيد الرد على الفلاسفة الذين قالوا: الملائكة هي قوى الخير في النفوس وليست أجساما، ففي الآية أن الملائكة أجسام وأنهم يتكلمون.

٧٨٨- تفيد جواز وإمكان مخاطبة الملائكة لغير الأنبياء.

٧٨٩- تفيد أن الله ﷻ يصطفي ويختار من يشاء من خلقه.

٧٩٠- فيها بيان مكانة مريم عليها السلام عند الله تعالى وأن الله قد اصطفاها على نساء العالمين.

٧٩١- في الآية اصطفاءان وتطهير، فالأول مطلق لبيان أنه قد حصل لها الاصطفاء والثاني اصطفاء خاص على نساء العالمين في زمانها.

٧٩٢- فيها رد على اليهود قبحهم الله في اتهامها عليها السلام، فإن الله قد طهرها من كل دنس وفاحشة﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ فهو على مستوى عالي من الطهارة.

٧٩٣- تفيد كمال وطهر هذه المرأة الصالحة، وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتَ عِمْرَانَ وَآسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». رواه البخاري.

قال تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[آل عمران:٤٣].

٧٩٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما ذكر الله ﷻ في الآية السابقة اصطفاء مريم عليها السلام، وما اختصها به من التكريم ورفع المنزلة، جاء في هذه الآية التوجيه لها لتشكر المنعم الواهب على هذه المنَّة.

٧٩٥- تفيد التأكيد على فضل مريم عليها السلام وعظيم منزلتها.

٧٩٦- تفيد الترغيب في طول القيام في الصلاة.

٧٩٧- تفيد أن القيام ركنٌ في الصلاة؛ لأن القنوت يأتي بمعنى القيام، كما في الحديث: أفضل الصلاة طول القنوت. رواه مسلم وغيره.

٧٩٨- تفيد الترغيب في دوام واستمرار الإنسان على الطاعة لأن القنوت في اللغة: دوام الطاعة.

٧٩٩- تفيد قاعدة قرآنية تتكرر كثيرا وهي أن توحيد الربوبية يقتضي ويدل على توحيد الألوهية.

٨٠٠- تفيد التأكيد على إخلاص الطاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٨٠١- تفيد التأكيد على مقابلة الإنعام بالشكر، وكلما ازدادت النعم لزم زيادة الشكر لأجلها.

٨٠٢- فيها إشارة إلى أن الإنعام تودد من الله للعبد وتقريب له من ربه، والشكر اعتراف بالفضل من العبد لخالقه فيتقرب إليه بما يحب، فكان أفضل ما يشكر به العبد هو الصلاة، ويشهد لذلك قوله لنبيه ﷺ بعد أن امتن عليه بالعطاء العظيم والخير العميم ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢].

٨٠٣- تفيد أن السجود والركوع من أركان الصلاة.

٨٠٤- فيها ذكرٌ لصلاتين: صلاتها منفردة، وصلاتها مع الجماعة. عبر عن صلاتها لوحدها بالسجود، وعبر عن صلاتها مع الجماعة بالركوع. فيعبر عن الصلاة بركعاتها، فيقال: ركعت ركعتين، أي صليت ركعتين، وفي هذا أيضا إشارة إلى أن صلاة الجماعة تدرك بإدراك ركعة منها.

٨٠٥- فيها إشارة إلى أن الإنسان إذا صلى لنفسه يطيل القيام ويطيل السجود، أما إذا صلى في الجماعة، فيصلي بحسب إمامه.

٨٠٦- تفيد وجوب صلاة الجماعة؛ لأن مريم عليها السلام كانت لها خاصية لم تكن كغيرها من النساء؛ فإن أمها نذرتها أن تكون محررة لله ولعبادته ولزوم المسجد وكانت لا تفارقه، فأمرت أن تركع مع أهله، فلما اصطفاها الله وطهرها على نساء العالمين أمرها من طاعته بأمر اختصها به على سائر النساء.

٨٠٧- تفيد أن صلاة الجماعة كانت في شرع من قبلنا.

٨٠٨- تفيد أن المعية لا تقتضي المخالطة.

٨٠٩- تفيد أن الواو لا تفيد الترتيب.

٨١٠- تفيد دعوة الإسلام إلى العمل الجماعي.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ [آل عمران:٤٤].

٨١١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد ذكر كل ما سلف من الآيات والأخبار العجيبة، جاء في هذه الآية التأكيد على أن كل ما سبق إنما هو وحي أوحاه الله إلى نبيه الخاتم ﷺ.

٨١٢- فيها دليل على نبوة النبي الخاتم ﷺ.

٨١٣- فيها تأكيد على أن القرآن وحي من عند الله سبحانه وتعالى.

٨١٤- تفيد أن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى.

٨١٥- تفيد أن الحديث عن الغيب لا يكون إلا من الله تعالى.

٨١٦- تفيد أن هذا الوحي مشتمل على كثير من أنباء الغيب الصادقة الموافقة لما عند أهل الكتاب من حق.

٨١٧- فيها إشارة إلى أن النبي ﷺ لا يعلم من الغيب الا ما أوحاه الله إليه، فمن دونه من باب أولى.

٨١٨- فيها تعزيز الحجة بتكرار نفي حضوره في بعض التفاصيل الدقيقة من خبر آل عمران مع ابنتهم مريم عليها السلام.

٨١٩- فيها إقامة الحجة على أهل الكتاب، بإعلامه ﷺ أدق التفاصيل التي لا يعلمها إلا الخاصة من الأحبار والرهبان.

٨٢٠- فيها بلاغة القرآن وجمال التصوير، حيث يضع القارئ في صورة الحدث، وكأنه يشاهده عياناً.

٨٢١- تفيد جواز استعمال القرعة عند المشاحة وهي أصل في شرعنا لكل من أراد العدل في القسمة.

٨٢٢- دلت الآية على أن الخالة أحق بالحضانة من سائر القرابات ما عدا الجدة.

قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:٤٥].

٨٢٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد ما جاء من التأكيد على أن كل ما سبق من الأخبار العجيبة إنما هو غيب أوحاه الله إلى نبيه الخاتم ﷺ، جاء في هذه الآية تتمة الإخبار بالغيب، أي ومن الغيب بشارة الملائكة لمريم عليها السلام للوصول إلى حقيقة ولادتها العجيبة، وإثبات بشرية ولدها، ونفي الادعاء بألوهيته.

٨٢٤- فيها مزيد عناية بالنبي الخاتم ﷺ بإخباره بكل ما يحتاج إليه لمحاجة الضالين المضلين.

٨٢٥- تفيد إثبات الملائكة، وأن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان.

٨٢٦- تفيد الرد على الفلاسفة الذين قالوا: الملائكة هي قوى الخير في النفوس وليست أجساما، ففي الآية أن الملائكة أجسام وأنهم يتكلمون.

٨٢٧- تفيد جواز وإمكان مخاطبة الملائكة لغير الأنبياء.

٨٢٨- فيها استحباب البشارة وكل ما يدخل السرور في قلب المؤمن.

٨٢٩- تفيد بيان قدرة الله ﷻ وعظمته.

٨٣٠- تفيد أن المسيح عيسى عليه السلام خلق بكلمة [كن].

٨٣١- تفيد إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى.

٨٣٢- فيها تكريم لمريم عليها السلام ولوليدها صاحب الشأن العظيم.

٨٣٣- فيها إشارة إلى أن تسمية الأنبياء والمرسلين يتولاها الله رب العالمين، كما مر بخصوص يحيى عليه السلام، وكذلك تسمية نبينا الكريم ﷺ، الذي حصل برؤيا لجده عبد المطلب.

٨٣٤- فيها التأكيد على بشرية عيسى عليه السلام، بنسبته لوالدته.

٨٣٥- فيها تكريم لعيسى عليه السلام وبيان لقرب منزلته من ربه سبحانه وتعالى.

٨٣٦- فيها جواز نسبة الابن لأمه إذا كان بغرض التعريف لا التعريض.

٨٣٧- فيها تأكيد على تكريم الوجه، وأن الوجيه هو من جعل الله له وجاهة.

٨٣٨- تفيد إثبات الآخرة وتفاوت درجات الناس فيها.

قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٤٦].

٨٣٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد ما جاء من البشارة بعيسى عليه السلام، جاء في هذه الآية تتمة الإخبار عن أوصاف هذه البشارة بما يحمل مريم عليها السلام على الثبات، وتأكيد معية الله ورعايته لها بأنه ﷻ سيجعل هذا الطفل حجتها ودفاعها.

٨٤٠- فيها تثبيت لقلب مريم عليها السلام وتأييد لها أمام قومها بخطاب الطفل لهم وكلامه معهم.

٨٤١- تفيد إثبات معجزة عيسى عليه السلام وعناية الله به في جميع أحواله ومراحل حياته.

٨٤٢- تفيد التأكيد على أن الله عز وجل يدافع عن الذين آمنوا، ويهيئ الأسباب لذلك من عنده سبحانه.

٨٤٣- فيها تكفل الله تعالى بمريم العفيفة برد التهمة عنها.

٨٤٤- فيها بشارة لمريم عليها السلام بصلاح ولدها وعلو شأنه، وعظيم أثره في الناس.

٨٤٥- فيها بشارة بحياة هذا الطفل إلى أن يصبح كهلا، سواء أكان في وقت وجوده أو بعد نزوله إلى الأرض ثانية.

٨٤٦- فيها إظهار لعظيم عناية الله تعالى بمريم الصالحة لفرط صلاحها، وعظيم تقواها وقرب منزلتها من ربها، فضلا عن إجابة دعوة أمها لها.

٨٤٧- فيها بشارة بنبوة عيسى عليه السلام وتمهيد لذلك أمام قومه.

٨٤٨- فيها دليل على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان فإنه كلم الناس في المهد وبقي كلامه في الكهولة.

٨٤٩- فيها بيان لفضل عيسى عليه السلام وأنه من الصالحين المقربين، وفي هذا ردٌ على اليهود الذين كذبوه وطعنوا فيه وفي نبوته.

قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧].

٨٥٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما جاءت البشارة بعيسى عليه السلام، وصفاته وما معه من المعجزات المؤيدات، جاء سؤال الواثقة من ربها المطمئنة لتقديره بعدما اطمأنت إلى أن البشارة منه برسول أرسله هو، سألت كما سأل من تربت في حجره من قبل، فجاءها الجواب من العليم القدير.

٨٥١- فيها قوة توحيد مريم عليها السلام فالملائكة هي من أتتها بالبشرى وهي من تحاورها لكنها عند الخطاب قالت ﴿رَبِّ﴾.

٨٥٢- تفيد أن طلب ما تطمئن به النفس على كمال قدرة الله تعالى لا يدخل في الشك أو الاعتراض على الله تعالى.

٨٥٣- تفيد بيان عظيم قدرة الله ﷻ على الخلق والإيجاد.

٨٥٤- فيها إثبات لنبوة عيسى عليه السلام وتأييده بالمعجزات منذ ولادته.

٨٥٥- فيها دليل على كمال تصرف الله ﷻ بالخلق.

٨٥٦- فيها أن معجزة مريم عليها السلام أبلغ من معجزة نبي الله زكريا عليه السلام، وفي ذلك تكريم للأم التي حرصت على صلاح ابنتها فنذرتها لبيت الله وابنتها المنزورة التي حرصت على كل ما يقربها من الله ﷻ. ففي ولادة يحي عليه السلام جاءت إجابته سبحانه لتساؤل زكريا عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾، وفي ولادة عيسى عليه السلام جاءت إجابته لمريم عليها السلام ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ ففي ولادة يحي عليه السلام ناسب لفظة ﴿يَفۡعَلُ﴾، من [الفعل]، ذلك أن سبب الولد متوفر [الزوج والزوجة]، وليس هنالك من أسباب تحول دون تنفيذ مشيئة الله، أما في حال ولادة عيسى عليه السلام، فهو سيولد من أم دون أب، والأمر في هذه الحالة يحتاج إلى مزيد إبداع؛ ليتحقق وجود هذا الولد، فلا أنسب ولا أدق من لفظة ﴿يَخۡلُقُ﴾من [الخلق]، ولذلك جاء ختم الآية بقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

٨٥٧- قضاء الله فيما يشاؤه قد لا تتصوره بل تستحيله لكن الله على كل شيء قدير.

٨٥٨- ليس بالضرورة أن تكون أقدار الله فيما تتصوره فقد يقدر عليك ما قد تعجب منه، فتضرع إليه واستسلم لحكمه.

٨٥٩- قد يقدر الله عليك ما لا تتصور وقوعه ولا تبتغيه فيتحقق لك من الخير ما لا تتصوره وأعظم مما ابتغيت.

٨٦٠- تفيد أن العبد يدعو بما شاء مما ينقصه وإن خاله مستحيلاً. فالمستحيل عندك عند الله يسير.

٨٦١- تفيد أن العبد لا يعتمد على الأسباب ويظن أن وراءها مؤصدة الأبواب.

٨٦٢- فاء التعقيب تدل على أن مراد الله ﷻ يكون بعد النون وليس بين الكاف والنون كما يقوله البعض خطأً.

قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:٤٨].

٨٦٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما أجاب الله تعالى الطاهرة مريم عليها السلام عما شغل قلبها، شرع في إكمال وصف وليدها المبارك.

٨٦٤- فيها دليل على عظيم أهمية العلم، وأنه من أهم مقومات الرسل والمصلحين.

٨٦٥- فيها إشارة إلى أن العلم يدعو إلى اتباع الرسل حيث أن الرسل يضعون الأمور في موضعها الذي تستحق بحكمتهم. ولذلك استحقوا أن يكونوا القدوة.

٨٦٦- تفيد أن العلم هبة ومنحة من الله العليم الحكيم.

٨٦٧- فيها إشارة إلى أهمية العلم بالخط والكتابة.

٨٦٨- تفيد أن الكتابة من أعظم نعم الله ﷻ على عباده. فإن كانت اللام في الكتاب للعهد فالتوراة والإنجيل بدل منه. وإن كانت للجنس فمعناه الكتابة. وينتج عن ذلك أن الكتابة والحكمة يمكن أن تكتسبا.

٨٦٩- فيها إشارة إلى العلم ينبغي أن تظهر ثمراته في القول والعمل.

٨٧٠- تفيد أهمية تعلم وتدارس واستخراج هدايات الكتاب المنزل من عند الله ﷻ.

٨٧١- تفيد أهمية معرفة حِكَم وأسرار الشرع. وهو مما امتن الله ﷻ به على عيسى عليه السلام.

٨٧٢- فيها إثبات تأييد الله لرسله وتعليمهم كل ما يحتاجون إليه في دعوتهم.

٨٧٣- تفيد الامتنان على عيسى عليه السلام بتعليمه الكتابة والعلم والحكمة، وهذا هو الكمال للإنسان في نفسه.

٨٧٤- تفيد أن رسالة عيسى عليه السلام مكملة لما قبلها وليست ناسخة لها.

٨٧٥- تفيد بيان فضل التوراة والإنجيل وأنها من عند الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:٤٩].

٨٧٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما ذكرت الآية السابقة الرسالة والكتاب الذي أنزله الله عليه، ناسب ذكر القوم الذين أُرسل إليهم، مع ذكر الآية الدالة على صدقه وأنه مرسلٌ من ربه.

٨٧٧- تفيد أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وليس إلهاً.

٨٧٨- تفيد أن الخلق يطلق بمعنى التصوير والتقدير وهو المنسوب لعيسى عليه السلام في هذه الآية، وأما الإيجاد من عدم فهو لله عز وجل وحده.

٨٧٩- تفيد أن رسالة عيسى عليه السلام خاصة إلى بني إسرائيل وليست عامة.

٨٨٠- تفيد كثرة الآيات التي أيّد الله عز وجل بها عيسى عليه السلام.

٨٨١- فيها دلالة على علو منزلة رسول الله عيسى عليه السلام وما ناله من الله تعالى من عظيم الفضائل.

٨٨٢- فيها تأكيد على أن بني إسرائيل لا يؤمنون إلا بالأمور المادية.

٨٨٣- فيها تأكيد على لطف الله عز وجل بعباده، وعطفه عليهم باستخدام كل أسلوب من شأنه أن يدعوهم للإيمان وإجابة دعوة رسولهم.

٨٨٤- فيها دليل على أن كل من يرسله الله تعالى من البشر، يرسل معه من الآيات المعجزات ما يثبت أنه مرسل من ربه.

٨٨٥- تفيد تناسب معجزات الرسل والأنبياء مع حال من بعثوا إليهم، فلما برع أهل ذلك الزمان في الطب والتداوي جاءت معجزة عيسى عليه السلام من جنس ذلك.

٨٨٦- تفيد أن الذي يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى هو الله عز وجل.

٨٨٧- تفيد إثبات الإذن لله سبحانه وتعالى. وإذنه كوني أو شرعي.

٨٨٨- فيها دليل على صدق القرآن، الذي أثبت الله فيه لعيسى عليه السلام أنه يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص.. ولم يخفي شيئا منها لأنها من الله الخالق سبحانه الذي أنزل الكتاب بالحق.

٨٨٩- تفيد أن الآيات والمعجزات تقود إلى الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران:٥٠].

٨٩٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما ذكرت الآية السابقة الآيات الدالة على صدقه وأنه عبد الله، مرسل من ربه، يأتي في هذه الآية تأكيد أنه عبد الله وإنما هو مصدق لما بين يديه من الرسالات قبل أن يأتيهم، فهو مصدق لما نزل على أخيه موسى عليه السلام من التوراة، وبهذا يكون امتداداً للرسل الذين جاءوا مبلغين عن ربهم داعين إلى طاعته ورضوانه.

٨٩١- فيها مزيد تأكيد على أن عيسى عليه السلام بشر، وأنه نبي مرسل كما هو الحال مع غيره من الأنبياء.

٨٩٢- تفيد أن عيسى عليه الصلاة والسلام جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة ولو كان اليهود أهل استقامة لآمنوا به واتبعوه لأنه مصدق لكتابهم ولكنهم كفروا به وحاولوا قتله لأنهم حريصون على تحريف كتابهم كما تشتهي أنفسهم.

٨٩٣- تفيد أن علامة الصادق أن يكون خبره من جنس خبر الصادقين، يخبر بالصدق، ويأمر بالعدل من غير تخالف ولا تناقض، بخلاف من ادعى دعوى كاذبة، خصوصاً أعظم الدعاوى وهي دعوى النبوة، فالكاذب فيها لابد أن يظهر لكل أحد كذب صاحبها وتناقضه ومخالفته لأخبار الصادقين وموافقته لأخبار الكاذبين.

٨٩٤- تفيد إثبات التوراة وأنها من كتب الله عز وجل المنزلة.

٨٩٥- تفيد أن عيسى عليه الصلاة والسلام جاء بتخفيف بعض الآصار والأغلال التي أثقلت كاهل بني إسرائيل بسبب ظلمهم.

٨٩٦- فيها مزيد تأييد لنبي الله عيسى عليه السلام بأن يحل لهم بعض الذي حرم عليهم، وإنما كان ذلك رجاء إجابتهم دعوته وعدم التلكؤ والتحايل والمحاججة بالباطل والتكذيب كما هي عادتهم.

٨٩٧- تفيد أن عيسى عليه الصلاة والسلام جاء بالبينات الدالة على صدق نبوته وأنه رسول من عند الله تعالى وعرف بنو إسرائيل ذلك لكنهم أصروا على ما هم عليه من الباطل والضلال.

٨٩٨- فيها تسليةٌ للنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم وتثبيتٌ لقلبه؛ بذكر حال من سبقه من إخوانه المرسلين مع أقوامهم، فعيسى عليه السلام ومع كل هذه الآيات، وتلطفه معهم وتخفيفه من الأحكام عنهم إلا أنهم كفروا به.

٨٩٩- فيها دليل على أن الرسالة المتأخرة ناسخة للرسالة المتقدمة مع أنها مصدقة لها.

٩٠٠- تفيد حرص الشريعة على ما فيه إصلاح العباد وذلك بتيسير الأحكام ونسخها؛ رعاية للمصلحة والإصلاح.

٩٠١- تفيد أن آيات الله عز وجل تحمل من آمن بها على تقوى الله سبحانه وتعالى وطاعته.

٩٠٢- تفيد الأمر بتقوى الله ﷻ وهي وصية الله ﷻ لمن قبلنا أيضاً.

٩٠٣- تفيد أن الرسل يجب أن يُطاعوا ويُتبعوا.

٩٠٤- تفيد أن طاعة الرسول طاعة لله ﷻ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران:٥١].

٩٠٥- تفيد مناســبة ظاهرة لما قبلها فبعد ذكر ما أجرى الله ﷻ على يديه من الآيات الباهرات وأعطاه المؤيدات المقنعات التي افتتن بها بعض الناس فأنزلوه منزلة الإله أو ابن الإله، جاء في هذه الآية تأكيده على أنه عبد مربوب، كما هو الحال بالنسبة لهم، ويدعوهم لعبادة الله ﷻ وحده كما يعبده هو، فطلب منهم طاعته بأن يعبدوا معه الإله الخالق ويستقيموا على أمره.

٩٠٦- فيها مع ما قبلها أن إظهار الآيات الدالة على صدق النبي تستدعي سرعة الاستجابة له ولرسالته.

٩٠٧- تفيد أنه خاطبهم ﵇ بالربوبية لينفي أنه ابن الله ﷻ.

٩٠٨- تفيد التنزل مع الخصم والابتداء معه من الثوابت والقواسم المشتركة.

٩٠٩- تفيد الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلاهية [توحيد العبادة].

٩١٠- تفيد أن الصراط المستقيم هو تحقيق توحيد العبادة لله رب العالمين.

٩١١- تفيد أن من عَبَد الله مخلصاً له الدين فهو على الجادة المستقيمة.

٩١٢- تفيد أن طريق الاستقامة هو طريق العبودية الخالصة لله وحده.

٩١٣- تفيد أن دعوة الرسل جميعاً هي الأمر بتوحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة.

٩١٤- تفيد أن العبد الصالح إذا أجرى الله على يديه معجزات أو امتن عليه بكرامات؛ يزداد تعظيما لخالقه، ويخضع وينكسر بين يديه ويخلص له العبادة.

٩١٥- فيها تذكير للخلق بحق الخالق من الشكر على عظيم نعمائه، وذلك بعبادته وحده.

٩١٦- فيها ردٌ على النصارى الذين قالوا: عيسى إله أو ابن إله نعوذ بالله من الخذلان.

٩١٧- فيها تأكيد على أنه عبد مربوب لخالق عظيم مدبر، لأنه قال: ﴿ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ ولم يقل: ربنا.

٩١٨- فيها تأكيد على أن عيسى ﵇ من جملة الأنبياء الذين أرسلهم الله برسالاته وأيدهم بمعجزاته.

٩١٩- تفيد أن صـــدق الداعية في دعوته يتأكد عندما يدعو إلى توحيد الله وتعظيمه، ولا يدعو لنفسه أو لمصالحه الشخصية أو غير ذلك.

٩٢٠- تفيد أن طريق الحق واحد ومستقيم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢].

٩٢١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد ذكر ما جاءهم به من البينات والدلائل على صدقه وصـــدق ما جاء به من ربه، وصـــدقه قوم وكذبه آخرون عمد المكذبون إلى الكفر والكيد به وبدعوته وأرادوا به شـرا، فجاءت هذه الآية تبين أن عيســى عليه السلام لما ظهر له كفرهم ومعاداتهم خاطب الأنصار ليكمل معهم المسير إلى الله ورضوانه.

٩٢٢- فيها مع ما قبلها إظهار لبلاغة القرآن الذي اختصـر المســافات، ونقل المشــهد من الكلام في المهد إلى كلام الكهولة.

٩٢٣- تفيد أن الداعية يجب عليه أن يكون كيساً فطناً عالماً بواقعه وما يدور حوله.

٩٢٤- فيها كشف لعوار بني إسرائيل وبيان أنهم قوم غدر وخديعة.

٩٢٥- تفيد أن المناصر إذا لم تكن نصرته لله فلا فائدة منها.

٩٢٦- فيها تأكيد على أن الدعوة لا بد لها من قوة تحميها، وتنصــــر الدعاة وتدفع عنهم الأذى.

٩٢٧- فيها بيان ما قاساه عيسى عليه السلام من الشدائد وما وقع عليه من المصائب، وفي ذلك تسلية لمن يسير على طريق الرسل عليهم السلام.

٩٢٨- تفيد الاهتمام بمبدأ التصفية والتربية للأتباع وعدم الاهتمام بالكثرة.

٩٢٩- تفيد أنه عند الفتن يجب تمايز الصفوف وإن اقتضى ذلك ظهور تسميات لأهل الحق لم تكن معهودة من قبل.

٩٣٠- تفيد أن نصرة الله تقتضي شيئين أن تكون لله عز وجل وحده وأن يتبع الرسول المبعوث.

٩٣١- تفيد أن الواجب على المســلم نصـرة دين الله تعالى بكل ممكن، والله تعالى غني عنا ولكن يبتلينا ليأجر المستجيبين منا.

٩٣٢- تفيد أن الإيمان والتوحيد هو أول ما يؤمر به المكلف.

٩٣٣- تفيد أن من مقتضيات الإيمان الحق نصرة دين الله وأهله.

٩٣٤- تفيد فضيلة السبق والمسارعة إلى نصرة دين الله ﷻ.

٩٣٥- تفيد فضيلة الصدع بالحق والقوة في تأييد الرسل ونصرهم.

٩٣٦- فيها فضيلة ظاهرة لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريين.

٩٣٧- تفيد إثبات عبودية عيسى عليه السلام، وذلك بشهادة المقربين منه الذين اختارهم لنصرته، كما أن طلبه للنصرة دليل على بشريته.

٩٣٨- فيها إشارة إلى أن الانتصار يكون لله وحده والجهاد يكون في سبيل الله ﷻ.

٩٣٩- تفيد أن دين عيسى عليه السلام وأتباعه ودين الأنبياء جميعا هو الإسلام.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[آل عمران:٥٣].

٩٤٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد ذكر ما جاء من اعترافهم بالإيمان بالله، واختيارهم نصرة رسوله، وأشهدوا الرسول على إيمانهم واستسلامهم لأمر ربهم. جاء في هذه الآية ذكر مناجاتهم لربهم بإخلاص وتبتل للإعلان بتوحيده وإجابة دعوته واتباع رسوله.

٩٤١- فيها إشارة إلى قرب الله سبحانه وتعالى من عباده المؤمنين الصالحين، بدلالة سقوط ياء النداء.

٩٤٢- تفيد الدعاء بلفظ [ربنا] وهو الوارد في أكثر دعاء الأنبياء والصالحين في القرآن.

٩٤٣- فيها تأكيد على أن عيسى عليه السلام عبد مخلوق مرسل من ربه، وجاء ذلك بإقرار أقرب الناس إليه.

٩٤٤- فيها تنبيه إلى أن العبد في حال جهاده ومواجهته للأعداء؛ يستعين بالله ويتوجه إليه بخالص الدعاء.

٩٤٥- فيها دليل على أن الإيمان يتبعه العمل.

٩٤٦- فيها دليل على أن الشهادة النافعة هي الشهادة بوحدانية المرسِل وصدق المرسَل.

٩٤٧- تفيد أن أول واجب على المكلف هو الإيمان والتوحيد.

٩٤٨- تفيد علو الله سبحانه وتعالى على خلقه لأن النزول لا يكون إلا من علو.

٩٤٩- تفيد وجوب اتباع الرسول وعدم الابتداع في الدين.

٩٥٠- فيها فضيلة عظيمة لأمة محمد ﷺ إذ هم الشاهدون الذين دعا الحواريون ربهم أن يكتبهم معهم.

٩٥١- تفيد أن هذه الأمة تشهد للرسل أنهم بلغوا أممهم.

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤].

٩٥٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد ما ظهر لعيسى عليه السلام ممن كفروا به الكيد والترقب لقتله، وكلفوا من يغتاله غيلة، جاء التأكيد في هذه الآية أن الله تعالى عليم بمكرهم وغدرهم بنبيهم، حافظ لنبيه مدافع عنه.

٩٥٣- تفيد شدة مكر اليهود وسعيهم لقتل عيسى عليه السلام.

٩٥٤- تفيد أن المكر ابتداءً صفة ذم ومقابله صفة مدح.

٩٥٥- تفيد أن المكر منه المحمود ومنه المذموم.

٩٥٦- تفيد أن الأمة كلها لو اجتمعت على المكر فإن مكر الله تعالى هو الأنكى.

٩٥٧- فيها تأكيد على حفظ الله لعباده المؤمنين.

٩٥٨- في الآية بيان أن الله مطلع على ما يسر الخلق ويخفونه، محيط بمكر الماكرين.

٩٥٩- فيها إشارة إلى أن ما أصاب المؤمنين من شر من أعداء الله إنما هو بعلم الله، ولحكمة هو يعلمها، كرفع الدرجات للمؤمن ببلائه.

٩٦٠- فيها أن تدبير الله للخلق كله خير.

٩٦١- تفيد أن صفة المكر لا يوصف الله سبحانه وتعالى بها على سبيل الإطلاق وإنما على سبيل التقييد حيث تكون كمالاً.

٩٦٢- تفيد التعلق بالله عز وجل للنجاة من مكر الماكرين وكيد الكائدين.

٩٦٣- في التعبير باسم الفاعل دليل على ديمومة الحدث فكلما مكروا وجدوا الله تعالى بالمرصاد.

قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [آل عمران:٥٥].

٩٦٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد ما بينت الآية السابقة مكرهم بنبيهم والتربص به لقتله، جاءته في هذه الآية كرامة جديدة بحفظه ونجاته من هذا المكر، وذلك برفعه إلى السماء.

٩٦٥- تفيد إثبات القول والكلام لله عز وجل، وإثبات الصفات الفعلية له سبحانه وتعالى.

٩٦٦- في الآية تأكيد على أن الذين اجتهدوا للمنزلة العلية عند رب البرية يكرمون بها.

٩٦٧- تفيد أن الوفاة تطلق على النوم.

٩٦٨- فيها تكريم لنبي الله عيسى عليه السلام برفعه ومنحه طهارة خاصة.

٩٦٩- تفيد إثبات علو الله عز وجل على خلقه.

٩٧٠- قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جملة دالة على شؤم الكفر وأثره في سلب الطهارة من صاحبه حتى عاد الكافر بذاته شيئا يطهر الله منه نبيه ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام.

٩٧١- فيها إشارة ضمنية إلى ضرورة التطهر من الذين كفروا بالانصراف عنهم والبراءة منهم.

٩٧٢- فيها تأكيد على دفاع الله تعالى عن الذين آمنوا وحفظهم والعناية بهم.

٩٧٣- فيها مزيد تكريم لعيسى عليه السلام برفع منزلة أتباعه على غيرهم ممن كفروا.

٩٧٤- فيها تأكيد على أن المؤمن خير من الكافر، وأنه أعلى درجة منه.

٩٧٥- فيها إثبات يوم القيامة.

٩٧٦- فيها تسلية لمن وقع عليه ظُلم مادي أو معنوي، بوجود يومٍ الحَكَم العدل فيه هو الخالق سبحانه.

٩٧٧- تفيد أن المرجع والمآب إلى الله عز وجل وحده فلنستعد لذلك.

٩٧٨- تفيد أن الله عز وجل يحكم بين العباد يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٦].

٩٧٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما ذكر سبحانه ذلك اليوم الذي يفصل فيه بين العباد ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، جاء في هذه الآية تفصيل حكمه في حق كل منهم.

٩٨٠- بدء الآية بالوعيد لأن السياق في الرد على الكافرين من بني إسرائيل، وفضح جرائمهم في حق نبيهم.

٩٨١- فيها مزيد تأييد لنبي الله عيسى عليه السلام.

٩٨٢- تفيد أن الكفار يعذبون في الدنيا بعذاب شديد كالقتل والسلب وإزالة الملك وغيره.

٩٨٣- تفيد حقارة الدنيا من تسميتها [دنيا].

٩٨٤- فيها إشارة إلى سعة رحمة الله تعالى حيث قدم عذاب الدنيا لعله يكون سبباً في رجوعهم عن كفرهم، فينجوا من العذاب الأشد والأكثر إيلاماً في الآخرة.

٩٨٥- تفيد إثبات الحساب والجزاء في اليوم الآخر.

٩٨٦- تفيد إثبات الآخرة وشدة العذاب فيها.

٩٨٧- ذكر في الآية ﴿ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ وفي آية أخرى ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وفي آية ثالثة ﴿ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ولكل كلمة دلالتها فالعذاب الشديد من الشدة وهي القسوة وقوة الأخذ بالعذاب. والعذاب الأليم إشارة إلى الألم الواقع على المعذبين وأنه ألم لا يطاق. والعذاب المهين فيه إشارة إلى الإهانة والإذلال الذي يلقاه المعذبون من خلال التوبيخ والتقريع والتبكيت. فكيف بمن جمعت له كل أنواع العذاب؟!

٩٨٨- تفيد انتفاء النصير لأهل الباطل والكفر.

٩٨٩- في الآية وعيد شديد للذين كفروا.

٩٩٠- تفيد مع ما بعدها الجمع بين الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله عَجَّلَ.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٥٧].

٩٩١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما ذكر سبحانه في الآية السابقة ما يقع على الكافرين في ذلك اليوم، ذكر في هذه الآية ما يتعلق بالمؤمنين وما لهم في ذلك اليوم.

٩٩٢- فيها مع التي قبلها تأكيد على أن القرآن مثاني، فبعد ذكر أحوال الكافرين، جاء ذكر أحوال المؤمنين.

٩٩٣- فيها مع التي قبلها: الوعيد والنذارة للكافرين، والوعد والبشارة للمؤمنين.

٩٩٤- تفيد أن الإيمان إذا ذكر معه العمل الصالح فذاك للتصديق بالجنان وذا للعمل بالأركان.

٩٩٥- فيها تأكيد على أن العمل الصالح لازم من لوازم الإيمان.

٩٩٦- تفيد أن العمل يجب أن يكون خالصا لله ومتابعاً فيه النبي ﷺ.

٩٩٧- تفيد أن من استأجر أجيرا أوفاه أجرته وإلا كان ظالما.

٩٩٨- تفيد سعة فضل الله تعالى وكرمه وجوده على عباده المؤمنين من خلال مضاعفة الثواب وجعله وافيا.

٩٩٩- فيها إشارة إلى أدب رباني: وذلك بإيفاء الأجور لمن يعمل ويحسن في عمله.

١٠٠٠- تفيد أن الذي يعطي الأجور على الإيمان والعمل الصالح هو الله تعالى الذي يجب أن تخلص له الأعمال.

١٠٠١- تفيد عِظَم ثواب الإيمان والعمل الصالح حيث وصفه بقوله ﴿فَيُوَفِّيهِمۡ﴾ فهو وافٍ وكافٍ وغير منقوصٍ ولا مقطوعٍ ولا ممنونٍ.

١٠٠٢- تفيد أن العامل إذا لم يتقن عمله كان هذا منافياً للصلاح ويكون صاحبه ظالماً.

١٠٠٣- تفيد الترغيب في الإيمان والعمل الصالح والتنفير من الكفر والفسوق والعصيان بدلالة السياق.

١٠٠٤- تفيد أن الفلاح مرهون بالإيمان الذي هو مسائل الاعتقاد والعمل الصالح الذي هو العبادات والمعاملات.

١٠٠٥- تفيد أن الله تعالى لا تضيع عنده حسنة ولا يظلم عنده أحد.

١٠٠٦- تفيد بغض الله ﷻ للظالمين.

١٠٠٧- فيها تأكيد على ذم الظلم.

١٠٠٨- تفيد محبة الله تعالى للعادلين المستقيمين.

١٠٠٩- تفيد إثبات الحب والبغض لله تعالى، وكلٌ له متعلقاته.

١٠١٠- تفيد أن الكفر بالله تعالى من أعظم أنواع الظلم الذي يبغضه الله تعالى.

١٠١١- تفيد بغض أهل الإيمان للظلم بكل صوره، لأن ما لا يحبه الله ﷻ لا يمكن أن يحبه المؤمن.

١٠١٢- فيها أن المرائي بعمله وقع في الظلم ومن عمل عملا لم يأمر به الله وقع في الظلم.

١٠١٣- فيها إشارة أن عدم صلاح العمل وعدم الحرص على الإحسان فيه، من الظلم المذموم.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:٥٨].

١٠١٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فكل ما ذكر في شأن آل عمران ومريم وعيسى عليهم السلام وما كان من معجزاته وخبره مع بني إسرائيل.. وهذه الأخبار المتتالية التي لم يكن للنبي الخاتم ﷺ علم بها، إنما هي تأييد من الله وتأكيد على صدقك وصدق رسالتك.

١٠١٥- فيها دليل على عِظَم منزلة نبينا محمد ﷺ وتأييد الله ﷻ ورعايته له.

١٠١٦- فيها دليل على أن محمدا ﷺ مرسل من ربه، وأن القرآن من عند الله ﷻ، فيه من الأخبار والحكم دلائل بينات وحجج مفحمات.

١٠١٧- تفيد أن القرآن الكريم حوى آيات بينة وبراهين عظيمة.

١٠١٨- فيها دليل على صدق القرآن بما يحمله من الأخبار الثابتة الدقيقة التي لا يمكن لمحمد ﷺ أن يأتي بها من قبل نفسه.

١٠١٩- فيها أن الله تعالى يوالي الأخبار للنبي الخاتم ﷺ عن عيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء، الخبر تلو الخبر؛ تأنيساً وتأييداً له.

١٠٢٠- تفيد أن القرآن يتلى ولا يقرأ مجرد قراءة كأي كتاب آخر.

١٠٢١- تفيد أن القرآن ذكر بل هو أعظم الذكر، وهو مذكر بما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة.

١٠٢٢- فيها أن القرآن محكم شديد الإحكام، من أن يتطرق إليه أي وجه من أوجه الخلل.

١٠٢٣- فيها إثبات وصفان عظيمان للقرآن العظيم: [ذكر] و[حكيم].

١٠٢٤- فيها إشارة إلى أن الأحكام تؤخذ من هذا الكتاب العظيم.

١٠٢٥- تفيد أن القرآن يحتوي على الحِكَم التي من شأنها أن تهدي الناس إلى ما يسعدهم متى اتبعوها.

١٠٢٦- تفيد الإرشاد إلى استنباط هذه الحكم واستخراجها من القرآن الكريم والانتفاع بها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩].

١٠٢٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلا تزال الآيات المؤيدات للنبي الخاتم تؤكد صدقه وصدق رسالته، وترد على الخصوم من وفد نجران وغيرهم.

١٠٢٨- في الآية مع ما قبلها في هذه السورة ذكر لثلاثة أصناف من الخلق:

١٠٢٩- الأول: مع وجود طرفي السبب وعجزهما [زكريا وزوجه عليهما السلام].

١٠٣٠- الثاني: مع عدم وجود أحد طرفي السبب [عيسى عليه السلام من غير أب].

١٠٣١- الثالث الأعجب: مع انعدام السبب [آدم عليه السلام].

١٠٣٢- فيها رد مفحم على من قال: بألوهية عيسى عليه السلام أو أنه ابن الله سبحانه وتعالى، فآدم عليه السلام الأعجب خلقة وتكوينا، اتفقتم على أنه عبد الله، فكذلك عيسى هو عبد الله أيضا.

١٠٣٣- فيها تأكيد على خصوصية خلق عيسى عليه السلام وأن خلقه معجزة خارجة عن مألوف البشر.

١٠٣٤- فيها تأكيد على عظيم خلق الله عز وجل لآدم عليه السلام، فمع مشابهته لخلق عيسى عليه السلام بلا أب، إلا أنه امتاز بخلقه من تراب بلا أب ولا أم، وفي ذلك تأكيد على عظمة الخالق القادر الذي ابتدأ الخلق، وأوجده من العدم.

١٠٣٥- فيها إظهار لعظمة الله تعالى وعلمه وكمال قدرته على الخلق.

١٠٣٦- فيها إظهار لقدرة الله المطلقة في الخلق والإنشاء.

١٠٣٧- فيها تأكيد على علم الله المطلق، فكل ما يحار به الخلق ويعجزون عن إدراك حقيقته؛ عند الله تعالى بيانه وتفصيله.

١٠٣٨- قد يصنع الناس من التراب إناءً أو وعاءً أو شيئاً جميل المنظر لكن لا يمكن أن يصنعوا كائنا حياً، فالله سبحانه خلق من التراب آدم فجعله بشرا يمشي ويتكلم ويفكر ويعمل، وأكرمه بالنبوة وجعله سيد المخلوقات وسخرها له، وعلمه الأسماء كلها، فتبارك الله أحسن الخالقين.

١٠٣٩- مثل عيسى... كمثل آدم كلاهما مخلوق بقدرة الله بعيدا عن الأسباب.

١٠٤٠- فيها تعليم وتوجيه لاتخاذ الحكمة واعتماد الأسلوب المقنع في محاجة الخصوم.

١٠٤١- فيها دليل لأهل الفقه على صحة القياس.

١٠٤٢- فيها إشارة إلى التفكر في عظيم خلق الله سبحانه وتعالى، وعلى رأس ذلك التفكر في خلق البشر وما في ذلك من دليل على قدرة الخالق جل وعلا.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران:٦٠].

١٠٤٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما ابتدأ القصة بالحق في قوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ ختمها بذلك على وجه آكد وأضخم فقال: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ أي الكامل في الثبات كائن ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ أي المحسن إليك بأنه لا يدع لخصم عليك مقالاً، ولما تسبب عما مضى نقلاً وعقلاً

الاعتقاد الحق في أمر عيسى عليه السلام قال: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ مشيراً بصيغة الافتعال إلى أنه لا يشك فيه بعد هذا إلا من أمعن الفكر في شبه يثيرها وأوهام يزاولها ويستزيدها.

١٠٤٤- إذا امترى الناس واختصموا في البحث عن الحق فلنعلم أن الحق من الرب سبحانه.

١٠٤٥- في اسم الرب سبحانه تلميح إلى معنى التربية فالتربية في هذا الموطن ظاهرة حيث النصارى يجادلون ويكابرون، وأدب الإسلام أن نجادل بالتي هي أحسن مع بيان الحق بدليله وبرهانه ملتزمين المنهج الذي يتربى عليه المسلم.

١٠٤٦- تفيد أن الحق واحد لا يتعدد، مصدره رباني بواسطة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

١٠٤٧- تفيد هذه الآية وما بعدها الدليل على قاعدة شريفة وهي أن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢] وبهذه القاعدة الشرعية تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه.

١٠٤٨- تفيد التأكيد على أن ما أوحاه الله عز وجل إلى نبيه ﷺ هو الحق بثلاثة تأكيدات:

١٠٤٩- أولها: بالتعريف في كلمة الحق أي ما أخبرناك به هو الحق الثابت الذي لا يخالطه باطل.

١٠٥٠- ثانيها: بكونه من عنده سبحانه وكل شيء من عنده فهو صدق لا ريب فيه.

١٠٥١- ثالثها: بالنهي عن الامتراء والشك في ذلك الحق، لأن من شأن الأمور الثابتة أن يتقبلها العقلاء بإذعان وتسليم وبدون جدل أو امتراء.

١٠٥٢- تفيد التحذير من الامتراء وهو الشك الذي يدفع الإنسان إلى المجادلة المبنية على الأوهام لا على الحقائق.

١٠٥٣- تفيد أن كل ما جاء في كتاب الله حق لا مرية فيه.

١٠٥٤- فيها توجيه لنبي الهدى ﷺ وأمته بالثبات على الحق الذي جاءهم من ربهم عز وجل.

١٠٥٥- فيها تثبيت وطمأنة لرسول الله ﷺ بالحق الواضح الذي يأتيه من ربه، فيواجه الخصوم بثقة واطمئنان.

١٠٥٦- قوله ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ خطاب له ﷺ ولا يضر فيه استحالة وقوع الامتراء منه ﷺ فهذا الأسلوب فيه فائدتين:

إحداهما: أنه ﷺ إذا سمع مثل هذا الخطاب تحركت منه الأريحية فيزداد في الثبات على اليقين نوراً على نور.

ثانيتهما: أن السامع يتنبه بهذا الخطاب على أمر عظيم فينزع وينزجر عما يورث الامتراء لأنه ﷺ مع جلالته التي لا تصل إليها الأماني إذا خوطب بمثله فما يظن بغيره؟ ففي ذلك ثبات له ﷺ ولطف بغيره.

قال تعالى: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[آل عمران: ٦١].

١٠٥٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد الذي جاء النبي الخاتم من الحق البين الذي لا شك فيه من أمر عيسى عليه السلام، جاءت هذه الآية للتأكيد على ما جاءه من الحق، ولتعزيز تأييده لإفحام المكذبين المعاندين.

١٠٥٨- فيها مع ما قبلها الإفحام بالحجة والبيان، باستخدام القياس على خلق آدم عليه السلام الذي يلزم منه قبول الحق وعدم المراء فيه.

١٠٥٩- فيها إعداد وتوجيه لنبي الهدى ﷺ ليكون مهيَّأً لجميع مراحل تحدي الخصوم.

١٠٦٠- تفيد القطع بفساد كلام النصارى في حق عيسى عليه السلام أنه إله أو ابن إله.

١٠٦١- تفيد ذم الجدال بالباطل خصوصا بعد ظهور الحق ببراهينه الساطعة.

١٠٦٢- تفيد أن الذي يماري بعد ما تبين له الحق؛ معاند يصلح في حقه المباهلة.

١٠٦٣- تفيد أن الحق مهما كان جلياً بيناً لا مرية فيه، قد يوجد من الناس من يجادل فيه مكابرة. وحينئذ لا تجدي الوسائل العقلية ولا المنطقية بل ولا الشرعية معه فتشرع المباهلة بين الطرفين.

١٠٦٤- تفيد أن الحيلة إذا انقضت في إثبات الحق بالأدلة، وثبت عناد الخصم انتقل إلى الملاعنة والمباهلة.

١٠٦٥- ما أعظم الحق وأصدقه الذي جاء به محمد ﷺ فبهذا القدر من التحدي يتجلى هذا الحق وزيادة.

١٠٦٦- إذا كان هذا الحق بهذا القدر من الجلاء في إحدى قضاياه، فكيف هو بكل تفاصيله؟!

١٠٦٧- كلما كان تصديقك أعظم كلما فديت إسلامك وباهلت من أجله بكل غالي ونفيس.

١٠٦٨- تفيد أن العلم الحق هو ما جاء به الوحي المنزل المتمثل في الكتاب والسنة.

١٠٦٩- تفيد قبح المجادلة بالباطل لإطفاء نور الحق.

١٠٧٠- تفيد مشروعية المباهلة في إظهار الحق ودحض الباطل.

١٠٧١- تفيد أثر المباهلة في إظهار الحق؛ فقد ترك وفد نجران المباهلة خوفا على أنفسهم وأبنائهم، فظهر بذلك الحق وظهر بطلان ما هم عليه جليًّا واضحاً لكل من أراد الحق.

١٠٧٢- فيها إشارة إلى قوة الرابطة بين الآباء والأبناء، وشدة محبة الآباء للأبناء وخوفهم وحرصهم عليهم من أن ينالهم سوء أو يقع عليهم شر.

١٠٧٣- تفيد التخويف من الذنوب التي توجب لعنة الله ﷻ.

١٠٧٤- تفيد التنفير من التكذيب والكذب وهو من أسباب غضب الله تعالى ولعنته.

١٠٧٥- تفيد التأكيد الشديد على ذم الكذب وبغض الله ﷻ للكاذبين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[آل عمران:٦٢].

١٠٧٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فقد جاء في هذه الآية التأكيد الشديد على أن كل ما ذكر سابقاً في خبر عيسى عليه السلام هو حق، وأنه ذُكِر بحسب ما وقع تماما.

١٠٧٧- فيها مع ما قبلها إثبات الألوهية لله الخالق سبحانه وتعالى الذي أوجد عيسى عليه السلام على غير المألوف عند البشر.

١٠٧٨- تفيد أن الحكمة من القصص السابقة وغيرها هي تحقيق العبودية لله ﷻ وحده.

١٠٧٩- فيها تأكيد على أن القصص الذي يقصه الله علينا في كتابه هو الحق، ليس كحال ما يسمى اليوم ب[القصة] التي هي من نسج الخيال، فالقصص القرآني نقل لما حدث بالفعل بلا تبديل ولا تحريف.

١٠٨٠- في الآية استخدام لمفردة [قصص] من قص، التي تدل على أن الخبر، كأنما تتبعه المخبر به على نحو ما كان تماما، كما يتتبع القاص خطوات من يقص أثره. وهذه المفردة أصلح للاستعمال في حق كلام الله ﷻ من الحكاية فمفردة "حكاية" لم ترد في القرآن قط، كما أن الحكاية تعني التمثيل والتقليد، وقد جاء ذمه في السنة، في قول النبي ﷺ: "ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا".

١٠٨١- تفيد جواز تذكير وتأنيث الجمع المؤنث تأنيثاً مجازياً.

١٠٨٢- فيها قَصْر الألوهية على الله تعالى وحده فلا إله غيره.

١٠٨٣- تفيد تفسير كلمة التوحيد بالنفي والإثبات، فالنفي وحده ليس توحيدا والإثبات وحده ليس توحيدا، إنما التوحيد نفي ألوهية ما سوى الله ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ وإثباتها لله وحده ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

١٠٨٤- فيها تعريض ووعيد لمن ادعوا الألوهية لغير الله ﷻ أو أشركوا معه غيره في الألوهية من اليهود والنصارى وغيرهم.

١٠٨٥- تفيد أن عيسى عليه السلام عبد لله وليس إلهاً، والإله الحق هو الله جل وعلا وحده.

١٠٨٦- تفيد إثبات اسمين لله الخالق العظيم وهما: [العزيز والحكيم] فهو عزيز أي غالب وحكيم في تصرفه بخلقه.

١٠٨٧- تفيد إثبات صفتي العزة والحكمة لله سبحانه وتعالى.

١٠٨٨- ترشد العباد إلى التوسل بهذه الأسماء الحسنى والصفات العلى.

١٠٨٩- تفيد أن المستحق للعبادة يجب أن يكون عزيزاً فلا يقهر. حكيماً يضع الأمور في مواضعها ويحكم بالحق، وهذا لا يكون إلا لله وحده.

قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران:٦٣].

١٠٩٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما سبقت الآيات البينات والحجج المفحمات بما قص الله ﷻ على نبيه ﷺ بالحق، جاء في هذه الآية النذير من سوء العاقبة، فمن تولى عن ذلك كله فأمره إلى الله ﷻ الذي يعلم فساد النيات والأعمال.

١٠٩١- تفيد أن الداعية ليس عليه أن يصدقه المدعوون إنما مهمته البلاغ المبين.

١٠٩٢- تفيد التخويف والتحذير من التولي والإعراض عن الحق ودعوة الخير بعد ما تبين.

١٠٩٣- فيها تهديد ووعيد للمفسدين؛ فهو سبحانه عليم بهم وسينبئهم بما عملوا وسيحاسبهم عليه.

١٠٩٤- تفيد التحذير من الفساد والإفساد.

١٠٩٥- فيها تأكيد على ضرورة اتباع نبي الهدى الكريم ﷺ وعدم التولي عنه.

١٠٩٦- تفيد إثبات صفتي الحلم والرحمة لله ﷻ؛ فمع علمه بإفسادهم فهو يمد لهم حتى يرجعوا.

١٠٩٧- فيها تأكيد على صفة العلم المطلق لله تعالى الذي يعلم ما تخفي الصدور من النوايا السيئة، فإن تولوا بعد هذا البيان والبرهان فهم مفسدون؛ لأنهم تولوا بعد أن عرفوا الحق بأدلته الظاهرة، وهم متكبرون لأنهم أنكروا الحق ورفضوه، والكبر: بطر الحق وغمط الناس.

١٠٩٨- فيها دليل على أن الذي يعرض عن الحق هو من أهل الفساد.

١٠٩٩- تفيد أن كثيرا من المعاندين لا يعترف بأنه من المفسدين، بل يصر على أنه على الحق المبين.

١١٠٠- فيها إشارة إلى الصلة والتلازم بين التولي عن الحق والسقوط في فخ الفساد والمفسدين.

١١٠١- فيها إشارة إلى أن من ترك عقيدة التوحيد واتباع الرسول الخاتم ﷺ فهو من المفسدين، وإن الله لا يصلح عمل المفسدين.

١١٠٢- فيها إشارة إلى أن أهل الشرك مفسدون في الدين، ونياتهم فاسدة، ويقع الجزاء عليهم لخبث نياتهم وسوء أعمالهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

١١٠٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد ما جاء من محاجة النصارى بشكل خاص في شأن عيسى عليه السلام، ونفي الألوهية عنه، وتحدِّيهم بالمباهلة، فأعرضوا، فدل إعراضهم عن المباهلة على عدم تيقنهم مما يعتقدون، جاء في هذه الآية دعوة أهل الكتاب عموما من اليهود والنصارى إلى دين الحق وهو الإسلام.

١١٠٤- فيها تكريم وعناية وتأييد لنبي الهدى ﷺ.

١١٠٥- فيها إظهار لعظيم رحمة الباري ﷻ، وتودده لعباده في دعوتهم لتوحيده وعبادته، إذ خاطبهم بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ﴾.

١١٠٦- فيها دعوة لأهل الكتاب أن يطلبوا الحق، ويقبلوا به، وأن يتركوا الهوى والتعصب لطائفتهم وآرائهم، حيث إنهم لا يرون غيرهم على شيء مع تذكيرهم بما جاء في كتبهم حول الحق الذي يُدْعَون إليه.

١١٠٧- تفيد أهمية الحوار والتواصل مع أهل الكتاب من أجل تحقيق العبودية لله تعالى.

١١٠٨- فيها توبيخ لمن أعرض من أهل الكتاب، ولم يذعن للحق الذي علموه من كتبهم.

١١٠٩- فيها توجيهٌ لالتزام العدل والإنصاف، ونبذ الظلم والإجحاف.

١١١٠- فيها ترغيبٌ في التزام الطريق السوي، وترك الطرق المعوجة المخالفة للفطرة ولا تقبلها العقول السليمة.

١١١١- فيها بيان الأساس الذي يجب أن يبنى عليه أي حوار أو نقاش بين المسلمين وأهل الكتاب وهو التوحيد ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾.

١١١٢- تفيد أن التوحيد ونبذ الشرك هو محور دعوات الأنبياء جميعا، وهو الصراط المستقيم الذي جاءوا به عن الله تعالى.

١١١٣- فيها أن الإسلام يتحقق بالتوحيد ونبذ الشرك.

١١١٤- تفيد أن التوحيد هو أساس دين الإسلام.

١١١٥- فيها التوكيد على موضوع التوحيد بعدة مؤكدات:

١١١٦- - ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [النفي والاثبات].

١١١٧- - ﴿وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ تأكيد ثان لنفي الشرك وجاءت ﴿شَيۡـٔٗا﴾ نكرة في سياق النفي لتأكيد نفي جميع أنواع الشرك صغيره وكبيره جليه وخفيه.

١١١٨- - ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ تخصيص لظاهرة الشرك عند أهل الكتاب بعد العموم لأن أبرز مظاهر الشرك عندهم أنهم ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣١] فجاء التأكيد على نفي هذه الصورة بعينها بعد عموم النفي لجميع أنواع الشرك ومظاهره.

١١١٩- تفيد التحذير من طاعة من ادعى العلم إذا دعا إلى معصية، فإن معنى اتخاذهم أرباباً أنهم حرموا عليهم الحلال فحرموه، وأحلوا لهم الحرام فأحلوه كما بين النبي ﷺ.

١١٢٠- تفيد التحذير من التحليل أو التحريم بدون دليل من الكتاب أو السنة.

١١٢١- فيها التحذير من التشريعات الوضعية، وأنها من صور اتخاذ الناس بعضهم بعضا أرباباً من دون الله كما في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

١١٢٢- فيها خطورة التهوين والتسهيل في جريمة التشريعات الوضعية بحجة الرد على غلاة التكفير.

١١٢٣- فيها توجيه لإعطاء كل ذي حق حقه، فلا ينزل أحد فوق منزلته أو دون منزلته، فلله عز وجل وحده حق العبادة والتشريع، والأنبياء هم مبلغون عن الله سبحانه وتعالى لهم حق الطاعة والاتباع.

١١٢٤- فيها توجيه إلى اختيار الأسلوب الأنسب والأنجع في المحاججة، فالذي يبلغ حد الجدال معرضا عن الحق، يُستخدم معه الأسلوب الذي يُجنِّب صاحب الحق تبعثر الحقائق، ويتجنب أن يكون سبباً في زيادة عناد ولجاجة خصمه، فاقتصر التوجيه على قول: ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

١١٢٥- تفيد ضرورة البراءة من الشرك وأهله وإعلان الإسلام.

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران:٦٥]

١١٢٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما جاء قوله عز وجل في الآية السابقة: ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ودين الإسلام هو الدين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ملة إبراهيم من قبل [الحنيفية] وعرف هذا مشركو قريش ويهود المدينة ونصارى نجران، ناسب تفنيد ادعائهم أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام.

١١٢٧- فيها رد وتكذيب لمن ادعى من المشركين واليهود والنصارى أنه من أتباع إبراهيم عليه السلام.

١١٢٨- فيها إشارة إلى إجماع السابقين واللاحقين على تعظيم شأن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

١١٢٩- فيها دليل على علو الرب تبارك وتعالى لأن هذه الكتب منزلة من عنده؛ والنزول لا يكون إلا من علو.

١١٣٠- فيها الإيمان بالكتب، وعظمة هذين الكتابين: التوراة والإنجيل.

١١٣١- فيها ذم لأهل الكتاب الذين يجادلون ويحاجون في أمور باطلة، لا تستند إلى أصول علمية.

١١٣٢- تفيد النهي عن المحاجَّة والمجادلة بغير علم، وأن هذا من صفات اليهود والنصارى التي ذمهم الله عز وجل بها، ويدل على ضعف العقل ووهاء الحجة.

١١٣٣- تفيد أهمية العلم بالتاريخ، وأنه سبب في رد كثير من الشبهات والأباطيل، وقد قال سفيان الثوري رحمه الله: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ.

١١٣٤- فيها روعة الخطاب ورقي الأسـلوب الإقناعي لردهم إلى الحق رحمة بهم وتلطفا بهم، فناداهم منسوبين الى الكتاب الذي شرفهم الله به ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ليعودوا الى الحق الذي جاء في كتابهم. ثم الأسلوب الإقناعي بصيغة السؤال الملجم لهم جوابه ﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ ثم تثنية السؤال الإنكاري متسائلا عن عقولهم التي عطلوها ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ فلو عقلوا لما كانت منهم هذه المحاجة والمعانده مع وضوح الحق والصواب.

١١٣٥- تفيد أن السير في الدين من غير دليل وبرهان نقص وخلل في العقل.

قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:٦٦].

١١٣٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما جاء في الآية السابقة الرد على ادعاء أهل الكتاب أنهم أتباع إبراهيم عليه السلام، وحاججتهم بأن التوراة والإنجيل جاءت من بعده، جاء في هذه الآية الإجابة على ما قد يأتي من حجة أن الإسلام كذلك جاء بعد إبراهيم عليه السلام.

١١٣٧- فيها دليل على خبث اليهود والنصارى، وكثرة جدالهم ومرائهم بالباطل ليدحضوا به الحق، وقد مضى وصفهم بكتمان الحق ولبسه بالباطل، وكل ذلك لصد الناس عن الحق.

١١٣٨- فيها ذم لأهل الكتاب الذين يحاجون فيما ليس لهم به علم، ويدعون ما ليس لهم.

١١٣٩- فيها إقامة الحجة الدامغة المفحمة ببيان حقيقة موقف أهل الكتاب أنه موقف جدلي، لا ينبني على علم.

١١٤٠- فيها بيان أن جدالهم في شأن إبراهيم عليه السلام أبلغ في الذم، حيث إن جدالهم في ما لهم به علم عن محمد وعيسى وموسى عليهم الصلاة والسلام وإن حرفوا فيه وبدلوا إلا أنه يستند إلى شيء، وأما ما يتعلق بإبراهيم ﷺ فلا مستند له.

١١٤١- فيها تربية للمسلم على أن يتكلم بعلم، وأن لا يخوض فيما ليس له به علم.

١١٤٢- تفيد أن المحاجة إذا كانت بعلم ومعرفة فلها قيمة واعتبار، أما إذا كانت بغير علم فهي مكابرة وعلى المسلم أن يترفع عن جدال المكابرين ولا يسترسل فيه.

١١٤٣- فيها توجيه لأمة النبي الخاتم ﷺ للاهتمام بالعلم، واعتماده في المحاورة والمحاجة.

١١٤٤- فيها أن العلم مصدره الخالق سبحانه، ويسعد به أهل الاستقامة والتقوى.

١١٤٥- تفيد ما يدعو العبد إلى التواضع والاستلام لما يشرعه الله تعالى العليم بكل شيء، في الوقت الذي هو جاهل بكل شيء.

١١٤٦- تفيد سعة علم الله ﷻ وإحاطته بكل شيء، وأن علم المخلوقات قليل.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران:٦٧].

١١٤٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما ذمت الآية السابقة محاججة أهل الكتاب بغير علم وادعائهم ما ليس فيهم، جاءت هذه الآية بالتصريح بتكذيب الفريقين، وبيان ما كان عليه إبراهيم عليه السلام.

١١٤٨- فيها إبطال لنظرية الدين الإبراهيمي التي دعا إليها بعض الضالين، وهي: جمع التوراة والإنجيل – المحرفة – مع القرآن الكريم في كتاب واحد، وأن يتعبد أتباع هذه الديانات في مكان واحد، وسموه الدين الإبراهيمي، فهذه الآية الكريمة ترد عليهم وتبين أن إبراهيم عليه السلام كان على الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

١١٤٩- تفيد أن اليهودية والنصرانية أديان باطلة محرفة يجب البراءة منها ومن أهلها.

١١٥٠- تفيد أن الدين الحق هو الإسلام، وأن الرسل والأنبياء عليهم السلام كانوا مسلمين.

١١٥١- تفيد براءة إبراهيم عليه السلام من هؤلاء الذين ينتسبون إليه جميعاً [اليهود والنصارى والمشركين].

١١٥٢- فيها رد صريح على ادعاء اليهود والنصارى والمشركين، وتكذيب لقولهم: أنهم على دين إبراهيم عليه السلام دون غيرهم.

١١٥٣- تفيد أن إبراهيم عليه السلام معظم عند هؤلاء جميعاً، وكلهم يدعي الانتساب إليه، وقد استجاب الله ﷻ دعاءه ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

١١٥٤- فيها تأكيد على أن إبراهيم عليه السلام إمام الموحدين، وأنه كان مائلاً عن الأديان الباطلة إلى دين الحق [الإسلام].

١١٥٥- تفيد الحث على التمسك بالحنيفية ملة إبراهيم، وهي: عبادة الله وحده وعدم الاشراك به.

١١٥٦- تفيد أن الحنيفية ملة إبراهيم لابد فيها من البراءة من الشرك وأهله لقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

١١٥٧- فيها تزكية لأهل الإسلام أنهم حنفاء: يميلون عن الضلال إلى الهدى، وعن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، على عكس أهل الشرك الأجناف: الذين يميلون عن الهدى إلى الضلال.

١١٥٨- فيها تعريض بأهل الكتاب من اليهود والنصارى أنهم من أهل الشرك.

١١٥٩- تفيد ذم الشرك والتنفير عن وعن أهله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

١١٦٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد ما جاء في الآية السابقة تكذيب الذين ادعوا أنهم على دين إبراهيم عليه السلام، جاء في هذه الآية بيان من الأحق بالانتساب إليه ومن هم أتباعه حقا.

١١٦١- فيها مع ما قبلها توجيه للتثبت من كل دعوة، والتأكد من أنها على المنهج السليم.

١١٦٢- تفيد فضيلة اتباع الرسل والأنبياء وطاعتهم.

١١٦٣- تفيد بيان عِظَم مكانة النبي ﷺ فقد خصه الله عز وجل بالذكر في هذه الآية الكريمة.

١١٦٤- فيها أن الادعاءات لا تغني عن أصحابها شيئاً إذا كانت الأفعال والأحوال مخالفة للدعوى؛ فقد بين الله تعالى في هذه الآية أن اليهود والنصارى والمشركين ليسوا من أولياء إبراهيم عليه السلام لمخالفتهم له وإنما وليه من اتبعه في حياته، وهذا النبي الكريم محمد ﷺ وأمته.

١١٦٥- فيها أن أهل الإسلام تخلّقوا بأصول شرع إبراهيم عليه السلام؛ وذلك بالميل عن الشرك إلى التوحيد، وعن الضلالة إلى الهدى.

١١٦٦- فيها أن الله أكرم المؤمنين الثابتين على الحق أنه وليهم؛ ومن كان الله وليهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

١١٦٧- تفيد أن ولاية الله عز وجل تنال بالإيمان واتباع الرسل والأنبياء.

١١٦٨- تفيد أنه كلما ازداد الإنسان في مراقي الإيمان ازداد في ولاية الله ﷻ. فللولاية شرطان: الإيمان والتقوى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣] فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً.

١١٦٩- تفيد أن الجزاء من جنس العمل؛ فالذين آمنوا بما جاء به إبراهيم عليه السلام ووالوه ونصروه، استحقوا ولاية الله ونصرته وتأييده.

١١٧٠- فيها تنبيه إلى أن طريق الحق هو طريق الحنيفية السمحة التي اصطفاها الله لآخر أنبيائه.

قال تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آل عمران:٦٩].

١١٧١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما جاء بيان أن أمة الإسلام هي أمة التوحيد وعلى الحنيفية السمحة، وهم أولى الناس بالانتساب لإبراهيم ﷺ، جاءت هذه الآية تحذر من حسد مجموعة من أهل الكتاب وتشير إلى عظم الغيظ الذي سيطر على نفوسهم والحقد الذي ملأ قلوبهم، فتمنوا ميل أهل الإسلام عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك.

١١٧٢- فيها لفتة الى دقة أخبار القرآن عن أهل الكتاب، وإعراضه عن التعميم في شأنهم، وهذا من شأنه تربية المؤمنين على الموضوعية والعدل في الأخبار والأحكام.

١١٧٣- فيها تنبيه على أن طائفة من أهل الكتاب يسعون جاهدين ليضلوا أهل الإسلام وليفسدوا عليهم دينهم، فمن ودّ شيئا سعى جاهداً لتحصيله وتحقيقه.

١١٧٤- تأكيد على حسد أهل الكتاب وبغضهم لأهل التوحيد أتباع دين النبي الخاتم ﷺ.

١١٧٥- فيها أن أصحاب الضلال يضيقون ذرعا بأهل الصلاح. فيودون ويسعون جاهدين في إضلالهم.

١١٧٦- فيها تحذير للمسلم الموحد أن يحذر من مكر أهل الخبث والشر عموماً؛ الذين يتربصون به لجره إلى فسادهم وشرهم، أينما كانوا وتحت أي شعار أو مسمى.

١١٧٧- فيها بشارة من الله تعالى لأهل الإيمان أنه حافظهم، ويدفع عنهم شر أهل الضلال، بدلالة [لو] التي تفيد التمني الامتناعي: [امتناع لامتناع]، فهم لا يضلونهم، ولا يتحقق لهم ما ودوه.

١١٧٨- تفيد أن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر، فلما سعوا في إضلال المؤمنين أضلهم الله سبحانه.

١١٧٩- تفيد التحذير من ضــلالات أهل الكتاب ونظرياتهم، والتثبت في كل ما يرد منهم لأنهم يسعون في إضلال المسلمين بشتى الطرق، وربما أدخلوا السم في الدسم لأجل هذه الغاية.

١١٨٠- تفيد أن الكفر يؤدي إلى ضعف البصيرة والضلال والهلاك ومع ذلك لا يشعر صاحبه بذلك.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ [آل عمران:٧٠].

١١٨١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكرت الآية السابقة الطائفة التي قتلها الحسد، وما أورث فيها من تمنيها الضلال لأهل الإسلام، وأن في ذلك ضلال لأنفسهم وهم لا يشعرون، جاء في هذه الآية بيان ســبب إضــلالهم لأنفســهم: وهو أنهم يكفرون بالحق الذي جاءهم ويعلمونه يقيناً.

١١٨٢- فيها مع ما قبلها إشــارة إلى التحلي بخلق التواضــع وقبول الحق، وإن خالف هوى النفس.

١١٨٣- تفيد أن حســد وحقد هذه الطائفة أورثهم حمقاً، فكفروا بما جاءهم من ذكر النبي الخاتم ﷺ في كتبهم.

١١٨٤- فيها التأكيد على اختيار الخطاب المناسب في دعوة المدعوين بما يستحثهم على التزام الحق، ويستثير عواطفهم تجاهه، فخاطبهم بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

١١٨٥- في الاستفهام الانكاري دليل على قبح ما وقع منهم وأنه لا يليق بهم؛ ولذلك غضب الله عليهم ولعنهم.

١١٨٦- تفيد بيان خبث اليهود والنصارى، وشـدة عنادهم وجحدهم الآيات مع علمهم بها. وفي بيان حالهم تربية للمسلم أن لا يجحد الحق إذا علمه؛ فهذا من خصال المتكبرين والمعاندين كما قال ﷺ: الكبر بطر الحق وغمط الناس. رواه مسلم. بطر الحق: أي ردَّه.

١١٨٧- فيها توبيخ لأهل الكتاب بســبب كفرهم بالنبي الخاتم ﷺ، وجحودهم لنبوته المذكورة في كتبهم.

١١٨٨- فيها إقامة الحجة عليهم، والتأكيد على أنهم يكتمون الحق وهم يعلمونه، ويذكرون خلافه.

١١٨٩- تفيد أن آيات الله ﷻ واضحة بينة، وتدل على الحق، وتهدي إليه.

١١٩٠- تفيد أن بعض الناس يكفر بالحق مع علمه به، وشهوده عليه، عناداً واستكباراً ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤].

١١٩١- تفيد أن الواجب على الإنسان أن يقابل آيات الله ﷻ بالقبول والانقياد وليس بالجحود والعناد.

١١٩٢- فيها إشارة إلى أن أهل الرياسة الضُلَّال يحرصون عليها، ويستخدمون الكذب والتضليل وإخفاء الحقائق للمحافظة على مناصبهم ومصالحهم.

١١٩٣- فيها التنبيه على خطورة التعصب للقومية أو الحزبية أو...الخ، وما يترتب على ذلك من كتمان للحق ومخالفة له.

١١٩٤- فيها إشارة إلى ما يقوله الأصوليون: من أن وجود مقتضى الحكم، لا يكون موجباً للحكم إلا بعد انتفاء الموانع عنه؛ فمشاهدتهم لآيات الله تقتضي إيمانهم، فما الذي يمنعهم من الإيمان؟!

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١].

١١٩٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن جاء الكلام في الآية السابقة عن ضلالهم، جاء في هذه الآية الحديث عن إضلالهم، ووسائله.

١١٩٦- فيها مع ما قبلها أنهم انتقلوا من مقام الغواية والضلال، إلى مقام الإغواء والإضلال.

١١٩٧- فيها الكشف عن طريقة أعداء الحق في محاربته، وهي لبسه بالباطل.

١١٩٨- فيها الإرشاد إلى أن طريقة نصر الحق تكون بإزالة هذا اللبس.

١١٩٩- فيها أن لبس الحق بالباطل، وكتمان الحق من صفات أعداء الإسلام من اليهود والنصارى.

١٢٠٠- فيها أن الواو هنا تقتضي التلازم بين المعطوف والمعطوف عليه؛ فلبس الحق بالباطل يقتضي ويلزم منه كتمان الحق. وكتمان الحق يقتضي ويلزم منه لبس الحق بالباطل.

١٢٠١- تفيد التحذير من هذه الصفات الذميمة وهي: كتمان الحق ولبسه بالباطل، وهي أكثر ما تكون في أهل البدع والأهواء.

١٢٠٢- تفيد أن لبس الحق بالباطل يجعله خفياً فيكون سببا في إضلال العوام.

١٢٠٣- فيها أن من أوجه الضلال عدم التمييز بين الحق والباطل.

١٢٠٤- فيها توجيه لطلب الحق والتمكن منه، حتى لا يلتبس بالباطل.

١٢٠٥- تفيد أن الحق يجب إظهاره والفخر والفرح به، وليس كتمانه والتواري به.

١٢٠٦- تفيد أن من أعظم النصيحة للمسلمين إزالة اللبس بين الحق والباطل، وبيان الحق بوضوح، وعدم كتمانه، والتحذير من الباطل، وأهله، وهذا واجب الدعاة والعلماء.

١٢٠٧- فيها توجيه لأهل العلم بأن يظهروا الحق ويجلوه للناس، ولا يكتمونه، فبإظهاره يحمون الناس من الضلال، وبكتمانه يسلمونهم لأهل الزيغ والضلال.

١٢٠٨- تفيد أن لبس الحق بالباطل، وكتمان الحق مع العلم أشد وأعظم اثماً.

١٢٠٩- تفيد أن الذي يضل بعلم أشر وأخبث من الذي يضل بغير علم.

١٢١٠- فيها كشف لمخططات أهل الضلال، وبيان لأساليبهم للحذر منهم، فشرهم متجدد في كل عصر.

قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران:٧٢].

١٢١١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكرت الآية السابقة طائفة الحسَّد الذين كفروا من أهل الكتاب؛ وما اتصفوا به من الإضلال بإلباسهم الحق بالباطل، جاء في هذه الآية تفصيل لمكيدة من مكائد إلباس الحق بالباطل؛ التي لبسوا فيها على الضعفاء من الناس أمر دينهم.

١٢١٢- تفيد أن أهل الكتاب ليسوا سواء، فمنهم متآمرون يكيدون للإسلام وأهله، ومنهم من ليس كذلك.

١٢١٣- فيها التنبيه على العدل والإنصاف حتى مع المخالف، وشناعة التعميم بغير دليل.

١٢١٤- تفيد إثبات علو الله ﷻ على خلقه؛ لأن النزول لا يكون إلا من علو.

١٢١٥- تفيد أن أهل الكتاب يؤمنون بصفة العلو للعلي الغفار حيث قالوا: ﴿أُنزِلَ﴾ وهذا مما لم يحرَّف من دينهم، بينما تجد بعض أهل البدع كالأشاعرة والمعتزلة والجهمية يجحدون هذه الصفة وغيرها.

١٢١٦- تفيد أن أهل الكتاب يعرفون في قرارة أنفسهم أن المسلمين على الحق؛ ولذلك وصفوهم بالإيمان في هذه الآية.

١٢١٧- تفيد أن ما يستقبل من الشيء يجوز أن يطلق عليه: ﴿وَجْهَ﴾.

١٢١٨- تفيد أن مبدأ تشكيك المؤمنين بدينهم يطبق بوسائل عديدة، منها ما ذكرته الآية ومنها إثارة الشبهات الباطلة ومنها غير ذلك.

١٢١٩- تفيد أن القرآن الكريم يكشف لنا حقيقة اليهود والنصارى وما انطوت عليه نفوسهم من المكر والخديعة؛ ففي الآيات السابقة حاولوا التشكيك جهرة، وفي هذه الآية مكراً ومخادعةً، فلم يدعوا طريقاً لصد الناس عن الإسلام إلا سلكوه، وبذلوا الأموال، وغيرها في هذا السبيل الخاسر ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

١٢٢٠- تفيد ذم النفاق، وإظهار الإنسان خلاف ما يبطن كما حصل من هؤلاء.

١٢٢١- تفيد أن استعداد المبطل للتنازل عن بعض باطله لا يسوغ تنازل صاحب الحق عن شيء من الحق الذي يؤمن به.

١٢٢٢- تفيد أن هذا الحرص والتنازل بغية إيقاع المؤمنين في الكفر الذي هم فيه. وهو من أهم أهداف أهل الكتاب الذين سلكوا هذه المسالك المتعددة لتحقيقه.

١٢٢٣- تفيد اعتماد أهل الكتاب على الحيل لمحاربة الإسلام.

١٢٢٤- تفيد التوجيه لتوقي تلك الحيل، والسعي لإبطالها، والحرص والانتباه في ذلك.

١٢٢٥- تفيد أن الكفار يعرفون خطر الشبهات وشدة تأثيرها، خصوصاً على ضعفاء الإيمان والعقول. فالواجب الحذر من الشبهات والابتعاد عن أهلها؛ فإن القلوب ضعيفة والشبه خطافة.

١٢٢٦- تفيد الرد على دعوة التقارب بين الأديان، القائمة على التنازلات من جميع الأطراف عن بعض ما هم عليه، والحذر من التنازل عن بعض الحق ولو كان يسيرا.

١٢٢٧- تفيد التأكيد على الاعتصام بدين الله، والثبات عليه، والحذر من الاضطراب أمام الفتن والشبهات.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٣].

١٢٢٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن جاء في الآية السابقة ذكر تدليسهم: جاء في هذه بيان تعليلهم لهذا التدليس بأن الغرض منه إبقاء الأتباع على دينهم، والرد عليهم.

١٢٢٩- ومن المناسبات: لما ذكرت الآية السابقة قولهم: ﴿ءَامِنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ جاء في هذه الآية الرد عليهم: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

١٢٣٠- وقيل من المناسبات: قولهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن كانوا سابقاً على دينكم، ثم أسلموا، فإذا كفرتم آخره، كان هؤلاء المرشح الأقوى للانخداع بهذه المكيدة، فيرتدوا عن دينهم.

١٢٣١- فيها تأكيد على أن اليهود قوم معاندون مكابرون، ينكرون البينات ويحاجُّون بالباطل.

١٢٣٢- تفيد تواصي أهل الكتاب على الكفر والعناد والإعراض.

١٢٣٣- تفيد أن أهل الكتاب لن يرضوا إلا باتباع دينهم.

١٢٣٤- فيها بيان لحقيقة أهل الكتاب أنهم ينظرون إلى من خالف ما عندهم - وهو باطل - أنه كافر؛ وفي ذلك حجة على الذين ينكرون على أهل الإسلام قولهم بكفر من لم يتبع دين الإسلام، وهو الدين الحق الذي جاء في كتاب الله ﷻ لا يدلسونه ولا يدعونه.

١٢٣٥- فيها كشف لصفة تعنت علماء أهل الكتاب الذين يقمعون العوام ويصادرون عقولهم بدعوى التبعية الدينية والانقياد دون دليل، ويشبههم في ذلك الشيعة الرافضة.

١٢٣٦- تفيد أن أهل الضلال والكفر يتمسكون بضلالهم، ويحرصون عليه، ويتواصون بذلك، ولو أدى بهم إلى النار وبئس القرار.

١٢٣٧- تهدي إلى ترك الحسد والعنصرية ضد الحق.

١٢٣٨- تهدي إلى المبادرة إلى اتباع الحق إذا ظهر.

١٢٣٩- تهدي إلى إفراد الله ﷻ بالتعلق والمحبة وتحري هدايته من أي وجه جاءت.

١٢٤٠- تهدي إلى ترك الانصراف لغير الله ﷻ؛ فإن الهدى هدى الله ﷻ والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل.

١٢٤١- تفيد أن التعصب سبب من أسباب الاستمرار على الباطل، خصوصاً مع الحرص على الرياسة وعرض الدنيا الزائل.

١٢٤٢- تفيد أن الحسد والبغي من أسباب الضلال والخذلان، فاليهود قالوا حسداً: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ فكتموا الحق حسدا لهذه الأمة، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

١٢٤٣- تفيد النهي عن هذه الصفات الذميمة لليهود، والحث على الاتصاف بما يقابلها: من حب الخير والهداية للناس، والإنصاف، وترك الحسد، والبغي، وكتمان الحق، وعدم التعصب للرجال والآراء الباطلة.

١٢٤٤- فيها توجيه للدعاة أن حجتهم هي الأقوى، ودليلهم هو الأظهر، فلا يترددوا في دعوة أهل الكتاب وإقامة الحجة عليهم.

١٢٤٥- تفيد أن الهدى يطلب من الله ﷻ وحده لأنه المالك له ﷻ.

١٢٤٦- تفيد الرد المفحم على المعاندين الحاسدين لهذا النبي المزكى ﷺ ورسالته المزكاة، وتبين أن كل ذلك محض فضلٍ من الله تبارك وتعالى.

١٢٤٧- تفيد الحث على سؤال الله ﷻ من فضله؛ لأن الفضل بيده يؤتيه من يشاء، ولأن فضل الله واسع عظيم، وقد قال النبي ﷺ: إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً.

١٢٤٨- تفيد إثبات صفة اليد لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته.

١٢٤٩- تفيد إثبات المشيئة لله ﷻ؛ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

١٢٥٠- تفيد إثبات صفة السعة والعلم لله سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته.

١٢٥١- تفيد إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى، وهما الواسع والعليم.

١٢٥٢- تفيد إرشاد العباد إلى التوسل بهذه الأسماء الحسنى والصفات العلى.

قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:٧٤] .

١٢٥٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكرت الآية السابقة أن الله ﷻ يؤتي فضله من يشاء، جاء في هذه الآية التأكيد على علم الله ﷻ وحده بمن يستحق فضله، فيختصه به.

١٢٥٤- في الآية مع ما قبلها إبطالٌ بالحجة الواضحة لما زعمه أهل الكتاب من أن النبوة فيهم، وأن دينهم دين الحق.

١٢٥٥- فيها مع ما قبلها التأكيد على أن النبوة اصطفاءٌ من الله تعالى، يعطيها لمن شاء من عباده.

١٢٥٦- تفيد أن من أعظم حقائق الحياة، وبوابات السعادة، والرضى في الدنيا: العلم بأن ما ينال العباد من رحمات الله وأفضاله محض اختصاص رباني فهو الذي يخلق، وهو الذي يختار، ويختص سبحانه وبحمده.

١٢٥٧- تفيد أن الله تعالى قد اختص أمة الإسلام بكثير من خصال التكريم والتفضيل، تفضلاً منه سبحانه.

١٢٥٨- تفيد إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى، وهي رحمة حقيقية، وفي ذلك إرشاد للعباد أن لا يقنطوا من رحمته، وأن يسعوا إلى ما يوصلهم إليها.

١٢٥٩- فيها دليلٌ على عظيم رحمة الله تعالى بعباده، وأن من أهم صور رحمته أن يمتن على الخلق بالرسالة والرسول.

١٢٦٠- تفيد إثبات المشيئة لله سبحانه وتعالى، وهي مشيئة نافذة، لا يعجزه شيء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وفي هذا إرشاد للعباد أن يثقوا بالله تعالى، ويفوضوا أمورهم إليه، ويثقوا بكفايته.

١٢٦١- فيها توجيهٌ للعباد لاستحضار أن كل نعمةٍ، ونجاحٍ، وتوفيقٍ، وتيسيرٍ،... هو فضلٌ من الله ﷻ وحده، يمتن به على عباده.

١٢٦٢- تفيد أن الله ﷻ هو صاحب الفضل العظيم الذي لا يصفه الواصفون، ولا يخطر بقلب بشر، بل وصل فضله وإحسانه إلى ما وصل إليه علمه ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

١٢٦٣- ختامها فيه فتح لباب الأمل في فضل الله ﷻ في قادم العمر... نسأل الله الكريم من فضله العظيم.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ
إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
﴾[آل عمران:٧٥].

١٢٦٤-

١٢٦٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد ما جاء من بيان خيانة اليهود في الدين، جاء في هذه الآية بيان خيانتهم في المال، وبعد ذكر خيانتهم للعلم وإنكارهم للحق الذي جاء في كتبهم، ناسب ذكر خيانتهم في المال وإنكارهم للحقوق في معاملاتهم.

١٢٦٦- فيها توجيهٌ للإنصاف مع الخصم بذكر الجوانب الحسنة التي فيه كما تذكر الجوانب السيئة.

١٢٦٧- فيها تربية للمسلم على عدم الظلم للخصم وإن كان كافراً، فقد قال رجل لابن عباس رضي الله عنه: إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة: الدجاجة والشاة، ونقول: ليس علينا في ذلك بأس. فقال له: هذا كما قال أهل الكتاب ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ إنهم إذا أدُّوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا عن طيب أنفسهم.

١٢٦٨- تفيد إثبات صدق رسالة النبي الخاتم ﷺ، فهو مع معاداة اليهود له، ومكرهم به، ومحاولاتهم لقتله؛ إلا أنه يشهد بأن منهم من هو مثال في الأمانة. فهذا يؤكد أنه لا يتكلم عن هوى وإنما يتكلم عن وحيٍ من ربه.

١٢٦٩- فيها إظهارٌ لفضيلة أمة الإسلام التي جاءها الأمر بأداء الأمانة للبر والفاجر، فهي أمة الأمانة بكل ما للكلمة من معنى.

١٢٧٠- تفيد التنبيه على عدم الاغترار باليهود وتعاملاتهم المالية، والحذر منهم، فإن الكثير منهم يستحلون أموال الناس بالخيانة والغش والربا وغيرها.

١٢٧١- فيها إشارة إلى أن فاقد الإيمان لا أمانة له، فالذي يخون العهد مع الله عز وجل، يخون العهد مع العباد.

١٢٧٢- تفيد أن الأمانة عظيمة القدر في الدين، ومن عِظَم قدرها أنها تقوم هي والرحم على جنبتي الصراط؛ كما روى مسلم في الصحيح عن النبي ﷺ، فلا يمكن من الجواز إلا من حفظهما.

١٢٧٣- فيها توجيهٌ إلى: أن لا يؤخذ المال من أحدٍ إلا بحقه، ولا يجوز خيانة أي إنسانٍ وإن كان يخالفنا في الدين، وقد قال النبي ﷺ: أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك.

١٢٧٤- تفيد التأكيد على عدم ترك الحق، ودوام المطالبة به، والاقتضاء للمماطل حتى يُسْتَخلص منه؛ فإن القيام على الحق والمطالبة به تؤدي إلى تحصيله أما الغفلة عنه فتؤدي إلى ضياعه.

١٢٧٥- فيها كشفٌ لشكلٍ من أشكال افتراء اليهود وكذبهم على الله ﷻ، فقد قالوا كذباً: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾.

١٢٧٦- تفيد أن الاعتقاد الفاسد يؤدي إلى العمل الفاسد؛ فلما اعتقدوا أنه لا حرج عليهم في أموال الأميين: استباحوها.

١٢٧٧- فيها التحذير من خطر المبررات بهدف أكل أموال الناس.

١٢٧٨- تفيد كشف عوار اليهود الذين استحل سلفهم أموال العرب سابقاً، ويستحلها خلفهم اليوم ظلماً وعدواناً.

١٢٧٩- فيها التأكيد على سوء خلق اليهود بكذبهم على الله ﷻ، مع علمهم بأنهم يكذبون، وأنهم يجانبون الحق. فيا لجرمهم ووقاحتهم مع خالقهم وموجدهم!، وقد ابتلي بهذه الخصلة بعض الذين انسلخوا من دينهم واغتروا بالثقافة الغربية، وما تصدره لنا من خزعبلات وترهات.

١٢٨٠- تفيد قبح وخطورة الكذب على الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِ﴾[الصف: ٧]، ومع العلم يزداد الإثم ويقبح الجرم.

قال تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:٧٦].

١٢٨١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن ذكرت الآية السابقة افتراء اليهود، وكذبهم على الله بقولهم: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾ جاء في هذه الآية الرد على افترائهم وكذبهم على الله ﷻ، وبينت أن عليهم إثم أخذ المال من غير حله.

١٢٨٢- فيها ردٌّ مفحمٌ على اليهود؛ بإثبات ما نفوه وإبطال ما زعموه.

١٢٨٣- فيها بيان حقيقة ما أوصاهم الله ﷻ به في التوراة: من الوفاء بالعهد وذلك بالإيمان بمحمد ﷺ وما جاء به من التشريع والأحكام، وتقوى الله ﷻ، وتأدية الأمانات إلى أهلها.

١٢٨٤- فيها توجيهٌ بوجوب الوفاء بكل عهد يلتزمه الإنســان، دل على ذلك تنكير كلمة ﴿بِعَهْدِهِۦ﴾ لتفيد العموم.

١٢٨٥- تفيد بيان منزلة الوفاء بالعهد - من حيث كونه عهداً بقطع النظر عن جهة العهد - فهو من التقوى وقرينها. وعظم الترغيب فيه بختم الآية بإثبات محبته سبحانه للمتقين.

١٢٨٦- تفيد ارتباط التقوى بالوفاء بالعهد، فهو لازم التقوى؛ والإنســان كلما اتقى الله ﷻ كان أوفى بالعهد، وكلما كان وفياً بالعهد كان هذا دليلاً على تقواه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

١٢٨٧- إثبات صفة المحبة لله ﷻ.

١٢٨٨- فيها توجيه للاهتمام بكل ما من شأنه جلب محبة الله ﷻ للإنسان.

١٢٨٩- تفيد أن استشعار محبة الله ﷻ تعين على الأعمال الصالحة.

١٢٩٠- تفيد أن من قدم الوفاء بالعهد مع الله ﷻ واتقى محارمه؛ استحق محبته سبحانه.

١٢٩١- تفيد أن التقوى سبب لنيل محبة الله ﷻ.

١٢٩٢- تفيد أن التقوى هي ملاك الأمر كله للوفاء، وغيره. من أداء الواجبات واجتناب المناهي.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران:٧٧].

١٢٩٣- تفيد مناســبة ظاهرة لما قبلها: فلما جاء في الآية الســابقة ذكر أهل الوفاء بالعهد المتقين، وما نالهم من محبة رب العالمين، جاء في هذه الآية النذير الأكيد، والوعيد الشديد للذين خانوا العهد بعرض من الدنيا، وأنهم بذلك عرضوا أنفسهم لسخط الله ﷻ وغضبه.

١٢٩٤- تفيد أنهم فعلوا هذه الموبقات عن رغبةٍ وحرصٍ ولذلك عبر عنه بالشراء.

١٢٩٥- تفيد تعظيم شأن العهود والمواثيق ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾[الإسراء: ٣٤].

١٢٩٦- تفيد تعظيم شأن الأيمان والحَلْف ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩].

١٢٩٧- تفيد الحث على الوفاء بالعهد الذي بينه وبين الله تعالى، والذي بينه وبين الناس.

١٢٩٨- تفيد أن خيانة العهد، والأيمان الفاجرة تدسّ النفس، وتوردها المهالك.

١٢٩٩- تفيد التحذير من أخذ المال بالباطل عن طريق الأيمان الفاجرة، فمن حلف على يمينٍ يقتطع بها مال معصوم فهو داخلٌ في هذه الآية.

١٣٠٠- تفيد التزهيد في الدنيا لأنها ثمنٌ قليلٌ لو أعطيها ثمناً لهذه المعصية.

١٣٠١- تفيد أن كل ثمن تُشترَى به آيات الله قليل.

١٣٠٢- تفيد التقليل من شأن الدنيا، وربط العباد بدار القرار حيث الفوز أو البوار.

١٣٠٣- فيها وعيد لعلماء السوء الذين يغيرون حكم الله ﷻ.

١٣٠٤- تفيد أن حكم الحاكم لا يحل المال في الباطن بقضاء الظاهر إذا علم المحكوم له بطلانه.

١٣٠٥- تفيد الحث على العمل للآخرة، وأن من ضيع نصيبه منها فقد خسر خسراناً مبيناً.

١٣٠٦- تفيد إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، وأنه جل وعلا يتكلم بما شاء متى شاء.

١٣٠٧- تفيد إثبات يوم القيامة، والتحذير من أهواله، وأن من عذاب بعض الناس فيه: أن لا يكلمهم الله سبحانه، ولا ينظر إليهم نظر رحمة، ولا يطهرهم من دنس الذنوب والكفر.

١٣٠٨- تفيد الحث على تزكية النفس، وتطهيرها، ودعاء الله سبحانه بذلك كما كان النبي ﷺ يقول: اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها.

١٣٠٩- تفيد أن عذاب الله ﷻ أليمٌ، موجعٌ للقلوب والأبدان والأرواح ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٥٠].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٨].

١٣١٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فهي معطوفة عليها، تتابع الحديث عن رذائل الذين خانوا العهد مع الله وخانوا العهد مع عباد الله، وحرفوا وبدلوا واشتروا بعهدهم ثمناً قليلاً، يلوون ألسنتهم بكلام يدعون أنه من كتاب الله، ويتقولون على الله كذباً وزوراً.

١٣١١- فيها توجيهٌ للعدل مع الخصوم؛ بذكر الجزء الفاسد دون التعميم.

١٣١٢- فيها كشفٌ لعوار اليهود، وإظهارٌ لخبثهم، وبيانٌ لأعمالهم الشنيعة، ورذائلهم الفظيعة.

١٣١٣- تفيد أن ليَّ الألسنة يشمل: الكذب، والتحريف، والتبديل، والتدليس، والتأويل الباطل، وإظهار بعض الكتاب وإخفاء بعضه قصداً، والتشكيك، وإثارة الشبهات.

١٣١٤- فيها إشارة إلى خطورة اللسان، وآثاره الشنيعة إذا استعمل فيما لا يرضي الله ﷻ، والتأكيد على ضبطه بضوابط الشرع.

١٣١٥- فيها تربيةٌ للمسلم على الفطنة، والكيس؛ بأن لا يخدع من قِبَل أهل البدع الذين يزعمون أن ما عندهم من البدع، والأهواء هو الحق، وهو مراد الله سبحانه. كما يفعل الرافضة والصوفية ونحوهم.

١٣١٦- في استعمال الأفعال المضارعة ﴿ يَلْوُنَ... وَيَقُولُونَ ﴾ دليلٌ على استمرارهم في الكذب، والتحريف. وهذا هو حال اليهود والنصارى إلى يومنا هذا: يزيدون، وينقصون، ويغيرون في كتبهم المحرفة، فالطبعات الجديدة من هذه الكتب تختلف عن الطبعات القديمة.

١٣١٧- فيها حثٌّ لأهل العلم على أن يقفوا سداً منيعاً أمام المحرفين لكلام الله ﷻ، والذين يلوون أعناق النصوص لتوافق أهواءهم، فإن هذا الفعل متكرر من أعداء الدين في كل زمان.

١٣١٨- فيها أن من مكرهم وإضلالهم للناس نسبة ما يختلقونه إلى كتاب الله ﷻ ليروج ويُقبَل.

١٣١٩- فيها إشارة إلى أن من أشكال التثبت من المعلومة والخبر أن يوافق ما جاء في الكتاب.

١٣٢٠- تفيد التحذير والتخويف لمن يركب سنن اليهود والنصارى، من أهل البدع، ممن يحرف الكلم عن مواضعه، ويتأول الكتاب على غير تأويله.

١٣٢١- فيها تذكيرٌ بتميز هذه الأمة التي امتن الله ﷻ عليها بكتاب ضبط، وحفظ مكتوباً في السطور، وحفظ مقروءاً في الصدور.

١٣٢٢- تفيد الفرق الكبير بين من يقترف السوء بجهالة، وبين من يقترفه عامداً عالماً مع سبق الإصرار.

١٣٢٣- تفيد أن الذين يقولون على الله الكذب وهم يعلمون أعظم جرماً ممن يقولون على الله بلا علم، لأن هؤلاء يجمعون بين نفي المعنى الحق، وإثبات المعنى الباطل، وتنزيل اللفظ الدال على الحق على المعنى الفاسد، مع علمهم بذلك.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

١٣٢٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما بين سبحانه أن عادة علماء أهل الكتاب التحريف والتبديل، جاء في هذه الآية ذكر أن من جملة ما حرفوه زعمهم أن عيسى عليه السلام كان يدعي الإلهية، وأنه كان يأمر قومه بعبادته.

١٣٢٥- تفيد أن النبوة تكون في البشر لا في غيرهم.

١٣٢٦- تفيد أن إيتاء الكتاب والحكم والنبوة اصطفاء من الله عز وجل، والله يؤتي فضله من يشاء.

١٣٢٧- تفيد أن الأنبياء الذين يصطفيهم الله سبحانه: أصحاب عصمة منزهون عن النقائص.

١٣٢٨- تفيد أن من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى إيتاء الكتاب، والحكم، والنبوة، وأن هذه النعم من الله عز وجل وحده.

١٣٢٩- فيها بيان أن من صفات العالم الرباني أن يدعو الخلق إلى عبادة الله عز وجل بالقول والفعل.

١٣٣٠- تفيد أن الأنبياء واتباعهم أبعد الناس عن الشرك والدعوة إلى عبادة غير الله سبحانه.

١٣٣١- تفيد أن من دعا الناس إلى عبادة نفسه فهو طاغوت، مخالف لما جاءت به الرسل والأنبياء.

١٣٣٢- تفيد خبث وضلال وكفر من يقول للناس: كونوا عباداً لي، وهذا يحصل من أهل الضلال والبدع يزينون للاتباع دعاءهم من دون الله سبحانه وتعالى كمن يقول:

إن كنت في هم وغم فنادني وقل يا ميرغني آتيك بسرعة.

١٣٣٣- فيها إشارة إلى أن العلم هو إرث النبوة، قال صلى الله عليه وسلم:"العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر".

١٣٣٤- تفيد أهمية الفقه في الدين، وبه يتميز العالم، وفي الحديث: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".

١٣٣٥- تفيد الحث على العلم، والتعليم، والعمل؛ فبها يكون العالم ربانياً.

١٣٣٦- تفيد أن الربانيين يأمرون بالعلم، والعمل، والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل. قال ابن الأعرابي: إذا كان الرجل عالماً عاملاً معلماً قيل: هذا رباني، فإن خرم منه خصلة لم يقل له رباني. [الفقيه والمتفقه للخطيب [١/٥٠]]. وقال علي

رضي الله عنه: [الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق]. [أبو نعيم في الحلية [١/ ٧٩]، والخطيب في الفقيه والمتفقه [١/ ٥٠]، وابن عبد البر في الجامع].

١٣٣٧- فيها أن كتاب الله عز وجل يصنع القادة الربانيين.

١٣٣٨- تفيد فضل العلم، والعلماء، وعظم أجر تعليم الناس، وتربيتهم بصغار العلم قبل كباره.

١٣٣٩- فيها إشارة للعلماء بالتحلي بالحلم، وبذل العلم، والتربية بالقدوة، والعمل؛ فمن لم ينفعك لحظه لم ينفعك وعظه.

١٣٤٠- تفيد أن الربانية نسبٌ كريمٌ، وشرفٌ عظيمٌ يناله صاحب القرآن الذي تَعلَّمه وعَلَّمه، "خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه".

١٣٤١- فيها تعظيم لشأن المعلم، وأهمية بذل العلم، وذلك بتقديم الأداء على التحمل ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ قبل ﴿تَدۡرُسُونَ﴾.

١٣٤٢- فيها إشارة إلى أن أفضل العلم هو: الذي يتحصل بالمدارسة؛ فالتدارس منهج قرآني يخرج الربانيين.

١٣٤٣- تفيد أن الدراسة استخلاص النافع من العلم، والأهم منه، كما هو الحال في درس الحب الذي يفصل القش عن الحب النافع.

١٣٤٤- تفيد أن فهم النصوص يحتاج إلى مدارسة، والمدارسة تفيد التفاعل بالأخذ والرد، ويتشارك فيها اثنان فأكثر.

١٣٤٥- تفيد أن المدارسة لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ترسخ العلم وتبقيه.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

١٣٤٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما جاء النفي عن عيسى عليه السلام أن يقول بأنه إله، أو ابن إله، جاء في هذه الآية النفي أن يأمرهم أن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابا من دون الله عز وجل.

١٣٤٧- ومن المناسبة أيضا: بعد ذكر لَيِّ اليهود ألسنتهم وتحريفهم التوراة، ثم ذكر التحريف عند النصارى بافترائهم على عيسى عليه السلام بأنه أمرهم بعبادته، جاء تنزيه نبي الله عيسى عليه السلام عن أن يدعو الناس لعبادته أو عبادة غيره، بل العبادة تكون لله عز وجل وحده.

١٣٤٨- فيها مع ما قبلها أن الربانيين دعاة توحيد متأسين بالأنبياء أئمة التوحيد والهدى.

١٣٤٩- تفيد الإيمان بالملائكة، والأنبياء، وأنهم لا يعبدون مع الله سبحانه، وليس لهم من خصائص الربوبية شيء.

١٣٥٠- تفيد أن العبادة لا تجوز لغير الله تعالى لا لنبيٍ مرسلٍ ولا لملكٍ مقربٍ.

١٣٥١- تفيد أن الأنبياء وأتباعهم إنما يأمرون بالإيمان والتوحيد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له

١٣٥٢- تفيد أن أكثر البشر ضلوا بسبب الغلو في الصالحين كالأنبياء والملائكة والأولياء.

١٣٥٣- فيها تنبيهٌ على عدم المغالاة في الملائكة، والأنبياء، والصالحين لئلا يبلغ العبد حد الشرك بالله ﷻ.

١٣٥٤- تفيد أن من عبد غير الله ﷻ فقد اتخذه رباً ولو لم يعتقد أنه يخلق ويرزق ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[التوبة: ٣١].

١٣٥٥- تفيد أن عبادة غير الله تعالى كفرٌ وارتدادٌ عن الإسلام، ومن ذلك اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً.

١٣٥٦- تفيد أن من دعا إلى عبادة غير الله سبحانه فقد دعا إلى الكفر.

١٣٥٧- تفيد أن الأنبياء، وأتباعهم لا يأمرون بالكفر، ولا يرضونه بل يدعون إلى التوحيد، والإيمان

١٣٥٨- تفيد قبح الرجوع إلى الكفر بعد الإسلام والإيمان، وفي الحديث المتفق عليه: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان... وذكر منها: أن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار".

١٣٥٩- تفيد أن جميع الأنبياء جاؤوا بدين الإسلام.

١٣٦٠- تفيد أن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١].

١٣٦١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما جاء النفي عن نبي الله عيسى عليه السلام أن يأمر قومه بعبادته بشكل خاص، أو يتخذوا الملائكة والنبيين عموماً أرباباً من دون الله، جاء التنبيه على أن الله عز وجل قد أخذ ميثاق النبيين جميعاً، ومنهم موسى، وعيسى عليهما السلام أن إذا بُعث نبي الرحمة ﷺ وهم أحياء: أن يؤمنوا به ويتبعوه. ومن قال إنها للأنبياء عموماً فكل نبي يأتي بعد نبي يجب على اللاحق أن يؤمن بالسابق وينصره، فإن نبينا ﷺ هو آخرهم جميعاً ورسالته هي الخاتمة فكل من سبقه يؤمن به وبما جاء به. فكلهم جاء بالتوحيد ولتعبيد العباد لرب العباد.

١٣٦٢- تفيد أن الله عز وجل أخذ الميثاق على جميع الأنبياء، وهذا يدل على عِظَم الأمر وشدته.

١٣٦٣- تفيد منة الله عز وجل على الأنبياء خصوصاً، والبشر عموماً بإيتاء الكتاب والحكمة؛ لما فيهما من خير، وسعادة، وهداية.

١٣٦٤- تفيد أن الله عز وجل أعطى الأنبياء الكتاب والحكمة، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٣].

١٣٦٥- تفيد أن الرسل والأنبياء يصدق بعضهم بعضاً.

١٣٦٦- تفيد وجوب الإيمان بجميع الرسل والأنبياء، وعدم التفريق بينهم، وأن من كفر برسولٍ واحدٍ فقد كفر بجميع الرسل.

١٣٦٧- تفيد أن جميع الأنبياء متكافلون متناصرون، وفي ذلك دعوة لورثة الأنبياء بالعلم والحلم من الربانيين أن يكونوا متكافلين متناصرين.

١٣٦٨- تفيد أن الدين يوحد القلوب ويجمعها؛ لاتحاد المبادئ والأهداف.

١٣٦٩- تفيد وجوب، وفضل الإيمان بمحمد ﷺ، ونصرته، ونصر سنته.

١٣٧٠- فيها أعظم الدلائل على علو مرتبة النبي ﷺ، وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيد الرسل عليه الصلاة والسلام.

١٣٧١- فيها تأكيد على خيانة اليهود والنصارى لما شهده أنبياؤهم على أنفسهم، وعلى أقوامهم من الإيمان بالنبي الخاتم ﷺ، ونصرته.

١٣٧٢- تفيد وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق، وخبث اليهود الذين اشتهروا بنقضها.

١٣٧٣- تفيد عِظَم الميثاق، وشدة خطره، فإن نقضه من أسباب لعنة الله ﷻ، وقسوة القلوب كما حصل لليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

١٣٧٤- تفيد تغليظ الميثاق على الأنبياء وأتباعهم.

١٣٧٥- تفيد مشروعية تقرير الشخص لزيادة التأكيد.

١٣٧٦- تفيد فضل الشهادة بالحق.

١٣٧٧- تفيد مشروعية الإشهاد على العقود، والعهود، والمواثيق.

١٣٧٨- تفيد أن الله ﷻ يشهد، وكفى بالله شهيداً، والله خير الشاهدين.

١٣٧٩- فيها توجيه لكل أحد: لاستحضار معية الله ﷻ عند الالتزام بالعهد، وإبرام أي عقد، فهو ﷻ شاهد عليه، وسائله عن الوفاء به.

قال تعالى: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[آل عمران:٨٢].

١٣٨٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فالذي يعطي الميثاق المشدد ويشهد الله عليه، إذا أعرض بعد ذلك، ولم يلتفت إلى عهده وميثاقه كان فاسقاً له الوعيد وينتفي عنه الإيمان.

١٣٨١- فيها مع ما قبلها تفخيم الميثاق وتعظيمه فقد جاء في الآية السابقة ألفاظ تشير إلى التفخيم والتعظيم: [لفظ الجلالة، والقسم، والإصر] وجاء في هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التفخيم والتعظيم.

١٣٨٢- فيها مع ما قبلها أن كل من لم يؤمن بالنبي المتأخر المصدق لمن قبله من الأنبياء، ولم ينصره فهو جاحد فاسق.

١٣٨٣- فيها تأكيد على أن أهل الكتاب خارجون عن دائرة الإيمان؛ بإعراضهم عن عهدهم ونقضهم ميثاقهم.

١٣٨٤- تفيد أن من أنواع الكفر: التولي والإعراض مع العلم؛ فليس كل من كفر كان مكذباً.

١٣٨٥- تفيد أن من حاد عن سنة الرسول الخاتم ﷺ، وخالف طريقه بعد ما جاءه دليله، وتبينت معجزته؛ له المقت والوعيد من الله تعالى.

١٣٨٦- فيها تأكيد على أن الغالبية العظمى من أهل الكتاب أعرضوا عن عهدهم مع الله ﷻ، بدلالة: اسم الإشارة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الدال على الجمع، بعد مجيء [من] الدالة على الإفراد، وقد قال الله ﷻ لأهل الكتاب ﴿وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

١٣٨٧- تفيد أن من ادعى أنه من أتباع موسى أو أتباع عيسى عليهما السلام ولم يعمل بميثاقهما فهو فاسق.

١٣٨٨- تفيد بعد منزلتهم في الشر والفساد؛ لأن في اسم الإشارة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾معنى البعد.

١٣٨٩- تفيد الحكم بالفسق على من يعرض عن الميثاق الذي أخذه الله على عباده.

١٣٩٠- في قوله: ﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ دلالة على أنهم خرجوا عن الطاعة، مع الكفر.

١٣٩١- تفيد أن الفسق قد يطلق على الكفر كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨].

١٣٩٢- تفيد أن الذي يكفر عن علم، وعناد، ونقض للميثاق: أغلظ كفراً من غيره، وهو فاسقٌ خارجٌ عن الإيمان إلى الكفر.

١٣٩٣- تفيد أن الله ﷻ بين لعباده الحجة، وأوضح المحجة، وأقام البراهين، وأخذ المواثيق فمن أعرض بعد ذلك فهو دليل على فسقه وخروجه عن طاعة ربه؛ ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٩٩ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٩٩ - ١٠٠].

قال تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣].

١٣٩٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فبعد ما جاء من الوعيد في الآية السابقة لمن تولى عن الميثاق الذي أخذه الله على العباد وعلى رأسهم الأنبياء عليهم السلام، جاء في هذه الآية تعليل هذا الوعيد، وبيان دين الحق.

١٣٩٥- من المناسبة أيضاً: لما بينت الآية السابقة أن اتباع محمد ﷺ أمر أوجبه الله ﷻ على الأنبياء، والأمم السابقين، بينت هذه الآية أن من أعرض عن ذلك يكون طالباً لدين غير الدين الذي أوجبه الله ﷻ وشرعه لخلقه.

١٣٩٦- فيها محاجة للذين كفروا، وأعرضوا من أهل الكتاب.

١٣٩٧- في الاستفهام الانكاري دليلٌ على أن من ابتغى غير الإسلام ديناً من أضل وأجهل الخلق، وهو مخالف للعقل والفطرة.

١٣٩٨- في تقديم المفعول ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾: لأهميته، ولإظهار شناعة ما فعلوه، ولذلك قدمه على الفعل ﴿يَبْغُونَ﴾ الذي حقه التقديم.

١٣٩٩- تفيد أن دين الله واحد؛ ولذا نسبه تعالى إلى نفسه. فلا ينبغي أن يقال: الأديان السماوية، وإنما يقال: الشرائع السماوية، فالاختلاف في الشرائع لا في الدين، ولهذا قال ﷺ: " الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد".

١٤٠٠- تفيد أن دين الإسلام هو دين الله ﷻ الذي ارتضاه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

١٤٠١- تفيد خطورة محبة غير الإسلام من الديانات.

١٤٠٢- فيها أن الإنسان مخلوق ضمن المخلوقات في السماوات والأرض التي خضعت لله تعالى وأسلمت له طوعاً، وكرهاً، وقد كرمه الله ﷻ على كثير منها، فهو الأولى من بين هذه المخلوقات التي سخرها الله ﷻ من أجله؛ أن يسلم له سبحانه شكراً واعترافاً بالإنعام والتكريم.

١٤٠٣- تفيد أن جميع المخلوقات خاضعة مستسلمة لله ﷻ، لا تخرج عن حكمه وقدره.

١٤٠٤- فيها تذكير العباد بالرجوع إلى الله تعالى، ومجازاتهم بأعمالهم؛ وفي هذا حث على الاستعداد ليوم المعاد.

١٤٠٥- فيها دليل على البعث، والحساب، والجزاء.

١٤٠٦- تفيد أن الذي يقبل الدين والتدين هو الله تعالى وحده.

قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [ال عمران:٨٤].

١٤٠٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها فلما سبق بيان نقضهم للعهد، وإعراضهم عنه، وابتغائهم غير دين الله الذي ارتضاه لهم، جاء التلقين لنبي الهدى ﷺ بما يجيبهم به من حق يدفع به الباطل ويقمع الشرك وأهله.

١٤٠٨- ومن المناسبة أيضاً: لما أنكرت عليهم الآية السابقة طلبهم غير دين الله ﷻ، واتباع غير شرعه، جاء في هذه الآية بيان أن دين الله ﷻ الذي ارتضاه للناس هو الإسلام.

١٤٠٩- تفيد أن أسلوب التلقين له أهميته في تقرير حقائق الإيمان.

١٤١٠- فيها تكريم ومزيد عناية بالنبي الخاتم ﷺ، وذلك بتلقينه بما يرد به على أعداء التوحيد وأهل الباطل.

١٤١١- تفيد أن الإيمان لابد فيه من قول اللسان، مع اعتقاد الجنان والعمل بالأركان.

١٤١٢- في قوله: ﴿قُلْ﴾ إشارة إلى الإعلان بالعقيدة، والصدع بها، والدعوة إليها، إذ هي أصل الدين وأساسه.

١٤١٣- قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ يشمل القرآن والسنة لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [النساء:١١٣] والحكمة هي السنة لقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾[الأحزاب: ٣٤] فآيات الله: القرآن والحكمة هي سنة النبي ﷺ.

١٤١٤- في قوله: ﴿ءَامَنَّا﴾ ونحوه مما فيه صدور الفعل، منسوباً إلى جميع الأمة، إشارة إلى أنه يجب على الأمة، الاعتصام بحبل الله جميعاً، والحث على الائتلاف حتى يكون داعيهم واحدا، وعملهم متحداً، وفي ضمنه النهي عن الافتراق.

١٤١٥- تفيد الإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء، والإيمان بالأنبياء عموماً وخصوصاً، ومن نص عليه في الآية، لشرفهم ولإتيانهم بالشرائع الكبار.

١٤١٦- تفيد الإيمان بعلو الله تبارك وتعالى على خلقه؛ لأن النزول لا يكون إلا من علو.

١٤١٧- فيها دلالة على أن عطية الدين هي العطية الحقيقية، المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية فلم يأمرنا أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك، بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع.

١٤١٨- إشارة إلى أنه من كمال ربوبيته لعباده، أن ينزل عليهم الكتب، ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته، تركهم سدى ولا هملاً.

١٤١٩- فيها فضيلة من ذكر من الأنبياء في هذه الآية؛ لأنه خصهم بالذكر ثم عمم.

١٤٢٠- فيها النهي عن التفريق بين الرسل وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

١٤٢١- فيها دليل على إخلاص العبادة لله وحده؛ بدليل تقديم المعمول، وهو ﴿لَهُۥ﴾ على العامل وهو ﴿مُسۡلِمُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

١٤٢٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما قررت الآية السابقة أن الدين الذي ارتضاه الله للخلق هو دين الإسلام، وهو ما كان عليه أنبياء الله ﷻ، وأخذ عليهم الميثاق باتباعه واتباع تشريعاته، جاء في هذه الآية التأكيد على أن كل من ابتغى غيره ديناً فلن يقبل منه وعاقبته الخسران المبين.

١٤٢٣- فيها رد على الجبرية لأن ﴿يَبۡتَغِ﴾تدل على أن للعبد إرادة، ومشيئة، وابتغاء وليس هو كالريشة في مهب الريح كما تقوله الجبرية.

١٤٢٤- التعبير بالمضارع فيه دليل على أن من عاش على غير الإسلام، واستمر على ذلك حتى مات! فهو من الخاسرين.

١٤٢٥- تفيد أن على كل أحد أن يرضى بالدين الذي ارتضاه لهم الله ﷻ، بكل تشريعاته وتفاصيله، والمسلمون أولى الناس بذلك، ومن رضي منهم بغير ذلك كان مرتدا، وتجري عليه أحكام الردة.

١٤٢٦- فيها التأكيد على نسخ الإسلام لكل الرسالات التي سبقته.

١٤٢٧- فيها رد على دعاة وحدة الأديان، أو زمالة الأديان.

١٤٢٨- فيها رد على من قال: إن الديانات الموجودة بالعالم كاليهودية والنصرانية وغيرها ديانات صحيحة مقبولة عند الله ﷻ، والذين التزموا، وأحسنوا فيها ينجون من النار ويدخلون الجنة مع المسلمين، ولا يلزم دخولهم في الإسلام. وقد قال النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار". رواه مسلم، و﴿وَمَن﴾ في الآية للعموم تشمل كل أحد، و﴿غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ﴾ للعموم أيضا فتشمل كل الأديان.

١٤٢٩- تفيد أن الإسلام إذا اطلق دخل فيه الإيمان والإحسان والإسلام. وإذا جاء مقيداً فالمراد به الأعمال الظاهرة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ﴾ [الحجرات: ١٤]، وكما في حديث جبريل المشهور.

١٤٣٠- تفيد أن الأعمال لا تقبل إلا بوجود شرطها وهو الإسلام ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤].

١٤٣١- فيها معنى حديث النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". أمرنا: أي ديننا.

١٤٣٢- تفيد أن أهل البدع من الخاسرين.

١٤٣٣- تفيد إثبات الآخرة، ووجوب الاستعداد لها بالتمسك بالدين الصحيح وهو الإسلام والعمل به.

١٤٣٤- تفيد التخويف من خسارة الآخرة؛ لأنها أعظم، وأخطر، ولا يمكن تعويضها بخلاف خسائر الدنيا.

قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٨٦].

١٤٣٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكرت الآية السابقة خسران من أعرض عن دين الحق الذي ارتضاه الباري للخلق، جاء في هذه الآية بيان من هم أشد الناس خسارة.

١٤٣٦- تفيد أنه ليس مستغربا أن يتحول الإنسان من الكفر إلى الإيمان، ولكن العكس هو المستغرب، والداعي للتعجب.

١٤٣٧- في الاستفهام معنى الإنكار على من كان هذا منه، فالله ﷻ لا يهدي من كان هذا حاله، (وهذا يشمل: أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بمحمد ﷺ قبل بعثته ثم كفروا به لما بعثه الله سبحانه وتعالى، ومن ارتد عن دينه بعد أن آمن به واتبع هداه).

١٤٣٨- تفيد أن هداية القلوب بيد الله ﷻ وحده.

١٤٣٩- تفيد أن للهداية أسبابٌ، وللضلال أسبابٌ.

١٤٤٠- تفيد الرد على الجبرية في أن الهداية والإضلال بيد الله تعالى، ولكل منهما أسبابه، وحكمته، وليست خبط عشواء.

١٤٤١- تفيد أن الهداية مطلب لا يستغني عنه الخلق؛ لتستقيم حياتهم بنورها.

١٤٤٢- تفيد أن الجزاء من جنس العمل؛ فهؤلاء لما كفروا بعد الهدى أضلهم الله ﷻ ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥].

١٤٤٣- تفيد أن الكفر من موانع الهداية.

١٤٤٤- فيها أن من أشد القبح أن تكفر وتنغمس في ظلمة الضلالة بعد أن آمنت ونعمت بنور الهداية.

١٤٤٥- تفيد أن الرسول ﷺ حق، وجاء بالحق، وقد كان النبي ﷺ يقول في استفتاح قيام الليل: " أنت الحق وقولك حق... ومحمدٌ حق ".

١٤٤٦- تفيد كثرة البينات على الإيمان؛ فمن كفر بعدها فلا عذر له، وهو من الظالمين.

١٤٤٧- تفيد أن الإنسان الذي تكثر له أسباب الهداية، ومع ذلك يضل ويزيغ، هو إنسانٌ ظالمٌ، معاندٌ، مستكبرٌ، أضله الله تعالى بعدله ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠].

١٤٤٨- فيها تبرير ممن لا يحتاج إلى تبرير لسبب العتاب والعقاب، وفي ذلك رسالة إلى كل صاحب ولاية بضرورة تبرير العقاب في حق من هم تحت ولايته، وأن يعزز التبرير بالحجج، وأن يتناسب الجزاء مع حجم الذنب.

١٤٤٩- تفيد أن الكفر بعد الإيمان من أعظم الذنوب، وصاحبه معرض للمقت، والضلال، وعدم التوفيق للهداية. نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

١٤٥٠- تفيد أن الظلم من موانع الهداية.

١٤٥١- تفيد التنفير من الظلم، وبيان عاقبته من خلال حرمان أعظم نعمة: نعمة الهداية.

١٤٥٢- تفيد أن التولي بعد الإيمان، ومعرفة الحق يدخل صاحبه في زمرة الظالمين.

١٤٥٣- تفيد أن أشد الظلم هو الخروج من نور الإيمان إلى ظلمة الكفر.

١٤٥٤- فيها بيان عدل الله ﷻ؛ فهو لا يعاقب إلا بعد إقامة الحجة والبرهان على ما يطلب الإيمان به، والعمل بموجبه.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [آل عمران:٨٧].

١٤٥٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فقد بدأت باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي الذين سبق ذكرهم ممن عرفوا الإيمان، وبانت لهم دلالاته، وقامت عليهم حججه، فجاء اسم الإشارة للتنبيه، والتأكيد على أنهم يستحقون ما بعده من الإقصاء من رحمة الله ﷻ، واللعن، والعذاب.

١٤٥٦- تفيد التحذير، والتخويف من هذا الذنب العظيم، الذي يوجب اللعن، والعذاب، والخسران المبين.

١٤٥٧- تفيد عدل الرب ﷻ، وأن هؤلاء استحقوا هذه العقوبة جزاءً وفاقاً بسبب أعمالهم.

١٤٥٨- تفيد أن الجزاء من جنس العمل؛ فكما ابتعد هؤلاء عن دين الحق، أبعدهم الله ﷻ عن رحمته.

١٤٥٩- تفيد جواز لعن من لعنه الله ﷻ.

١٤٦٠- تفيد إثبات صفة الرحمة لله ﷻ؛ لأن اللعن معناه: الطرد من رحمة الله ﷻ الواسعة.

١٤٦١- تفيد إثبات الملائكة، وقربهم من الله ﷻ وطاعتهم له، وبغضهم، ولعنهم من لعنه الله ﷻ.

١٤٦٢- تفيد أن الملائكة تصطلح، وتنسجم مع أهل الإيمان، وتعادي، وتبغض، وتلعن أهل الكفر.

١٤٦٣- تفيد أن جميع الناس يلعنون هؤلاء، وهذا يدل على عظيم خسرانهم وشقائهم.

١٤٦٤- فيها ردٌ على الذين يدّعون نجاة أهل الكفر من النار مهما كان حالهم، كما أن فيها ردٌ على دعوى تقارب الأديان.

قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران:٨٨].

١٤٦٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فالآية تتابع بيان عاقبة الجاحدين، المعرضين عن دين خاتم المرسلين ﷺ.

١٤٦٦- تفيد التخويف من عذاب الآخرة؛ فقد ذكر في الآية السابقة عذاب الدنيا، وأخر عذاب الآخرة لأنه أشد وأبقى.

١٤٦٧- في ذكر تخليد العذاب ما يخلع القلوب؛ لأن العذاب إذا كان سينقطع في وقت من الأوقات تعللت النفس، وتصبرت بخلاف الخلود الذي لا أمل بعده.

١٤٦٨- تفيد خلود النار لأن خلود العذاب يستلزم ذلك.

١٤٦٩- فيها تأكيد على دوام إبعاد أهل الكفر من رحمة الله ﷻ، وخلودهم في النار، يعذبون فيها جزاء كفرهم، وإعراضهم عن دين ربهم ﷻ.

١٤٧٠- تفيد إثبات وجود النار، وبقائها، وشدة عذابها، وخلود أهلها فيها.

١٤٧١- تفيد أن عذاب النار لا يخفف بل يزداد شدة، وفي هذا مزيد عذاب لهم، قال تعالى: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

١٤٧٢- تفيد أن أهل النار لا ينتقص من عذابهم شيئاً استحقاقا، ذلك أنهم كفروا بعد ما جاءتهم البينات الواضحة، والحجج المفحمة، وأعرضوا عن ذلك كله.

١٤٧٣- فيها أنهم لما انغمسوا في الكفر والضلال ولم يعودوا عن ذلك، استحقوا أن يغمسوا في العذاب الأليم، لا يخرجون من النار، ولا يفتر عنهم العذاب.

١٤٧٤- تفيد أن الذين بخسوا أنفسهم، وأصروا على أن يدسوها بالإعراض عن آيات الله ﷻ، وتكذيب رسوله ﷺ، وماتوا على ذلك لا يمهلون ليعودوا فيعتذروا، ويتوبوا.

١٤٧٥- تفيد أن إضاعتهم لفرصة إنظارهم، وإمهالهم في الدنيا، حرمهم أن ينظروا من العذاب الأليم في الآخرة.

١٤٧٦- فيها أشد الوعيد لمن آثروا الكفر على الإيمان، والضلال على الهدى، وخرجوا من الدنيا على ذلك.

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [ال عمران:٨٩].

١٤٧٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد التأكيد على الخلود في النار للذين جاءتهم البينات لاتباع دين الحق، ثم أعرضوا عن ذلك، وآثروا الكفر على الإيمان، جاء في هذه الآية بيان عظيم رحمته بعباده سبحانه فاستثنى من تاب وآب إلى مولاه واتبع رضاه.

١٤٧٨- تفيد الحث على التوبة، والإسراع بها، وأن لا يقنط الإنسان من رحمة الله ﷻ مهما بلغت ذنوبه فإن الله ﷻ يغفر للكافر والمرتد إن تابوا قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣٨]، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

١٤٧٩- في الآية تتجلى رحمة الله ﷻ، فتأتي الفرصة بعد كل ما سبق منهم، حتى في حق من ارتد بعد إسلامه، فيستثني من العذاب من يعود عن كفره، وردته، ويصدق بما جاءه من ربه ﷻ عن طريق نبيه المصطفى ﷺ.

١٤٨٠- تفيد حث التائب على الإكثار من عمل الصالحات ليعوض ما فاته.

١٤٨١- تفيد أن من كان ذنبه متعدياً للآخرين بإفسادهم؛ كان من تمام توبته إصلاح ما أفسد.

١٤٨٢- تفيد الحث على التوبة النصوح، ثم إتباعها بالعمل الصالح؛ فمن فعل ذلك سيجد أن الله غفورٌ، رحيمٌ، غافر الذنب، وقابل التوب.

١٤٨٣- فيها ترغيب وترهيب؛ حيث يتجلى لفظ الجلالة بما فيه من الهيبة، والرهبة، والعظمة والجلال ﴿ٱللَّهَ﴾ اسم [إنّ] المؤكدة، ثم يأتي خبراها ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بما يحملان من الرغبة، والرجاء في عوده على عباده بالعفو، والمغفرة لسعة رحمته.

١٤٨٤- فيها تأكيد على مغفرة الله ﷻ لمن تاب من ذنبه.

١٤٨٥- تفيد ستر الله ﷻ على عباده، ومحبته للستر؛ لأن المغفرة: ستر الذنب مع التجاوز عنه.

١٤٨٦- تفيد أن للذنوب شؤماً، وضرراً يحتاج معه الإنسان إلى مغفرة الله ﷻ ورحمته.

١٤٨٧- فيها تأكيد على سعة رحمة الله تعالى وجميل عفوه.

١٤٨٨- فيها تتجلى رحمته ﷻ في الدنيا والآخرة: في الدنيا: بحماية العبد الذي يذنب مما يقع في نفسه من ألم الذنب، وشؤم المعصية فتدركه رحمة الله ﷻ بفتح باب التوبة، فيغفر له، وفي الآخرة: يرحمه من أن يعذب العذاب، الدائم، الأليم.

١٤٨٩- تفيد إثبات اسمين من أسماء الله ﷻ: [الغفور، والرحيم].

١٤٩٠- تفيد أنه يحسن الدعاء، والتوسل بهذين الاسمين عند التوبة من الذنب.

١٤٩١- تفيد إثبات صفتين من صفات الرحمن جل وعلا وهما المغفرة والرحمة.

١٤٩٢- تفيد الحث على التوسل بهذه الصفات العظيمة، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: يا حي، يا قيوم برحمتك أستغيث؛ فتوسل بالرحمة.

١٤٩٣- تفيد أن الآيات القرآنية تختم بما يناسب المقام من الأسماء الحسنى، والصفات العلى وفي فهم ذلك، وتدبره فقهٌ عظيمٌ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠].

١٤٩٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: ففي الآية السابقة أعذر الله ﷻ إلى عباده الذين عاندوا، وجحدوا، وكفروا بعد إيمانهم؛ بسعة رحمته، ففتح لهم باب التوبة بعد كل ذنوبهم، ثم جاء في هذه الآية الوعيد، والتهديد لمن أصر على كفره، وتمادى في غيه، فازداد كفراً على كفره حتى جاءه الموت وهو على ذلك.

١٤٩٥- فيها تعريضٌ بأهل الكتاب الذين عرفوا خبر محمد ﷺ، ودينه فآمنوا بذلك قبل بعثته، ثم كفروا به، وبما جاء به بعد بعثته، وازدادوا إصراراً على كفرهم وعداوتهم له.

١٤٩٦- فيها إظهار لعزة الله ﷻ، وحكمته، بعد ذكر حلمه، ومغفرته، ورحمته.

١٤٩٧- تفيد أن هذا الوعيد لمن خرج من الدنيا وهو كافر، لأن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، أو يموت على كفره.

١٤٩٨- تفيد التخويف من الكفر بعد الإيمان، والحث على التمسك بالإيمان حتى الموت.

١٤٩٩- تفيد أن ما وقع عليهم من الوعيد هو بسبب تماديهم في الكفر، وقد دل على ذلك أداة التراخي ﴿ثُمَّ﴾.

١٥٠٠- فيها إشارة إلى أن الذين يتعمقون في الكفر بعد إيمانهم، ويزدادون عناداً، وإعراضاً عن الحق؛ قد حرموا أنفسهم التوفيق للتوبة.

١٥٠١- فيها إشارة إلى تدرج العبد في الكفر، فإن من خطى فيه خطوة يخشى أن يتبعها خطوات، حتى يتمكن الكفر من نفسه. نعوذ بالله من الخذلان.

١٥٠٢- تفيد أن الكفر يزيد، وأن الكفار ليسوا على درجةٍ واحدةٍ.

١٥٠٣- فيها تعريض بأصحاب هذا الذنب العظيم، فهم: ضلوا طريق الهداية، وضلوا طريق العودة والإنابة، وضلوا عن سبيل الرحمة، وطريق عفو البر الرحيم. ضلوا عن كل طريقٍ إلى النجاة، فكان مصيرهم البوار والهلاك.

١٥٠٤- فيها دليل على سعة علم الله ﷻ فهو يعلم الغيب، ويعلم ما سيكون من خلقه، ولزوم بعضهم جانب الكفر، وعدم خروجهم من مستنقعه حتى الموت.

١٥٠٥- الآية تشعر بأن المرتد قسمان: قسمٌ تقبل توبته، وهو من كفر فقط، وقسمٌ لا تقبل توبته، وهو من كفر ثم ازداد كفراً، وأن على الإنسان أن يحرص على أسباب قبول التوبة.

١٥٠٦- تفيد فضيلة التوبة، وحث العباد عليها، والإسراع فيها قبل أن لا تُقْبَل.

١٥٠٧- تفيد أن السيئات ينتج بعضها بعضاً، وخصوصاً لمن أقدم على الكفر العظيم، وترك الصراط المستقيم، وقد قامت عليه الحجة، ووضح الله ﷻ له الآيات والبراهين، فهذا هو الذي سعى في قطع أسباب رحمة ربه عنه، وهو الذي سد على نفسه باب التوبة، ولهذا حصر الضلال في هذا الصنف، فقال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ وأي: ضلال أعظم من ضلال من ترك الطريق عن بصيرة.

١٥٠٨- تفيد أن هؤلاء أشد الناس ضلالاً؛ لحصر الضلال فيهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:٩١].

١٥٠٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكرت الآية السابقة النفي القاطع لقبول توبة المصر على كفره، المنغمس فيه، يزداد جحوداً وغياً يوماً بعد يوم، مع أن التوبة ممكنة من كل ذنب مهما عظم، وحتى لا تبقى شبهة، ولبيان سر الجزم بعدم قبولها، جاء في هذه الآية التأكيد على أن الذي يستمر على كفره حتى يأتيه الموت وهو على ذلك، هو الذي يثبت في حقه هذا الإبعاد، والحرمان، والوعيد الشديد.

١٥١٠- تفيد التأكيد على فضل التوحيد، وخطورة الشرك والكفر، لأنها أعظم الذنوب، ولا يقوم معها عمل مهما عظم.

١٥١١- تفيد أن شرط العذاب: هو الموت على الكفر، فلو تاب من الكفر قبل موته لم يعذب، وهذا من رحمة الله سبحانه بعباده، وفضله الواسع.

١٥١٢- تفيد الحث على العمل الصالح، وقت القبول والإمهال، وعدم التسويف والتأخير.

١٥١٣- تفيد أهمية الحرص على قبول العمل؛ وذلك بالإخلاص والتقوى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

١٥١٤- تفيد أن الذهب من أنفس الأموال التي تتعلق بها نفوس أهل الدنيا؛ ولذلك يذكر أولاً في الآيات التي تذكر فيها الأموال.

١٥١٥- فيها إشارة إلى أن الذهب تُقَوَّم بموجبه الأموال، ويستخدم في التعاملات التجارية، والفداء، أو بما يقابله من القيمة.

١٥١٦- تفيد أن فداء النفوس من العذاب إنما يكون بالإيمان الخالص، والعمل الصالح، وفوق هذا رحمة أرحم الراحمين.

١٥١٧- تفيد استحالة نجاة هؤلاء من العذاب الأليم؛ فلا أحد يملك ملء الأرض ذهباً، ولو ملكه ما استطاع أن يأتي به يوم القيامة، ولو جاء به، أو جمع له وقدمه ليفتدي به نفسه من العذاب ما قبل منه. فما أفظع هذا الحال! عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفدي به؟ فيقول: نعم فيقول: أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي". رواه البخاري.

١٥١٨- تفيد بيان حجم الخسران الذي وقع فيه من آثر الكفر على الإيمان، وتجاوز كل الفرص التي منحها في الحياة الدنيا، حتى ادركه الموت وهو على ذلك.

١٥١٩- تفيد الإشارة إليهم ب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى بعد منزلتهم في الضلال، والعذاب.

١٥٢٠- تفيد أن عذاب الله عز وجل أليمٌ، موجعٌ للقلوب، والأبدان، والأرواح. أجارنا الله وإياكم منه

١٥٢١- تفيد أن الكفار والمشركين ليس لهم يوم القيامة من ينصرهم ويصرف عنهم العذاب؛ فهؤلاء الذين عبدوهم، ودعوهم من دون الله يتبرؤون منهم، ولا يملكون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون.

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران:٩٢].

١٥٢٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد الحديث عن مآل أهل الكفر الذين ماتوا على كفرهم، وما ينتظرهم من عذابٍ أليمٍ مقيمٍ، جاء في هذه الآية - كما هو سنن القرآن في مقابلة

الترهيب بالترغيب -: مآل أهل الإيمان الذين ماتوا على إيمانهم، وما ينتظرهم من نعيم مقيم، وبيان أعمالهم النافعة كالإنفاق.

١٥٢٣- ومن المناسبات: لما سبق بيان أن الله ﷻ لا يقبل النفقة، والفداء بعد الموت ولو كان ملء الأرض ذهباً، جاء في هذه الآية بيان أن الله يقبل النفقة قبل الموت، وإذا أنفق العبد مما يحب كان جزاؤه الجنة.

١٥٢٤- تفيد أن الجنة لا ينالها العبد بالتمني، وإنما يبلغها بالتقرب إلى الله ﷻ بما يحب من الأعمال.

١٥٢٥- تفيد أن الإنسان قد ينفق ولا يحسب في أهل البر؛ إذا لم يكن إنفاقه من محابه.

١٥٢٦- تفيد أن العبد بحسب إنفاقه للمحبوبات يكون بره، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك.

١٥٢٧- تفيد الحث على البر، وجميع خصاله، ومن أعظمها الإنفاق مما تحبه النفس.

١٥٢٨- تفيد الترغيب في البر الذي يقود إلى الجنة، فقد فسر بعض السلف البر في الآية: بالجنة، وقال النبي ﷺ: إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة. رواه مسلم.

١٥٢٩- تفيد بلاغة القرآن الكريم فإن قوله: ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ يدخل فيه إنفاق نفائس الأموال، والإنفاق في حال حاجة المنفق إلى ما أنفقه، والإنفاق في حال الصحة، وغير ذلك.

١٥٣٠- تفيد أن خير الأعمال الصالحة؛ البذل في سبيل الله ﷻ رغبة فيما عنده من الجزاء والعطاء.

١٥٣١- فيها إشارة إلى تقديم حب الله ﷻ، ونيل مرضاته على كل المحبوبات والمرغوبات.

١٥٣٢- فيها تربية وتزكية: بتحفيز النفس تجاه الإقلال من شأن الأعراض الدنيوية، وبذلها دون الالتفات إلى قيمتها في النفوس، وفي ذلك تربية لحصول العبودية الحقيقية التي تحرر العبد من تعظيم شأن الدنيا، وشهواتها التي تشغله عن الآخرة.

١٥٣٣- تفيد أن محبة بعض الأمور الدنيوية لا حرج فيه إن لم يشغل عن ذكر الله سبحانه، لقوله: ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. وقد قال رسول الله ﷺ:"حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة".

١٥٣٤- تفيد أن الإنفاق على أي وجه كان يثاب عليه العبد، سواء كان قليلا أو كثيرا، محبوبا للنفس أم لا، ولذلك قال: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ فلا يضيق عليكم، بل يثيبكم عليه على حسب نياتكم، ونفعه.

١٥٣٥- تفيد سعة علم الله سبحانه، وإحاطته بكل شيء، فهو سبحانه يعلم السر وأخفى.

قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:٩٣].

١٥٣٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فقد جاءت هذه الحجة على بني إسرائيل المتعلقة بالطعام في سياق كشف كذبهم، وكفرهم، ومراعاةً لما سيقع على نفس الجائع، الفقير، البائس سبقت بالتحفيز للبذل، وإنفاق الغني مما يحب ليطعم الفقير مما يطعم الغني.

١٥٣٧- تفيد إثبات النسخ، والرد على اليهود في إنكارهم للنسخ.

١٥٣٨- تفيد كثرة الحلال من الطعام، وقلة ما حرمه الله منه؛ وهذا من فضل الله ﷻ، وكرمه، فله الحمد وله الشكر.

١٥٣٩- تفيد أن الأنبياء أشد الناس بلاءً، لما ذُكِر في سبب تحريم يعقوب عليه السلام هذا الطعام على نفسه.

١٥٤٠- تفيد أن الأنبياء عليهم السلام لهم منزلة خاصة، وتجري عليهم أحكام خاصة، تتناسب مع اصطفائهم، ومكانتهم عند ربهم سبحانه وتعالى.

١٥٤١- تفيد إثبات عبادة النذر في الأمم السابقة؛ لما ذُكِر أيضاً في سبب تحريم يعقوب عليه السلام هذا الطعام على نفسه.

١٥٤٢- تفيد إثبات علو الله سبحانه وتعالى على خلقه؛ لقوله: ﴿تُنَزَّلَ﴾ والنزول لا يكون إلا من علو.

١٥٤٣- تفيد إثبات التوراة، وأنها من أعظم الكتب التي أنزلها الله ﷻ.

١٥٤٤- فيها تأكيد على عدم التكلف في البحث عن علل الحرام، والحلال، إنما هو تشريعٌ يلزمه العبد طاعة لله ﷻ.

١٥٤٥- فيها تأكيدٌ على كذب اليهود على أنبيائهم.

١٥٤٦- تفيد تلاعب اليهود بالدين، وكثرة حيلهم في إنكار الحق، وجحده، وفي ضمن ذلك التحذير من صنيعهم، وصفاتهم.

١٥٤٧- تفيد توافق القرآن والسنة العجيب؛ فإن اليهود لما أنكروا حد الرجم قال لهم النبي ﷺ: ﴿فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فوضع القارئ من اليهود يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام رضي الله عنه: ارفع يدك، فرفعها فاذا آية الرجم تلوح. متفق عليه.

١٥٤٨- تفيد إلزام الخصم بما يعتقد صحته، وهذا مفيدٌ جداً في المناظرات.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:٩٤].

١٥٤٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما طلب منهم في الآية السابقة أن يأتوا بالتوراة، ويتلوا ما فيها لتكذبهم فيما ادعوه من التحريم، جاء في هذه الآية التأكيد على أن ما ادعوه ولم يكن مذكورا في كتابهم، هو افتراء وكذب على الله عز وجل.

١٥٥٠- في هذه الآية أعظم الأدلة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ وقيام الآيات، البينات، المتنوعات على صدقه، وصدق من نبأه، وأخبره بما أخبره به من الأمور التي لا يعلمها إلا بإخبار ربه له بها.

١٥٥١- فيها إشارة لبيان علم الله عز وجل المطلق؛ فقد علم ما أخفاه أهل الكتاب، وما قالوه من الافتراء، والكذب.

١٥٥٢- فيها التأكيد على أن كل ما تكلموا به دون دليل عليه من كتابهم؛ هو كذب على الله عز وجل.

١٥٥٣- تفيد عِظَم جريمة الكذب على الله عز وجل، وظلم من وقع فيها ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصف:٧]. وتزداد هذه الجريمة قبحاً إذا كانت بعد قيام البينات، والحجج.

١٥٥٤- تفيد كثرة مفاسد الكذب على الله عز وجل؛ لأنه إلى تحريم الحلال، وتحليل الحرام.

١٥٥٥- تفيد أن الكذب على الله عز وجل من أقبح أنواع الظلم.

١٥٥٦- تفيد أن الكذب على الله عز وجل يؤدي إلى الظلم بأنواعه وهي: الشرك، وظلم العباد، وظلم النفس.

١٥٥٧- تفيد ذم الظلم، والتحذير منه؛ لعواقبه الوخيمة في الدنيا، والآخرة.

١٥٥٨- تفيد بيان خطورة ظلم النفس، وإهمال تزكيتها بالتوحيد، وطاعة الله عز وجل باتباع رسوله ﷺ.

١٥٥٩- تفيد أن الذي يعاند، ويستكبر عن اتباع الحق بعد ما جاءته البينات: قد ظلم نفسه.

١٥٦٠- فيها دليل على عدل الله ﷻ، وحكمته، فلا وعيد ولا عقاب إلا بعد حجة، وبينة.

١٥٦١- فيها تنبيه عند الكلام في التشريع أن يستحضر القائل دليله من الكتاب المنزل، أو سنة الرسول المرسل ﷺ.

قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٩٥].

١٥٦٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما حاججهم بالتوراة، رداً على ما افتروه على الله ﷻ دون دليل، جاء التأكيد في هذه الآية بحقيقة لا مراء فيها: أن الخبر إذا جاء من الله ﷻ فلا يحتمل إلا الصدق.

١٥٦٣- فيها تأييد للنبي الخاتم ﷺ بتلقينه الحجج، والتوكيد على نبوته.

١٥٦٤- فيها أمر من الله ﷻ لرسوله ﷺ ولمن يتبعه أن يقولوا بألسنتهم: [صدق الله]، معتقدين بذلك في قلوبهم عن أدلة يقينية، مقيمين هذه الشهادة على من أنكرها، فأعظم الناس تصديقاً لله أعظمهم علماً، ويقيناً بالأدلة التفصيلية: السمعية، والعقلية.

١٥٦٥- ليس في الآية دليل على ختم التلاوة بقول: [صدق الله العظيم]؛ لأن هذا لم يرد عن النبي ﷺ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

١٥٦٦- تفيد أن خبر الله سبحانه صدقٌ لا مرية فيه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

١٥٦٧- تفيد أن الادعاء غير الحقيقة.

١٥٦٨- فيها: أنه لو افترضنا جدلاً أن ما تدعونه حقيقة، فالحق اتباع الحق، والحق هو ملة إبراهيم ﵇.

١٥٦٩- تفيد وجوب اتباع ملة إبراهيم ﵇ وهي: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، مع البراءة من الشرك، وأهله.

١٥٧٠- تفيد كمال، وفضل، وعظمة ملة إبراهيم ﵇ وفضل من تمسك بها ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

١٥٧١- فيها مزيد تزكيةٍ، وتشريفٍ، وتكريمٍ لأبي الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام.

١٥٧٢- تفيد التحذير من الشرك وأهله، وصفاتهم، ووجوب البراءة منهم ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤].

١٥٧٣- تفيد أن الدين يقوم على التوحيد، والاتباع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: دين الإسلام مبني على أصلين: أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأن نعبده بما شرع ولا نعبده بالبدع.

١٥٧٤- فيها دليل على أن اليهود، والنصارى، وغيرهم ممن ليس على ملة إبراهيم: مشركون غير موحدين، قال الطبري رحمه الله تعالى: وإنما عنى جل ثناؤه بالمشركين: اليهودَ والنصارَى، وسائر الأديان، غير الحنيفية. قال: لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان المشركة، ولكنه كان حنيفًا مسلمًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦].

١٥٧٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن وجهت الآية السابقة إلى اتباع ملة إبراهيم عليه السلام، جاء في هذه الآية ذكر البيت الذي رفع قواعده إبراهيم عليه الصلاة والسلام استجابة لأمر ربه، ليكون بيت العبادة الذي يقام فيه التوحيد، والذي يوحد الناس الذين يجتمعون فيه والذي عظمه ربه لما نسبه إليه، وكلف النبي المكرم إبراهيم عليه السلام ببنائه.

١٥٧٦- تفيد أن الكعبة هي أول بيت وضع في الأرض لعموم الناس لعبادة الله تعالى، وإبراهيم عليه السلام أعاد بناء قواعده.

١٥٧٧- تفيد أن الأوّلية لها أثر في تفضيل هذا البيت؛ وإنّما كانت الأوّلية موجِبة التّفضيل لأنّ مواضع العبادة لا تتفاضل من جهة العبادة، إذ هي في ذلك سواء، ولكنّها تتفاضل بما يحفّ بذلك من طول أزمان التعبّد فيها، وبنسبتها إلى بانيها، وبحسن المقصد في ذلك، وقد قال تعالى في مسجد قُبَاء: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]. وقد جمعت الكعبة جميع هذه المزايا فكانت أسبق بيوت العبادة الحقّ.

١٥٧٨- تفيد فضل الكعبة، والقبلة التي شرف الله عز وجل بها أمة الإسلام، وفضل مكة.

١٥٧٩- تفيد أن البيت وضع لجميع الناس لكن كفر به من كفر، ويدل على ذلك آخر الآية أيضاً.

١٥٨٠- تفيد أن البيت الحرام موقع ازدحام بسبب كثرة المحبين المقبلين، فهو مهوى الأفئدة، وقبلة أهل الأرض، واختيار بكة بدلاً عن مكة لأجل هذا المعنى، حيث إن بكة تفيد الزحام، كما تفيد البكاء شوقاً ومحبةً وإجلالاً وتعظيماً. وفي اختيار بكة أيضاً إشارة إلى أنها تكسر أعناق الجبابرة، فما من جبار قصدها بسوء إلا قصمه الله ﷻ.

١٥٨١- تفيد جواز الصلاة إلى غير سترة، والمرور بين يدي المصلي في البيت العتيق، وهذا من خصائص بكة، ويدل على ذلك بعض آثار السلف في معنى "بكة" كقول قتادة:... فإن الله بَكَّ به الناس جميعًا، فيصلي النساءُ قدّام الرجال، ولا يصلح ببلد غيره. وقال: "بكة": بكّ الناس بعضهم بعضًا، الرجال والنساء، يصلي بعضُهم بين يدَيْ بعض، لا يصلح ذلك إلا بمكة.

١٥٨٢- فيها بشارة لأهل مكة، ولزوار بيت الله الحرام بالبركات العظيمة، فالطاعة فيه مباركة، ومتابعة زيارته تنفي الفقر والذنوب، وكل أشكال الرزق المادية والمعنوية فيه مباركة.

١٥٨٣- تفيد بركة مكة، وهي مباركة في كل شيء فيها، ومن عاش فيها يدرك سعة ما فيها من بركات في النفس، والمال، والأهل، والعلم، والوقت، وغيرها، والحمد لله على فضله وإحسانه.

١٥٨٤- تفيد أن هذا البيت فيه هداية لجميع البشر، قال السعدي رحمه الله تعالى: الهدى نوعان: هدى في المعرفة، وهدى في العمل، فالهدى في العمل: ظاهر، وهو ما جعل الله ﷻ فيه من أنواع التعبدات المختصة به، وأما هدى العلم: فبما يحصل لهم بسببه من العلم بالحق بسبب الآيات البينات التي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾.

١٥٨٥- فيها إشارة إلى أن استقبال هذا البيت، والاهتداء إليه، يهدي إلى البر، وإلى مرضاة الله ﷻ، والفوز بجناته.

قال تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

١٥٨٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فالكلام متعلق بالبيت المكرم الذي أقامه إمام التوحيد، وما جعل الله ﷻ فيه من الآيات البينات، كالمقام، والحجر الأسود...، والأمن الذي امتاز به هذا البيت.

١٥٨٧- فيها تأكيد على أن البيت عامرٌ بالآيات البينات التي تدل عظمة الخالق، وعظم الشعائر التي شرعها في بيته من الصلاة، والطواف، والسعي، والشرب من زمزم... وما في ذلك كله من خصوصية، وتميز بالبركة، والفائدة في الدنيا، وعظيم الأجر في الآخرة.

١٥٨٨- تفيد أن الإنسان يزداد إيماناً في تلك البقعة الطاهرة المقدسة لكثرة ما فيها من الآيات البينات؛ ولذلك غَيَّر الحج والعمرة سلوك، وفهم كثير من الناس.

١٥٨٩- تفيد الحض على الاعتبار بالآيات؛ ولله ﷻ في هذه المشاعر آيات بينات استحضرها منها: أن من دخله كان آمناً شرعاً وقدراً، فالشرع: قد أمر الله ﷻ رسوله إبراهيم عليه السلام ثم رسوله محمد ﷺ باحترامه وتأمين من دخله، وأن لا يهاج، حتى إن التحريم في ذلك شمل صيودها وأشجارها ونباتها، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء أن من جنى جناية خارج الحرم ثم لجأ إليه أنه يأمن ولا يقام عليه الحد حتى يخرج منه، وأما تأمينها قدراً: فلأن الله تعالى بقضائه وقدره وضع في النفوس حتى نفوس المشركين به الكافرين بربهم احترامه، حتى إن الواحد منهم مع شدة حميتهم، ونعرتهم، وعدم احتمالهم للضيم يجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم فلا يهيجه، ومِن جعله حرماً أن كل من أراده بسوء فلابد أن يعاقبه الله عقوبة عاجلة، كما فعل بأصحاب الفيل، وغيرهم.

١٥٩٠- تفيد أن آيات الله ﷻ واضحة بينة لا تخفى على أحد.

١٥٩١- تفيد فضل مقام إبراهيم عليه السلام. وجاءت السنة بالصلاة خلفه ركعتين بعد الطواف يقرأ في الأولى سورة الكافرون، وفي الثانية سورة الإخلاص.

١٥٩٢- فيها فضيلة ظاهرة لإبراهيم الخليل عليه السلام.

١٥٩٣- تفيد أن الشعور بالأمن مطلب بشري، وضرورة إنسانية وهذا ما يخالج قلب المؤمن الداخل إلى مكة، والمقيم في جنباتها.

١٥٩٤- تفيد وجوب تأمين من دخل هذا الحرم الآمن.

١٥٩٥- تفيد تحريم، وتجريم من يتسبب في اختلال الأمن في هذا البلد الأمين، كما يحصل من أذناب الخوارج من محاولات التفجير، والتخريب في مكة، وكذلك ما يحصل من الشيعة الروافض في موسم الحج.

١٥٩٦- تفيد وجوب إشاعة الأمن، والأمان في جنبات هذا البلد الأمين، وعِظَم أجر من سعى في ذلك من رجال الأمن، وغيرهم.

١٥٩٧- تفيد وجوب وفرضية الحج؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تأمل كيف افتتح هذا الإيجاب بذكر محاسن البيت، وعظم شأنه بما تدعوا النفوس إلى قصده وحجه، وإن لم يطلب ذلك منها، فقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾، فوصفه بخمس صفات: أحدها: كونه أسبق بيوت العالم وضع في الأرض، الثاني: أنه مبارك، والبركة كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه، ولا أكثر خيرا، ولا أدوم، ولا أنفع للخلائق، الثالث: أنه هدى، ووصفه بالمصدر نفسه مبالغة، حتى كأنه نفس الهدى، الرابع: ما تضمن من الآيات البينات التي تزيد على أربعين آية، الخامس: الأمن الحاصل لداخله، وفي وصفه بهذه الصفات دون إيجاب قصده ما يبعث النفوس على حجه، وإن شطت بالزائرين الديار، وتناءت بهم الأقطار، ثم أتبع ذلك بصريح الوجوب المؤكد بتلك التأكيدات، وهذا يدل على الاعتناء منه سبحانه لهذا البيت العظيم، والتنويه بذكره، والتعظيم لشأنه، والرفعة من قدره، ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج: ٢٦] لكفى بهذه الإضافة فضلاً وشرفاً، وهذه الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حياله، وشوقا إلى رؤيته، فهو المثابة للمحبين يثوبون إليه، ولا يقضون منه وطراً أبداً، كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حباً، وإليه اشتياقاً، فلا الوصال يشفيهم، ولا البعاد يسليهم، كما قيل:

أطوف به والنفس بعد مشوقة ... إليه وهل بعد الطواف تداني
وألثم منه الركن أطلب برد ما ... بقلبي من شوق ومن هيمان
فو الله ما ازداد إلا صبابة ... ولا القلب إلا كثرة الخفقان
فيا جنة المأوى ويا غاية المنى ... ويا منيتي من دون كل أمان
أبت غلبات الشوق إلا تقربا ... إليك فما لي بالبعاد يدان

ومـــــا كان صـــدى عنك صـــد ملا / لة ولي شـــاهد من مقلتي ولسان
دعوت اصـــطباري عنك بعدك والبكا / فلبى البكا والصـــبر عنك عصـــاني
وقـــــد زعموا أن المـــــحب إذا نأى / سيبلى هـــواه بعد طـــول زمان
ولـــــو كان هذا الزعم حقاً لكان ذا / دواء الهوى في النـاس كـل زمـان
بلى إنـــه يبلـــى والهـــوى عـــلى / حـالـه لم يـبـلـه المـلـــــوان
وهذا محـــــب قاده الشـــوق والهوى / بغـــير زمـــام قائد وعنـــان
أتاك عـــــلى بعد المـــزار ولو ونت / مطيته جـــاءت به القـــدمان

١٥٩٨- تفيد وجوب الإخلاص لله ســـبحانه في الحج، وقد قال النبي ﷺ:اللهم حجة لا رياء فيها، ولا سمعة. رواه ابن ماجه وهو حديث حسن.

١٥٩٩- فيها توجيه للمسلم المستطيع إلى المسارعة لأداء فريضة الحج.

١٦٠٠- تفيد أن الحج لمن استطاع، وقد فسرت الاستطاعة في كثير من الآثار بالزاد والراحلة.

١٦٠١- فيها إظهار لرحمة الله ﷻ في تشـــريعاته؛ حيث فرض الحج على كل مســـتطيع مالياً وبدنياً دون غيرهم.

١٦٠٢- فيها معنى الاستطاعة للمكلف أي أنها متعلقة به هو بذاته، ولذلك ذهب بعض أهل العلم إلى عدم جواز الإنابة في الحج عمن كان حياً، ورخص لمن عجز عجزاً تاماً يمنعه من الوصول وأداء النسك.

١٦٠٣- فيها بيان لأهمية فريضـة الحج، وعدم تركها مع الاسـتطاعة، فقد جاءت تسـمية هذا الفعل بالكفر من باب التغليظ والتشديد.

١٦٠٤- تفيد كفر من جحد فريضة الحج.

١٦٠٥- تفيد غنى الله سبحانه عن خلقه وافتقار الجميع إليه.

قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾[آل عمران:٩٨].

١٦٠٦- تفيد مناسـبة ظاهرة لما قبلها: فلما أخبرت الآية السـابقة عن خسـران من كفر بالله وآياته، وأضـاع نفسـه باسـتغناء الله عنه حيث اسـتغنى بالكفر، جاء في هذه الآية تخصـيص الحديث عن كفر أهل الكتاب الذي جاء الســـياق بالحديث عنهم، وعن تكذيبهم، وكفرهم بآيات الله لتعنيفهم على كفرهم وعنادهم.

١٦٠٧- فيها مع سابقتها أن أهل الكتاب استغنوا بالكفر رغم الآيات البينات، فاستغنى الله ﷻ عنهم، وحرمهم أن يكونوا قادة بالهدى.

١٦٠٨- عناية الله ﷻ بنبيه ﷺ بتلقينه الحجة تلو الحجة ليقابل كفر، وعناد أهل الكتاب.

١٦٠٩- النداء بـ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾فيه معنى الاستغراب والإنكار.

١٦١٠- يفيد الاستفهام: الإنكار، والتوبيخ لهم.

١٦١١- تفيد النهي والتحذير من الكفر، لقبحه، وقبح عاقبته.

١٦١٢- تفيد أن الآيات الأصل فيها الاعتبار بها وليس الإعراض عنها؛ ومتى أعرض العبد بعد الآيات فلم يشكر، فالله شهيد عليه ففيم يكفر؟ وأين المفر؟

١٦١٣- تفيد أن الإنسان كلما كثرت عنده الأدلة والبراهين، والبينات على الحق، كلما كان الكفر منه أقبح، وأغلظ.

١٦١٤- تفيد أن الواجب مقابلة آيات الله بالشكر والإيمان لا بالجحود، والكفران.

١٦١٥- يفيد الخبر: التهديد والوعيد لهم.

١٦١٦- تفيد أن الله تعالى عالم بأحوال العباد لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

١٦١٧- تذكير العباد بعلم الله ﷻ المحيط، وشهادته على الخلق ليخافوا، ويتعظوا ويعظموا ربهم ﷻ.

١٦١٨- فيها إشارة إلى أنهم يمارسون الكفر على فترة ممتدة من الزمن بدلالة ﴿تَعۡمَلُونَ﴾؛ حيث إن معنى العمل: الفعل الذي يمتد في الزمان، ويأخذ وقتاً طويلاً، ويُخطط له.

قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[آل عمران:٩٩].

١٦١٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد محاججتهم بكفرهم بآيات الله ﷻ، وبيان ضلالهم، جاء في هذه الآية تعنيفهم على صدهم المؤمنين عن سبيل الله ﷻ، وسعيهم لإضلالهم.

١٦٢٠- ومن المناسبة: أنهم انتقلوا من كفرهم وإضلال أنفسهم بعد إيمانهم، إلى إضلال غيرهم من المؤمنين.

١٦٢١- فيها مع ما قبلها أن أهل الكتاب يصدون الناس عن الحج للكعبة.

١٦٢٢- تفيد إثبات صدق نبوة محمد ﷺ، وأنه مبلغ عن ربه؛ فهو ينقل لفظة التلقين، ولا يدعي الإخبار من نفسه.

١٦٢٣- تفيد ذم اليهود، ومن تابعهم في الصد عن دين الله ﷻ، وسبيله الحق.

١٦٢٤- تفيد أن هؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بالآيات، وصد من آمن بالله عنها، وتحريفها، وتعويجها عما جعلت له، وهم شاهدون بذلك، عالمون بأن ما فعلوه أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨].

١٦٢٥- تفيد أن اليهود والنصارى يسعون بكل جد في صد الناس عن دين الله ﷻ، وإخراج أهل الإسلام منه، وأنهم يحبون الضلال والانحراف، ويكرهون الاستقامة على الصراط المستقيم.

١٦٢٦- تفيد ذم الميل، والزيغ في الدين في القول والعمل: بالابتعاد عن الاستقامة، واختيار الضلال.

١٦٢٧- تفيد أن الكفر ليس كله عن تكذيب، وإنكار؛ وإنما بعضه عن جحود، وعناد، واستكبار.

١٦٢٨- فيها دليل على صدق القرآن الذي أخبر عن جميع أقوالهم، وأفعالهم، الظاهرة، والباطنة.

١٦٢٩- فيها دليل على أن الله ﷻ مطلع على أعمال العباد ظاهرها، وباطنها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٠٠].

١٦٣٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن وبَّخ ﷻ أهل الكتاب على كفرهم، وصدهم عن سبيل الله، وأقام الحجج عليهم خاطب المؤمنين محذراً لهم من إغوائهم، وإضلالهم لأنهم دعاة فتنة.

١٦٣١- في أسباب نزول هذه الآية قصةٌ فيها عبرة تبين قِدَم، واستمرار كيد، وعداوة أهل الكتاب للمسلمين: قال زيد بن أسلم: إن شاس بن قيس اليهودي - وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين - مر على نفر من الأوس والخزرج في مجلسٍ جمعهم يتحدثون، فغاظه ما رأى من إلفتهم، وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، قال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار،

فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال: اعمد إليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث، وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس مع الخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل وتكلم، فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا، وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب، أوس بن قبطي أحد بني حارثة من الأوس، وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددتها الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعاً وقالا: قد فعلنا السلاح، السلاح! موعدكم الظاهرة، وهي حرة فخرجوا إليها، وانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم. فقال ﷺ: يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا، الله الله!! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين؛ فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية قال جابر: فما رأيت قط يوماً أقبح أولاً، وأحسن آخراً من ذلك اليوم. [معالم التنزيل للبغوي].

١٦٣٢- فيها مع سبب نزولها التحذير ممن يقودون الفتن، ويعملون على الإفساد بين المؤمنين، ويستغلون بعض المسائل التي تثير الفتنة، وتحرش بين القبائل، والعشائر، والجماعات.

١٦٣٣- يفيد النداء في أول الآية الاهتمام، والتنبيه، والحث على العمل بما في الآية من تحذير.

١٦٣٤- تفيد أن المؤمن هو الذي يسارع للامتثال، والعمل بالقرآن؛ لذلك نودي في هذه الآية بوصف الإيمان.

١٦٣٥- تفيد النهي من الاستماع إلى شبهات أهل الكتاب، وأخذ النصح منهم، واستشاراتهم، وطاعتهم؛ لأنهم كذبة، حسدة؛ لن يهدوكم؛ وهذا النهي تحذيراً لما قد يحدث عند المؤمنين لين واستجابة إليهم.

١٦٣٦- فيها توجيه للعدل مع الخصوم، وعدم التعميم في الاتهام، والتجريم.

١٦٣٧- فيها تنبيه على أن أهل الكتاب ليسوا جميعاً بمستوى واحد من المعاداة للإسلام، وأهله، وليسوا جميعاً حريصين على ردة أهل الإسلام عن دينهم.

١٦٣٨- تفيد أن أهل الكتاب يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله ﷻ من فضله.

١٦٣٩- تفيد التحذير، والتخويف من الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان؛ وكان النبيﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور. رواه مسلم.

١٦٤٠- تفيد التحذير من أسباب الردة، ومنها طاعة أهل الكتاب.

١٦٤١- تفيد بيان شرف الإيمان، وتحض على الثبات عليه، وعدم الردة عنه.

١٦٤٢- تفيد أن الكفر يورد الهلاك في الدنيا، والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

١٦٤٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن جاء التحذير في الآية السابقة من أهل الإضلال الذين كرّسوا جهدهم لرد أهل الإيمان والتوحيد عن دينهم، لينتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومن التوحيد إلى الشرك. جاء في هذه الآية الإنكار، والتعجب ممن يطيعهم بعد أن امتن الله ﷻ عليه بكتابٍ يتلى عليه، ورسول حقٍ أرسل إليه، والتذكير بأسباب الثبات أمام الفتن، والشبهات.

١٦٤٤- فيها تشنيعٌ، وتفظيعٌ لقضية الردة عن دين الإسلام.

١٦٤٥- فيها تنزيه للذين فتحوا قلوبهم قبل مسامعهم لكتاب الله ﷻ، وتمثلوه عملاً: أن يقعوا في حبائل الفتن المضللة، والمكفرة.

١٦٤٦- فيها إشارة إلى أن القرآن، وتلاوته، وتدارسه: من أسباب الثبات أمام الفتن.

١٦٤٧- فيها تأكيد على ضرورة تعاهد كتاب الله ﷻ تلاوةً، وتدارساً، وعملاً.

١٦٤٨- تفيد ضرورة اتباع الوحيين، والتمسك بهما، وأثر ذلك في الوقاية من الضلال والزيغ؛ وقد قال رسول الله ﷺ: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنتي.

١٦٤٩- تفيد أن أبعد الناس عن الكفر، والردة: هم أشد الناس تمسكاً بالقرآن؛ تلاوةً، وتدبراً، وعملاً، وأشدهم تمسكاً بالسنة تعلماً، وتعليماً، واتباعاً.

١٦٥٠- فيها تكريم للصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين؛ بمعاصرتهم نزول الوحي، وصحبتهم للنبي الحق وإمام الهدى ﷺ.

١٦٥١- فيها إشارة إلى تمييز الذين جاؤوا بعد نبي الهدى ﷺ، ولم يعاصروه، وثبتوا على دينه، وسنته، وهديه؛ فهذه الآية يدخل فيها من لم ير النبي ﷺ؛ لأن ما فيهم من سنته يقوم مقام رؤيته.

١٦٥٢- فيها التأكيد على تعلق القلوب، والأرواح بالله سبحانه وتعالى، وبكل ما يوصل إليه، ويوثق العلاقة به سبحانه وتعالى.

١٦٥٣- تفيد أن الاعتصام بالله عز وجل، والتوكل عليه: هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد.

١٦٥٤- تفيد أن الهداية بيد الله عز وجل يهدي من يشاء، ويعافي فضلاً، ويضل، ويخذل، ويبتلي من يشاء عدلاً.

١٦٥٥- فيها إشارة إلى أن طريق الحق الذي يوفق إليه رب الخلق؛ هو الإسلام، وهو واضحٌ، بيِّنٌ، لا اعوجاج فيه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

١٦٥٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما جاء التحذير من إضلال أهل الكتاب، وحرصهم على ردة أهل الإيمان، والإنكار على من يكفرون والآيات تتنزل وتتلى عليهم، والرسول ﷺ بين ظهرانيهم يتلقى الوحي من ربه عز وجل، جاء في هذه الآية الأمر لأهل الإيمان بالتحرز من السقوط، والوقوع في حبائل الشبهات المضلة المفضية إلى الكفر، وذلك بالتحلي بالتقوى، والحرص على هذا الدين، والموت دونه، والموت عليه.

١٦٥٧- فيها مع ما قبلها إشارة إلى أن من اعتصم بحبل الله عز وجل، وحافظ على الصراط المستقيم وهو الإسلام؛ فإن الله سبحانه وتعالى يثبته عليه إلى أن يموت.

١٦٥٨- فيها نداء يحرك عواطف أهل الإيمان، ويخاطب وجدانهم؛ ليثبتوا على دينهم.

١٦٥٩- فيها النداء لأهل الإيمان؛ لأنهم الأسرع إلى الامتثال، والطاعة، والثبات.

١٦٦٠- فيها إشارة لاجتماع كلمة أهل الإيمان، فالسياق جاء بهذا الصدد، وخطاب الجماعة يفيد ذلك.

١٦٦١- تفيد الحث على التقوى، والتذكير بها؛ لأنها سبب كل خير في الدنيا، والآخرة، وهي وصية الله عز وجل للأولين، والآخرين.

١٦٦٢- هذه الآية بيانٌ لما يستحقه تعالى من التقوى، وأما ما يجب على العبد منها، فكما قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن: ١٦]، وتفاصيل التقوى المتعلقة بالقلب، والجوارح كثيرة جداً، يجمعها فعل ما أمر الله به، وترك كل ما نهى الله عنه.

١٦٦٣- فيها إشارة إلى أن التقوى سبب للوقاية من الفتن، والمكر الذي يحاك ضد أهل الإيمان؛ فإن الجزاء من جنس العمل.

١٦٦٤- تفيد أن من كان في حال صحته، ونشاطه، وإمكانه مداوماً لتقوى ربه، وطاعته، منيباً إليه على الدوام، ثبته الله ﷻ عند موته، ورزقه حسن الختام.

١٦٦٥- تفيد الحث على التمسك بالإسلام حتى الموت ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

١٦٦٦- تفيد أن من مات على الإسلام؛ فقد فاز، وقد قال رسول الله ﷺ: "من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله: دخل الجنة".

١٦٦٧- فيها إشارة إلى ضرورة الاستعداد للموت، وأنه قادم لا محالة؛ فالموت ينزل بالإنسان بلا اختيار منه، فليستعد له بالثبات على الإسلام.

١٦٦٨- تفيد أن الأعمال بالخواتيم.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ **[آل عمران: ١٠٣]**.

١٦٦٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن جاء التحذير من الكفر، والردة عن الإيمان والالتزام بدين الإسلام، جاء في هذه الآية التأكيد على أنه دين الحق الذي جمع الناس، وألف بين قلوبهم، ونبذ الخلافات التي بينهم، وجمعهم على التوحيد والقرآن.

١٦٧٠- فيها إشارة إلى أهمية الأخذ بالأسباب في سائر الشؤون الدنيوية والتعبدية، بدلالة ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ على ما يحمل الحبل من معاني، إلا أنها بمجموعها موصلة إلى رضوان الله ﷻ.

١٦٧١- تفيد أن القرآن هو حبل الله المتين الذي إذا اعتصم به العبد هُدِي، ووقي، وإذا اعتصمت به الجماعة اتحدت كلمتها، وعزَّت، وقويت شوكتها.

١٦٧٢- فيها إشارة إلى أن القرآن هو السبيل الوحيد لجمع كلمة المسلمين في زمن الفتنة، وأكبر شاهدٍ حالنا اليوم، لا يكاد المسلمون يجتمعون إلا على مائدة القرآن.

١٦٧٣- تفيد النهي عن التفرق والاختلاف؛ فهو من أسباب الضعف، والفشل، وذهاب الريح.

١٦٧٤- تفيد أن الإلفة، واجتماع الكلمة سبب من أسباب النجاة، واندحار الفتن؛ فالإلفة رحمة، والفرقة عذابٌ.

١٦٧٥- تفيد أن من رام السعادة، وراحة البال؛ فعليه بالتمسك بالكتاب، والسنة ففيهما الضمان، وجمع القلوب.

١٦٧٦- تفيد أن العمل بالكتاب والسنة من أهم أسباب الإلفة، وجمع الصف.

١٦٧٧- تفيد أن أخوة الدين أعظم من أي أخوة أخرى وأوثق.

١٦٧٨- فيها دليلٌ على صحة الإجماع، حسبما هو مذكورٌ في موضعه من أصول الفقه.

١٦٧٩- في هذه الآية ما يدل على أن الله ﷻ يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم، وألسنتهم ليزدادوا شكراً له ومحبة، وليزيدهم من فضله، وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه: نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول ﷺ، واجتماع كلمة المسلمين، وعدم تفرقها.

١٦٨٠- تفيد أن تآلف القلوب واجتماعها، وتحابها من أعظم النعم، ومن مقاصد الشريعة الإسلامية المهمة، وقد شرعت كثير من التشريعات لتحقيق هذا الأصل العظيم.

١٦٨١- تفيد أن الاجتماع الحقيقي: هو اجتماع القلوب وليس اجتماع الأبدان: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

١٦٨٢- في هدايات هذه الآية كلمات تكتب بماء الذهب لإمام عظيم من أئمة السلف وهو قتادة بن دعامة؛ تشخص الداء، وتصف الدواء، وتستشف عبر التاريخ الغابر، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[آل عمران:١٠٣]، كان هذا الحيّ من العرب أذلَّ الناس ذُلّاً وأشقاهُ عيشًا، وأبْيَنَه ضلالة، وأعراهُ جلودًا، وأجوعَه بطونًا، مَكْعُومين على رأس حجر بين الأسدين فارس، والروم لا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه. مَنْ عاش منهم

عاش شقيًّا، ومن مات رُدِّي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً يومئذ من حاضر الأرض، كانوا فيها أصغر حظًّا، وأدق فيها شأنًّا منهم، حتى جاء الله ﷻ بالإسلام، فورَّثكم به الكتاب، وأحل لكم به دار الجهاد، ووضـــع لكم به من الرزق، وجعلكم به ملوكًا على رقاب الناس. وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا نِعمَه، فإن ربكم منعِمٌ يحب الشاكرين، وإن أهل الشكر في مزيد الله، فتعالى ربنا وتبارك.

١٦٨٣- تفيد أن التمسك بالإسلام، والثبات عليه سبب للنجاة من النار.

١٦٨٤- تفيد إثبات النار، وأن الاعتصام بحبل الله ﷻ، وعدم التفرق من أعظم أسباب النجاة منها.

١٦٨٥- تفيد أن هذه النار بعيدة القعر، شديدة الحر؛ لأنها حفرة.

١٦٨٦- تفيد فضل، ومنة الله ﷻ على عباده إذ أنقذهم من هذه النار.

١٦٨٧- تفيد أن آيات الله ﷻ من أعظم أسباب الهداية.

١٦٨٨- تفيد أن آيات الله سبحانه وتعالى بينة واضحة.

قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

١٦٨٩- تفيد مناســـبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن جاء الأمر لهذه الأمة بالتزام دين الحق، والتحذير من الكفر، ومجابهة أهل الفتن والإضلال، والاعتصام بدين الله ﷻ، وكتابه، جاء الأمر بدعوة غيرهم ليكونوا معهم أمة واحدة على دين الحق، والخير.

١٦٩٠- ومن المناسبات: لما بينت الآيات السابقة حجم النعمة التي يرفل فيها أهل الإسلام، وكيف انتقلوا به من الضلال إلى الهدى، ومن سيئ الأخلاق إلى أحسنها، معتصمين بكتابه، جاءهم التوجيه لانتشال غيرهم من مستنقعات الشر والضلال والرذيلة ليكونوا معهم في كنف الأمة الخيرة المجتمعة على الحق، والتوحيد، والفضيلة.

١٦٩١- تفيد أن الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرضٌ على الكفاية.

١٦٩٢- تفيد أهمية الاجتماع على هذه الفريضة، وأهمية العمل الجماعي المنظم، والمنسق فيها، وأنها تحتاج إلى هيئات، ومنظمات، وتعاون؛ لعظم شـــأنها، وحاجة الأمة، إليها بل حاجة العالم كله إليها.

١٦٩٣- تفيد التأكيد على فضل الجماعة، وأن بركة العمل، والتوفيق، والسداد يتحقق للجماعة.

١٦٩٤- في تقديم الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف على النهي عن المنكر إشارة إلى أهمية الحث على فعل الخيرات، والإكثار من الحسنات، وعمل الصالحات؛ فإن هذا يصرف الإنسان عن المنكر والباطل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وإن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

١٦٩٥- تفيد أن الدعوة إلى الله ﷻ هي أساس إصلاح الأفراد، والمجتمعات، وسعادتهم، وفلاحهم في الدنيا، والآخرة.

١٦٩٦- فيها توجيه إلى أن الدعوة إلى الله ﷻ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر يتصدى لها أهل العلم الذين علموا حقيقة الخير، وحقيقة المعروف، والمنكر بمنظور الشرع المبارك.

١٦٩٧- فيها فضيلة الدعوة إلى الله ﷻ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفلاح، وسعادة من يقومون بها في الدنيا والآخرة.

١٦٩٨- تفيد أهمية الأمر بالمعروف، وأعظمه التوحيد، والنهي عن المنكر، وأعظمه الشرك.

١٦٩٩- فيها توجيه لضرورة استمرار هذه المهمة في حياة الأمة، بدلالة الفعل المضارع في الآية: ﴿ يَدْعُونَ... وَيَأْمُرُونَ... وَيَنْهَوْنَ ﴾.

١٧٠٠- تفيد عظمة هذه الشريعة الإسلامية وفضلها؛ حيث جاءت بالحث على كل خير، والأمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر.

١٧٠١- تفيد حصر الفلاح في الداعين إلى الخير، والآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر؛ وهذا يدل على أنهم أعظم المفلحين.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥].

١٧٠٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: من خلال تحذير الله ﷻ أن تسلك هذه الأمة سبيل من قبلها من الأمم في ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو ما تفرقوا فيه واختلفوا.

١٧٠٣- فيها مع ما قبلها أن الاجتماع، والوحدة علامة صحة، وسبب لكل خير، وأن الفرقة والاختلاف علامة مرض، وسبب لكل شر.

١٧٠٤- فيها مع ما قبلها أن شعيرة الدعوة إلى الإسلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وقاية للمجتمع المسلم، وتسهم في مناعة الأمة، وقوّتها، وهي دعاية للإسلام ترفد الأمة بعناصر إضافية من خلال الدعوة، والإقناع.

١٧٠٥- تفيد بمفهوم المخالفة: محبة الله سبحانه للجماعة، والائتلاف، وبغضه للتفرق والاختلاف.

١٧٠٦- تفيد التوافق العجيب بين القرآن والسنة؛ فهذه الآية توافق حديث النبي ﷺ: افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وافترقت النصارى إلى ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم، وأصحابي.

١٧٠٧- فيها تنبيه على أن الاختلاف يؤدي إلى الافتراق، والاختلاف المذموم هو: ما وقع فيه أهل الكتاب؛ حيث اختلفوا في الأصول، والعقائد.

١٧٠٨- تفيد التحذير من التفرق، والاختلاف، والأهواء وهي من صفات أهل الكتاب: اليهود، والنصارى، وتبين سوء مآله في الآخرة.

١٧٠٩- تفيد التحذير من البدع، والأهواء؛ لأنها من أعظم أسباب التفرق، والاختلاف.

١٧١٠- تفيد أنّ كثيراً من الناس _ وممن عندهم شيء من العلم _ يضلوا، ويتفرقوا؛ ومن أعظم أسباب ذلك البغي كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ١٤] ومن أسباب تفرق الذين جاءتهم البينات: اتباع الهوى، الزيغ في تأويل النصوص وفهمها، الركون إلى الظالمين، ومظاهرتهم على الظلم وجامع ذلك كله: حب الدنيا، والاخلاد إلى الأرض.

١٧١١- تفيد أن الآيات، والبينات، والعلم توجب الاجتماع، والتآلف، ولكن التفرق والاختلاف يكون بسبب البغي، والأهواء، والمصالح الشخصية للمختلفين، والمتفرقين.

١٧١٢- فيها إشارة إلى أن العلم يحفظ الأمة من الردة، والتشرذم، والتفكك.

١٧١٣- تفيد أن التفرق، والاختلاف، والأهواء من أسباب العذاب العظيم في الدنيا، والآخرة.

١٧١٤- تفيد التخويف، والتحذير من عذاب الله ﷻ؛ فهو عذابٌ عظيمٌ لا طاقة لأحد به.

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

١٧١٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد بيان مآل الكافرين الذين اختلفوا وتفرقوا في الدين، من بعد ما جاءتهم البينات، وما يجزون به من العذاب العظيم، جاء في هذه الآية بيان اليوم الذي يتحقق فيه العذاب: يوم القيامة حيث تبيض فيه وجوه أهل الحق والإيمان، وتسود فيه وجوه أهل الباطل، والكفر، والطغيان.

١٧١٦- تفيد إثبات يوم الجزاء والحساب، وأن فيه تكريم المطيع، وإهانة العاصي، وفيه يثاب المحسن، ويعاقب المسيء، وتبلى السرائر، ويظهر ما في الضمائر.

١٧١٧- تفيد تمييز الخالق ﷻ بين المؤمنين والكافرين يوم القيامة حتى في ألوان البشرة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨].

١٧١٨- تفيد أن هذا التمييز حتى بين أهل القبلة المنتسبين إليها؛ لما ورد عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ.

١٧١٩- تفيد أن من بدَّل، أو غيَّر، أو ابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله؛ فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين منه، المسودي الوجوه، وأشدهم طرداً، وإبعاداً من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم؛ كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها؛ فهؤلاء كلهم مبدلون ومبتدعون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور، والظلم، وطمس الحق، وقتل أهله، وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر، المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء، والبدع؛ كل يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بالآية. [القرطبي رحمه الله].

١٧٢٠- تفيد أن للإيمان نوراً، وضياءً، وبياضاً في القلوب، والوجوه. كما أن للكفر، والبدعة، والفسوق ظلمةً، وسواداً في القلوب، والوجوه.

١٧٢١- تفيد أن رحمة الله ﷻ سبقت غضبه؛ فقد قُدِّمَ عند وصف اليوم ذِكْر البياض، الذي هو شعار أهل النعيم، تشريفاً لذلك اليوم بأنه يوم ظهور رحمة الله ونعمته، ولأن رحمة الله سبقت غضبه، ولأن في ذكر سمة أهل النعيم عقب وعيد غيرهم بالعذاب، حسرةً عليهم، إذ يعلم السامع أن لهم عذاباً عظيماً في يومٍ فيه نعيمٌ عظيمٌ. ثم قَدَّم في التفصيل ذكر سمة أهل العذاب تعجيلاً بِمُساءَتِهِم.

١٧٢٢- فيها دليلٌ على تكريم الوجه.

١٧٢٣- تفيد أن الوجه يخبر عن مكنونات النفس، فتنعكس المشاعر عليه انبساطاً، وانقباضاً، وانشراحاً، وعبوساً.

١٧٢٤- تفيد أن للوجه ألوان تخبر عن الحالة النفسية لصاحبه.

١٧٢٥- فيها إشارة إلى أن للوجه يوم القيامة لونان فقط: إما البياض، وإما السواد، وذلك بحسب مآل صاحبه.

١٧٢٦- تفيد أنه لا اعتبار يوم القيامة بلون البشرة التي أنعم الله ﷻ بها على العبد في حياته الدنيا، بل يكون لون بشرته على حسب عمله.

١٧٢٧- فيها ترغيبٌ وترهيبٌ: ترغيبٌ لأهل الإيمان والطاعة، وترهيبٌ لأهل الكفر، والفسوق، والعصيان.

١٧٢٨- تفيد شدة العذاب الذي ينتظر أهل الكفر والبدعة.

١٧٢٩- تفيد أن الكفر بعد الإيمان أشد فظاعةً، وشناعةً، ومقتاً من الكفر الأصلي.

١٧٣٠- تفيد الرد على نفاة السببية؛ ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

١٧٣١- تفيد بيان عدل الرب جل وعلا فقد عذبهم بسبب كفرهم.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

١٧٣٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما أنذرت وتوعدت الآية السابقة بالعذاب من اختاروا الكفر، وأعرضوا عن الإيمان، جاء في هذه الآية البشارة، والوعد بالنعيم للذين اختاروا دين الحق، وثبتوا عليه حتى لقوا ربهم ﷻ.

١٧٣٣- فيها مع ما قبلها ترغيبٌ، وحثٌ للضالين المعرضين، والخائبين المرتدين؛ ليعودوا إلى الحق، ويتركوا ما هم عليه، ويتحلوا بالإيمان، ويعملوا صالحاً؛ كي ينجو من العذاب المقيم، ويكونوا من أصحاب النعيم المقيم.

١٧٣٤- فيها مع ما قبلها بيان عاقبة الاختلاف، والفرقة، والنفاق، والردة، وعاقبة الإيمان، والاجتماع عليه، والاتباع، والوفاء بالعهد مع الله ﷻ.

١٧٣٥- فيها بشارةٌ عظيمةٌ لأهل الإيمان، والثبات الذين صدقوا العهد مع الله سبحانه وتعالى.

١٧٣٦- تفيد أن أهل الإيمان، والطاعة موعودون يوم القيامة بالنعيم المقيم، والعيش الكريم، ناضرة وجوههم، ناظرة إلى ربٍ عظيم.

١٧٣٧- فيها إشارة إلى أن التمسك بالسنة سبب لنضارة الوجه، وبهائه، وإشراقه؛ وفي الحديث: "نضر الله امرأً سمع منا حديثه فحفظه". هذه رواية أبي داود.

١٧٣٨- في التعبير بالبياض إشارة إلى طيب حالهم، وهو الضحك والسرور. كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس: ٣٨ - ٣٩]، وكما جاء في صحيح البخاري: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ ".

١٧٣٩- تفيد أنك متى حرصت على جمال وجهك، ونضارته في الدنيا فاحرص على ما يكون سبباً لذلك في الآخرة، بالتوحيد، والاتباع.

١٧٤٠- تفيد الدليل على الأثر الحسي، والمعنوي للإيمان، والعمل الصالح من حيث الطهارة، والنظافة، والجمال، والبهاء، والإشراق.

١٧٤١- تفيد أن الرحمة متحققة لمن ثبت على الحق.

١٧٤٢- تفيد إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، والجنة هي أثرٌ من آثار رحمته جل وعلا.

١٧٤٣- فيها إشارة إلى علاقة الرحمة بالجنة؛ فقد فسرت الرحمة هنا بالجنة. وهي كذلك، حتى في الدنيا فإن الذي يرزق الرحمة في نَفَس من أنفاس الجنة في الحياة الدنيا: على نفسه، وزوجه، وذريته، وجيرانه، وزملائه، بل حتى على أعدائه.

١٧٤٤- في استخدام ضمير الشأن ﴿ هُمْ ﴾ دليلٌ على تنعمهم روحاً، وجسداً لا أرواحاً فقط كما يقوله الفلاسفة.

١٧٤٥- تفيد أن الجنة باقية، لا تفنى، وأهلها لا يبغون عنها حولاً.

١٧٤٦- يفيد ذكر الخلود زيادة سرورٍ، وحبورٍ؛ لأنهم إذا دخلوا الجنة، ووجدوا فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ربما خافوا من زوال هذا النعيم فجاء التطمين: ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾، وفي الحديث: "يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت": "إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا ابداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ".

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٨].

١٧٤٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن ذكر ﷻ عقابه للكافرين، ونعيمه للمؤمنين، كل فريق خالدٌ فيما اختاره، واجتهد له، جاءت هذه الآية لتؤكد أن ذلك استحقه كل فريق بعد الوعد والوعيد، وإقامة الحجج والبراهين، بحيث يكون مآل كل فريقٍ باختياره ولا يظلم بعد علمه بمآله، فلا يظلم أحدٌ البتة.

١٧٤٨- فيها تأييدٌ، وتكريمٌ، وتشريفٌ لنبي الهدى محمدٍ ﷺ.

١٧٤٩- تفيد أن الله ﷻ قد أعذر إلى الخلق، فلا عذر لهم إذا اتبعوا سنن من كان قبلهم من أهل الزيغ، والضلال الذين اختلفوا، وتفرقوا عن الحق، ودين الحق.

١٧٥٠- تفيد علو، ورفعة، وعظمة آيات القرآن؛ من اسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾.

١٧٥١- في إضافة الآيات إلى الله جل وعلا تشريفٌ، وتعظيمٌ، وإرشادٌ إلى العناية، والانتفاع بها.

١٧٥٢- تفيد أن الآيات حقٌ، وتلاوتها بالحق، وهي تدل على الحق ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾[الإسراء: ١٠٥].

١٧٥٣- تفيد فضل تلاوة آيات الله ﷻ.

١٧٥٤- فيها إشارة إلى فضل العلم بالهدى، والضلال، والحلال، والحرام...، وما يقي العباد من الوقوع فيما يغضب الجبار.

١٧٥٥- تفيد إثبات صفة الإرادة لله ﷻ، وهي إرادةٌ حقيقيةٌ عظيمةٌ ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[البروج: ١٦]؛ وهذا يوجب تعلق القلوب به، وطلب حاجاتها منه جل وعلا.

١٧٥٦- تفيد أن الله ﷻ عدلٌ في رسالته للناس، عدلٌ في اصطفائه من يبلغ عنه، عدلٌ في تكليفه، عدلٌ في حسابه، عدلٌ في مجازاته.

١٧٥٧- تفيد النفي التام للظلم عن الله ﷻ، فقد جاء نفي إرادة الظلم فضلاً عن تحققه، ويشهد لذلك ما ورد في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما...".

١٧٥٨- فيها أن نفي الظلم عن الله جل وعلا يقتضي وصفه بكمال العدل، والفضل. وهذه قاعدةٌ في الصفات السلبية أنها تدل على اتصافه بكمال ضدها.

١٧٥٩- فيها ردٌ على الجبرية؛ لأن مذهبهم يقتضي وصف الله ﷻ بالظلم، تعالى الله ﷻ عن ذلك علواً كبيراً.

١٧٦٠- تفيد أن الله العدل البر الرحيم يريد لعباده الخير، والفوز، فيبين لهم أسباب النجاة من النار، والفوز بالجنة.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [آل عمران: ١٠٩].

١٧٦١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكر ﷻ أنه بحكمه على عباده، ما بين مكرمٍ منعمٍ، ومهانٍ معذبٍ، وربط ذلك بعدله، وحكمته، بعيداً عن الحيف، والظلم، جاء في هذه الآية تأكيد غناه عن الظلم، فبينت عظمته ﷻ، مالك الملك الغني بذاته الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله.

١٧٦٢- فيها مع ما قبلها أن الله تعالى هو الحاكم المتصرف في الكون في الدنيا، والملك العدل في الآخرة.

١٧٦٣- تقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص، فملك السماوات والأرض لله ﷻ وحده لا لغيره ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]. والأمور كلها ترجع إلى الله ﷻ وحده لا إلى غيره.

١٧٦٤- تفيد أن الله ﷻ هو المالك لكل ما في السماوات والأرض. والناس وإن ملكوا شيئاً فهو ملكٌ، إضافيٌ، محدود الكم، محدود الزمن، محدودٌ في إمكانية التصرف فيه، ثم زائلٌ، ومنتقلٌ، وموروثٌ.

١٧٦٥- تفيد أن العبد إذا علم أن الملك لله ﷻ وحده؛ استغنى بالله ﷻ، ولجأ إليه، وطلب حاجاته منه، ولم يفتقر إلى مخلوقٍ ضعيفٍ، فازداد عزاً، وغنىً، واطمئناناً.

١٧٦٦- فيها تثبيت لعباد الله المؤمنين، حيث يستقر في نفوسهم أن هذا الإله الذي بيده مقاليد كل شيء؛ مستحقٌ للعبادة، والتعظيم ﷻ.

١٧٦٧- فيها ترغيب لعباده المؤمنين في دعائه، وسؤاله وحده من فضله، لأن خزائن السماوات والأرض بيده وحده.

١٧٦٨- فيها إشارة إلى عدم الاغترار بالدنيا، وبمن ملكوها، فإنما هم مستخلفون نظار على ما ملكوا، ثم مرجعهم إلى الله ﷻ المالك على الحقيقة، والذي ترجع إليه محاسبتهم، ومجازاتهم.

١٧٦٩- تفيد أن المالك لهذا الكون، والمتصرف فيه: هو الله ﷻ؛ بدلالة [اللام] التي تفيد الملك، وأن غاية الخلق، والأمر عائدٌ إلى الله ﷻ الخالق العظيم، بدلالة [إلى] التي تفيد الغاية.

١٧٧٠- تفيد أنك اذا عملت خيراً فاعلم أنك واجده عند الله ﷻ لأنه: ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾؛ فاحرص على فعل الخير.

١٧٧١- تفيد إثبات عقيدة البعث، وأن الكل راجعٌ إلى الله ﷻ.

١٧٧٢- فيها وعيد وتهديد لأهل الكفر والضلال؛ وتجلى ذلك في اسم الجلالة ﴿ ٱللَّهِ ﴾، وبيَّن أن الأمر عائدٌ إليه ليفيد هذا المعنى: وهو الوعيد لمن فرط في الإيمان، والتوحيد، فسيجد جزاءه عنده يوم المعاد.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

١٧٧٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق أمره ﷻ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وذكر تفريط أهل الكتاب في هذه الشعيرة العظيمة، جاء في هذه الآية بيان أن أمة الإسلام استجابت لأمره ﷻ، واستحقت التفضيل على سائر الأمم.

١٧٧٤- تفيد أن الله ﷻ بتمام تصرفه بملكه يمتن على خلقه بما يشاء.

١٧٧٥- فيها دليل على خيرية هذه الأمة، وفضلها على الناس؛ وقد قال رسول الله ﷺ: "أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها، وأكرمها على الله ﷻ ".

١٧٧٦- تفيد أن الأمم تتفاضل عند الله ﷻ، كما فضَّل بعض الرسل على بعض، وفضل بعد الأزمان، والبلدان على بعض، فالحمد لله الذي جعلنا من خير أمة أخرجت للأنام تأمر بالمعروف، وتنهى عن الآثام.

١٧٧٧- تفيد أن ميزان الخيرية عند الله ﷻ بالتزام أوامره، واجتناب نواهيه.

١٧٧٨- تفيد أن خيرية هذه الأمة مرتبطة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله فينبغي تعاهد هذه الأمور. وقد يخفت صوت الحق بقلة الناطقين لكن لا تجعله يخرس؛ فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من صور خيرية الأمة. وقد يتحرج بعض الناس من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ويدعي بعضهم اتساع علم الناس فلا حاجة ولكن هذه مظنةٌ

باطلةٌ، والدعوة إلى إقامة هذه الشعيرة باقية، وماسّة. وأعظم معروف يؤمر به: التوحيد، وأعظم منكر ينهى عنه: الشرك.

١٧٧٩- تفيد أن إثبات خيرية أمة الإسلام له شرط لابد من تأديته: وهو الإيمان بالله، والجهاد في سبيله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

١٧٨٠- فيها تأكيد على أن خير الناس أنفعهم للناس، وهم الذين يعملون عمل الأنبياء، ويحرصون على إنقاذ الناس من النار بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

١٧٨١- تفيد أن أفضلية هذه الأمة منوطةٌ بقيامها بشعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فإن عطلتها نزع الله ﷻ منها هذه الأفضلية كما نزعها من غيرها.

١٧٨٢- تفيد تميز أمة الإسلام: بالنصح والتعليم، والإرشاد، وحب الخير للآخرين.

١٧٨٣- تفيد أن التناصح العام للعباد فيما بينهم من أعظم أسباب تفاضل الأمم.

١٧٨٤- في ورود هذه الآية في هذا السياق، والتأكيد على اعتصام الأمة بالدين، والقرآن، والثبات على ذلك، متحصنين بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: تكذيبٌ لتفسير الرافضة الباطل لهذه الآية التي يقرؤونها: (كنتم خير أئمة...).

١٧٨٥- تفيد أن التناصح بين العباد مقدم على الإيمان، والتعبد الخاص.

١٧٨٦- يفيد تقديم الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر في الذكر على الإيمان، وفي آية أخرى تقديمه على الصلاة، والزكاة ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [التوبة: ٧١] عظمة هذه الشعيرة، وفضل من يقوم بها؛ فهو من خير الناس للناس. ويفيد هذا التقديم أيضاً: تميز هذه الأمة بهذه الشعيرة العظيمة التي بها يحفظ الدين والدنيا. وأهمية المصلحة العامة للمجتمع المسلم، فالآية في سياق الاعتصام بحبل الله ﷻ.

١٧٨٧- تفيد فضل تحقيق الإيمان بالله ﷻ؛ وبه ينال الإنسان كل خير في الدنيا، والآخرة.

١٧٨٨- فيها إشارةٌ إلى أن المسلم إيمانه متعدٍ؛ حيث يدعو لما يؤمن به؛ استجابة لأمر الله ﷻ، ورجاء ما عنده، وحباً في بذل الخير للعالمين.

١٧٨٩- فيها دعوةٌ لأهل الكتاب للإيمان، وبيان أن الإيمان خيرٌ لهم في الدنيا، والآخرة.

١٧٩٠- فيها توجيهٌ للعدل؛ فقد ذكر الله ﷻ القسم الذي آمن من أهل الكتاب الذين يقابلون الأكثرية الكافرة.

١٧٩١- فيها دليل على أن الفسق يراد به أحياناً الكفر، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

١٧٩٢- تفيد قلة من آمن من أهل الكتاب، وفي ضمن ذلك توجيهٌ لعدم الاغترار بالكثرة إذا كانت على باطل، وضلال.

١٧٩٣- تفيد أن أكثر أهل الكتاب كفروا، وتولوا، وفسقوا، وقد قال رسول الله ﷺ: لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن اليهود. متفق عليه.

قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١].

١٧٩٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكرت الآية السابقة الذين فسقوا من أهل الكتاب، وكفروا بالله ورسوله، وعادوا الرسول ﷺ وأتباعه بكل سبيل، جاء في هذه الآية بيان أنهم وبكل ما كادوه لأمة الخيرية هم المغلوبون، وضررهم لأهل الإيمان ضررٌ لا يكاد يذكر أمام رضا الله ﷻ وموعوده لهم.

١٧٩٥- تفيد أن فساق أهل الكتاب ضررهم يسير: وهو قول الباطل، والكذب.

١٧٩٦- يفيد اختيار لفظة [الأذى] دون الضرر؛ للتهوين من شأنه، وتثبيت قلوب المؤمنين.

١٧٩٧- تفيد أن كل ما أصاب أهل الإيمان من ضررٍ من أهل الكفر، هو ضررٌ يسيرٌ مهما بلغت قسوته وشدته.

١٧٩٨- تفيد تبشير أهل الإيمان بالعون، والعناية، والتأييد.

١٧٩٩- تفيد أن أهل الكتاب يقاتلون المؤمنين، ويسعون في هزيمتهم.

١٨٠٠- تفيد ذم الجبن، والهلع.

١٨٠١- تفيد طمأنة نفوس المؤمنين، وتثبت قلوبهم في جهادهم، ومجابهتهم لأعداء الدين باللسان، والسنان.

١٨٠٢- تفيد وصف حال الكفار، وانكسارهم أمام ثبات الموحدين الصادقين الصابرين، ليتعظ ويعتبر أهل الإيمان فيأخذوا بأسباب العز، والتمكين من الإعداد المعنوي، والمادي.

١٨٠٣- تفيد بيان حقيقة اليهود وجبنهم، وأنهم ينهزمون ويفرون من المعركة مولين المسلمين ظهورهم.

١٨٠٤- تفيد أن النصر لأمة الإسلام - ما تمسكت بدينها - على اليهود في أي قتال يقع معهم.

١٨٠٥- تفيد أن الشرك، وسماع ما تعلق به من الشبهات أذى يتأذى منه المؤمن، وفي ذلك إشارة إلى أن المؤمن الصادق يتأذى من كل ألوان الشرك، والطعن بالتوحيد، وأهله.

قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

١٨٠٦-

١٨٠٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما جاء التأكيد على عدم إضرار أهل الكتاب بالمؤمنين إلا أذى يسيراً بشركهم فعلاً، وقولاً، وتقولهم على الله كذباً وكفراً، جاء في هذه الآية بيان تحقيرهم، والتقليل من شأنهم لالتصاق صفات الذلة والصغار، والمسكنة بهم.

١٨٠٨- ومن المناسبات: لما جاء مدح، ووعد أمة الإسلام، ووصفت بأنها خير أمةٍ أخرجت للناس، جاء في هذه الآية بيان ذم، ووعيد أمة الكفر التي خالفت الحق، ونبذته.

١٨٠٩- فيها مع ما قبلها بيان أن هزيمتهم، وعدم نصرهم متحقق؛ لأنهم كتبت عليهم الذلة والمسكنة، واستحقوا غضب الجبار ﷻ.

١٨١٠- تفيد أن الذلة، والمسكنة صفات لازمة لليهود حيثما كانوا.

١٨١١- تفيد أن هذه الصفات قد التصقت بهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

١٨١٢- فيها معجزةٌ ظاهرةٌ فإن اليهود عبر التاريخ كانوا أذلة، ومشردين في أصقاع الأرض، وضربت عليهم المسكنة.

١٨١٣- تفيد إثبات صفة الغضب لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته، وفي ضمن ذلك التحذير من هذه الأعمال التي توجب غضب الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

١٨١٤- تفيد أن غضب الله ﷻ على العبد، وتعرضه لسخطه هو أعظم العقوبات.

١٨١٥- تفيد أن آيات الله ﷻ يجب أن تقابل بالإيمان، والشكر، لا بالجحود، والكفر.

١٨١٦- تفيد أن قتل الأنبياء من أكبر الجرائم، وفاعلها مستحقٌ للمقت، والغضب، والعقوبة العظيمة من الله ﷻ.

١٨١٧- تفيد أن السبب في ذلة القوم: هي كفرهم، وعنادهم، وقتلهم أنبياء الله ﷻ بغير حق، واعتداؤهم، وعصيانهم، وسعيهم في الظلم، والبغي، والشر، والفساد.

١٨١٨- فيها أن عقابهم يأتيهم من غيرهم بأن يعيشوا الخوف، والذلة، والمهانة، ويأتيهم من دواخلهم حيث يعيشون المسكنة ببعدهم عن الحق، وكفرهم، وظلمهم أنفسهم.

١٨١٩- جاء في الآية التنويع في عقابهم لتعدد أنواع كفرهم، وعصيانهم التي وصلت إلى قتل أنبيائهم.

١٨٢٠- قال قتادة: اجتنِبُوا المعصية، والعدوان، فإن بهما أهلِك مَنْ أُهْلك قبلكم من الناس.

١٨٢١- فيها إشارة إلى أن العصيان، والتعدي يجلبان الذلة، والمهانة. والإيمان، والطاعة يجلبان العزة.

قال تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

١٨٢٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما تقدم ذكر الصنفين من أهل الكتاب: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ جاء في هذه الآية بيان حال الفريقين عند الخالق العدل سبحانه فقال: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾.

١٨٢٣- تفيد كمال العدل الإلهي فلا يؤاخذ أحدٌ بجريرة غيره، وإنما: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

١٨٢٤- فيها التوجيه بضرورة الإنصاف مع المخالف، وألا نبخس الناس أشياءهم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

١٨٢٥- تفيد أن أهل الكتاب غير متساوين في الحال.

١٨٢٦- تفيد ثناء الله ﷻ على أهل الصلاح من أهل الكتاب.

١٨٢٧- فيها تكريم لأهل الإيمان حيث ابتدأ بهم، وقدمهم على الكافرين بذكر أحوالهم.

١٨٢٨- تفيد التأكيد على فضيلة الاستقامة على أمر الله ﷻ، والعمل بطاعته.

١٨٢٩- تفيد أن الإنســان إذا أوتي الكتاب والعلم؛ كان أولى الناس بكثرة العبادة، والقيام بالقرآن آناء الليل، مع التدبر، والفهم، والعمل.

١٨٣٠- تفيد فضل الصلاة على سائر العبادات؛ حيث أنها جمعت بين تلاوة آيات الله ﷻ، والسجود.

١٨٣١- تفيد فضل القيام في الصلاة، وقد قال رسول الله ﷺ: أفضل الصلاة: طول القنوت. رواه مسلم وغيره.

١٨٣٢- تفيد فضيلة تلاوة القرآن، وقيام الليل به.

١٨٣٣- تفيد أن قراءة القرآن في الليل له أثرٌ كبيرٌ في تدبره، وفهمه، فإذا كان في صــلاةٍ فهو نورٌ علي نورٍ، بل أن القاســم المشــترك بين الناجحين في الحياة: هو قيامهم بالقرآن في صــلاة الليل، فهو يعين على تحمل مشاق الحياة، ومكابدة الصعاب، ومن فوائده لأهل العلم وطلبته، ما قاله بعض السلف: رأيت الفوائد ترد في ظلام الليل.

١٨٣٤- تفيد الترغيب في تدارس القرآن، وتلاوته ليلاً، فهو أشـرف أوقاته؛ لأنه الظرف الذي نزل فيه؛ وكل شيء يحلو في أوانه.

١٨٣٥- فيها إشــارة إلى أن القرآن يتلى، ويقام به في كل ســاعات الليل؛ يقطع محبوه الليل يتلونه، ويتغنون به، ويتدارسونه تعبداً، وتقرباً لمنزّله سبحانه وتعالى؛ لينالوا مرضاته.

١٨٣٦- تفيد أن القرآن من آيات الله ﷻ، بل هو أعظم الآيات، الدالة على ربوبية الله سبحانه وتعالى، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، وصدق نبوة نبيه ﷺ.

١٨٣٧- تفيد فضــل الســجود، وأهمية الإكثار منه؛ حيث خصــه تعالى بين أعمال الصــلاة بالذكر، وجاء وصفه به على صيغة المضارع الذي يفيد الاستمرارية والدوام.

قال تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

١٨٣٨- تفيد مناسـبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكرت الآية الســابقة خضـوعهم، وتقربهم إلى الله سبحانه وتعالى بالتهجد، ذكر في هذه الآية ما الذي أثمره هذا الخضوع، وهذا التهجد.

١٨٣٩- ومن المناسبات: لما عظموا الخالق سبحانه وتعالى، وخضعوا لجبروته، جاء بيان سبب ذلك: من إيمانٍ بالله صاحب الجلال، والكمال، وإيمانٍ باليوم الآخر، وما فيه من حسن، أو سوء مآل.

١٨٤٠- ومن المناسبات: أنهم لما استقاموا على أمر الله ﷻ، وعملوا بما يرضيه، جاء في هذه الآية الحديث عن أنهم يُقَوِّمُون غيرهم، وينصحون لهم.

١٨٤١- تفيد أن الإيمان بالله ﷻ: هو أصل كل خيرٍ وصلاحٍ، والأعمال بدونه لا قيمة لها.

١٨٤٢- تفيد أن الإيمان بالله ﷻ يبعث على الخضوع له، وتعظيمه، والاستقامة على أمره.

١٨٤٣- يفيد ذكر الإيمان باليوم الآخر أن الإيمان به يحث المؤمن على فعل ما يقربه إلى الله ﷻ، ويثاب عليه في ذلك اليوم، وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم.

١٨٤٤- تفيد إثبات اليوم الآخر، والحث على الاستعداد له بهذه الأعمال الجليلة.

١٨٤٥- تفيد فضيلة الأمر بالمعروف - وأفضله: التوحيد -، والنهي عن المنكر- وأقبحه: الشرك -، وأنها من أفضل أعمال الصالحين.

١٨٤٦- تفيد أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر يقي صاحبه من الشرور، ويدفع به إلى أبواب الخير.

١٨٤٧- تفيد أن من ثمرات الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: فعل الخيرات، والمسارعة فيها.

١٨٤٨- يفيد قوله: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ ولم يقل إلى الخيرات للإشعار بأنهم مستقرون في كل أعمالهم في طريق الخير، فهم ينتقلون من خير إلى خير في دائرة واحدة هي دائرة الخير، ينتقلون بين زواياها، وأقطارها، ولا يخرجون منها. فهم لا ينتقلون مسارعين من شر إلى خير، وإنما ينتقلون مسارعين من خير إلى خير، وهذا هو سر التعبير [بفي] المفيدة للظرفية.

١٨٤٩- تفيد الحث على الهمة العالية، والمسارعة في عمل الخير.

١٨٥٠- يفيد وصفهم بالصلاح غاية المدح، ويدل عليه القرآن لأن الله ﷻ مدح بهذا الوصف أكابر الأنبياء، فقال بعد ذكر إدريس وإسماعيل وذي الكفل وغيرهم: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦]، وذكر حكاية عن سليمان أنه قال: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، وغيرها من الآيات.

١٨٥١- تفيد أن من اتصف بهذه الصفات كان من الصالحين. وهي صفات المفلحين، الفائزين؛ أنهم يؤمنون بالله، واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويسارعون في الخيرات.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥].

١٨٥٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما تقدم ذكر فعلهم للخير، ومسارعتهم فيه، جاء في هذه الآية التأكيد على أن الله ﷻ يحصي كل خير مهما بلغ، ويجازي صاحبه شكراً، وثناءً، وثواباً.

١٨٥٣- تفيد التفريق بين فعل الخير وعمل الخير؛ فالفعل: أن يصدر الخير من المرء على السجية بقصد، أو بغير قصد، والعمل لا يكون إلا بقصد، والفعل يقع دفعةً واحدةً، والعمل يكون بالتدريج. وتأمل قوله تعالى: ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج:٧٧] أي ليكن ذلك سجية لا تكلف فيه، وإنما يكون كذلك اذا مارسه الإنسان وتدرب عليه؛ وتأمل قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[الانفطار:١٢] ولم يقل يعلمون ما تعملون فالملائكة الكاتبون يعلمون جميع أفعال العباد، ويكتبون ما كان بقصدٍ أو بغير قصد، والله ﷻ ولي ذلك يعفو، ويغفر لمن يشاء.

١٨٥٤- تفيد أنه لا يضيع عند الله ﷻ فعل خير؛ أيا كان قليلاً أم كثيراً.

١٨٥٥- فيها تجلي الله ﷻ بصفات الجلال، والجمال، فيشكر للعبد صنيعه من المعروف، فهو شاكرٌ، وهو شكورٌ سبحانه.

١٨٥٦- تفيد أن من فيض كرمه، وجزيل شكره ﷻ: يحصي لعباده أقل الأعمال، ويعظمها لهم، وهو الغني عنهم، وعن كل ما يعملون من خير، أو ما يقدمونه من طاعة.

١٨٥٧- فيها الجمع ما بين الفعل والترك؛ ففعلٍ للخير، وتركٍ للمنكر؛ حيث ذكر الخير والتقوى، وإنما يعمد للتزود من الخيرات أهل التقوى.

١٨٥٨- فيها تأكيد على أن فعل الخير مرتبط بالإيمان، والتقوى؛ ليتحقق الثواب المترتب عليه.

١٨٥٩- تفيد أن التقوى سببٌ لقبول الأعمال ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧].

١٨٦٠- تفيد أن التقوى هي المحفز لكل خير، الواقي من كل شر.

١٨٦١- تفيد أن على المسلم أن لا يأبه برؤية الخلق، ولا برأيهم، إنما حسبه: علم الله ﷻ، واطلاعه، وثوابه.

١٨٦٢- فيها إشارة تحذيرٍ وتخويفٍ من النفاق، والرياء، بدلالة: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴾.

١٨٦٣- فيها: لما كانت التقوى عملٌ قلبيٌ، جاء التأكيد على إحاطة علمه سبحانه بهذا المكنون.

١٨٦٤- فيها بشارةٌ، ونذارةٌ، بشارةٌ لأهل الإيمان المتقين بشكر عملهم الخير الصالح، ونذارةٌ لأهل الكفر، والنفاق بجزائهم بما يستحقون.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦].

١٨٦٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما تقدم وعد المؤمنين، جاء في هذه الآية وعيد الكافرين.

١٨٦٦- فيها تأكيد على أن القرآن مثاني؛ فبعد ذكر أهل الإيمان، وما أعد الله ﷻ لهم، جاء ذكر أهل الكفر، وما أعد الله ﷻ لهم.

١٨٦٧- تفيد شناعة الكفر، وضرره على الإنسان، وسوء مآله ولو ملك الدنيا.

١٨٦٨- الكفر يحبط العمل؛ ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤].

١٨٦٩- تفيد أن الأموال، والأولاد من أكثر الأشياء التي يغتر بها الكفار، مع أنها قد تكون سبباً في عذابهم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥].

١٨٧٠- تفيد أن الكافر يملك أمواله؛ ولذلك نسبها إليهم، وولد الإنسان من كسبه.

١٨٧١- تفيد أنه لن يغني عن الانسان مالٌ، ولا ولدٌ متى كان مكذباً بما جاء عن الله ﷻ، وعن رسوله الكريم ﷺ.

١٨٧٢- فيها توجيه للإتجار مع الكريم الخالق ﷻ؛ بتربية الأولاد على التوحيد، والإيمان لينتفع بهم الوالد، والوالدة في الدنيا، وبعد الموت.

١٨٧٣- فيها توجيه لأهل الأموال لبذلها في أوجه الخير، وفي سبيل الله لينتفع بها المرء في حياته، وبعد موته.

١٨٧٤- تفيد أن الأموال والأولاد إما أن يكونوا سبب نجاة وفوز، وإما أن يكونوا سبب حسرةٍ، وندامةٍ يوم القيامة.

١٨٧٥- فيها وعيد لمن فاخر بالأموال، والأولاد في الباطل.

١٨٧٦- تفيد أنه مهما بذل أهل الإيمان، وأنفقوا لن يحرموا أجرهم، وسيعظم الله ﷻ لهم المثوبة، أما الذين كفروا فلا تنفعهم أموالهم مهما بلغت، وإن أنفقوها في أوجه الخيرات، ولا أولادهم وإن آمنوا، واتقوا لا ينفعوهم بشيء.

١٨٧٧- تفيد أن حصول النعم يقتضي شكرها لا كفرها، وكلما ازدادت النعم كان على المرء أن يزداد شكراً لواهبها.

١٨٧٨- تفيد إثبات النار، والتخويف من عذابها، وأنها باقية، والكفار لا يخرجون منها، فهم ملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه، وبئس القرار.

١٨٧٩- تفيد أن مصير أهل الكفر، والتكذيب هو النار، والخلود الدائم فيها، لا يشفع لهم شافع، ولا يدفع عنهم دافع، أجارنا الله وإياكم منها.

١٨٨٠- يفيد ذكر الخلود زيادة العذاب؛ فلا أمل في الخروج منها.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧].

١٨٨١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكرت الآية السابقة أن الكافرين لن تغني عنهم أموالهم، وأن مصيرهم إلى النار خالدين فيها، جاء في هذه الآية بيان عدم انتفاعهم بالمال الذي ينفقونه، ولو كان في أوجه الخير؛ لافتقاده أسباب القبول.

١٨٨٢- تفيد أن ضرب المثل من الأساليب الجميلة التي سلكها القرآن، وفيه تقريبٌ للمعاني.

١٨٨٣- فيها تأكيدٌ على بلاغة القرآن؛ بضرب الأمثال، وروعة التصوير.

١٨٨٤- تفيد أن الكفر محبطٌ للعمل.

١٨٨٥- تفيد أن العبرة بالإخلاص؛ فالنية هي التي تكبر العمل، أو تصغره؛ ففيها الحث على الإخلاص، وتصحيح النية.

١٨٨٦- تفيد التوجيه إلى الإنفاق في الأعمال المشروعة، وتنهى عن إنفاق المال في الشر.

١٨٨٧- تفيد حقارة الدنيا، وقلتها؛ من تسميتها [دنيا].

١٨٨٨- تفيد الحرص على فرصة الحياة الدنيا التي جعلها الله ﷻ ابتلاءً للعباد؛ فلا تفوت العاقل دون أن يستغلها في العمل الذي يثمر راحةً، وسعادةً في الحياة الأبدية.

١٨٨٩- تفيد أن ريح الكفر، والنفاق إذا وقعت على إنفاق المال في أوجه الخير أهلكته.

١٨٩٠- تفيد أن المال الذي اغتر به من قدموا الحياة الدنيا على الآخرة؛ وبالٌ عليهم، وحسرةٌ يوم القيامة.

١٨٩١- تفيد أن البرد الشديد يحرق مع أن هذا من خصائص النار.

١٨٩٢- تفيد أن المعاصي، والكفر، والشرك ظلمٌ للنفس، وإهلاكٌ لها.

١٨٩٣- تفيد أن المعاصي تزيل النعم.

١٨٩٤- تفيد أن العقوبة القاسية تصيب الذين ظلموا أنفسهم: في أنفسهم، أو في أموالهم، أو فيما أوتوه من النعم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦]. وهكذا يعذبهم الله ﷻ بأموالهم.

١٨٩٥- فيها تنبيه على أن هناك من الذنوب ما هو محبطٌ للعمل مهما كان صالحاً قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣] هذه الآية التي فرق منها الصحابة رضي الله عنهم، ونحوها: ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

١٨٩٦- تفيد التأكيد على أن أهل العذاب من الكافرين، والمنافقين، والمشركين ظلموا أنفسهم؛ لما دسُّوها بإعراضهم عن الله ﷻ، وعن الإيمان به، وبنبيه ﷺ، والعمل بما جاء به.

١٨٩٧- تفيد أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

١٨٩٨- تفيد أن الكافرين ظلموا أنفسهم بالكفر؛ فجازاهم الله ﷻ بالحرمان من الأجر والثواب، وقبول الاعمال.

١٨٩٩- تفيد التأكيد على كمال عدل الله سبحانه وتعالى؛ فهو سبحانه يحاسب ويجازي بعد الإنذار، والإمهال، والوعد، والوعيد.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

١٩٠٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق ذكر أهل الإيمان الذين اجتمعوا على أمر الله ﷻ، ووالوا في الله سبحانه وتعالى، واعتصموا به، وبحبله المتين، ينهاهم في هذه الآية عن اتخاذ من هم ليسوا على دينهم أولياء يقربونهم، ويستأمنونهم على مكنوناتهم، وأمورهم الهامة.

١٩٠١- في تصديرها بالنداء لأهل الإيمان؛ دلالةٌ على أهمية التكليف، ولمزيد التنبيه عليه.

١٩٠٢- تفيد حث الحكام ونحوهم على اتخاذ البطانة الصـــالحة التي تدلهم على الخير، وتعينهم عليه.

١٩٠٣- تفيد مدح البطانة الصالحة التي تنصح، وتحث على الخير، والذم، والتحذير من البطانة الفاسدة التي تغش، وتحث على الشر.

١٩٠٤- تفيد أن البطانة لها الاثر البالغ في توجيه الأمة.

١٩٠٥- تفيد التوجيه لطلب المشورة من أهل الصدق والنصح.

١٩٠٦- تفيد التأكيد على إســـناد الأمر إلى أهله الذين هم أهل لتحمل المســـؤولية بأمانة، وإتقان.

١٩٠٧- فيها إشارة إلى أن أصل العلاقات الحساسة تقوم على اتحاد الدين والمعتقد.

١٩٠٨- تفيد التأكيد على عدم الركون إلى الكفار، وطاعتهم فيما يوجهون، ويرشدون.

١٩٠٩- تفيد تحذير المؤمنين من استعمال الكفار في الأعمال التي قد يطلع الكافر من خلالها على أسرار المسلمين، ونحوها، وكذا الأعمال المرتبطة بسياسة الدولة، واقتصادها، ونحو ذلك من المناصب، والأعمال، وبيان خطر ذلك على المسلمين.

١٩١٠- تفيد أنه لا يجوز إسناد المهام للكافر التي من شأنها أن تجعله يتطاول على المؤمن.

١٩١١- تفيد النهي عن عقد الولاية لغير المســـلمين؛ لما انطوت عليه قلوبهم من الحقد، والكراهية لأهل الإسلام، وكذا لا يولى الصالح عند وجود الاصلح.

١٩١٢- تفيد توجيه المؤمنين إلى حفظ أســـرارهم، وألَّا يطلعوا عليها إلا من يثقون بحبه، ونصحه.

١٩١٣- تفيد أن الكفار يسعون بجد واجتهاد في خبال وضياع المسلمين.

١٩١٤- تفيد أن الكفار لحسدهم، وبغيهم يحبون كل ما يشق على المؤمنين، ويعنتهم.

١٩١٥- تفيـد عظم عـداوة وبغض الكفـار للمؤمنين، وتمنيهم، وحبهم أن تنزل بالمؤمنين الكوارث، والنكبات، كما قال الشاعر:

كل العداوات قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين

١٩١٦- تفيد أن ما تخفي صدور الكفار من الغل والحقد والبغض أكبر مما ينطقونه بألسنتهم من العداوة والبغضاء.

١٩١٧- تفيد بيان كيد أهل الكفر: من أهل الكتاب، وغيرهم الذين لا يفرحون بالمصائب، والكوارث التي تصيب المسلمين فحسب، بل يتسببون بها، ويسعون في الكيد، والمكر، والإفساد، والواقع شاهدٌ على ذلك.

١٩١٨- تفيد أن الكفار سواءٌ في قصد الكيد والغل والغش للمسلمين.

١٩١٩- تفيد التأكيد على عقيدة الولاء والبراء.

١٩٢٠- تفيد أن الله ﷻ بيّن للمؤمنين الآيات في كتابه؛ فالعمل بها فيه الهداية، والتوفيق، والسعادة.

١٩٢١- تفيد أن فهم آيات الله ﷻ، والعمل بها: دليلٌ على كمال العقل.

١٩٢٢- تفيد عظمة هذا الكتاب الذي اهتم بأدق التفاصيل التي تحذر أهل الإيمان من الشر، وأهله، وتحمي وحدة الأمة، ومصالحها العظمى.

قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران:١١٩].

١٩٢٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكرت الآية السابقة علم الله ﷻ بما في صدورهم من مكنونات، وما يخفونه من عداوة لأهل الإيمان، جاء في هذه الآية بيان حقيقة مشاعرهم المستورة في قلوبهم تجاه المؤمنين، وفضح خبث سريرتهم، وسوء طويتهم.

١٩٢٤- فيها بيان محبة المؤمنين للكافرين - للأسباب التي بينهم من القرابة، والرضاع، والمصاهرة، أو هي محبتهم للمنافقين لما أظهروا من الإيمان -، وفضلهم عليهم، وشفقتهم بهم، وإرادتهم الخير لهم.

١٩٢٥- تفيد أن المؤمن غِرٌ كريمٌ، والكافر، والمنافق خِبٌ لئيمٌ.

١٩٢٦- فيها لومٌ، وعتابٌ لأهل الإيمان الذين نهوا عن اتخاذ بطانة من الكافرين، ثم تعاطفوا معهم، وأحبوا هؤلاء الغششة المبغضين الحاقدين، وفي ضمنه النهي عن ذلك، والحذر منه.

١٩٢٧- تفيد أن الكفار لا يحبون المؤمنين من قلوبهم، وإن أظهروا لهم اللين، والكلام المعسول، وأنهم يتربصون بهم الدوائر.

١٩٢٨- تفيد أن الكفار: لا يحبون الخير لكم، لا يحبون اجتماعكم، واتفاقكم، لا يحبون ازدهاركم، وتقدمكم، لا يحبون نجاحكم في دنياكم فضلا عن آخرتكم، لا يحبون راحتكم، واستقراركم، لا يحبون طمأنينتكم، وأمنكم، لا يحبون استغناءكم عنهم، وغير ذلك.

١٩٢٩- تفيد وجوب أخذ الحذر وعدم الاغترار بالظواهر، والكلام المعسول خصوصاً من المنافقين، والعَلمانيين، والمشبوهين.

١٩٣٠- تفيد وجوب بغض الكفر، وأهله، وعدم موالاتهم، والركون إليهم.

١٩٣١- تفيد وجوب الإيمان بالكتب، وأنه من أفضل خصال أهل الإيمان.

١٩٣٢- فيها دليل على جبن اليهود، والمنافقين، وخوفهم، ومداراتهم لأهل الايمان؛ ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الحشر: ١٣].

١٩٣٣- فيها روعة التصوير لحجم الحنق، والحقد الذي استقر في نفوسهم.

١٩٣٤- تفيد وجوب التنبه لخطورة المنافقين، والكافرين الذين يجعلون من البطانة وسيلة للدخول في صفوف المؤمنين للعمل على إفسادهم، وإفساد ذات بينهم.

١٩٣٥- تفيد أن غيظ الكفار لن يضر المؤمنين، بل يضر الكفار، ويؤذيهم.

١٩٣٦- فيها بشارة لأهل الإيمان بأن الله ﷻ معهم، ومتم نعمته عليهم بالثناء، والرفعة والتمكين بدلالة: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾.

١٩٣٧- تفيد أن المؤمن الحق؛ هو الذي يفشل مخططات أعدائه من المنافقين، والكافرين، ولسان حاله يقول: ﴿مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾.

١٩٣٨- فيها وعيدٌ شديدٌ لأهل النفاق، فلا اعتبار عند الله ﷻ بأقوالهم، وما يتلونون به أمام أنظار المؤمنين، إنما يجازيهم بحسب ما أضمروا في قلوبهم، وما أسروا، وأخفوا من سوء أعمالهم.

١٩٣٩- تفيد عدم الاستعانة بالكافر إن ظهرت منه علامات العداء.

١٩٤٠- قال ابن عطية رحمه الله : هذه الصفة – يعني ما تقدم في الآية – قد تترتب في كثير من أهل البدع إلى يوم القيامة.

١٩٤١- تفيد سعة علم الرب جل وعلا؛ فهو يعلم ما في الصدور، وما توسوس به النفوس، وفي هذا تربية على تعظيم الرب جل وعلا، والاستحياء منه، ومراقبته.

قال تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

١٩٤٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما بينت الآية السابقة بغض الذين كفروا من أهل الكتاب، وأهل النفاق للمؤمنين، وصورت شدة الحنق، والغيظ الذي استقر في نفوسهم، جاء في هذه الآية ترجمة مشاعرهم، وبيان شدة عداوتهم، وبغضهم للمؤمنين.

١٩٤٣- فيها مع ما قبلها روعة التصوير لحجم الحسد والحقد الذي بلغ حد البغض، فيعضون أناملهم من الغيظ، والغيظ يأسرهم لأقل نعمة يتنعم بها المؤمنون، والغيظ يحملهم ليفرحوا على المصيبة إذا أصابت المؤمنين. فغيظهم لا يبرد إلا إذا تأذَّى أهل الإيمان أبلغ الأذى، والواقع خير شاهد على ذلك.

١٩٤٤- فيها بيانٌ لحال أعداء الإسلام: الحسد، والحقد، والبغضاء.

١٩٤٥- فيها تصوير لحجم بغضهم وعداوتهم: بمساءتهم، وحزنهم إذا نال أهل الإيمان أدنى حسنة، وفرحهم، وسعادتهم إذا وقع على أهل الإيمان أعظم المصائب.

١٩٤٦- تفيد ذم الحسد، وقد قيل: لا يخلو جسدٌ من حسد؛ فالكريم يخفيه، واللئيم يبديه.

١٩٤٧- تفيد أن الحاسد إذا استسلم لحسده، ينتقل إلى منزلة الغيظ، والحقد، التي تورث الكراهية، فيفرح للمصيبة التي تصيب المحسود مهما بلغت. وبهذا يفقد إنسانيته، فالإنسان يرق قلبه للمبتلى، ويرحم صاحب المصيبة.

١٩٤٨- فيها الحكمة البالغة له سبحانه فيما حصل في أُحد.

١٩٤٩- تفيد أن الحسنة، والسيئة هنا بمعنى: النعمة، والمصيبة.

١٩٥٠- تفيد أن الفجور كل الفجور: أن تفرح لمساءة خصمك، وأن تُساء لتنعمه.

١٩٥١- تفيد عدم إظهار النعمة للأعداء.

١٩٥٢- فيها أن سنة القرآن جاريةٌ في أن يذكر الصبر في كل مقامٍ يشق على النفس احتماله.

١٩٥٣- فيها توجيهٌ للصبر على مشاق التكاليف التي جاءت بتشريعٍ منه ﷻ.

١٩٥٤- فيها تأكيد على أن تحقيق التقوى: بالبراءة من الكافرين، وعدم اتخاذ بطانة منهم، لن يضر المؤمنين شيئاً، ولو كادوا، ومكروا، لأن الله مع المتقين.

١٩٥٥- فيها أنه تعالى يرشدهم إلى السلامة من شر الأشرار، وكيد الفجار، باستعمال الصبر والتقوى، والتوكل عليه فهو المحيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي اذا شاء شيء كان، وما لم يشأ لم يكن. ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه.

١٩٥٦- فيها العبرة في أدب القرآن: فقد أمر بالصبر، والتقوى، والخير، ودفع السيئة بالحسنة ولم يأمر بمقابلة الشر بمثله.

١٩٥٧- فيها تأكيدٌ لكيد الأعداء للمسلمين؛ والوقاية من هذا الكيد باجتماع أمرين لا يغني أحدهما عن الآخر: الصبر، والتقوى.

١٩٥٨- فيها ذكر الأسباب التي وعد الله عليها النصر: وهي الصبر، والتقوى.

١٩٥٩- تفيد أن التقوى والصبر من أعظم أسباب الخير في الدنيا، والآخرة، والتمكين، والفلاح، قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

١٩٦٠- فيها ترغيبٌ لأمة الإسلام في التحلي بضد هذه الأخلاق المذمومة، ومخالفة الكافرين، والمنافقين في أفعالهم، وأقوالهم: يحبون الخير للناس، ولا يسوؤهم ما يكسب الناس من خير، ولا يحسدونهم لذلك، كما أنهم لا يفرحون بوقوع المصائب والبلايا على عباد الله.

١٩٦١- فيها أنه لا يقع شيءٌ إلا بتقديره، ومشيئته، ومن توكل على الله كفاه.

١٩٦٢- فيها تأييد للمؤمنين ببشارتهم أن كيد هؤلاء لا يضرهم، وأرشدهم إلى ما يتسلحون به أمام هذا المكر، وهذه العداوة.

١٩٦٣- تفيد أن الكفار يكيدون للمسلمين، ويسعون في ضررهم.

١٩٦٤- فيها تسلية للمؤمنين بأن الله محيطٌ بكل ما يصنعون، فهو سبحانه وتعالى يعد لكل كيدٍ ما يبطله.

١٩٦٥- تفيد سعة علم الله عز وجل، وإحاطته بكل شيء.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

١٩٦٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما فرغ الحق سبحانه وتعالى من معاتبة أهل الكتاب، شرع في معاتبة بعض المسلمين لما وقع منهم في غزوة أحد.

١٩٦٧- ومن المناسبات أيضا: جمع، ومشابهة حال المنافقين من أهل المدينة، واليهود في الكيد لهذا الدين، ومحاربته، وأهله.

١٩٦٨- تفيد الحرص على اتخاذ الأسباب، مع التوكل على الله ﷻ.

١٩٦٩- فيها بيان فضل وقت الغدوة، والتبكير في إنجاز المهام.

١٩٧٠- فيها إشارة إلى ضرورة التزام المواقع التي يأمر بها القائد ولذا عبر عنها بـ ﴿ مَقَٰعِدَ ﴾.

١٩٧١- فيها معرفة النبي ﷺ لإدارة المعارك، وإنزال الناس منازلهم، وترتيبهم في مقاعدهم، وتنظيمهم جيداً.

١٩٧٢- فيها شجاعة النبي ﷺ، وحبه للقتال في سبيل الله ﷻ.

١٩٧٣- فيها إشارة إلى ضرورة علم القائد الحربي بفنون القتال، والخبرة الكافية لمعرفة المواقع التي تحرس، ويرابط فيها للتصدي للعدو.

١٩٧٤- تفيد أهمية الإيمان في الجهاد في سبيل الله ﷻ.

١٩٧٥- تفيد أن على المؤمنين عندما يكونوا في مجلس المشورة أن يستصحبوا معية الله تعالى.

١٩٧٦- تفيد إثبات إسمي السميع، والعليم لله سبحانه وتعالى، وإثبات صفتي السمع، والعلم لله سبحانه وتعالى.

١٩٧٧- تفيد إرشاد العباد إلى التوسل بهذه الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

١٩٧٨- تفيد أن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه خافيه فهو السميع سبحانه وتعالى لكل الأقوال، العليم بكل الخفايا.

قال تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٢].

١٩٧٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ختم الآية السابقة بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ جاءت هذه الآية تبين علمه بضمائرهم، وما وقع في خلد الفئتين: الحيين من الأنصار أن يجبنا، ويضعفا

١٩٨٠- تفيد أن من كان الله ﷻ معه حفظ قلبه من الهم الفاسد.

١٩٨١- فيها: كيف يفشل والله ﷻ وليه؟!

١٩٨٢- تفيد أن من تولاه الله ﷻ عصمه من الزيغ، والزلل، وهداه إلى الصواب: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

١٩٨٣- تفيد أن حديث النفس معفوٌّ عنه، وفي ساحة القتال من باب أولى، إلا إذا استجيب له، وشرع في تنفيذه.

١٩٨٤- فيها دعوة للثبات أمام جحافل العدو؛ برغم تخذيل المخذلين، وتثبيط المثبطين.

١٩٨٥- تفيد أن الفشل من عقوبات المعصية.

١٩٨٦- تفيد أن الفشل حليف المتخاذلين الفارين من لقاء العدو.

١٩٨٧- تفيد أن المؤمن يحرص على طلب النجاح، ويتجنب أسباب الفشل في شؤونه كلها، آخذاً بالأسباب، مستعيناً بالله ﷻ، ومتوكلاً عليه.

١٩٨٨- تفيد فضل الصحابة عموماً، وجهادهم في سبيل الله ﷻ.

١٩٨٩- تفيد فضل الأنصار رضي الله عنهم.

١٩٩٠- تفيد فضيلة بني سلمة، وبني حارثة لقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: نزلت هذه الآية فينا: بني سلمة، وبني الحارثة، وما أحب أنها لم تنزل، والله يقول: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. رواه البخاري، ومسلم.

١٩٩١- فيها بيان خطر المنافقين، وإرجافهم في صفوف المؤمنين، كما أثَّر تخذيل، وانسحاب عبد الله بن أبي ومن معه في جناحي عسكر رسول الله ﷺ: (بني سلمة من الخزرج، وبني حارثة من الأوس).

١٩٩٢- تفيد أن المؤمن العاصي يوالى لإيمانه، ويبغض لمعصيته، ولا يتبرأ منه.

١٩٩٣- تفيد عدم القنوط من رحمة الله ﷻ، وولايته.

١٩٩٤- فيها توجيهٌ لإظهار الافتقار إلى الله ﷻ، وطلب عونه في جميع أمور حياتنا.

١٩٩٥- تفيد أن التوكل عبادة لا تصرف لغير الله سبحانه وتعالى بدليل صيغة الحصر.

١٩٩٦- فيها الأمر بالتوكل الذي هو اعتماد القلب على الله ﷻ في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة بالله، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، وأن المؤمنين أولى بالتوكل على الله من غيرهم، وخصوصاً في مواطن الشدة، والقتال، فإنهم مضطرون إلى التوكل والاستعانة بربهم، والاستنصار له، والتبرؤ من حولهم، وقوتهم، والاعتماد على حول الله وقوته، فبذلك ينصرهم، ويدفع عنهم البلايا.

١٩٩٧- فيها تأكيدٌ على أن في التوكل على الله ﷻ علاجٌ للخوف، والجزع.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣].

١٩٩٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن وجَّه الباري سبحانه للتحلي بالصبر، والتقوى لمجابهة أعداء الدين، وبعد أن ذكر مثالاً على عدم الصبر يوم أحد، وترك الرماة مواقعهم وما حلَّ بهم، جاء في هذه الآية ذكر يوم الصبر، والتقوى: يوم بدر، فتحقق للمؤمنين النصر برغم قلتهم، وذلتهم.

١٩٩٩- تفيد عظيم امتنان الله ﷻ على رسوله الكريم ﷺ، والصحابة الكرام، بنصرهم يوم بدر، فقد كان نصر تلك العصابة المسلمة في ذلك اليوم نصراً عظيماً للأمة المسلمة إلى يوم القيامة.

٢٠٠٠- تفيد أن الذي ينصر هو الله ﷻ، والمؤمن الحق عليه استحضار هذه الحقيقة دائماً.

٢٠٠١- تفيد أن النصر ليس بالعدة المادية، وإنما هي أسباب فقط، والنصر من عند الله العزيز الحكيم. ولا يأتي إلا باكتمال شروطه فإذا أعد المسلمون ما استطاعوا من قوة، وتوكلوا على الله ﷻ حق التوكل، واتقوا الله ﷻ؛ كان النصر بأمر الله ﷻ.

٢٠٠٢- فيها: إن كنت مع الله ﷻ كان الله معك في أحلك الظروف.

٢٠٠٣- فيها: كانت بدر يوم النصر، ويوم الفرقان، ويوم عز الإسلام، وكان لها ما بعدها فأقبل كثيرون على اعتناق الإسلام.

٢٠٠٤- تفيد تمييز موقعة بدر التي أعز الله ﷻ بها عباده المؤمنين.

٢٠٠٥- فيها: ليس المقصود بالذلة ذلة النفس، بل هم أعزة، ولكن عددهم بالنسبة لعدوهم.

٢٠٠٦- تفيد أن القلة ذلة، وضعف؛ لذا حث الرسول ﷺ على الزواج، والإنجاب لتكثير المسلمين. والتكثير يكون بطريقتين: الزواج والإنجاب، والدعوة إلى الإسلام، والمطلوب من الدعاة أن يكونوا قدوة في كليهما.

٢٠٠٧- تفيد أنه كلما كان العبد أذل لله ﷻ كان أقرب إلى النصر، وكلما كان مستغنياً عن الله ﷻ كان أبعد عن النصر.

٢٠٠٨- تفيد أن النصر إنما هو من عند الله ﷻ لا بكثرة العَدد، والعِدد، ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ

ﭐلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[التوبة: ٢٥ - ٢٧].

٢٠٠٩- تفيد أنه ينبغي على مَن منّ الله ﷻ عليه بنعمة النصر أن تكون تلك النعمة، وذلك النصر سلماً يرتقى به إلى تقوى الله تعالى، لا سبباً للأشر والبطر، والملاهي، والأغاني، والرقص، واختلاط الرجال والنساء، وغير ذلك من المعاصي التي لا ترضي الله ﷻ، لقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، وفي هذا أمرٌ من الله ﷻ بالتقوى بعد النصر لئلا يشمخ الإنسان بأنفه، ويتطاول على ربه بانتصاره، ولهذا كان النبي ﷺ لما انتصر على المشركين، وفتح مكة دخل مطأطئ الرأس، متواضعاً، يتلو كتاب الله ﷻ.

٢٠١٠- تفيد أن تقوى الله ﷻ تعين على أداء الحقوق، ومنها: حق الله ﷻ بشكره.

٢٠١١- تفيد أن من اتقى ربه فقد شكره، ومن ترك التقوى لم يشكره.

٢٠١٢- تفيد أنه يتحقق الشكر: بالتقوى.

٢٠١٣- فيها توجيهٌ لشكر الله ﷻ عند كل نجاحٍ، أو حصول نعمةٍ.

٢٠١٤- فيها دوام تذكر نعم الله ﷻ، والحرص على شكرها، ومن أجلّ النعم أن يجد المؤمن العزة، والنصر بهذا الدين.

٢٠١٥- فيها: ختامٌ جميلٌ: بالوصية بتقوى الله ﷻ، وإصلاح العلاقة معه؛ فهي مفتاح النصر، والتمكين، والتثبيت.

قال تعالى: ﴿ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران:١٢٤].

٢٠١٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما اشتملت هذه القصة على المصيبة التي سيقص الله كثيراً منها، وهي مستوفاةٌ في السير، كان أنسب مِن قَصِّها وبيان ما اتفق لها - لوعظ من يأتي - البداءة بتذكير من باشرها بما وعدهم الله به على لسان نبيه ﷺ قبل وقوع القتال، من النصر المشروط بالصبر، والتقوى، تنبيهاً لهم على أن الخلل من جهتهم أتى.

٢٠١٧- فيها: الرسول ﷺ يبشر أصحابه بصيغة سؤال: ألن يكفيكم؟ والنتيجة ثقةٌ مطلقةٌ بمجيء المدد.

٢٠١٨- فيها: جاء المدد فعلاً لكن القوم عوقبوا بما كان منهم ليعلموا أن مجيء المدد لا يعني أن يفعلوا ما أرادوا، وتحصل منهم المخالفة. فالنصر دائماً مشروطٌ بشروطه فإذا اختل شيءٌ منها فلا نلوم إلا أنفسنا.

٢٠١٩- تفيد الحث على رفع الروح المعنوية للمجاهدين بذكر وعد الله ﷻ بالنصر، والمعونة؛ فإن هذا من أسباب النصر.

٢٠٢٠- فيها ما كان عليه النبي ﷺ من حسن القيادة العسكرية، واهتمامه بمعنويات جيشه، وربطهم بربهم جل وعلا، ووعدهم بالنصر إن صبروا، واتقوا؛ فصلى الله وسلم على أعظم قائد في التاريخ.

٢٠٢١- تفيد أن التخطيط للمعركة عدداً، وعدةً سبب من أسباب النصر.

٢٠٢٢- تفيد أنه إذا جاء المدد من الله ﷻ فلنبشر بنصره.

٢٠٢٣- فيها: بعد أن كان كل صحابي يقابل ثلاثة مشركين، جاء المدد فانعكس العدد.

٢٠٢٤- فيها: ملكٌ واحدٌ يكفي؛ ولكن في ذكر العدد مراعاة للروح المعنوية للمؤمنين؛ ففيه الحرص على عمل الأسباب.

٢٠٢٥- تفيد الإيمان بالملائكة، ومحبتهم لما كانوا عليه من قتالٍ مع المؤمنين.

٢٠٢٦- تفيد كثرة أعداد الملائكة.

٢٠٢٧- تفيد أن الملائكة أجسام، وأنها تنزل، وتتحرك، وفي هذا ردٌ على الفلاسفة الذين زعموا: أن الملائكة هي قوى الخير في النفوس، وليست أجساماً.

٢٠٢٨- تفيد إثبات علو الله ﷻ على خلقه.

قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥].

٢٠٢٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فقد تولى ﷻ الجواب عنهم، تحقيقاً للكفاية.

٢٠٣٠- تفيد أن المدد مشروطٌ بالصبر، والتقوى: فالصبر على جلاد الأعداء، وقتالهم، والتقوى بصرف خواطر السوء التي تغير نيَّة المجاهدين، وتدخل عليها عوامل الرغبة في الشهرة، والغنيمة، والسمعة.

٢٠٣١- تفيد أنه إذا تحقق الصبر، والتقوى جاء المدد بلا تأخير.

٢٠٣٢- تفيد فضيلة الصبر، وأنه من أسباب النصر على الأعداء.

٢٠٣٣- تفيد فضيلة التقوى، وأثرها في تنزل النصر من الله ﷻ.

٢٠٣٤- تفيد فضيلة اجتماع الصبر، والتقوى في العبد، وأن ذلك من أسباب نصر الله ﷻ له.

٢٠٣٥- في تقديم الصبر على التقوى إشارة إلى أثره الكبير في تحقق النصر من الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٢٠٣٦- تفيد أن المدد من الرب جل وعلا وحده، وقد ضلَّ، وأشرك من يقول: مدد يا فلان لميتٍ، أو غائبٍ.

٢٠٣٧- فيها: ذكر الملائكة يبعث في النفس الراحة، والطمأنينة، واستشعار وجودها يزيد الصابر المحتسب ثباتاً، واليقين بنصرتها، ومددها يزيد المجاهد جرأةً، وإقداماً.

٢٠٣٨- تفيد إثبات الإيمان بالملائكة، وكثرتهم.

٢٠٣٩- تفيد أن الملائكة أجسام، وأنها تنزل، وتتحرك، وفي هذا ردٌّ على الفلاسفة الذين زعموا: أن الملائكة هي قوى الخير في النفوس، وليست أجساماً.

٢٠٤٠- تفيد أن الملائكة يقاتلون، ويكونون مدداً.

٢٠٤١- تفيد محبة الملائكة؛ لقتالهم، ونصرهم للمؤمنين.

٢٠٤٢- فيها إشارة إلى أهمية تمييز الكتائب، والفرق العسكرية بعلامات يعرفون بها؛ وفي هذا فوائد عسكرية كثيرة.

٢٠٤٣- فيها امتنان الرب سبحانه وتعالى صاحب اللطف، والعناية على عباده الصابرين المحتسبين بتمام الحفظ، والرعاية، والعناية.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

٢٠٤٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما كان التقدير: [وليس الإمداد بهم موجباً للنصر]، وكان قد قدم في أول السورة قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٣]، قال هنا —

قاصراً للأمر عليه – ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾، أي الإمداد المذكور، وذَكَرَهُ لكم على ما له من الإحاطة بصفات الكمال التي لا يحتاج مراقبها إلى شيءٍ أصلاً.

٢٠٤٥- فيها إظهارٌ لمكانة أمة الاستجابة، وبيانٌ لعلو منزلتها؛ بتمام العناية بها، والإعانة لها؛ لتحقق الاستجابة لأمر ربها ﷻ.

٢٠٤٦- تفيد إثبات الجعل لله ﷻ، والجعل نوعان: جعلٌ كونيٌ، وجعلٌ شرعيٌ.

٢٠٤٧- تفيد استحباب البشارة.

٢٠٤٨- تفيد أن اطمئنان القلوب من أسباب النصر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

٢٠٤٩- تفيد أن اطمئنان القلب من أسباب الثبات في القتال.

٢٠٥٠- تفيد أن الأسباب فيها تطمين القلوب، وتسكين النفوس، والثبات على الخير.

٢٠٥١- تفيد أن إنزال الملائكة فيه بشرى، وطمأنينة لأهل الإيمان.

٢٠٥٢- تفيد أنه لا يعتمد على الأسباب بل يعتمد على الله ﷻ؛ لأن النصر حقاً هو من عند الله ﷻ.

٢٠٥٣- تفيد الحث على سؤال الله ﷻ النصر، وطلب المدد منه. ولا يطلب ذلك إلا من الله ﷻ وحده؛ بدليل صيغة الحصر.

٢٠٥٤- تفيد استحباب الحرص على النصر في المعارك؛ لأن في ذلك عز الإسلام، والمسلمين.

٢٠٥٥- تفيد إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى، وهما: العزيز، والحكيم.

٢٠٥٦- تفيد إثبات صفتين لله ﷻ: العزة، والحكمة؛ فهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، وهو الحكيم في كل ما يقدره، ويقضيه.

٢٠٥٧- تفيد إرشاد العباد إلى التوسل بهذه الاسماء الحسنى، والصفات العلى.

قال تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ [آل عمران:١٢٧].

٢٠٥٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق ذكر تأييده ﷻ، وإمداده لعباده ليمتن عليهم بالنصر، جاء في هذه الآية بيان ما للنصر من ثمرات.

٢٠٥٩- تفيد أن النصر من عند الله ﷻ وحده؛ فهو الذي قطع دابر الكفار، وكبتهم.

٢٠٦٠- تفيد فضل النصر الذي حصل للمسلمين في بدر، وما كان له من ثمرات. والتعبير عنه بصيغة المضارع في الآية؛ لقصد استحضار الحالة العجيبة في ذلك النصر المبين العزيز.

٢٠٦١- فيها منة الله ﷻ على أهل الإيمان بنصرهم، وإهلاك صناديد الكفار، ورجوع من بقي منهم مكبوتاً حزيناً خائباً، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله.

٢٠٦٢- فيها تخويف الكفار بالهلاك، والخيبة، والخسران؛ لعلهم يرجعون.

٢٠٦٣- تفيد أن الكفر سببٌ للعذاب في الدنيا: بالقتل، والأسر، والهزيمة، والخيبة، والخذلان.

٢٠٦٤- فيها ذكر كثير مما يمكن أن يخلفه النصر على الأعداء من آثار: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾: ليهلك أمة منهم، ﴿يَكْبِتَهُمْ﴾: يخزيهم، ويردهم بغيظهم لما لم ينالوا من المؤمنين ما أرادوا، ﴿فَيَنقَلِبُوا﴾: يرجعوا، ﴿خَآئِبِينَ﴾: لم يحصلوا على ما أملوا.

٢٠٦٥- تفيد أن النصر المادي، والمعنوي لأهل الإيمان، كما أن الهزيمة المادية، والمعنوية لأهل الكفر.

٢٠٦٦- تفيد أن نصر الله ﷻ لعباده المؤمنين دائرٌ بين هذين الأمرين، غير خارجٍ عنهما: إما نصرٌ على الكفار، أو خذلٌ للكفار.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[آل عمران:١٢٨].

٢٠٦٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكر ما فعل بالكفار من هزيمة، وكبت: ذكر في هذه الآية أنه قد يتوب على بعضهم تفضلاً منه، ورحمةً؛ فجمع بين الترغيب والترهيب.

٢٠٦٨- تفيد أن الأمر لله ﷻ من قبل ومن بعد.

٢٠٦٩- تفيد أن الله ﷻ مالك كل شيء، فما في السموات، وما في الأرض من شيءٍ إلا هو مالكه، وخالقه يتصرف فيه كيف يشاء، ويحكم ما يريد، ويتوب على من يشاء، ويعذب من يشاء، وهو الغفور لمن تاب، الرحيم لمن أناب سبحانه وبحمده.

٢٠٧٠- فيها: لما دعا الرسول ﷺ على عدد من زعماء الكفار باللعن، والهلاك لأنهم بالغوا في ايذائه؛ أنزل الله ﷻ هذه الآية.

٢٠٧١- فيها أن توبتهم واردة رغم ما ترى من صدودهم، وإعراضهم؛ فلا تيأس من هداية شخص مهما عتا، وتجبر.

٢٠٧٢- تفيد أن النبي ﷺ لا يملك لغيره نفعاً، ولا ضـــراً؛ ولذلك لا يجوز دعاؤه من دون الله ﷻ، ولا دعاء غيره من باب أولى؛ لأن هذا من الشرك.

٢٠٧٣- فيها ما يدل على أن اختيار الله ﷻ غالبٌ على اختيار العباد، وأن العبد وإن ارتفعت درجته، وعلا قدره قد يختار شـيئاً وتكون الخيرة، والمصـلحة في غيره، وأن الرسـول ﷺ ليس له من الأمر شيء؛ فغيره من باب أولى؛ ففيها أعظم ردٍ على من تعلق بالأنبياء، أو غيرهم من الصـالحين، وغيرهم، وأنَّ هذا شـركٌ في العبادة، ونقص في العقل؛ يتركون مَن الأمر كله له، ويدعون من لا يملك من الأمر مثقال ذرة، إن هذا لهو الضـــلال البعيد، وتأمل كيف لما ذكر تعالى توبته عليهم أســـند الفعل إليه، ولم يذكر منهم ســـبباً موجباً لذلك؛ ليدل ذلك على أن النعمة محض فضله على عبده، من غير سبق سبب من العبد، ولا وسيلة، ولما ذكر العذاب ذكر معه ظلمهم، ورتَّبه على العذاب بالفاء المفيدة للســـببية؛ ليدل ذلـك على كمال عدل الله وحكمته، حيث وضع العقوبة موضعها، ولم يظلم عبده بل العبد هو الذي ظلم نفسه.

٢٠٧٤- تفيد أن الله ﷻ هو الذي يوفق العبد للتوبة،كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨].

٢٠٧٥- تفيد محبة الله ﷻ لتوبة عباده من الكفر، والبدع، والمعاصـــي؛ ولذلك قدَّمها على العذاب.

٢٠٧٦- تفيد أن الكافر مستحقٌ للعذاب؛ لكفره، وظلمه.

٢٠٧٧- تفيد أن الظلم سببٌ للعذاب.

٢٠٧٨- تفيد أن الكفر، والشـــرك ظلمٌ. قال تعالى: ﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان: ١٣].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:١٢٩].

٢٠٧٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فهي تذييل لقوله: ﴿يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ﴾ مشيرٌ إلى أن هذين الحالين على التنويع بين المشـركين، ولما كان مظنة التطلع لمعرفة تخصـيص فريقٍ دون فريقٍ، أو تعميم العذاب ذيَّله بالحوالة على إجمال حضرة الإطلاق الإلهية، لأن أسرار تخصيص كل أحدٍ بما يُعَيَّنُ له، أسرارٌ خفيةٌ لا يعلمها إلا الله تعالى، وكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له.

٢٠٨٠- تفيد سعة ملك الله ﷻ، وغناه؛ فإن ما في السموات، وما في الأرض من ملائكة، وإنس، وجن، وجبال، وبحار، وأنهار، وغيرها له وحده، يتصرف فيها كيف يشاء؛ لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون.

٢٠٨١- فيها تقديم المغفرة على العذاب؛ وهذا يدل على أن رحمته، ومغفرته سبحانه سبقت غضبه، وعذابه.

٢٠٨٢- تفيد إثبات المشيئة النافذة لله ﷻ، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

٢٠٨٣- تفيد الحث على فعل أسباب المغفرة، وترك أسباب العذاب، فإن عذاب الله أليمٌ شديدٌ. والتعلق بالرب جل وعلا في حصول المغفرة، والنجاة من العذاب.

٢٠٨٤- تفيد إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى: وهما الغفور، والرحيم، وإثبات صفتين من صفاته العلى وهي: المغفرة، والرحمة، وفي ذلك حثٌّ على طلب المغفرة، والرحمة منه سبحانه، ودعائه، والتوسل إليه بهذه الاسماء، والصفات.

٢٠٨٥- فيها: ختم الآية باسمين كريمين دالين على سعة رحمته، وعموم مغفرته، وسعة إحسانه، وعميم إحسانه، ففيها أعظم بشارة بأن رحمته غلبت غضبه، ومغفرته غلبت مؤاخذته، فالآية فيها الإخبار عن حالة الخلق، وأن منهم من يغفر الله له، ومنهم من يعذبه، فلم يختمها باسمين أحدهما دال على الرحمة، والثاني دال على النقمة، بل ختمها باسمين كليهما يدل على الرحمة، فله تعالى رحمةٌ، وإحسانٌ سيرحم بها عباده لا تخطر ببال بشرٍ، ولا يدرك لها وصفٌ، فنسأله تعالى أن يتغمدنا، ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين. السعدي.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٣٠].

٢٠٨٦- في مناسبة الآية لما قبلها: لعل الحكمة - والله أعلم - في إدخال هذه الآيات أثناء قصة "أحد" أنه قد تقدم أن الله تعالى وعد عباده المؤمنين أنهم إذا صبروا، واتقوا؛ نصرهم على أعدائهم، وخذل الأعداء عنهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠] ثم قال: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم﴾ [آل عمران: ١٢٥]... الآيات. فكأن النفوس اشتاقت إلى معرفة خصال التقوى، التي يحصل بها النصر، والفلاح، والسعادة، فذكر الله في هذه الآيات أهم خصال التقوى التي إذا قام العبد بها فقيامه

بغيرها من باب أولى، وأحرى، ويدل على ما قلنا أن الله ذكر لفظ "التقوى" في هذه الآيات ثلاث مرات: مرة مطلقة، وهي قوله: ﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ومرتين مقيدتين، فقال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ [آل عمران: ١٣١].

٢٠٨٧- تفيد أن الإيمان هو السبب الداعي، والموجب لامتثال الأوامر، واجتناب النواهي؛ لأن الإيمان هو التصديق الكامل بما يجب التصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح.

٢٠٨٨- تفيد غلظ تحريم الربا، وخصوصا ما كان في الجاهلية من الربا المضاعف.

٢٠٨٩- فيها: أن ذكر الأكل خرج مخرج الغالب؛ فلو انتفع بالربا أي انتفاع؛ فهو حرام.

٢٠٩٠- تفيد تحريم أكل الربا مطلقاً: سواءٌ كان مضاعفاً، أو غير مضاعف، فـ ﴿ أَضۡعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ لا مفهوم له لأنه خرج مخرج الغالب؛ والربا حرامٌ ولو كان ضعفاً واحداً.

٢٠٩١- فيها إشارة إلى علة من علل تحريم الربا: وهي أن الربا ظلمٌ للناس، خصوصاً الفقراء.

٢٠٩٢- تفيد أن ترك الربا من تقوى الله ﷻ.

٢٠٩٣- قال ابن عاشور رحمه الله في هذه الآية: ولقد قضى المسلمون قروناً طويلة لم يروا أنفسهم فيها محتاجين إلى التعامل بالرّبا، ولم تكن ثروتهم أيّامئذٍ قاصرة عن ثروة بقية الأمم في العالم، أزمان كانت سيادة العالم بيدهم، أو أزمان كانوا مستقلّين بإدارة شؤونهم، فلمَّا صارت سيادة العالم بيد أممٍ غير إسلامية، وارتبط المسلمون بغيرهم في التِّجارة، والمعاملة، وانتظمت سوق الثَّروة العالمية على قواعد القوانين الَّتي لا تتحاشى المراباة في المعاملات، ولا تعْرف أساليب مواساة المسلمين، دهش المسلمون، وهم اليوم يتساءلون، وتحريم الربا في الآية صريح، وليس لما حرّمه الله مبيح. ولا مخلص من هذا المضيق إلا أن تجعل الدول الإسلامية قوانين مالية تُبنى على أصول الشريعة في المصارف، والبيوع، وعقود المعاملات المركبة من رؤوس الأموال، وعمل العمّال. وحوالات الديون، ومقاصّتها، وبيعها. وهذا يقضي بإعمال أنظار علماء الشريعة، والتدارس بينهم في مجمع يحوي طائفة من كلّ فرقة كما أمر الله تعالى. «التحرير والتنوير».

٢٠٩٤- فيها الأمر بتقوى الله ﷻ، والوعد عليه بالفلاح، فهي سبب للفلاح، والنجاة من العذاب والفوز في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١].

٢٠٩٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما كان الفائز بالمطالب قد لا يوقى المعاطب، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾؛ أي: إن لم تكونوا ممن يتقيه – سبحانه – لذاته، فاتقوا النار.

٢٠٩٦- تفيد مع ما قبلها الاحتراز عن متابعة المرابين، وتعاطي ما يتعاطونه من أكل الربا المفضي إلى دخول النار.

٢٠٩٧- فيها مع ما قبلها إشارة إلى أن أكلة الربا على شفا حفرة الكفرة.

٢٠٩٨- قال أبو حنيفة: هي أخوف آية في القرآن؛ حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه.

٢٠٩٩- تفيد التخويف من النار، ودار البوار؛ لما في هذا التحذير البليغ من تخويف.

٢١٠٠- تفيد التحذير من ما يوصل إلى النار من الكفر، والمعاصي.

٢١٠١- تفيد أن النار مخلوقةٌ، وموجودةٌ الآن، وفي هذا ردٌ على الجهمية، والمعتزلة؛ لأن المعدوم لا يكون معداً.

٢١٠٢- تفيد أن المعاصي كلها - وخصوصاً المعاصي الكبار - تجر إلى الكفر، بل هي من خصال الكفر الذي أعد الله النار لأهله، فترك المعاصي ينجي من النار، ويقي من سخط الجبار.

٢١٠٣- تفيد أن الكفر هو أعظم أسباب دخول النار؛ لأن النار أعدت لأهله.

٢١٠٤- تفيد عدل الله ﷻ، وحكمته في إعداد النار للكافرين؛ فمن أشركوا بالله مخلوقاته قد استحقوا الحرمان من رحماته.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢].

٢١٠٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما تقدم الوعيد في الآية السابقة، جاء في هذه الآية الوعد على ما هو العادة المستمرة في القرآن؛ لتكون النفوس بين الرجاء، والخوف.

٢١٠٦- تفيد وجوب طاعة الله ﷻ بفعل الأوامر، وترك النواهي.

٢١٠٧- تفيد أن في طاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ: السعادة في الدنيا، والآخرة.

٢١٠٨- فيها: ذكر طاعة الرسول ﷺ مقترنة بطاعة الله تعالى: تنبيهٌ إلى أن طاعة الرسول ﷺ طاعة لله ﷻ؛ فقد قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [النساء: ٨٠].

٢١٠٩- تفيد حجية السنة، ووجوب العمل بها.

٢١١٠- تفيد أن طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ من أسباب حصول الرحمة؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦ – ١٥٧].

٢١١١- تفيد الحث على الأعمال التي تنال بها رحمة الله الواسعة.

٢١١٢- تفيد إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، وهي من أعظم الصفات التي توجب تعلق القلوب بالرحمن الرحيم، وفي ضمن ذلك توجيه العباد إلى التوسل بهذه الصفة العظيمة إلى الله ﷻ؛ كما كان النبي ﷺ يقول: يا حي، يا قيوم برحمتك أستغيث.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

٢١١٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فهي بمنزلة البيان، أو بدل الاشتمال لجملة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾؛ لأن طاعة الله والرسول مسارعةٌ إلى المغفرة والجنة فلذلك فصلت.

٢١١٤- تفيد الحث على المسارعة الى الأعمال الصالحة المؤدية الى هذا النعيم العظيم.

٢١١٥- فيها: تقديم المغفرة على الجنة؛ لأن الجنة ثمرة المغفرة، وأثرها.

٢١١٦- تفيد محبة الله ﷻ للمغفرة، وتبيينه للعباد كيف ينالونها؛ وقد قال رسول الله ﷺ: لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم. رواه مسلم.

٢١١٧- فيها دليل على معتقد أهل السنة في أن الجنة تفضُّلٌ من الله ﷻ، ومنّةٌ. وليست عوضاً على الأعمال الصالحة؛ ولذلك حث على المسارعة الى المغفرة أولاً.

٢١١٨- تفيد إثبات صفة المغفرة لله ﷻ.

٢١١٩- فيها دليل على أن كل بني آدم خطّاءٌ، وخير الخطائين التوابون المستغفرون.

٢١٢٠- تفيد التشويق لهذه الجنة التي تم إعدادها؛ فهي معدّة الآن، وجاهزة للمتقين.

٢١٢١- تفيد أن الجنة مخلوقة، وموجودة الآن؛ وفي هذا ردٌ على المعتزلة الذين ينكرون خلق الجنة والنار الآن، ويقولون إنما تخلق يوم القيامة.

٢١٢٢- تفيد التشويق لهذه الجنة التي هذه سعتها فلا زحام فيها، ولا تنغيص.

٢١٢٣- تفيد عظمة الخالق ﷻ، وقدرته الباهرة، حيث خلق هذه المخلوقات العظيمة كالجنة التي عرضها السموات، والارض.

٢١٢٤- فيها التنبيه على منزلة هذا الوصف ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾. وهو الوصف الجامع لكل أعمال البر، ومجانبة أعمال الإثم. وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين، وهي وصية نبينا ﷺ لنا كما في حديث أبي نجيح العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ت قَالَ وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ د مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وذَرَفَتْ منها الْعُيُونُ فقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا قَالَ "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تأمر عليكم عَبْدٌ وإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فسيَرى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كل بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " [رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

٢١٢٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما تقدم ذكر المتقين في الآية السابقة، جاء ذكر أوصافهم في هذه الآية.

٢١٢٦- تفيد فضل الإنفاق في سبيل الله ﷻ وفي كل الأحوال في الغنى، والفقر، وفي العسر، واليسر.

٢١٢٧- تفيد وصف المتقين بالحلم، والعفو، والصفح، والتجاوز عن زلات الآخرين، وعدم التشفي، والانتقام.

٢١٢٨- تفيد فضل كظم الغيظ، والحث عليه؛ وقد قال رسول الله ﷺ: من كظم غيظاً وهو قادرٌ على انفاذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد حتى يخيره من الحور العين ما شاء. [رواه الترمذي، وحسنه الألباني].

٢١٢٩- تفيد فضيلة العفو عن الناس، والحث عليه، والله تبارك وتعالى عفوٌ يحب العفو.

٢١٣٠- فيها: يدخل في العفو عن الناس العفو عن كل من أساء إليك بقول، أو فعل. والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو: ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمةً بهم، وإحساناً إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. [السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ].

٢١٣١- تفيد الحث على الإحسان، وأنه من أسباب نيل محبة الله عَزَّوَجَلَّ.

٢١٣٢- تفيد أن الله عَزَّوَجَلَّ يحب من كانت هذه صفته، وهي: الإحسان الى عباد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعدم الإساءة إليهم.

٢١٣٣- تفيد أن الإحسان هو أعلى هذه الخصال، وأجلها، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب أهل الإحسان.

٢١٣٤- تفيد إثبات صفة المحبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والحث على نيل هذه المحبة بفعل أسبابها.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٢١٣٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: ففيها بقية صفات المتقين الفائزين.

٢١٣٦- تفيد مع ما قبلها أن المتقين قد يقعون في الذنوب؛ لأن في هذه الآية بقية صفات المتقين التي تقدمت في الآيات التي قبلها.

٢١٣٧- تفيد التحذير من الفواحش؛ لأنها مما يستغفر ويتاب منها.

٢١٣٨- تفيد النهي عن ظلم النفس بإيقاعها في الذنوب التي تهلكها، وتوردها العذاب.

٢١٣٩- تفيد أن الذنوب ظلمٌ للنفس، وأعظمها الشرك: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

٢١٤٠- تفيد فضيلة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بالقلب، واللسان، وأثره في توبة العبد ورجوعه من الذنوب.

٢١٤١- تفيد الحث على المبادرة إلى التوبة عندما يلم المسلم بذنب، وفضل من كان كذلك.

٢١٤٢- تفيد فضل الاستغفار، وترك الإصرار على المعصية، وعظم أثره في مغفرة الذنوب.

٢١٤٣- تفيد التحذير من الإصرار على الذنوب؛ وقد قال ابن عباس م: لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار.

٢١٤٤- تفيد أن المؤمن التقي وإن وقع في الذنوب فإنه لا يصر عليها بل يبادر إلى التوبة والاستغفار.

٢١٤٥- فيها ردٌ على الجبرية؛ لأنه نسب الذنوب إلى العباد.

٢١٤٦- تفيد تعلق المسلم بربه ﷻ، وطلبه المغفرة منه؛ لأنه لا يقدر أحدٌ على مغفرة الذنوب غيره ﷻ.

٢١٤٧- تفيد أن الله ﷻ هو الذي يغفر ذنوب عباده، ويتوب عليهم وحده؛ ففيها إثبات صفة المغفرة لله جل وعلا.

٢١٤٨- تفيد فضل العلم بالله ﷻ، وأسمائه وصفاته، وأثرها على سلوك العبد فهؤلاء علموا أن من تاب تاب الله عليه فسارعوا إلى التوبة.

٢١٤٩- أنه لا يسلم أحد من الذنب، ومن فضل الله ﷻ علينا أن فتح لنا باب التوبة، والاستغفار، فله الحمد سبحانه على ما تفضل وأنعم.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٦].

٢١٥٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن بين أعمالهم، وصفاتهم؛ بين في هذه الآية جزاءهم، وما أعد لهم من نعيم.

٢١٥١- فيها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ اسم إشارة للبعيد تنويهاً بعظم منزلتهم، ورفعة درجاتهم.

٢١٥٢- تفيد أن المغفرة من أعظم ما يتفضل به الرب جل وعلا على العباد.

٢١٥٣- فيها: ﴿مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ نكرةٌ موصوفةٌ، والتنكير يفيد التقليل أحياناً، ويفيد التعظيم أحياناً؛ فإذا أفاد التقليل هنا فالمعنى أن ﴿مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ ولو كانت قليلة فهي كافية لستر جميع ذنوبهم، وإبرائهم منها، وإن أفادت التعظيم كان المعنى أن [مغفرة عظيمة من ربهم] بانتظارهم لتمحو جميع ذنوبهم، وتطهرهم منها.

٢١٥٤- تفيد إثبات صفة المغفرة لله ﷻ، وترشد إلى التوسل إليه بها خصوصاً عند مقارفة الذنوب.

٢١٥٥- تفيد الحث على الأعمال التي توصل إلى المغفرة، ومنها الأعمال التي تقدمت.

٢١٥٦- تفيد التشويق للجنة بذكر أوصافها الباهرة، ونعمها المتكاثرة ومن أعظمها هذه الأنهار التي تجري من تحت القصور، كما قال ابن القيم رحمه الله :

أنهارها في غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان

٢١٥٧- فيها: أن تشعر بأنك باقٍ إلى الأبد لا يهددك الفناء، ولا يداهمك الموت فتلك وحدها نعمة لا حدود لها – نعمة الخلود -.

٢١٥٨- فيها: لما تقدم منهم أعمالاً ترضي خالقهم المتعال؛ تعددت ألوان النعيم التي أعدها لهم يوم المآل. وللعبد أن يتأمل عظم منته سبحانه وهو الخالق الغني عن الخلق وعن كل ما يقدمونه من العبادات، إلا أنه يتفضل عليهم فيجازيهم على أعمالهم بالجزاء العظيم، والنعيم المقيم.

٢١٥٩- تفيد أن العمل من الإيمان، ومن أسباب دخول الجنة.

٢١٦٠- تفيد الحث على الأعمال الصالحة، والثناء على أصحابها، وأن أجرها نعم الأجر والثواب.

٢١٦١- تفيد أن هذا الأجر أجرٌ عظيمٌ، ونعيمٌ مقيمٌ من لدن غفورٍ رحيمٍ.

٢١٦٢- فيها: عملوا لله قليلاً فأجروا كثيراً؛ فـ "عند الصباح يحمد القوم السرى"، وعند الجزاء يجد العامل أجره كاملاً موفراً. [السعدي رحمه الله].

٢١٦٣- هذه الآيات الكريمات من أدلة أهل السنة والجماعة، على أن الأعمال تدخل في الإيمان، خلافاً للمرجئة، ووجه الدلالة إنما يتم بذكر الآية، التي في سورة الحديد، نظير هذه الآيات، وهي قوله تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]، فلم يذكر فيها إلا لفظ الإيمان به وبرسله، وهنا قال: ﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ ثم وصف المتقين بهذه الأعمال المالية والبدنية، فدل على أن هؤلاء المتقين الموصوفين بهذه الصفات هم أولئك المؤمنون.

قال تعالى: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

٢١٦٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما وعد سبحانه وتعالى على الطاعة، والتوبة من المعصية الغفران والجنات، أتبعه بذكر ما يحملهم على فعل الطاعة، وعلى التوبة من المعصية وهو تأمل أحوال القرون الخالية من المطيعين والعاصين.

٢١٦٥- فيها بيان سنن الله عز وجل التي قد مضت على الأمم الماضية؛ في أهلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين.

٢١٦٦- تفيد أن سنة الله ﷻ ماضيةٌ في هذه الأمة كذلك.

٢١٦٧- تفيد أن الأرض لله يورثها من يشـاء من عباده؛ لأن المراد هنا أرض من سـبقكم من الأمم.

٢١٦٨- تفيد النظر في الماضي والحاضر؛ لأخذ العظة والعبرة، فالمنهج واحدٌ، والطريقة واحدةٌ متى ما سرتم على طريقهم طاعةً، أو عصياناً؛ فسنن الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل.

٢١٦٩- فيها: دعوة قرآنية الى دراسـة السـنن الإلهية في: النصـر والهزيمة، التدافع، قيام الدول، وتطورها، وانهيارها، النفس البشـرية، المجتمعات، والأمم؛ ليعلم المؤمنون أن هذا الكون لا يسـير جزافاً، بل يسير وفق قوانين محكمة منضبطة.

٢١٧٠- في قوله: ﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ﴾ جعل السـير سـبباً في النظر، أو النظر ناتجاً عن السير؛ فصار المطلوب السير من أجل النظر، والاعتبار، وفي سورة الأنعام: ﴿سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١] فهـذا التراخي أفاد أن السـير للتجـارة، أو السياحة، أو غيرها من المقاصد ولكنه سير اليقظين غير الغافلين.

٢١٧١- تفيد أن النظر في السيرة ينبغي أن يثمر البصيرة.

٢١٧٢- فيها: اجعل نظرك إلى عواقب من سبق نظر اعتبار وتبصر.

٢١٧٣- تفيد أنه إذا كان النظر فيمن سـبق وبَعُد عهده يحقق الاعتبار، فالنظر فيمن لحق ممن رأيت أو سمعت.. ومن هو قريبٌ عهده أوقع في الاعتبار.

٢١٧٤- فيها: ما زلت تؤمر بالاعتبار بعواقب السـابقين فاعتبر قبل أن تكون أنت تلك العبرة لمن اعتبر.

٢١٧٥- تفيد أن الإنسان يصل بعينه ما لا يمكن أن يصل إليه بسمعه في العظة والاعتبار.

٢١٧٦- تفيد أن مجرد السير في الأرض دون حضور القلب لا فائدة منه تذكر.

٢١٧٧- تفيد أن السـير في الأرض من أجل النظر، والاعتبار من العبادات التي حث عليها القرآن الكريم.

٢١٧٨- تفيد أهمية التفكر في عاقبة من مضـى زماناً، ومكاناً، كيف كان عاقبتهم، وأسـباب أخذهم، وهو من وسائل الهداية.

٢١٧٩- فيها تحذيرٌ وتخويفٌ من التكذيب بآيات الله سبحانه، وأن عاقبة المكذبين النار؛ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

٢١٨٠- تفيد أن المكذبين يستكبرون ويتبجحون دون نظرٍ في العاقبة، ودون استعدادٍ لها، فإذا أخذهم العذاب بغتةً كان أشد وأصعب إذ لا يجدون فرصةً للنجاة، ولا للإنظار.

٢١٨١- فيها: النتيجة الحتمية للمكذبين: وهي الهلاك.

٢١٨٢- تفيد التنفير عن التكذيب الذي يوصل إلى سوء العاقبة والمآل؛ فهو يوصل للهلاك والدمار.

٢١٨٣- تفيد بيان أثر الذنوب في هلاك الأمم والشعوب، لأن عقوبات الأمم كانت على قدر ذنوبهم.

٢١٨٤- تفيد عظمة الله ﷻ الذي بقدرته أهلك من أهلك من الأمم، وجعلهم عبرة لمن يعتبر.

٢١٨٥- تفيد تسلية للمؤمنين بأن الله تعالى محيط بالكافرين المكذبين.

٢١٨٦- تفيد التحذير من معصية الرسول، وتكذيبه.

٢١٨٧- تفيد إثبات القياس، لأن المقصود قياس ما حضر على ما مضى.

٢١٨٨- تفيد أن سنة الله ﷻ في الأمم المكذبة واحدة.

قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨].

٢١٨٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فهي تذييل يعم المخاطبين الحاضرين ومن يجيء بعدهم من الأجيال، والإشارة إما إلى ما تقدم بتأويل المذكور، وإما إلى حاضرٍ في الذهن عند تلاوة الآية وهو القرآن.

٢١٩٠- يفيد اسم الإشارة بيان رفعة القرآن، وسمو منزلته، ورفعة من عمل به، واهتدى بهديه.

٢١٩١- تفيد فضل القرآن العظيم، والذكر الحكيم، وأنه بيانٌ للناس عموماً، وهدى وموعظةٌ للمتقين خصوصاً.

٢١٩٢- تفيد أن القرآن الكريم فيه بيان الحق لجميع الناس، فمن ابتغى الهدى في غيره أضله الله سبحانه وتعالى.

٢١٩٣- تفيد فضل آيات القرآن، وأن فيها أعظم البيان لمن أراد الحق: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

٢١٩٤- تفيد أن القرآن يهدي هداية البيان: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

٢١٩٥- تفيد أن آيات القرآن الكريم تتضمن الهدى، وفي ضمن ذلك الحث على استنباط هدايات القرآن، والانتفاع بها، والاهتداء بها في الحياة.

٢١٩٦- تفيد عموم رسالة القرآن؛ حيث جعله الله تعالى بياناً للناس.

٢١٩٧- تفيد أن القرآن الكريم فيه أعظم المواعظ نفعاً وتأثيراً: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ [الأنبياء:٤٥]؛ وفي ضمن ذلك حثٌّ على استعماله في الوعظ.

٢١٩٨- تفيد الحث على التقوى؛ لأنها هي التي تؤهل للانتفاع بمواعظ القرآن، والاهتداء بهديه، فأهل التقوى هم أعظم من يستفيدون من مواعظ القرآن.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]

٢١٩٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما أمرهم بالمسارعة، وأتبعها علَّتها ونتيجتها، نهاهم في هذه الآية عما يعوق عنها.

٢٢٠٠- ومن المناسبات: أن الذي قدَّمه من قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ وقوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ كالمقدمة لقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ كأنه قال إذا بحثتم عن أحوال القرون الماضية علمتم أن أهل الباطل وإن اتفقت لهم الصولة، لكن كان مآل الأمر إلى الضعف والفتور، وصارت دولة أهل الحق عالية، وصولة أهل الباطل مندرسة، فلا ينبغي أن تصير صولة الكفار عليكم يوم أحدٍ سبباً لضعف قلبكم ولجبنكم وعجزكم، بل يجب أن يقوى قلبكم فإن الاستعلاء سيحصل لكم، والقوة والدولة راجعةٌ إليكم.

٢٢٠١- تفيد تسليةً لأصحاب رسول الله ﷺ على ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد، وهي تفيد التسلية لعموم المسلمين في أوقات البلاء والضعف فهي تصنع القوة والعزة إذا حصل ذلٌ أو هزيمةٌ.

٢٢٠٢- تفيد نهي المؤمنين عن الهوان، مع الحث بأخذ أسباب القوة والعلو؛ لأن [لا] هنا ناهية.

٢٢٠٣- تفيد أنه ينبغي للإنسان أن يكون قوياً لا يضعف أمام العواصف ويجبن، فإن الضعيف الجبان لا يحقق شيئاً.

٢٢٠٤- تفيد نهي القرآن عن الحزن على ما مضى لأنه لا يفيد في المستقبل؛ بل يعطل مسيرة التقدم والنجاح؛ ولأنه يفتر عزيمة المؤمن، ويقلق راحته وباله، ولا يستفيد منه بشيء.

٢٢٠٥- تفيد النهي عن كل ما يؤدي إلى الحزن، فالنهي عن الحزن نهيٌ عنه، وعن أسبابه، وأسبابه كثيرة، منها: النظر إلى ما عند الناس لحديث: "لا تنظروا إلى من هو فوقكم... ذلك أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم " فإن ازدراء النعمة مما يؤدي إلى الحزن، ومنها: النظر إلى ما عند الكفار من أسباب القوة فإنه يؤدي إلى الحزن. ومنها: تناجي اثنين دون الثالث، لقول النبي ﷺ: "من أجل أن ذلك يحزنه"، وارشد الرسول ﷺ إلى التلبينة، وأخبر أنها تذهب ببعض الحزن. متفق عليه.

٢٢٠٦- تفيد الحث على الصبر مهما أصاب الإنسان من أسباب الحزن.

٢٢٠٧- تفيد أن الدنيا دار بلاء، والأيام دول، والمؤمن يعرف كيف يسلي نفسه.

٢٢٠٨- تفيد الحث على قتال العدو، والنهي عن العجز والاستسلام.

٢٢٠٩- تفيد أن دفع اليأس، ورفع الهمم مطلوبٌ وخاصة في الشدائد والفتن.

٢٢١٠- تفيد النهي عن الهزيمة النفسية، والاستسلام للعدو، أو الضعف، أو الهوان.

٢٢١١- تفيد أن العلو معنًى لا يعرفه العدو، وإن غلب.

٢٢١٢- تفيد علو المؤمنين في كل الأحوال، وأن الذل والصغار هو صفة عدوهم الدائمة كما أن العلو صفتهم الدائمة.

٢٢١٣- تفيد أن المؤمن لا يعرف الذلة والمهانة، فعبد الله العلي لا يستفل، ولا يهون.

٢٢١٤- تفيد أن العلو يتحقق بقدر الإيمان، فالإيمانَ يُوجِبُ قُوَّةَ القَلْبِ، والثِّقَةَ بِصُنْعِ اللهِ تَعالى، وعَدَمَ المبالاةِ بِأعْدائِهِ. أوْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَأنْتُمْ الأعْلَوْنَ. فَإنَّ الإيمانَ يَقْتَضِي العُلُوَّ لا مَحالَةَو، كلما زاد الإيمان في القلب ازداد المؤمن علوًّ، لأن الله ﷻ رتب العلو على الإيمان، والمترتب على شيءٍ يزيد بزيادته وينقص بنقصه.

٢٢١٥- تفيد إشارَةَ إلى أنَّ مَنْ كان مؤمنًا لا يَنْبَغِي له أن يَضْعُفَ لِمَا يَنالُه مِن مُصِيبَةٍ في الدُّنْيا، بل يجب أن يسكن نفسُهُ، وينتفي حزْنُهُ بما هو عليه مِن الاستعلاء، والفوز بالأُمْنِيَةِ في العاقِبة.

٢٢١٦- تفيد أن العاقبة، والنصر، والظفر للمؤمنين.

٢٢١٧- تفيد الترغيب في الثبات وعدم الهوان من خلال قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٢٢١٨- تفيد صدق وعد الله تعالى حيث حقق نصره، وعلوه للنبي ﷺ، وأصحابه.

٢٢١٩- تفيد أن تحقيق الإيمان شرطٌ لتحقق العلو والعز، أما إذا لم يكن عند الإنسان إيمانٌ صحيحٌ فليس له عهد عند الله ﷻ بالنصر.

٢٢٢٠- تفيد منزلة الإيمان في صناعة الثبات، والعلو، والرفعة.

قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

٢٢٢١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما نهاهم عما تقدم، وبشرهم سلّاهم في هذه الآية وبصّرهم؛ فبيّن تعالى أن الذي يصيبهم من القرح لا يجب أن يُزيل جِدَّهم واجتهادهم في جهاد العدو، وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله قبل ذلك، فإذا كانوا مع باطلهم، وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة، والتمسك بالحق أولى.

٢٢٢٢- فيها تعزية للمسلمين فيما أصابهم من الجراح والقتل يوم أحد، وأنهم إن كان أصابهم ذلك فقد أصاب المشركين مثله يوم بدر.

٢٢٢٣- تفيد أن البلاء الواقع على المسلمين ليس شرا محضاً؛ فمع الابتلاء اصطفاء، ومع المنع إعطاء، ومع الاستضعاف تمكين.

٢٢٢٤- تفيد أن الابتلاء قد يكون بالسلب، وقد يكون بالإعطاء.

٢٢٢٥- تفيد أن القرح وإن كان معناه: أثر السلاح في البدن إلا أنه يشمل الجرح، والقتل بدلالة قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾.

٢٢٢٦- تفيد حثاً للمؤمنين على الثبات؛ فقد أصاب الكفار يَوْمَ بَدْرٍ ما أصابهم، ولَمْ يَضْعُفُوا ولَمْ يَجْبُنُوا فَأنْتُمْ أوْلى؛ لِأنَّكم مَوْعُودُونَ بِالنَّصْرِ دُونَهم، أيْ: فَقَدْ اسْتَوَيْتُمْ في الألَمِ، وتَبايَنْتُمْ في الرَّجاءِ والثَّوابِ.

٢٢٢٧- تفيد أنه ينبغي للمسلم أن ينظر إلى أهل المصائب ليكون أقدر على تقبل مصيبته والصبر عليها فيؤجر بذلك.

٢٢٢٨- تفيد هوان الدنيا على الله ﷻ، ولذا يصرفها بين الناس المؤمن والكافر، فَهي عَرَضٌ حاضِرٌ، يُقَسِّمُها بَيْنَ أَوْلِيائِهِ وأَعْدائِهِ. بِخِلافِ الآخِرَةِ، فَإِنَّ عَرَضَها ورَجاءَها خالِصٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا.

٢٢٢٩- تفيد أنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ وسُنَّتَهُ في رُسُلِهِ وأَتْباعِهِمْ جَرَتْ بِأَنْ يُدالُوا مَرَّةً ويُدالُ عَلَيْهِمْ أُخْرى، لَكِنْ تَكُونُ لَهم العاقِبَةُ. فَإنَّهم لَوْ انْتَصَرُوا دائِمًا دَخَلَ مَعَهم المِسْلِمُونَ وغَيْرُهم، ولَمْ يُمَيِّزْ الصّادِقُ مِن غَيْرِهِ. ولَوْ انْتُصِرَ عَلَيْهِمْ دائِمًا لَمْ يَحْصُلْ المَقْصُودُ مِنَ البَعْثَةِ والرِّسالَةِ. فاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ أنْ جَمَعَ لَهم بَيْنَ الأمْرَيْنِ لِيَتَمَيَّزَ مَن يَتْبَعُهم ويُطِيعُهم لِلْحَقِّ وما جاءُوا بِهِ، مِمَّنْ يَتْبَعُهم عَلى الظُّهُورِ والغَلَبَةِ خاصَّةً.

٢٢٣٠- تفيد أنه عند المخالفة يجري على المؤمنين ما يجري على الناس.

٢٢٣١- تفيد الحث على الصبر، وعدم الجزع عند ضعف المسلمين، وكثرة الهزائم كما في عصرنا، وعدم اليأس والقنوط، والسعي في أسباب النصر؛ فالأيام دولٌ.

٢٢٣٢- تفيد تمييز المؤمنين من المنافقين؛ وذلك في قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ فاللام هنا لام التعليل: [لام كي].

٢٢٣٣- فيها: قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ هو من باب الالتفات لأنه جاء بعد لفظ: ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ فهو التفات من الغيبة إلى الحضور، والسر في هذا الالتفات: تعظيم شأن الجهاد في سبيل الله ﷻ.

٢٢٣٤- تفيد أن علم الله ﷻ سابقٌ أزليٌ وإنما معنى ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ أي: ليرى، كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

٢٢٣٥- تفيد فضل الإيمان، ورفعة المؤمنين.

٢٢٣٦- تفيد فضل الشهادة في سبيل الله ﷻ؛ فقد نسب الله ﷻ الاتخاذ لذاته المقدسة.

٢٢٣٧- تفيد أن الشهادة في سبيل الله ﷻ اصطفاءٌ، وإكرامٌ، وهي من أرفع المنازل عند الله، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية، والنعيم المقيم، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن

يتخذ من عباده شهداء تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو.

٢٢٣٨- تفيد أن أمر المؤمنين كله خير والعاقبة لهم، إن أصابتهم سراء شكروا، وإن أصابتهم ضراء صبروا، وليس ذلك لغيرهم؛ ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

٢٢٣٩- فيها حكمة الله ﷻ، وعظمة تدبيره، وأمره.

٢٢٤٠- تفيد التنفير عن الظلم بكافة صوره، وأشكاله، وأن الله ﷻ يبغضه ويبغض أهله.

٢٢٤١- تفيد أن الظالم لا يوفق لأن بغض الله تعالى له، وعدم محبته؛ تستلزم خذلانه.

٢٢٤٢- تفيد إثبات صفة المحبة لله ﷻ.

٢٢٤٣- تفيد بمفهوم المخالفة محبة الله تعالى للعادلين في أقوالهم وأفعالهم.

٢٢٤٤- في قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، تنبيهٌ لطيف الموقع جداً على كراهته وبغضه للمنافقين الذين انخذلوا عن نبيه ﷺ يوم أحد فلم يشهدوه، ولم يتخذ منهم شهداء، لأنه لم يحبهم فأركسهم وردهم ليحرمهم ما خص به المؤمنين في ذلك اليوم، وما أعطاه من استشهد منهم، فثبط هؤلاء الظالمين عن الأسباب التي وفق لها أولياءه وحزبه. [ابن القيم].

قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

٢٢٤٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما قدَّم التنفير من الظلم دلالةً على الاهتمام به؛ أكمل في هذه الآية ثمرات المداولة بين الناس.

٢٢٤٦- فيها مع التي قبلها التنبيه على بعض الحكم الإلهية في إدالة الأيام بين الناس ومن ذلك إدالة أعدائه تعالى على أوليائه أحياناً لحكم بليغة منها:

- ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ علم الظهور والجزاء ليتميز المؤمن من المنافق.
- ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ﴾؛ اصطفاء الله بعض أوليائه ليكرمهم بالشهادة.
- ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ بتخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والإنابة.
- ﴿وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ وذلك إن كانت الإدالة على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم.

٢٢٤٧- قوله: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إظهارٌ في مقام الإضمار فيه - والله أعلم -: التأكيد والاهتمام بهذا المعنى، وفيه كذلك التشريف للمؤمنين.

٢٢٤٨- فيها مقابلة التمحيص بالمحق؛ فالتمحيص: إهلاك للذنوب، والمحق: إهلاك للنفوس.

٢٢٤٩- تفيد المقابلة بين التمحيص والمحق؛ وأنه كلما صفت نفوس المؤمنين، وصفيت صفوفهم كان ذلك من أسباب الهلاك للكافرين؛ فتأمل حالهم اليوم تعرف أسباب مذلتهم وهوانهم!

٢٢٥٠- تفيد أن الابتلاء هو سنة الله ﷻ، ولابد أن يتعرض لها الإنسان، وعلم الله ﷻ قديمٌ سابقٌ لا أول له ولا آخر، ولكن بهذا الابتلاء، وذلك التمحيص تظهر الأحوال، وتُختبر على حقيقتها — والله عليمٌ خبيرٌ بها قبل أن تظهر بل قبل أن يخلق الإنسان.

٢٢٥١- تفيد أن الابتلاء هو محك التمييز بين المؤمن والمنافق، والمحسن والمسيء، قال الطبري في الآية: "وليختبر الله الذين صدقوا الله ورسوله فيبتليهم بإدالة المشركين منهم، حتى يتبين المؤمن منهم المخلص الصحيح الإيمان من المنافق".

٢٢٥٢- تفيد أن الابتلاء يزيد أهل الإيمان قوةً من خلال التمحيص الذي ينفي أهل النفاق والإرجاف، ويصفي صفوفهم ممن لا يزيدونهم إلا خبالاً.

٢٢٥٣- تفيد أن هذه الدار دار اختبارٍ وابتلاءٍ وامتحانٍ، وما يقدره الله ﷻ على المؤمن في كل أحواله هو الخير كله؛ فوراء كل محنةٍ منحةٌ.

٢٢٥٤- تفيد أن النجاح في التمحيص والابتلاء يعقبه التمكين في الأرض، والرفعة، والدرجات العالية.

٢٢٥٥- فيها من كمال حكمته سبحانه؛ أن جعل سننه الكونية تمييزاً للصفوة من خلقه الذين استحقوا معيته، وتأييده، ونصره.

٢٢٥٦- تفيد الحث على تحمل البلاء، والصبر في البأساء والضراء؛ فالعاقبة للمتقين؛ إنه التمحيص.

٢٢٥٧- تفيد إمكان اجتماع الإيمان مع اقتراف الذنوب، وأن مجرد فعل المعصية لا يخرج العبد من مسمى [مؤمن].

٢٢٥٨- تفيد أن الله ﷻ يمحق الكافرين مهما كثر عددهم وعتادهم، فلا تكون لهم الغلبة، والمحق إذا دخل في شيء مما كثر قلله، ومهما قوي أضعفه.

٢٢٥٩- فيها دلالة على استمرار التمحيص للمؤمنين، واستمرار المحق للكافرين؛ بدلالة الأفعال المضارعة التي تدل على الاستمرار.

٢٢٦٠- تفيد إثبات الصفات الفعلية لله جل وعلا؛ فهو الفعال لما يريد.

٢٢٦١- فيها: صيغة الذين آمنوا بالموصولية والفعل، والكافرين بالاسم: لأن الاسم أقوى في الدلالة على المعنى من الفعل؛ وفي ذلك زيادة توبيخٍ وتشنيعٍ بالكافرين. وتقديم المؤمنين في الآية لشرفهم ومكانتهم عند ربهم ﷻ.

٢٢٦٢- فيها: صيغة الجمع في الكافرين يلمح منها أن المحْق لا يرده اجتماعهم وتوحدهم. وفيه عظيم قدرة الله تعالى.

٢٢٦٣- فيها: صيغة الفعل في الذين آمنوا تفيد أن الإيمان تكلفٌ وانتقالٌ من حالٍ إلى حالٍ، وقد يشير إلى عدم الاكتفاء بالعقل والفطرة وأهمية ابتعاث الرسل وإنزال الكتب.

٢٢٦٤- تفيد أن مؤدى الإيمان التزكية، والتطهير، ومؤدى الكفر الزوال، والاندثار.

٢٢٦٥- تفيد مكانة المؤمنين عند ربهم ﷻ، وهوان الكافرين عنده سبحانه وتعالى؛ من خلال جزاء كل فريق.

٢٢٦٦- تفيد أن الكفر، والبدع، والمعاصي سببٌ للهلاك، ومحق الحياة الدنيوية.

قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

٢٢٦٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فإنهم لما مسهم القرح فحزنوا واعتراهم الوهن حيث لم يشاهدوا مثل النصر الذي شاهدوه يوم بدر، بيَّن الله لهم أن لا وجه للوهن للعلل التي تقدمت، ثم بيَّن لهم هنا: أن دخول الجنة الذي هو مرغوبهم لا يحصل إذا لم يبذلوا نفوسهم في نصر الدين، فإذا حسبوا دخول الجنة يحصل دون ذلك فقد أخطأوا.

٢٢٦٨- فيها: ليكن ذلك في حسبانكم! فلا بد أن يميز الله ﷻ المجاهدين والصابرين من غيرهم.

٢٢٦٩- يفيد إيثار الفعل﴿حَسِبْتُمْ﴾ على [ظننتم]؛ لأنه أدلّ على الواقع، وأدق في بيان حالهم، ومن يليهم إلى قيام الساعة؛ فبين الفعلين عموم وخصوص؛ وفي ذلك تأكيدٌ على دقة ألفاظ القرآن، وإعجازه اللغوي المتفرد.

٢٢٧٠- فيها: لا يظن المؤمنون أنهم يدخلون الجنة دون ابتلاءٍ وصبرٍ يظهر به المجاهدون في سبيل الله حقيقةً، والصابرون على البلاء الذي يصيبهم فيه.

٢٢٧١- تفيد إثبات الجنة. والإيمان بها من الإيمان باليوم الآخر.

٢٢٧٢- تفيد التشويق للجنة، والحث على الأعمال التي توصل إليها، ومن أعظمها الجهاد والصبر.

٢٢٧٣- تفيد أن الإسلام دين عملٍ وبذلٍ وصبرٍ وجهادٍ؛ ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢].

٢٢٧٤- تفيد أن دخول الجنة مطلبٌ عظيمٌ؛ ولابد له من المجاهدة والصبر.

٢٢٧٥- فيها: الجنة أعظم مطلوب، وأفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، وعظم العمل الموصل إليه، فلا يوصَل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرَك النعيم إلا بترك النعيم.

٢٢٧٦- تفيد أن الله ﷻ يعلم أحوالنا قبل أن يخلقنا لكن المقصود إظهار هذا العلم في الواقع من خلال أفعال العباد.

٢٢٧٧- تفيد بيان فضل الجهاد، وأنه من أعظم الأعمال، ومن أعظم أسباب دخول الجنة، فقد سئل النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال: "إيمانٌ بالله، وجهادٌ في سبيله". متفق عليه، وقال: إن في الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله. متفق عليه.

٢٢٧٨- فيها: أن لفظ الجهاد جاء مطلقاً؛ فدخل فيه جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد العدو المقاتل.

٢٢٧٩- تفيد أنه لا يشترط النصر دائماً لحصول النجاة، ودخول الجنة، ولو ذكر الله ﷻ النصر محل الجهاد لما دخل الجنة إلا الأنبياء لأنهم معصومون.

٢٢٨٠- يفيد قرن الجهاد مع الصبر: الدلالة على أن الجهاد يستدعي الصبر؛ فالصبر هو سبب النصر، وعاقبته حميدة.

٢٢٨١- تفيد أن تفاوت حظوظ العباد في الجنان درجةً ورفعةً ونعيماً يكون بحسب قوة جهادهم، وقوة صبرهم، ويدخل فيه المجاهدة في الإخلاص؛ وبذلك يصح أن يقال: أن التناسب بين المجاهدة والصبر وبين الدرجة في الجنة تناسبٌ طرديٌ بإطلاق.

٢٢٨٢- فيها: لما كان دخول الجنة بفعل المأمور وترك المحظور، كان في ذكر الجهاد الإشارة إلى فعل المأمورات، وفي ذكر الصبر الإشارة إلى ترك المحظورات.

٢٢٨٣- يفيد تكرار الفعل ﴿يَعۡلَمِ﴾؛ التأكيد على انفصال الفعلين، وحصولهما معا.

٢٢٨٤- تفيد أن الجنة هي دار الصابرين؛ ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: "حفت الجنة بالمكاره..." رواه مسلم، فالجنة غالية لا يوصل إليها إلا بالجهاد والصبر، وقد قال رسول الله ﷺ: " ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة ".

٢٢٨٥- تفيد أن الطريق إلى الجنة يمر عبر بوابة الجهاد، والمجاهدة، والصبر.

٢٢٨٦- تفيد فضل الصبر، وعاقبته الحميدة، فهو يعين على العمل الصالح الذي هو السبب الموصل إلى الجنة، والأمة بحاجةٍ عظيمةٍ إلى الصبر في هذه العصور؛ فقد قال رسول الله ﷺ: إن من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه: أجر خمسين منكم. [السلسلة الصحيحة].

٢٢٨٧- يفيد إيثار ذِكر ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على: [الذين صبروا]؛ لبيان أنّ المعتبر هو الاستمرار على الصبر، والمداومة عليه، وقد يشير إلى أن الصبر عن المعصية يحتاجه السالك في كل الطريق، أما المجاهدة لفعل الطاعة فالحاجة إليها في الأول أعظم لوجود المشقة، وتقل هذه الحاجة تدريجياً حتى يخرج السائر من دائرة الجاذبية الأرضية فيكون محلقاً إلى الله تعالى، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[العنكبوت: ٦٩] وقول ثابت البناني: جاهدت نفسي على الصلاة عشرين سنة وتلذذت بها عشرين أخرى، وفي ذلك إشارةٌ إلى فضل السابقين بالخيرات لرسوخ أقدامهم في الطريق، ووصولهم إلى مرحلة الالتذاذ بالعبادة والراحة بها.

٢٢٨٨- تفيد أن درجة العبودية، والمحبة، والطاعة، والإيمان إنما تظهر بنسبة الجهاد، والمجاهدة، والصبر.

٢٢٨٩- فيها إشارةٌ إلى أهمية الصبر عند المصيبة؛ خاصة إذا قورنت بشبيهتها في سورة البقرة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

٢٢٩٠- تفيد أن الله ﷻ أنكر على من ظن أنه سوف يدخل الجنة بلا جهادٍ، ولا جلادٍ، ولا تضحيةٍ، ولا ابتلاءٍ، ولا شدةٍ، فأخبر الله ﷻ أنه لا بد من التمحيص، وظهور علمه سبحانه فيمن صدق في المجاهدة في سبيله، ومن أنفق ماله، وقدم نفسه، وسخا بروحه لرفعة كلمة ربه ﷻ... وصبر، واحتسب، وقام بنصرة الحق، وصمد في وجه الباطل، فهؤلاء يستحقون الجنة برحمة الله ﷻ، ويستأهلون الفوز بفضله جزاءً بما كانوا يعملون.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران:١٤٣].

٢٢٩١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما أرشد السياق إلى أن التقدير: فلقد كنتم تقولون: لئن خرجت بنا، لَيَبْتَلِيَنَّ الله بلاءً حسناً، عطف عليه قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾.

٢٢٩٢- تفيد أن البعض وخصوصاً الشباب قد يندفعون إلى القتال بحماسٍ وشوقٍ ويظنون أن الحرب أمرٌ يسيرٌ، لكن عندما تدور رحى الحرب، وتمتد أيامها، ويشتد الكرب يندم كثيرون على الاستعجال، ويتمنون الخلاص؛ وهذا ما أشار إليه قول الرسول ﷺ: " لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف". [متفق عليه]؛ وهذا أيضاً يقرر قاعدة: أن البلاء لا يجتلب ولكن يحتمل إذا نزل.

٢٢٩٣- تفيد تشوق الصحابة للشهادة؛ لما علموا ما يحظى به الشهيد من الكرامة والشرف.

٢٢٩٤- فيها إشارة إلى فضل أهل بدر وما نالهم من النعيم حتى رجا من بعدهم أن يبلغوا ما بلغوه.

٢٢٩٥- فيها: إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة لا تكون بتمني المعارك، فالله يمتن بأحدهما على من عقد الصفقة مع الكريم العظيم فباع روحه لله ﷻ محتسباً راجياً ما عند الله ﷻ.

٢٢٩٦- تفيد أن الجهاد وخوض المعارك لا يقدم أجل العبد، والفرار من الجهاد لا يؤخره أيضاً.

٢٢٩٧- فيها دعوةٌ للتفكر في سير الأحداث والوقائع، وفي أفكار العبد وخواطره.

٢٢٩٨- تفيد أن علم العبد قاصر، وإن كان عالي الرتبة؛ والله ﷻ فقط هو المختص بعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

٢٢٩٩- تفيد أهمية الاستفادة من الأقدار الكونية، والتفكر في حكمة الله ﷻ، وتدبيره للعباد.

٢٣٠٠- فيها تقريرٌ وتأكيدٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٢٣٠١- تفيد يسر الدين، وسماحة الشريعة، ومراعاة الفطرة المتمثل في طلب العافية والسلامة.

٢٣٠٢- تفيد أن من أساليب الدعوة والوعظ والتعليم ذكر تاريخ المدعو، أو فعله إذا ترجّحت المصلحة في ذلك.

٢٣٠٣- تفيد بدلالة الإشارة كراهية تمني الموت؛ لأن الحياة في سبيل الله والعمل لنصرة الدين من المقاصد العظيمة للمؤمن التي يحرص عليها، فينبغي للإنسان أن يعمل لنصرة الدين ويحرص على الحياة في سبيل الله، والشهادة فضل يصطفي الله لها من يشاء، وفي ذلك توعية للشباب الذين يذهبون للقتال بنية الموت ونيل الشهادة فقط وليس بقصد نصرة الدين وأن تكون كلمة الله تعالى هي العليا، خاصة أنه ليس كل من يقتل تكتب له الشهادة، والاندفاع نحو الموت يؤدي إلى التهور وعدم الحنكة في القتال. والله أعلم. والاستشهاد فيه كرامةٌ خاصةٌ، والنصر والتمكين فيه كرامةٌ للدين والأمة؛ ولو استشهد جميع الصحابة في المعارك الأولى لانقطع السند؛ فإما أن يطلبا معاً؛ وإلا كان طلب النصر أولى. والله تعالى أعلم. وقد دل على كراهية تمني الموت قوله ﷺ: " لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلا خَيْرًا " رواه مسلم [٢٦٨٢]. فجمع بين النهي عن تمني الموت، والنهي عن الدعاء به على النفس. وعند البخاري [٧٢٣٥] بلفظ: "لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ". والنهي عن تمني الموت إنما هو إذا كان بسبب ما يحصل للمرء من ضرر في أمور دنياه، فإنّ تمني الموت حينئذٍ دليلٌ على الجزع مما أصابه: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: " لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَاعِلا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي" متفق عليه. وَقَوْله "مِنْ ضُرّ أَصَابَهُ": يعني بذلك الضرر الدنيوي كالمرض والابتلاء في المال والأولاد وما أشبه ذلك، وأما إذا خاف ضرراً في دينه كالفتنة فإنه لا حرج من تمني

الموت حينئذٍ؛ وقد دل على مشروعية تمني الموت في هذه الحال: قول النبي ﷺ في دعائه: "وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون" [رواه الترمذي [٣٢٣٣] وصححه الألباني في صحيح الترمذي].

٢٣٠٤- تفيد كراهية تمني القتال، لأنه قد يراد بالموت: القتال؛ كما جاء في الصَّحِيحَيْنِ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: " لا تَتَمَنَّوْا لِقاءَ العَدُوّ، وسَلُوا اللَّهَ العافِيَةَ، فَإذا لَقِيتُمُوهم فاصْبِرُوا، واعْلَمُوا أنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ ".

٢٣٠٥- تفيد بدلالة التضمن: الدعوة بطول العمر، والمباركة فيه، وإعماره بالطاعة، والعمل للدين.

٢٣٠٦- فيها دليلٌ على أنه لا يكره تمني الشهادة، ووجه الدلالة: أن الله تعالى أقرَّهم على أمنيتهم، ولم ينكر عليهم، وإنما أنكر عليهم عدم العمل بمقتضاها، والله أعلم. [السعدي].

٢٣٠٧- تفيد أن الواقع يخالف الأماني كثيراً؛ فقد كانوا يَتَأَسَّفُون على ما فاتهم مِن بَدْر، ويَتَمَنَّون يوما مع رسول الله ﷺ، ويقولون: لَنَفْعَلَنَّ ولَنَفْعَلَنَّ، ثم انهزموا يوم أُحُد، واستحقوا العِتَاب.

٢٣٠٨- تفيد الحث على الثبات عند القتال، والصدق في الأقوال بمطابقة الفعل للقول.

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤].

٢٣٠٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما كان التقدير: فانهزمتم عندما صرخ الشيطان كذباً: ألا إن محمداً قد قتل! ولم يكن لكم ذلك؛ فإنكم إنما تعبدون رب محمدٍ الحي القيوم وتقاتلون له، وأما محمد فما هو بخالدٍ لكم في الدنيا؛ قال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾.

٢٣١٠- فيها عتابٌ على ما صدر من اضطراب في صفوف المسلمين حينما أشاع بعض المنافقين في غزوة أحد ان رسول الله ﷺ قد قتل.

٢٣١١- فيها: تسميته ب[محمد] ﷺ وهو المستغرق لجميع المحامد، والله ﷻ اختار له هذا الاسم، واشتق له من اسمه تعالى؛ كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ألم تر أن الله أرسل عبده... ببرهانه والله أعلى وأمجد
وشق له من اسمه ليجله... فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

٢٣١٢- فيها بيان منزلة نبينا عليه الصلاة والسلام عند ربه؛ إذ لم يذكر اسمه في كامل القرآن إلا مقرونا بالرسالة.

٢٣١٣- فيها: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ الظاهر أنه حصرٌ مكملٌ؛ لأنه لا يوجد أعلى من منزلة الرسالة بين البشر، فجمعت له كل صفة مدح في البشر.

٢٣١٤- تفيد إثبات الرسالات، وكثرة الرسل، ورسالة النبي ﷺ هي خاتمتها.

٢٣١٥- فيها عظم حب الصحابة لرسول الله ﷺ، وتعلقهم به.

٢٣١٦- فيها تهيئة الصحابة رضي الله عنهم لأمرٍ جللٍ سيحصل عاجلاً أم آجلاً وهو: موت النبي ﷺ.

٢٣١٧- تفيد بلاغة القرآن ودقته في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ فإنه خطاب للصحابة، وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبي ﷺ، فأنزل استعظامهم لموته منزلة من يجهل رسالته؛ لأن كل رسولٍ فلا بد من موته، فمن استبعد موته فكأنما استبعد رسالته.

٢٣١٨- تفيد أن الموت حقٌ على كل نفس، حتى الأنبياء عليهم السلام.

٢٣١٩- فيها إشارةٌ إلى موت الخضر عليه السلام الذي يزعم المتصوفة أنه مازال حياً، والخضر على الراجح هو نبي؛ فإذا حكم الله تعالى على الرسل بالموت فمن باب أولى الأنبياء، وغيرهم من البشر.

٢٣٢٠- تفيد أن سنن الله تعالى في الخلق واحدةٌ لا تتبدل، وسبيل جميع الخلق إليه.

٢٣٢١- تفيد أن مصير جميع الأحياء إلى الموت أو القتل.

٢٣٢٢- تفيد إثبات بشرية الرسول ﷺ، والرسل من قبله.

٢٣٢٣- تفيد فضل القتل في سبيل الله عز وجل؛ حيث خصه بالذكر.

٢٣٢٤- يفيد تخصيص الأمرين بالذكر في حق النبي ﷺ إشارةً إلى أن النبي ﷺ سيجمع الله عز وجل له بين الموت والقتل في سبيله، حيث مات ﷺ على فراشه متأثراً بذلك السم الذي صنعته له تلك اليهودية، وهذا من دقائق الإشارات القرآنية.

٢٣٢٥- تفيد أن مهمة الرسول تنتهي بالبلاغ المبين.

٢٣٢٦- تفيد رداً على الجهلة الذين أحدثوا المولد، حيث يرفع بعضـــهم النبي ﷺ أثناء عملهم المولد من مقام الرســول إلى مقام الرب والإله الذي يدعى ويعبد، والله ﷻ يقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾.

٢٣٢٧- فيها: من قتل فقد مات؛ وقد يكون في تخصــيص القتل بالذكر الإشـــارة إلى أن الشـهداء أحياءٌ عند ربهم يرزقون، وفيه التنبيه على عدم تسـميتهم بالموتى كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

٢٣٢٨- تفيد أهمية تربية القائد لأفراده على تحمل المسؤولية من بعده، وعدم ربط مصيرهم به، فالحياة لا تقف عند أحد ولو كان رســولاً.. وذلك أدعى لاســتمرار العمل وعدم الوهن عند الابتلاء.. فالقرآن يربي هذه الأمة ليكون كل فرد منها قائداً متحملاً لمسؤوليته.

٢٣٢٩- فيها إشارة إلى أهمية المؤسسية في العمل، بما يضمن استمراريته.

٢٣٣٠- فيها تســـليةٌ للمؤمنين إذا مات لأحدهم ميت؛ فإذا مات النبي ﷺ فغيره أهون على النفس لذلك قال عليه الصلاة والسلام: " اذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب" [صححه الالباني في السلسلة الصحيحة [٣/٩٧] برقم [١١٠٦]].

٢٣٣١- فيها إشـارةٌ إلى أهمية العمل بالسـنة النبوية بعد موته ﷺ كما لو كان حياً بين الناس؛ وفي ذلك ردٌ على مانعي الزكاة بعد موته عليه الصلاة والسلام.

٢٣٣٢- تفيد التعلق بالمنهج لا بالأشخاص؛ وما قاله الصديق ﷺ يؤكد ذلك: "من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت".

٢٣٣٣- فيها دلالةٌ على أهمية تربية الجيل على المبادئ الراسخة، والقواعد الثابتة، التي لا تتغير بتغير ما حولها؛ فإذا ثبت الايمان ورسخ في قلب المؤمن، لم يتغير بتغير الأحوال والأزمان.

٢٣٣٤- فيها أن القيم والمبادئ العظيمة لا تموت بموت أصحابها.

٢٣٣٥- فيها تصفية إيمان المؤمنين، وتربيتهم على تحمل المسؤوليات أوقات الأزمات.

٢٣٣٦- تفيد أن الله ﷻ لا تنفعه طاعة المطيع، ولا تضـره معصـية العاصـي، ولكن من أطاع ربه، واتبع رسوله، وجاهد في سبيل الله؛ شكر الله له سعيه، لأنه يثيب من شكره.

٢٣٣٧- فيها تقبيحٌ لحال الناكصين المنقلبين على أعقابهم.

٢٣٣٨- تفيد التنفير عن الكفر بعد الإيمان؛ حيث سماه بالانقلاب على الأعقاب.

٢٣٣٩- صيغة المفرد بعد الجمع في ﴿يَنقَلِبْ﴾ و﴿ٱنقَلَبْتُمْ﴾ فيه الإشعار بقلة المنقلبين مقارنة بالثابتين

٢٣٤٠- تفيد أن الإسلام هو دين التطور، والتقدم لا دين التخلف، والرجعية، لهذا فإن كل من تمسك بالإسلام فهو التقدمي، وكل من خالف الإسلام فهو الرجعي والمتخلف، لقوله تعالى: ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ وفي هذا ردٌ على الملحدين الذين يدعون أن المسلمين رجعيون.

٢٣٤١- تفيد كمال غنى الله ﷻ، فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا يضره كفر الكافرين.

٢٣٤٢- فيها: قد يؤذي العبدُ ربَّه ﷻ، لكنه لا يضره شيئاً ﷻ.

٢٣٤٣- تفيد أن الخلق كلهم لو كانوا على الردة فإن الله تعالى لن يتضرر بذلك.

٢٣٤٤- تفيد الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم، حيث وقع ما حذرهم الله ﷻ منه بعد وفاة الرسول ﷺ، إذ ارتد كثير من المسلمين، وظنوا أن اتباع الرسول ﷺ كان مقصوراً على حياته، ثم هداهم الله ﷻ بعد ذلك، لهذا فالآية فيها إنباءٌ بالمستقبل.

٢٣٤٥- تفيد رداً بليغاً على القادة والزعماء الذين يظنون أن الأمور بدونهم لا تسير أو تقوم. وإذا كانت الأمور لم تتوقف على خير البشر فكيف بغيره.

٢٣٤٦- تفيد البلاغة القرآنية وأنه كتابٌ مثاني، يدمج بين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

٢٣٤٧- فيها: ولما كان الجزاء الأتم الأكمل يكون يوم القيامة دلت السين على قصر الحياة الدنيا.

٢٣٤٨- تفيد أن الشاكرين حقاً؛ هم الثابتون على الحق.

٢٣٤٩- تفيد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه هو أمير الشاكرين حيث ثبت يوم مات الرسول ﷺ واضطرب الناس حينذاك، وكذلك ثباته في أمر الردة، وما قام به من أعباء الإسلام، فهنيئاً له هذا الجزاء: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

٢٣٥٠- تفيد أن الشكر يتضمن الصبر، والثبات.

٢٣٥١- تفيد أن جزاء الله تعالى لا يتأخر عن الشاكرين؛ بدلالة المجيء بالسين التي هي قرينة التفسير في الاستقبال.

٢٣٥٢- تفيد أنه لا حد لجزاء الشاكرين؛ حيث يفيد الحذف: العموم والتعظيم؛ فهو جزاءٌ عظيمٌ لا حد له. وفيه إشارة إلى أن الجزاء على قدر الشكر، قلةً وكثرةً.

٢٣٥٣- تفيد أن في التزام دين الحق اعترافٌ بالنعمة الفاضلة التامة الكاملة منه سبحانه: نعمة الدين، فناسب أن يكون الثابت عليها المستشعر بعظمها من الشاكرين.

٢٣٥٤- تفيد أن الشكر الحقيقي يكون من خلال رسوخ العقيدة الصحيحة، والثبات على المنهج الحق في كل الظروف والأحوال، وتجاوز جميع الابتلاءات مهما عظمت.. نسأل الله تعالى أن يعيننا عليه.

٢٣٥٥- خاتمة الآية فيها احتباكٌ بديعٌ؛ حيث ذكر عدم الضرر من المنقلب ولم يذكر جزاءه.. وذكر جزاء الشاكر ولم يذكر عدم الانتفاع من ثباته.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٥].

٢٣٥٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكرت الآية السابقة أن نبي الهدى ﷺ له أجلٌ: بالقتل - إشارةً للجهاد - أو الموت.. جاء في هذه الآية التأكيد على أن كل النفوس التي برَأَهَا الله تعالى لها أجلٌ مكتوبٌ محتومٌ عنده سبحانه وتعالى.

٢٣٥٧- تفيد مع ما قبلها تسلية لأصحاب رسول الله ﷺ حين قيل لهم: إن محمداً ﷺ قد قتل، فأصابهم ما أصابهم من الغم، فقال الله عز وجل لهم: لا يمكن أن يقتل محمدٌ ﷺ قبل أجله، فلماذا هذا الجزع والهلع، لأنه إن كان موته مؤجلاً عند الله عز وجل، فعليكم أن تستسلموا وترضوا بقضاء الله وقدره، وتصبروا وتحتسبوا. وفي هذا أيضاً عزاءٌ من الله سبحانه وتعالى للأمة المحمدية في فقدهم لرسول الله ﷺ، فمصيبة موته وفقده عليه الصلاة والسلام أعظم مصيبةٍ حلت بالمسلمين، ولهذا جاء في الحديث الذي صححه الألباني في السلسلة؛ قوله ﷺ: "إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنها أعظم المصائب". وهنا قد تظهر للمتأمل والمتدبر دقة التناسب وروعة التناسق بين هذه الآية والتي قبلها.

٢٣٥٨- تفيد مع ما قبلها: عناية الله ﷻ وحفظه لرسوله ﷺ عند غلبة العدو، وتخليصه منهم عند التفافهم عليه؛ فأنجاه الله ﷻ من عدوه سالماً مسلماً لم يضره شيءٌ.

٢٣٥٩- فيها مع ما قبلها: تنبيهٌ على أن استمرار الجهاد لا يرتبط بوجود القائد فإذا قتل القائد انهزم الجيش.

٢٣٦٠- تفيد تحريض المؤمنين على الجهاد، وتشجيعهم على لقاء العدو؛ بإعلامهم بأن الجبن لا ينفع وإن الحذر لا يدفع، والثبات لا يقطع الحياة، وأن أحداً لا يموت إلا بأجله وإن خاض المهالك، واقتحم المعارك، وإذا جاء الأجل لم يدفع الموت بحيلةٍ، فلا فائدة في الجبن والخوف.

٢٣٦١- يفيد التنكير في [نفس]؛ لإرادة العموم، ليدخل في ذلك نفوس الأنبياء والرسل ومنها نفس النبي ﷺ.. وفي ذلك تناسب مع المعنى السابق.

٢٣٦٢- تفيد أن موت الإنسان متوقف على حصول الإذن من الله ﷻ الذي بيده سبحانه مقادير كل شيء.

٢٣٦٣- تفيد إثبات الإذن لله ﷻ، وهو نوعان: إذنٌ كونيٌ، وإذنٌ شرعيٌ.

٢٣٦٤- تفيد أن موت الإنسان قد ضبط وحدد بوقتٍ لا يتقدم عنه ولا يتأخر.

٢٣٦٥- تفيد بيان حقيقةٍ إيمانيةٍ مهمةٍ في حياة الناس وهو أنه لا يمكن أن يموت أحدٌ من خلق الله ﷻ إلا بعد بلوغ أجله الذي جعله الله ﷻ غاية لحياته وبقائه، فإذا بلغ ذلك الأجل الذي كتبه الله ﷻ له، وأذن له بالموت، فحينئذٍ يموت. أما قبل ذلك، فلن يموت بكيد كائدٍ ولا بحيلة محتالٍ.

٢٣٦٦- تفيد إثبات الإيمان بالقدر، ومن فوائده: عدم الجزع عند المصائب، وعدم الفرح بالنعم: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]؛ وذلك يؤدي لانشراح الصدر والرضى والسعادة.

٢٣٦٧- تفيد إثبات مرتبةٍ من مراتب الإيمان بالقدر وهي مرتبة الكتابة، فالله سبحانه كتب في اللوح المحفوظ كل شيءٍ.

٢٣٦٨- فيها دليلٌ على كتب العلم وتدوينه.

٢٣٦٩- فيها ردٌ على المعتزلة في مسألة الأجلين؛ فإن المقتول ميتٌ بأجله، وتغيير الآجال ممتنعٌ.

٢٣٧٠- تفيد الحث والترغيب على طلب ثواب الآخرة في كل أحوال المسلم وخاصة عند دخول المعارك لقتال الأعداء.

٢٣٧١- فيها دلالةٌ على عظمة الله ﷻ، وعلمه وهيمنته وإحاطته بالكون كله فلا يكون فيه إلا ما شاء الله ﷻ وقدّره؛ فالموت والحياة بيده، والأمور كلها تحت سيطرته، وفي ألفاظ الآية ملمحٌ آخرٌ، وهو التعبير بنون العظمة؛ فسبحان الله العظيم.

٢٣٧٢- فيها: من يرد بعمله ثواب الدنيا وهو الغنيمة ونحوها يؤته الله ﷻ منها ما قدر له، وفي ضمن ذلك الحث على الإخلاص، والتحذير من إرادة الإنسان بعمله الدنيا؛ قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

٢٣٧٣- تفيد أن من يريد بعمله ثواب الآخرة وهو الجنة فإن الله ﷻ يؤتيه من ثوابها ويضاعف له الحسنات أضعافاً كثيرةً، وفي هذا حثٌ على الإخلاص، والترغيب في الآخرة.

٢٣٧٤- تفيد أن الدنيا والآخرة بيد الله ﷻ وحده؛ فليطلب العبد منه وحده ولا يلتفت لغيره ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤].

٢٣٧٥- تفيد أن الذي يؤتي الثواب في الدنيا والآخرة هو الله تعالى وحده؛ وفي ذلك ردٌ على رهبان النصارى الذين يوزعون صكوك الغفران، وضلال المتصوفة الذين يزعمون أن اتباعهم في الجنة.

٢٣٧٦- تفيد مع قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨] أن ثواب الدنيا مشروطٌ بمشيئة الله تعالى، أي: نؤت من شئنا منها ما قدر له، وظاهر تقسيم الآية يقتضي اختصاص كل واحد بما أراد، لأن من كانت نيته مقصورة على طلب دنياه لا نصيب له في الآخرة، لكن من كانت نيته مقصورة على طلب الآخرة قد يؤتى نصيباً من الدنيا.

٢٣٧٧- يفيد تقديم مريدي ثواب الدنيا على مريدي ثواب الآخرة أن أكثرية النفوس البشرية من مريدي ثواب الدنيا.

٢٣٧٨- تفيد أن الإخبار عن الشـــيء أو عن وقوعه، لا يدلان على حِلِّه وجوازه، فقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ لا يدل على حل وجواز إرادة الإنسان بعمله الدنيا؛ لأن هذا إنما هو خبرٌ واردٌ عن أمر وقع، والحل والحرمة يؤخذان من أدلة أخرى.

٢٣٧٩- تفيد أنه ليس في تقســيم الآية ما يوهم أن العبد المؤمن لا يمكن أن يعمل لمصـــلحة دنياه وآخرته معاً، بل إن من هدي الإسلام أن يطلب ويسعى المؤمن لخيري الدنيا والآخرة، قال تعالى في شـــأن المؤمنين: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ [البقرة: ٢٠١]؛ ولهذا قال تعالى في الآيات التي بعد هذه الآية: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

٢٣٨٠- تفيد رداً على الجبرية؛ حيث أثبت الإرادة للمخلوقين، والجبرية يقولون: إن المخلوق ليس له إرادة، وأنه يفعل بدون اختيار ولا إرادة.

٢٣٨١- تفيد أن المؤثر في جلب الثواب أو العقاب هو النيَّات والدواعي لا ظواهر الأعمال. والآية دليلٌ على قاعدة [الأمور بمقاصدها]، وقاعدة [لا ثواب إلا بنية].

٢٣٨٢- تفيد إثبات الآخرة والحساب والجزاء.

٢٣٨٣- تفيد فضـيلة إيثار الآخرة على الدنيا، وأن من أراد الآخرة فإنه من الشـــاكرين الذين يجزيهم الله ﷻ.

٢٣٨٤- يفيد ذكر جزاء الشـــاكرين عقب ذكر جزاء مريدي الآخرة إشـــارة إلى أن هؤلاء قد ينعمهم الله بنعيم الدنيا، ولا يقصرهم على نعيم الآخرة.

٢٣٨٥- تفيد جواز إطلاق الكلام إذا جاء مفسراً في مواضـع أخرى، لقوله تعالى: ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فإن هذه الآية مجملة لم يبين فيها كيفية الجزاء، ولكنه قد بين في نصـوص أخرى من الكتاب والسنة.

٢٣٨٦- تفيد الحث على الشـكر وعظم جزاء الشـاكرين، والشـكر هو طاعة المنعم كما قال بعض العلماء.

٢٣٨٧- تفيد إثبات الجزاء على العمل، وأن هذا الجزاء دائرٌ بين عدل الله تعالى وفضـله، ولهذا قال تعالى: ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: عدلاً وفضلاً.

٢٣٨٨- فيها: إبهام الجزاء فيه تأكيدٌ ودلالةٌ على فخامة شـــأنه وعظمته. فلم يذكر جزاءهم ليدل ذلك على كثرته وعظمته، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر، قلةً وكثرةً وحسناً.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

٢٣٨٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكر ﷻ هذه الجمل على هذا الوجه الذي بين فيه العلل، وأوضح بحال الزلل، وكان التقدير – بعد انقضائها -: فكأين من قومٍ أمرناهم بالجهاد فكانوا على هذين القسمين، فأثبنا الطائع وعذبنا العاصي، ولم يضرنا ذلك شيئاً، ولا جرى شيءٌ منه على غير مرادنا: عطف عليه هذه الآية يؤسيهم بطريق الصالحين من قبلهم، ويسليهم بأحوالهم. [نظم الدرر للبقاعي].

٢٣٩٠- فيها تسليةٌ للمؤمنين، وحثٌ على الاقتداء بالذين ذكروا في الآية، والفعل كفعلهم، وأن هذا أمرٌ قد كان متقدماً، ولم تزل سنة الله جارية بذلك.

٢٣٩١- تفيد عناية الله تعالى بهذه الأمة المحمدية، حيث يسلِّيهم بما حصل للأمم السابقة من الأنبياء وأتباعهم.

٢٣٩٢- تفيد ضرورة الاعتبار بالتاريخ وأحداث الماضي.

٢٣٩٣- تفيد أن الإفادة من المواقف والأحداث والتجارب؛ سبيل للتماسك وقوة المجتمع.

٢٣٩٤- تفيد أهمية تسلية الإنسان في مصابه بالمواقف الخيرة المشابهة لحاله ليكون ذلك أدعى للصبر والثبات؛ لأن الله تعالى ذكر هذه الآية هنا تسليةً للمؤمنين بما أصابهم يوم أحد.

٢٣٩٥- تفيد أن من أفضل طرق التشجيع على الشيء والإغراء به، أن يذكر للإنسان سلفٌ يقتدي به، ويتشجع للحاق به.

٢٣٩٦- تفيد عظم الجهاد مع الأنبياء عليهم السلام، والدفاع عن دينهم.

٢٣٩٧- تفيد أن الجهاد مشـــروعٌ في غير هذه الأمة لقوله: ﴿قَٰتَلَ﴾ والقتال من الأنبياء وأتباعهم لا يكون إلا عن جهادٍ.

٢٣٩٨- تفيد فضل من صحب الأنبياء، وجاهد معهم، وكثرة هؤلاء النفر الكرام.

٢٣٩٩- تفيد المدح والثناء العظيم للأمم السابقة المستحقين لذلك من الأنبياء وأتباعهم.

٢٤٠٠- تفيد الحث على التَّأسِّي بِمَن مَضى مِن صالحِي الأُمَمِ السّابِقَةِ.

٢٤٠١- تفيد وجوب نصرة الأنبياء، والجهاد معهم لإعلاء كلمة الله ﷻ وإعزاز دينه.

٢٤٠٢- تفيد أن الجهاد والقتال هو أساس رفع الوهن والذل عن الأمة والمجتمعات.

٢٤٠٣- تفيد الحث على قوة القلب وثباته وعدم الجزع والضعف.

٢٤٠٤- تفيد الحث على حفظ الروح المعنوية - رغم الهزائم - حتى تنهض الأمة من جديد.

٢٤٠٥- تفيد أن القيادة ضرورةٌ؛ لتوحيد الجهود وبناء الصف ليلتف من حولها الربيون.

٢٤٠٦- تفيد أن قتل القائد لا ينبغي أن يضعف الأمة أو يهزها أو يقودها لاستسلامٍ؛ يفهم ذلك من دلالة السياق، ودلالة النص، قَالَ قَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ بِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ ﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾ يَقُولُ: فَمَا ارْتَدُّوا عَنْ نُصْرَتِهِمْ وَلَا عَنْ دِينِهِمْ، بل قَاتَلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ نَبِيُّ اللَّهِ حَتَّى لَحِقُوا بِاللَّهِ.

٢٤٠٧- فيها: لا مكان للهزيمة النفسية التي أصابت المسلمين بسبب تأخرهم في شتى المجالات؛ ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ﴾ بل سيكون الابتلاء هو مصدر القوة بإذن الله ﷻ للمضي قدماً في سبيل نصرة الحق والدين.

٢٤٠٨- تفيد أنه يجب على المسلمين ألا يهنوا ولا يضعفوا ولا يستذلوا لعدوهم مهما استحرَّ فيهم القتل: على القراءة الثانية [قُتِلَ].

٢٤٠٩- فيها الجمعُ بَيْنَ الوَهَنِ والضَّعْفِ، وهُما مُتَقارِبانِ تَقارُبًا قَرِيبًا مِنَ التَّرادُفِ؛ فالوَهَنُ قِلَّةُ القُدْرَةِ عَلى العَمَلِ، وعَلى النُّهُوضِ في الأمْرِ، وفِعْلُهُ كَوَعَدَ وورِثَ وكَرُمَ. والضَّعْفُ بِضَمِّ الضّادِ وفَتْحِها ضِدُّ القُوَّةِ في البَدَنِ... فالأوَّلُ أقْرَبُ إلى خَوَرِ العَزِيمَةِ، ودَبِيبِ اليَأْسِ في النُّفُوسِ والفِكْرِ، والثّانِي أقْرَبُ إلى الِاسْتِسْلامِ والفَشَلِ في المُقاوَمَةِ. وأمّا الِاسْتِكانَةُ فَهي الخُضُوعُ والمَذَلَّةُ لِلْعَدُوِّ. ومِنَ اللَّطائِفِ تَرْتِيبُها في الذِّكْرِ عَلى حَسَبِ تَرْتِيبِها في الحُصُولِ؛ فَإنَّهُ إذا خارَتِ العَزِيمَةُ فَشَلَتِ الأعْضاءُ، وجاءَ الِاسْتِسْلامُ، فَتَبِعَهُ المَذَلَّةُ والخُضُوعُ لِلْعَدُوِّ؛ فالتسليم لما يصيب الصف المسلم من بعض الانتكاسات يكون وهناً... والوهن طريق الضعف... والضعف طريق الاستكانة.

٢٤١٠- تفيد أن الوهن الذي يدخل على القلوب، يورث الضعف الذي نجده على الجوارح، وهذا يبين أهمية الحفاظ على الحالة النفسية للجند والأتباع، قال السعدي: "ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجَّعوا أنفسهم". ولم

تحبطهم فشل المحاولات ولا عدة وعتاد العدو فظلُّوا صابرين ومثابرين وبالحق مستمسكين حتي ينالوا إحدى الحسنيين.

٢٤١١- تفيد أن الذي يترتب من الحروب أثره عظيمٌ على ضعفاء النفوس، قال تعالى عن هؤلاء الصفوة: ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فبين القرآن أسباب عدم وهن هؤلاء؛ لأنهم علموا أن ذلك في سبيل الله ﷻ ومن متطلبات العزة والتمكين.. والأمة التي تريد النصر بغير ضريبة التمكين أمةٌ واهمةٌ وغير مؤهلةٍ للنصر. فهؤلاء لما أيقنوا أنها في سبيل الله ﷻ هانت عندهم صعاب المصائب. فمن علم عظيم النهايات صغرت في عينه عقبات البدايات. إنها سلعة الله الغالية.

٢٤١٢- تفيد أن بداية الهزيمة تبدأ في داخل الإنسان، ولذا عالج القرآن ما يؤدي إلى الهزيمة من أساسه ثم تلاه بما يتبعه ويعقبه.. لأن القلب إذا أصابه داء الوهن بسبب الخوف والجبن، ضعفت الأعضاء مباشرة؛ ولذا قال تعالى: ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١].

٢٤١٣- تفيد أن أخطر ثلاثة تحديات تواجهها أمتنا وصفُّنا المسلم هي: الوهن والضعف والاستكانة.

٢٤١٤- تفيد أن الوقوف عند محطات الانهزام الآني وعدم القدرة على تجاوزها؛ مؤذنٌ بثلاث أمراض خطيرة: وهنٌ وضعفٌ واستكانةٌ.

٢٤١٥- تفيد كراهية الاستسلام للأعداء؛ ﴿ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: وَمَا اسْتَسْلَمُوا وَمَا خَضَعُوا لِعَدُوِّهِمْ.

٢٤١٦- تفيد أن طريق الأنبياء والمصلحين غير مفروشٍ بالورود، إنما هو طريق ابتلاءٍ وتضحيات.. تبذل في سبيله المهج والأرواح.

٢٤١٧- تفيد الإشارة إلى انحطاط مرتبة الذين يذلون أنفسهم لأعداء الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾، والعبد المؤمن يجب أن يكون أبياً أشم كالطود العظيم، يأنف من الاستكانة والتذلل لأعداء الله ﷻ؛ ويظهر لهم العزة بالقول والفعل.

٢٤١٨- تفيد أنه سيبقى للحق أنصاره مهما قلّت الحيل وقصرت العزائم.

٢٤١٩- فيها: دائماً ما تجد من أهل الحق أصحاب المواقف المشرقة الذين تمكنوا من العلم والطاعة حتى أصبحت منهج حياتهم.

٢٤٢٠- تفيد أنه في مواقف التقصير والخذلان والتأخر لَنتذكر أصحاب المواقف الصادقة فإن ذلك يرفع الهمة.

٢٤٢١- تفيد -بمفهوم المخالفة- أن الله تعالى لا يحب الجزعين؛ لما يسببه الجزع من اضطرابٍ وضعفٍ في اتخاذ القرارات وإدارة المواقف.

٢٤٢٢- تفيد أن العمل يغذي بعضه بعضاً؛ فإذا أردت دفع الضعف والوهن فعليك بالعمل.

٢٤٢٣- تفيد أن الصبر هو طريق مقاومة الوهن وتوابعه، والصبر هو حسن توظيف الأوقات والقدرات.. لا مجرد انتظار مرور الأوقات.

٢٤٢٤- تفيد فضل الصبر، ومحبة الله ﷻ للصابرين.

٢٤٢٥- تفيد الحث على الثبات على الدين؛ لأن من معاني قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: الثابتين على يقينهم ودينهم.

٢٤٢٦- تشير إلى ما يعقب الصبر من حسن العاقبة والجزاء فإن من يحبهم الله تعالى يكرمهم بالولاية والنصر في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

٢٤٢٧- تفيد إثبات صفة المحبة لله سبحانه وتعالى.

٢٤٢٨- تفيد أن محبة الله ﷻ متحققةٌ لأصحاب دعوة الحق الذين يرجون بسببها رضا الله ﷻ، والصابرين عليها وعلى ما أصابهم في سبيلها.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٧].

٢٤٢٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فإن قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ عَطْفٌ عَلى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ لِأنَّهُ لَمّا وصَفَهم بِرَباطَةِ الجَأْشِ، وثَباتِ القَلْبِ، وصَفَهم بَعْدَ ذَلِكَ بِما يَدُلُّ عَلى الثَّباتِ مِن أقْوالِ اللِّسانِ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِ عِنْدَ الِاضْطِرابِ والجَزَعِ، أيْ أنَّ ما أصابَهم لَمْ يُخالِجْهم بِسَبَبِهِ تَرَدُّدٌ في صِدْقِ وعْدِ اللَّهِ، ولا بَدَرَ مِنهم تَذَمُّرٌ، بَلْ عَلِمُوا أنَّ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُها سبحانه وتعالى أوْ لَعَلَّهُ كانَ جَزاءً عَلى تَقْصِيرٍ مِنهم في القِيامِ بِواجِبِ نَصْرِ دِينِهِ، أوْ في الوَفاءِ بِأمانَةِ التَّكْلِيفِ، فَلِذَلِكَ ابْتَهَلُوا إلَيْهِ عِنْدَ نُزُولِ المُصِيبَةِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾.

٢٤٣٠- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق فبعد أن ذكرت الآية السابقة روعة أفعال الربانيين، وأشارت إلى أنهم مجهزون جسدياً ونفسياً لخوض المعركة ضد أعداء الله ﷻ، ذكر في هذه الآية روعة أقوالهم، وأنهم مجهزون روحانياً وإيمانياً لمقاتلة الأعداء والانتصار عليهم، وفي هذا إشارة إلى ارتباط كمال الأفعال بكمال الأقوال.

٢٤٣١- تفيد مع التي قبلها: أن سبب عدم وجود الوهن والضعف والاستكانة هو الدعاء.

٢٤٣٢- فيها مع التي قبلها: أن في هذا الترتيب أهمية إظهار القوة والعزة للعدو.. وإظهار التذلل والضعف والافتقار لله تعالى. وقد يكون من دروس هذا الترتيب أنهم لم يرجعوا عدم وهنهم واستكانتهم لذواتهم بل لم يروا ذلك العمل وانصرفوا إلى الدعاء.

٢٤٣٣- فيها مع التي قبلها أن العبد يواجه الأعداء بإخلاص النية وصدق التوجه والاستعانة بالله ويستمد القوة والعون منه ﷻ.

٢٤٣٤- تفيد أن الله ﷻ هو الذي أخبر عن ثباتهم روايةً عنه.. وأخبر عن دعائهم بروايتهم هم.. وفي ذلك:

- المؤمن بعيدٌ عن التفاخر بفعله وروايته للناس.
- توثيق فعلهم في القرآن الكريم أعظم تشريفٍ لهم في الدنيا وينتظرهم حسن الجزاء في الآخرة.
- رواية ومدح أفعال العباد ليقتدى بهم.
- أن العبد يجب أن لا يرى الحسن والكمال في نفسه، بل يحدق في النقص والعيب فذلك أدعى للارتقاء.

٢٤٣٥- تفيد أهمية الدعاء واللجوء إلى الله ﷻ في السراء والضراء، ولا سيما في المواطن التي تحتاج إلى تثبيتٍ، أما حال البأس والشدة فظاهرٌ، وأما حال السراء فبدلالة الإشارة.

٢٤٣٦- تفيد أهمية التجرد من الحول والقوة.. والتقوّي بالله جل جلاله.

٢٤٣٧- تفيد أن التخلية قبل التحلية فلا يتحلى المرء بالثبات والنصر والتمكين إلا بعد التخلي عن المعاصي والذنوب.

٢٤٣٨- يفيد أسلوب القصر في الآية - بما وإلا -: كمال تعلقهم بالله تعالى، والتجائهم إلى الله وحده في طلب المغفرة والتثبيت والنصر. ويفيد أيضاً أنهم اقتصروا على الدعاء الوارد في الآية.. وهو من أجمع الأدعية، وسببٌ للنجاة والفوز يوم القيامة. ويفيد أيضاً أن هذا الموضع

ليس من مواضــع كثرة الكلام والفلســفة.. بل يجب الاقتصــار فيه على الدعاء. ويفيد أيضــاً التعريض بالَّذين جزِعوا من ضعفاء المسلمين أو المنافقين.

٢٤٣٩- فيها وفي جل أدعية القرآن ﴿ رَبَّنَا ﴾ لأن خصـــائص الربوبية [الخلق، الملك، التدبير] هي الأَولى والأقرب لاستدرار الاستجابة واللطف الرباني.

٢٤٤٠- فيها دَلِيلٌ عَلى مَشْــرُوعِيَّةِ الدُّعاءِ عِنْدَ لِقاءِ العَدُوِّ، وأنْ يَدْعُوَ بِهَذا الدُّعاءِ المعَيَّنِ. وقَدْ جاءَ في القُرْآنِ أدْعِيَةٌ أعْقَبَ اللَّهُ بِالإجابَةِ فِيها.

٢٤٤١- في هَذا الدُّعاءِ رَدٌّ عَلى القَدَرِيَّةِ؛ لِقَوْلِهِمْ: إنَّ اللَّهَ لا يَخْلُقُ أفْعالَ العَبْدِ، ولَوْ كانَ ذَلِكَ لَمْ يَسُغْ أنْ يُدْعى فِيما لَمْ يَفْعَلْهُ.

٢٤٤٢- فيها الإشارة الى شؤم الذنوب والمعاصي وأثرها في تأخر النصر وحلول الهزيمة ولذا كان أول دعوتهم مغفرة الذنوب والإسراف على النفس.

٢٤٤٣- تفيد أن المؤمن دائم الاســتحضــار لذنوبه وتقصــيره ولذلك يقدم طلب المغفرة على سائر طلبات اللحظة.

٢٤٤٤- تفيد أن القوة في مواجهة الأعداء تبدأ بالتخلص من الذنوب التي تســـبب الوهن والخور.

٢٤٤٥- فيها اعتراف الفضلاء بالذنب والإسراف في الأمر.

٢٤٤٦- تفيد أن العبد المؤمن مهما بلغ في مقام الربانية -من العلم والعمل-، فهو محتاجٌ إلى مغفرة الله غاية الاحتياج ومفتقر إليها غاية الافتقار، ولولا ذلك لما ســـأل هؤلاء الربانيون هذا السؤال وهم في مقابلة الأعداء وفي ساحة الحرب والمعركة.

٢٤٤٧- تفيد أن العبد المؤمن مهما بلغ في المراتب وتدرج في المقامات الربانية، فإنه لا يخلو من الإسراف على نفسه في جميع أموره إما غلواً أو تقصيراً، ولهذا فهو في غاية الاحتياج إلى أن يغفر الله عز وجل له إسرافه.

٢٤٤٨- فيها: الدعوة بتثبيت الأقدام: وتشـــمل الثبات الحســـي في ميدان القتال، والثبات المعنوي على الصراط المستقيم.. والأول من توابع الثاني.

٢٤٤٩- تفيد أن الدعاء بالنصر على الكافرين من الأدعية المهمة التي يجب أن تلازم المؤمن؛ لاتصال المعركة بين الإيمان والكفر والحق والباطل إلى يوم القيامة. وما أحوجنا لتضافر دعائنا بالنصر في هذا الزمان الذي ضعفت فيها الأمة وانهزمت شر هزيمة.

٢٤٥٠- فيها إشارة إلى أهمية الترتيب في الدعاء.. فمغفرة الذنب طلبٌ أعظم.. ثم يليه الإسراف في المباح.. فإن حدث ذلك كان سبباً في تثبيت الأقدام وكل ذلك يؤدي إلى تحقيق النصر على الأعداء.

٢٤٥١- تفيد أن تحقيق الانتصار الداخلي أي على النفس طلبٌ مقدمٌ على الانتصار الخارجي.

٢٤٥٢- تفيد أن المؤمن لا يغفل في كل المواقف بل هو في حالة لجوء واتصال دائم بربه تعالى.

٢٤٥٣- تفيد أن تحقق النصر بعد الإلحاح في الدعاء بالنصر والتمكين؛ فيه سدٌ لباب العجب ورؤية العمل.

٢٤٥٤- تفيد أن من تمام التوكل وكماله إعداد العدة المادية مع دعاء الله تعالى بالنصر والظفر.

٢٤٥٥- قالَ ابْنُ القَيِّمِ: لَمّا عَلِمَ القَوْمُ أنَّ العَدُوَّ إنَّما يُدالُ عَلَيْهِمْ بِذُنُوبِهِمْ وأنَّ الشَّيْطانَ إنَّما يَسْتَزِلُّهم ويَهْزِمُهم بِها، وأنَّها نَوْعانِ: تَقْصِيرٌ في حَقٍّ، أوْ تَجاوُزٌ لِحَدٍّ. وأنَّ النَّصْرَ مَنُوطٌ بِالطّاعَةِ، قالُوا: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ ثُمَّ عَلِمُوا أنَّ رَبَّهم تَبارَكَ وتَعالى إنْ لَمْ يُثَبِّتْ أقْدامَهم ويَنْصُرْهم، لَمْ يَقْدِرُوا عَلى تَثْبِيتِ أقْدامِ أنْفُسِهِمْ ونَصْرِها عَلى أعْدائِهِمْ، فَسَألُوهُ ما يَعْلَمُونَ أنَّهُ بِيَدِهِ دُونَهم، وأنَّهُ إنْ لَمْ يُثَبِّتْ أقْدامَهم ويَنْصُرْهم، لَمْ يَثْبُتُوا ولَمْ يَنْتَصِرُوا. فَوَفَّوْا المَقامَيْنِ حَقَّهُما: مَقامَ المُقْتَضى، وهو التَّوْحِيدُ، والِالتِجاءُ إلَيْهِ سُبْحانَهُ. ومَقامَ إزالَةِ المانِعِ مِنَ النُّصْرَةِ، وهو الذُّنُوبُ والإسْرافُ ــ انْتَهى ــ. قالَ القاضِي: وهَذا تَأْدِيبٌ مِنَ اللَّهِ تَعالى في كَيْفِيَّةِ الطَّلَبِ بِالأدْعِيَةِ عِنْدَ النَّوائِبِ والمِحَنِ، سَواءٌ كانَ في الجِهادِ أوْ غَيْرِهِ.

٢٤٥٦- تفيد أن أهل الإيمان والطاعة مع ما يبذلونه من جهدٍ وجهادٍ وعبادةٍ فهم ينظرون إلى تقصيرهم ولا ينظرون إلى حسناتهم فمع ما ذكره الله ﷻ عنهم من ثباتٍ وجهادٍ وشكرٍ وصبرٍ في الآيات السابقة بيّن حالهم هنا مع أنفسهم وفيما بينهم وبين ربهم، وهكذا يكون المؤمن دائما.

قال تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٤٨].

٢٤٥٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد الثناء على فعلهم وقولهم، جاء ذكر الجزاء الذي ترتب على ذلك؛ نصرٌ وغنيمةٌ في الدنيا، وثوابٌ حسنٌ في الآخرة.

٢٤٥٨- تفيد أن الله تعالى بسبب ذلك الدعاء أعطاهم ثواب الدنيا من النصر والغنيمة والعزة وقهر الأعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا ونحوها، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف أي ثواب الآخرة الحسن وهو نعيم الجنة، جعلنا الله تعالى من أهلها، والفضل فوق الاستحقاق؛ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يفعلون ما فعل هؤلاء، وهذا تعليم من الله سبحانه لعباده المؤمنين أن يقولوا مثل هذا عند لقاء العدو، وفيه دقيقةٌ لطيفةٌ وهي أنهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله تعالى محسنين.

٢٤٥٩- تفيد سرعة استجابة الله ﷻ لهم؛ ووجهه: الإتيان بفاء التعقيب.

٢٤٦٠- فيها: فعل الإيتاء بدلاً عن الإعطاء لدخول كل أنواع العطاء.. ومنه الحسي والمعنوي ومنه التوفيق والإيمان والثبات؛ فالفعل [آتى] أعمّ من [أعطى].. قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

٢٤٦١- فيها: بيان عناية الله ﷻ بهم؛ ووجهه: الإظهار في موطن الإضمار، ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾.

٢٤٦٢- تفيد كرم الله ﷻ؛ إذ يوفِّق العبد للخير ثم يثيبه عليه ويعظِّم أجره.

٢٤٦٣- تفيد أن إعطاء العبد من الدنيا لا يقدح في إخلاصه، ولا يقلل من أجره في الآخرة.

٢٤٦٤- تفيد حقارة الدنيا وقلتها؛ وذلك من تسمية الله ﷻ لها: ﴿ٱلدُّنْيَا﴾.

٢٤٦٥- تفيد أنه لا مقارنة بين ثواب الدنيا وثواب الآخرة؛ فثواب الآخرة مقرونٌ بالحسن... فنسأل الله ﷻ من فضله وإحسانه، وأن يجعلنا من المحسنين.

٢٤٦٦- تفيد أن الله ﷻ يجمع للمحسنين خيري الدنيا والآخرة.

٢٤٦٧- تفيد أن الله تعالى آتاهم ثواب الدنيا بنصرهم والتمكين لهم، وآتاهم الثواب الحسن في الآخرة بالرضا عنهم، والنعيم المقيم في جنات النعيم، لأن الله يحب المحسنين في عبادتهم ومعاملتهم.

٢٤٦٨- تفيد أن السعيد من جمع الله تعالى له بين ثواب الدنيا وحسنة الآخرة.

٢٤٦٩- تفيد إثبات الآخرة، والحث على العمل لها، وعظم الثواب فيها.

٢٤٧٠- فيها الإشارة إلى تفاوت أجر الآخرة.

٢٤٧١- فيها: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ تذييل أي: يحبّ كلّ محسن، وموقع التذييل يدلّ على أنّ المتحدّث عنهم هم من الّذين أحسنوا، فاللام للجنس المفيد معنى الاستغراق.

٢٤٧٢- تفيد أن الله ﷻ يجيب الدعاء ويحقق الرجاء، ويجازي العاملين، ولا يضيع أجر المحسنين.

٢٤٧٣- تفيد أن الذي يحسن القول والفعل يكرم في الدنيا بالإجابة والتأييد، ويظفر في دار النعيم المقيم بحسن الثواب من رب الأرباب.

٢٤٧٤- تفيد أن المحسنين قولاً وفعلاً استحقوا محبة الله ﷻ.

٢٤٧٥- تفيد أن هؤلاء قد ثبت بنص القرآن أنهم من المحسنين؛ وكل من فعل فعلهم وتحلى ببواطنهم كان من المحسنين.

٢٤٧٦- تفيد الحث على الأعمال التي تنال بها محبة الله ﷻ ومن أعظمها: الإحسان.

٢٤٧٧- تفيد إثبات صفة المحبة لله ﷻ.

٢٤٧٨- فيها توجيهٌ لطلب محبة الله ﷻ؛ بالأعمال التي توصل إليها.

٢٤٧٩- في ورود المحبة بصيغة المضارع.. إشارةٌ إلى أنها مستمرة لمن تحلّو بهذه الصفات.

٢٤٨٠- تفيد -بمفهوم المخالفة- أن الله ﷻ يبغض المسيئين.

٢٤٨١- تفيد أن العبد كل ما ازداد إحساناً كلما رأى نقصه وتقصيره.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

٢٤٨٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق أمره ﷻ بطاعته التي هي سبب للنصر والتأييد، والإحسان فيها لنيل محبته، جاء في هذه الآية التحذير من طاعة الكافرين التي تسبب الخذلان والخسران المبين.

٢٤٨٣- تفيد مع ما قبلها أنه في مقابل الظفر بالثواب الحسن بسبب طاعة الله ومحبته ﷻ؛ يأتي الخذلان والخسران المبين في أمور الدنيا والدين والتعرض لسخط الله ﷻ بسبب طاعة أعداء الإسلام الداعين للكفر بهذا الدين.

٢٤٨٤- تفيد التحذير من الانتكاس في جميع الأمور الفاضلة.

٢٤٨٥- تفيد التحذير من أهل الغواية الذين يلقون بالشُبَه بقصد تشكيك أهل الإيمان وإفساد عقيدتهم.

٢٤٨٦- فيها دعوةٌ للثبات على قواعد الدين والتمسك بشعائره وعدم التقصير بها.

٢٤٨٧- تفيد تنفير أهل الإيمان عن متابعة أهل الكفر والطغيان، ومطاوعتهم في دعاويهم الباطلة بأمور:

- نداؤهم نداء رحمةٍ وشفقةٍ ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾.
- تذكيرهم بوصفهم المحبب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.
- ذكر الوصف المستقذر لمن يطلبون منهم طاعتهم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.
- ذكر سوء العاقبة والوصف بالخسران البغيض إلى النفس ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

٢٤٨٨- فيها: النداء فيه اللطف والمدح والترغيب في الاستجابة؛ ويؤخذ منه أهمية انتقاء اللفظ المناسب للداعي والمربي ومعلم الناس الخير حملاً لهم على الامتثال.

٢٤٨٩- تفيد تحذير أهل الإيمان - أهل الهمم العالية - من انحطاط هممهم باتباع أهل الزيغ والضلال.

٢٤٩٠- فيها: عند الحديث عن أهل الكتاب قال: ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وعند الحديث عن الكفار قال: ﴿إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ ذلك لأن نفراً من أهل الكتاب فيهم خيرٌ وعندهم صلاحٌ أما الكفار فجميعهم يريدون لنا الشر والفساد، وفي هذا تربيةٌ على الإنصاف والدقة في الوصف.

٢٤٩١- تفيد تسمية ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بدلاً عن الكافرين زيادة في الوسم بالكفر والتصاقهم به.

٢٤٩٢- تفيد صيغة الشرط: ﴿إِن تُطِيعُواْ... يَرُدُّوكُمْ﴾ أن مدخل الكافر لإضلال المؤمن لا يفتح إلا بالطاعة.. وأن في مخالفته وعصيانه إغلاقاً لمفسدة الاستدراج إلى الضلال. وطاعة الكفار يمكن أن تكون في تقليد سلوكهم، واستيراد فكرهم، وتصورهم للكون والحياة.

٢٤٩٣- فيها: إن وافق فعل المؤمن أو قوله فعل الكافر أو قوله ولم يقصد طاعته ومتابعته فلا حرج في ذلك، وإن وافق المؤمن الكافر تحرياً لطاعته ومتابعته فأصاب الحق فلا اعتبار بإصابته لأنه لم يتحر الحق بل تحرى موافقة الكافر.

٢٤٩٤- فيها تشجيعٌ على استمداد المعرفة والثقافة والتصورات عن كل الموجودات من الإسلام، تجنباً لتبني عقول الكفار؛ وسداً لباب الذريعة.

٢٤٩٥- فيها دلالةٌ على أن ضلال من أطاع الكفار قد بلغ غايته وأن عاقبته وخيمة.. وفي هذه العاقبة الوخيمة تحذيرٌ للمؤمنين من مجرد الميل أو التفكير في طاعة الكافرين.

٢٤٩٦- فيها: في قوله سبحانه: ﴿ يَرُدُّوكُمْ ﴾ أسند الفعل إلى الكفار، ونسبة هذا الفعل القبيح إليهم؛ تنبيهٌ على أن هذا ما يريدونه للمؤمنين حقاً، فهم لا يريدون لهم خيراً، وهذه حقيقة العلاقة بين المسلمين وأهل النفاق والكافرين.

٢٤٩٧- تفيد "تحذير المؤمنين من أن يخامرهم خاطر الدخول في صلح المشركين وأمانهم، لأن في ذلك إظهار الضعف أمامهم، والحاجة إليهم، فإذا مالوا إليهم استدرجوهم رويدا رويدا، بإظهار عدم كراهية دينهم المخالف لهم، حتى يردوهم عن دينهم لأنهم لن يرضوا عنهم حتى يرجعوا إلى ملتهم، فالرد على الأعقاب على هذا يحصل بالإخارة والمآل، وقد وقعت هذه العبرة في طاعة مسلمي الأندلس لطاغية الجلالقة ". [التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية [٤/ ١٢٢]].

٢٤٩٨- فيها إشارةٌ إلى أن كل خيرٍ في ملة الكفر ففي الإسلام ما يدل على إتيانه وما يغني عن دعوتهم للتحلي به. وفي ذلك إشارةٌ إلى كمال الإسلام وتمام النعمة به؛ فإنه لم يترك خيراً من أمر الدنيا أو الآخرة إلا وأمرنا به.. وما ترك شراً في الدنيا أو الدين إلا ونهانا عنه.. فلا نحتاج إلى طاعتهم في الأمر بالخير أو النهي عن الشر.

٢٤٩٩- تفيد أن طاعة الكفار والمنافقين والعلمانيين من أسباب الردة، والخسران المبين.

٢٥٠٠- تفيد أن من ارتد وانتكس فقد خسر خسراناً مبيناً؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

٢٥٠١- تفيد: ﴿ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾ سرعة الانقلاب بالخسارة.. وفيها أن الخسارة يمكن أن تكون دنيوية، مع الخسارة الأعظم في الآخرة. وتتفاوت خسارة العبد بحسب نسبة طاعته للذين

كفروا؛ فخسارةٌ مطلقةٌ مخلدةٌ في النار إن أفضت الطاعة إلى الكفر، وأقل خسارةٍ هي التي توجب نقصان الدرجة في الجنة؛ وكفى بها من خسارةٍ.

٢٥٠٢- تفيد أن الخسارة الحقيقية هي خسارة الدين الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين لأنه يترتب عليها:

- فقد معية الله ﷻ، وفقد محبته سبحانه وتعالى.
- خسارة النور والهدى الذي ينفع العباد في الدنيا ويوم المعاد.
- خسارة الطمأنينة والتوازن والاستقرار النفسي.
- خسارة التأسي بخير خلق الله ﷻ ومرافقته في جنة الخلد.
- خسارة الجنة دار الخلد؛ دار النعيم المقيم.

٢٥٠٣- تفيد أن كل انتكاسة في الدين مهما كان حجمها؛ إنما هي خسارةٌ.

٢٥٠٤- تفيد أن العزة بهذا الدين، والذلة بالاستعانة بأعدائه والركون إليهم.

٢٥٠٥- تفيد أن مكر الكافرين وكيدهم بالمؤمنين لا يتوقف على زمنٍ ولا ينتهي عند جيلٍ ولا يحده مكانٌ.

٢٥٠٦- تفيد أن التخلف والتأخر في مجاراة الكافرين، وأن التطور والتقدم في التمسك بالدين عقيدةً وسلوكاً.

٢٥٠٧- تفيد الترفع والبعد عن أطروحات الكافرين ومناهجهم وسياساتهم فكثرة تلقيها وفتح الباب لها؛ سبب الانتكاسات وحصول الهزائم النفسية والفكرية.

٢٥٠٨- لما كان النهي عن طاعة الكفار غير محددٍ بجيلٍ أو حقبةٍ زمنيةٍ معينةٍ؛ كان في الآية ردٌ على المفرّقين بين الكفار قديماً والكفار حديثاً.. بدعوى الانفتاح والعولمة الإعلامية التي أزالت الحواجز النفسية.. وجلّهم أو أكثرهم من دعاة التقريب بين الأديان.

٢٥٠٩- فيها تعليمٌ للمؤمنين أن يتجنبوا مقدمات طاعة الذين كفروا ومنها الإعجاب والقبول؛ وبذلك تتضح ضخامة المأساة التي يعيشها كثير من المسلمين والخطر العظيم الذي يحيط بهم من جراء نظرتهم الإيجابية جداً للغرب والانبهار الشديد بحضارتهم المادية وجعلهم مرجعاً ومصدراً يستمدون منه كل تقدم وحضارة ورقي!!؟؟

٢٥١٠- الآية تدعو إلى الاستقلالية في الفكر، والقوة في الشخصية، والوضوح في الهوية والاعتزاز بكل ما ينتمي للدين من مفردات؛ لأن ذلك هو الحصن والدرع الواقي من طاعة واتباع الذين كفروا.

ثَمَرَةُ الآيَةِ: الدِّلالَةُ عَلى أنَّ عَلى المؤْمِنِينَ أنْ لا يَنْزِلُوا عَلى حُكْمِ الكُفّارِ، ولا يُطِيعُوهم، ولا يَقْبَلُوا مَشُورَتَهم؛ خَشْيَةَ أنْ يَسْتَنْزِلُوهم عَنْ دِينِهِمْ.

قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:١٥٠].

٢٥١١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما كان التقدير: فلا تطيعوهم، إنهم ليسوا صالحين للولاية مطلقاً ما دمتم مؤمنين، عطف عليها: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾.

٢٥١٢- تفيد مع التي قبلها أن في تعقيب النهي بالإخبار بأن الله ﷻ مولانا ونصيرنا إشعارٌ بأن الطاعة يجب أن تكون للمولى والنصير لا للعدو.

٢٥١٣- تفيد مع التي قبلها أن أول الذين كفروا هو الشيطان فيدخل في المنهي عن طاعته، وفي المقابل الأمر بالطاعة المطلقة لله ﷻ؛ وفي ذلك اشارةٌ إلى أن زعيم حزب الكفار هو الشيطان، وأنه هو وأتباعه لا يتحقق بهم النصر الحقيقي، وأن طاعتهم مخزيةٌ ومن جعلهم أولياء خذلوه في أحلك المواقف، ومن ذلك خذلان إبليس لاتباعه في قوله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [إبراهيم:٢٢]، وفي الدنيا كما في قوله تعالى:﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال:٤٨].

٢٥١٤- تفيد مع ما قبلها أن الثبات على التوحيد والطاعة واتباع ما جاء به النبي الكريم ﷺ سببٌ لولاية الله ﷻ الذي يكرم أولياءه بتأييده وإعزازه ونصره.

٢٥١٥- تظهر بعض جوانب المناسبة بين الآيتين في ذكر خصائص وصفات حزب الله وحزب الشيطان الواردين بخواتيم سورة المجادلة؛ وبضدها تتميز الأشياء.

٢٥١٦- فيها إضرابٌ عن مفهوم الجملة السابقة: طاعة الكافرين وطلب ولايتهم، بل وليكم الله ﷻ؛ فطاعة الكافرين خسارٌ وبوارٌ، وفي طاعة الله فوزٌ وانتصارٌ.

٢٥١٧- فيها: الإضراب أشار إلى أهم أسباب طاعة المؤمنين للذين كفروا؛ وهو طلب ولايتهم ونصرتهم؛ وهذا يفضح المطيعين مهما ألبسوا طاعتهم ثوباً آخر.

٢٥١٨- فيها: الإضراب كذلك أدخل طاعة الكفار في مباحث العقيدة.. فهو ليس معصية في مقام الشريعة فقط.

٢٥١٩- في إضافة المولى إلى ضمير المخاطبة؛ طمأنةٌ للنفوس وشحذٌ للهمم؛ ببيان قرب المؤمنين الطائعين منه سبحانه وتعالى.

٢٥٢٠- تفيد إثبات الولاية لله ﷻ، وهي ولايةٌ خاصةٌ وعامةٌ، والمذكور في الآية هي الولاية الخاصة بالمؤمنين، وهناك ولايةٌ عامةٌ للمؤمنين والكفار كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ٦٢].

٢٥٢١- في قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ وليس [بل ربكم مولاكم] اسم ﴿ٱللَّهُ﴾ فيه تحذيرٌ وتخويفٌ لكل من يعادي ويحارب أولياء الله؛ مع تضمن معنى الربوبية في ولاية الله تعالى للمؤمن؛ وفي ذلك دقة وضع الاسم وحمل الآية للمعنيين معاً.

٢٥٢٢- تفيد أن من فقد ولاية الله القوي العزيز فقد التأييد والعزة؛ فهل تطلب الولاية من فاقدها؟!

٢٥٢٣- تفيد أن الذي يقاتل لينصر دين الله ﷻ لا يُغْلَب.

٢٥٢٤- تفيد وجود ناصرين من البشر، لكن أين هم من ولاية صاحب الأمر خير الناصرين؟!

٢٥٢٥- فيها إثبات امكانية نصر الكافرين للمؤمنين؛ لأن ﴿خَيۡرُ﴾ أثبتت نصرة الكافر وأعلت مقام نصرة الله ﷻ.. فهي اسم تفضيل؛ وفي ذلك تبريرٌ لبعض مواقف الكافرين مع المؤمنين في الماضي والحاضر؛ فالآية تنبه المؤمنين على أن لا ينخدعوا لموالاة الكفار ونصرتهم لهم؛ لأن ذلك قد يقود إلى طاعتهم لاحقاً.

٢٥٢٦- فيها بيان خيرية الناصر وخيرية كيفية نصره للمؤمنين؛ وفي ذلك جواز الجمع بين صفات الله تعالى وصفات المخلوقين حال التفضيل؛ وهي أوضح في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

٢٠٢٧- تفيد الاستغناء بالله العظيم عن المخلوقين المحتاجين مهما بلغت إمكاناتهم.

٢٠٢٨- فيها بشارةٌ للمؤمنين، وتثبيتٌ لقلوبهم.

٢٠٢٩- فيها: حسب المؤمن هذا اليقين لمضيه مطمئناً في مسيره إلى الله ﷻ فمتى كان الله مولاك وناصرك فحسبك الله، ومتى كان الله مولاك وناصرك فلا تخش سواه.

٢٠٣٠- تفيد أن نصر الله تعالى لعبده أكمل وأعظم نصرٍ؛ ولذلك قال: ﴿خَيۡرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾ إذ ليس ثمة مطلبٍ من الرب جل وعلا قبلي ولا بعدي لتحقيق النصر إلا الإيمان وتوابعه على عكس من يناصر لغاية ماديةٍ أو دنيويةٍ، ونصره تعالي تامٌ وإن ظهرت فيه الهزيمة؛ لأنه يحقق مبتغى المؤمن؛ ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

٢٠٣١- تفيد التلازم بين ولاية الله تعالى ونصره؛ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

٢٠٣٢- في حذف المتعلق [لكم] في خاتمة الآية إرادة التعميم؛ ليكون المعنى وهو خير الناصرين مطلقاً، لكم ولغيركم، ويدخل في ذلك مناصرة الله ﷻ للكتابي على الوثني، وكل من هو أعلى على من هو أدنى؛ فإنه لا تستطيع فئةٌ مهما قويت أن تنتصر على فئةٍ على وجه الأرض إلا بنصر الله لها؛ ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٢ - ٥]. وقد يكون في تخصيص الولاية للمؤمنين وتعميم النصرة إشارةٌ أو إلماحٌ إلى ظهور النصرة وكثرتها عموماً، وإلى أن الأولى أعم في الآخرة والثانية أعمّ في الدنيا.

٢٠٣٣- تفيد أن ولاية الله تعالى متحققةٌ للمؤمنين في كل وقتٍ، بخلاف النصر الذي يكون بينهم وبين الكفار، فقد يتخلف بتخلف الأسباب، وقد لا يحصل النصر في الدنيا للمؤمن الذي تولاه الله ﷻ، كما وقع لبعض الأنبياء الذين قتلوا على يد أعدائهم، ولهذا فإنه لا يتوهم من الآية تلازم ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين بنصرته لهم في الحال على أعدائهم من الكفار، بل قد يؤجل الله ﷻ هذا النصر إلى الوقت المناسب تمحيصاً لعباده، وتبصيراً لهم على أحوالهم السيئة، وليتخذ منهم شهداء، ولهذا فإن الله ﷻ لم يقل: [بل الله مولاكم فناصركم وهو خير الناصرين لكم]، بل أطلق الولاية وحذف المتعلق للإشارة إلى أنه قد يعطي النصر للكافر لحكمةٍ

يعلمها ﷻ، ويهزم جيش المؤمنين الذين تولّاهم لحكمةٍ يعلمها؛ وفي ذلك تهيئةٌ للمؤمنين لانتصار العدو عليهم أحياناً لحكمٍ جليلةٍ، وحتى لا يكون ذلك موقع تعجبٍ واستبعادٍ؛ وفي ذلك ايناسٌ للأمة في واقعها الأليم، ودعوةٌ للتفاؤل والأمل، ووعدٌ مبطنٌ بأن النصر آتٍ، ودعوةٌ لأولياء الله ﷻ في هذا العصر للنظر إلى الأسباب التي أدت بهم إلى ابتعاد نصر الله ﷻ عنهم، وانتصار الكفار عليهم، فإن الله خير الناصرين ولا يعطي نصره الا من استحقه.

٢٥٣٤- تفيد مكانة النصر وأهميته؛ بما يدفع لبذل الأسباب التي توصل إليه.

قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:١٥١].

٢٥٣٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق ذكر أنه ﷻ هو الولي وهو خير ناصرٍ لعباده المؤمنين؛ جاء في هذه الآية ذكر تحقيق وعده بالنصر.

٢٥٣٦- تفيد مع ما قبلها أن إلقاء الرعب في قلوب الأعداء من أكبر علامات النصر للمؤمنين.

٢٥٣٧- فيها: السين في ﴿سَنُلْقِي﴾ تفيد التنفيس، أي أنه لم يلق الرعب ساعة التكلم، وقد يفهم منها أن إلقاء الرعب قد لا يعقب الكفر مباشرة، وهذا من حلم الله ﷻ على عبيده، وقد يفهم منها أن القاء الرعب سيكون في الوقت المناسب ليتحقق نصر المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]، وقد تفيد الدلالة على المستقبل فقط. والله تعالى أعلم.

٢٥٣٨- يفيد ورود نون العظمة في قوله: ﴿سَنُلْقِي﴾ بشارةً ووعداً للمؤمنين الصادقين بالنصر والتمكين، كما أنها نذارةٌ ووعيدٌ للكافرين أعداء الملة والدين، كما تفيد بيان عظمة الله ﷻ.

٢٥٣٩- تفيد إثبات الأفعال الاختيارية لله ﷻ، وأن من كمال الله ﷻ تجدد أفعاله التي تكون تابعة لإرادته وحكمته، وفي هذا ردٌّ على الذين ينكرون قيام الأفعال الاختيارية بالله ﷻ.

٢٥٤٠- فيها: الفعل ﴿سَنُلْقِي﴾ يشير إلى حدوث الفعل وإلى قوته وعدم تدرجه؛ وهذا في حد ذاته عقوبةٌ أخرى مضافةٌ إلى الرعب؛ انظر إلى قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٦]، وقارن بين الإلقاء والإنزال. وكونه مضارعاً أفاد أن هذه سنةٌ ماضيةٌ إلى

يوم الدين؛ فيجب أن لا نتهيّب أعداء الله ﷻ من كانوا وأينما كانوا؛ فإنما شجاعتهم في أفواههم، وإنهم ليفرقون من الطفل المؤمن قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣].

٢٠٤١- تفيد أن محل الإرادة والتدبير للبدن هو القلب وليس الدماغ كما يدعيه بعضهم.

٢٠٤٢- تفيد أن الله ﷻ ينصر عباده بالرعب؛ كما قال النبي ﷺ: نصرت بالرعب مسيرة شهر.

٢٠٤٣- تفيد أن الاعتبار في السعادة والشقاء في الدنيا إنما هو بحال القلب وما امتلأ به، ولا دخل للأبدان في ذلك. وتلفت نظر المؤمنين إلى أهمية الاعتناء بالقلوب، وتفقّد محتواها لأنها محل جزاء الرب بالسكينة والأمن، أو الرعب والجزع.

٢٠٤٤- تفيد أن الله تعالى يؤيد عباده المتقين بجنودٍ لا يرونها.

٢٠٤٥- فيها إشارة إلى أن الله ﷻ يلبس عباده المؤمنين الصادقين الصالحين لباس الهيبة، ويلقي مهابتهم في قلوب أعدائهم؛ وإن ظهر للعيان أن المؤمن مستضعفٌ إلا أن مهابته يجدها أعداء الله ﷻ في قلوبهم.

٢٠٤٦- تفيد أن نتائج المعارك مع الكافرين لا ينبغي أن تقوم على حساباتٍ ماديةٍ فقط؛ بل هنالك جوانب معنوية حاسمة ينبغي النظر إليها.

٢٠٤٧- فيها أنه لما كان الرعب قرين الشرك وثمرته الملازمة له فإن الأمن الشامل والتام في التوحيد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]؛ فكمال التوحيد معه كمال الأمن.. وكمال الشرك معه كمال الرعب.. وبينهما منازل كثيرة متفاوتة.

٢٠٤٨- تفيد الإرشاد إلى العناية بتربية المحاربين خصوصاً على التوحيد الخالص لله ﷻ؛ فهو أساس الشجاعة والثبات. والعناية بالتربية عموماً على ذلك لأن الشجاعة والعزم والثبات والصبر ضروريٌ لجميع أفراد الأمة، ويتضمن الإرشاد إلى أن تكون برامج رفع الروح المعنوية في جيوش المسلمين معتمدة أصالةً على الإيمان بالله ﷻ وتوحيده.

٢٠٤٩- فيها: التعريف في ﴿الرُّعْبَ﴾ أفاد دخوله كله جنساً ونوعاً وقدراً.

٢٥٥٠- تفيد أن الشــــرك يورث القلب الخوف والجبن، وأن المشـــركين من أجبن الناس وإن امتلكوا أســباب القوة الظاهرة، كما أن التوحيد يورث القلب الطمأنينة والســكينة والشــجاعة والثبات، وتأن أهل الشرك يعيشون القلق والاضطراب والخوف والاضطرابات النفسية.

٢٥٥١- تفيد الإرشاد إلى العناية ببث الرعب في قلوب الكافرين المعتدين فهو من أهم أسباب النصـر. والإرشــاد إلى بناء برامج الحرب النفســية على جيوش الكافرين على اســتثمار شـركهم وانعدام إيمانهم.

٢٥٥٢- فيها أن الظلم يورث العبد الرعب، قد اعتلى قلبه بقدر جنايته على نفســـه وعلى غيره.

٢٥٥٣- تفيد أن جزاء العمل في الدنيا قد يكون معنوياً فقط للمحسن وللمسيء، وفي الآخرة يكون الجزاء حسياً ومعنوياً للفريقين؛ ولذلك قد يبدو أن المؤمن في سوء حالٍ مما يبدو من فقره وعوزه واضــطهاده وذله ولكنه في نعيمٍ قلبي، وقد يبدو أن الكافر في حســن حالٍ مما يظهر من غناه وعزه وصـــحته ورفاهيته ورغد عيشـــه، ولكنه في عذابٍ قلبي؛ والعاقل الفطن هو من لا ينخدع بالظواهر ولا يحكم بالمظاهر بل هو عميق النظر، وموضـــوعي التقييم لأنه ينهل من هدايات القرآن العظيم.

٢٥٥٤- تفيد إثبات الأسباب؛ لقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ﴾ لأن الباء هنا للسببية على قول أكثر أهل العلم.

٢٥٥٥- تفيد أن كل أشكال الشرك التي يقع فيها بنو آدم لا حجة عليها ولا برهان؛ إنما هي محض افتراءٍ، ومحادةٌ لله ورسوله.

٢٥٥٦- تفيد بياناً وإعلاناً لسفه المشـركين لكونهم أشـركوا بالله ما لم ينزل به سـلطاناً، لأنه لو كان لهم دليلٌ لعذروا، ولكن لا دليل لهم.

٢٥٥٧- تفيد أن الحجة المعتبرة هي التي أنزلها الله تعالى لعباده.

٢٥٥٨- تفيد بطلان كل دعوى ليس لصاحبها حجةٌ.

٢٥٥٩- تفيد أهمية الاســـتدلال على الأفعال الدينية، وتقرر أن كل عملٍ ليس عليه دليلٌ وبرهانٌ فإنه غير مشـروعٍ وجالبٌ لسـخط الرب تعالى؛ فالآية تصـلح دليلاً يناقش به أصـحاب البدع.

٢٥٦٠- تفيد إثبات صفة العلو للعلي الغفار.

٢٥٦١- تفيد إثبات الجزاء في الآخرة، والتخويف من النار فهي دار البوار.

٢٥٦٢- تفيد أن النار مخلوقةٌ معدةٌ، يأوي إليها كل من غادر الدنيا بكفره؛ وجاء ذكر المثوى بعد المأوى كنايةً عن مكثهم وخلودهم فيها.

٢٥٦٣- تفيد ذم النار وقبحها وفظاعة حال أهلها.

٢٥٦٤- تفيد أن كل كافرٍ ومشركٍ بالله مصيره ومأواه النار.

٢٥٦٥- يفيد سوء مأوى الكافرين التنفر عن الكفر من خلال خذلانهم في الدنيا وسوء مصيرهم الآخرة.

٢٥٦٦- تفيد سوء عاقبة الإشراك بالله ﷻ، وما يجره على الأمة من مصائب ومحن في الدارين.

٢٥٦٧- تفيد أن أظلم الظلم الشرك؛ لذا ذيّل الآية بمآل الظالمين.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

٢٥٦٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما كان وعده بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا، جاء في هذه الآية تأكيد تحقق نصره لعباده المؤمنين لما حققوا شرطه.

٢٥٦٩- تفيد دقة المناسبة فبعد أن وعد الله ﷻ بإلقاء الرعب في قلوب الأعداء، وحصل ذلك، قام المسلمون بما يجب عليهم من الإثخان وشدة القتل في المشركين.

٢٥٧٠- تفيد أن الله ﷻ لا يخلف الميعاد؛ وقد ورد هذا المعنى في آياتٍ كثيرةٍ؛ ليوقن المؤمن بوعد الله سبحانه وتعالى ونصره وحسن العاقبة للمؤمنين.

٢٥٧١- تفيد أن وعد الله ﷻ يتحقق حال تحقق شرطه، فإذا انتفى الشرط تخلف الوعد.

٢٥٧٢- تفيد الحث على قتل الكفار عند النصر عليهم: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾، ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤].

٢٥٧٣- تفيد أن قتل المؤمنين للكافرين لا يكون إلا بحكم الله ﷻ القدري، وعلمه، وإذنه.

٢٥٧٤- تفيد أنه لا يكون شيءٌ في هذا الكون إلا بإذن الله ﷻ؛ وهذا يزيد المؤمن تعلقاً بربه ورغبةً إليه.

٢٥٧٥- فيها تأكيدٌ على أن حقيقة النصر من الله تعالى، بعد عمل الأسباب.

٢٥٧٦- في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ﴾:

- ذمٌ للجبن والخور.
- ذمٌ لمخالفة أمر القائد ومعصيته.
- مدحٌ لطاعة أمر القائد في الميدان.
- مدحٌ للحكمة وحسن الرأي.

٢٥٧٧- تفيد أن الجبن في المعارك والتنازع والاختلاف من أعظم أسباب الفشل؛ حيث سمى الله ﷻ الجبن فشلاً.

٢٥٧٨- تفيد وجوب طاعة أمر القائد وهو من أعظم أسباب النصر، ومخالفته من أكبر أسباب الهزيمة.

٢٥٧٩- تفيد أن الاختلافات بين أفراد الأمة الواحدة يكون لها آثارها السيئة بذهاب هيبتها والحاق الهزائم بها.

٢٥٨٠- تفيد الحذر من رداءة الرأي ومن متابعة من لا يصلح للرأي والمشورة.

٢٥٨١- تفيد الحذر من الذنوب صغيرها قبل كبيرها، فإن المعصية تجر أختها؛ والمعصية في مواطن الجهاد ومقارعة الأعداء أشد خطورةً.. والآية صورت ذلك: الفشل، فالتنازع، فالمعصية.

٢٥٨٢- تفيد أن الذنوب والمعاصي سببٌ للبلاء والمحن.

٢٥٨٣- تفيد شناعة وقبح المعصية بعد التلذذ بحلاوة الطاعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ إذ كان يكفي أن يقول: ﴿وَعَصَيۡتُم﴾، ولكن عقب عليه بقوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾.

٢٥٨٤- تفيد أن رؤية العبد لبعض ما يحبه مما هو ناتجٌ من آثار الطاعة ينبغي ألَّا يصيبه بالغرور بل يتذكر نعمة الله ﷻ عليه ويستمر في الطاعة، ويستعيذ بالله من الحور بعد الكور.

٢٥٨٥- تفيد الحث على الإخلاص في الأعمال، وخصوصاً الجهاد؛ وقد قال رسول الله ﷺ: [من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله]. متفق عليه.

٢٥٨٦- تفيد إثبات الآخرة، والترغيب فيها، والحث على الأعمال العظيمة التي تنفع الإنسان في آخرته كالجهاد.

٢٥٨٧- تفيد أن ما نراه من أعمال ظاهرها إرادة الله والدار الآخرة قد يكون فيها ما هو خلاف ذلك، والقضية كلها: ما في القلب من نية مع الله ﴿ مَّن يُرِيدُ ﴾، وهي عمل القلب؛ فمقامك عند الله تعالى بما وقر في قلبك.

٢٥٨٨- تفيد الرد على الجبرية؛ لأنه أثبت للإنسان إرادةً يفعل بها.

٢٥٨٩- تفيد أن مخالفة أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ يكون من نتائجها الهزيمة والخذلان.

٢٥٩٠- تفيد أن الله ﷻ يبتلي العباد بإعطاء النعم وحرمانها.

٢٥٩١- تفيد أهمية الابتعاد عما يؤدي إلى الهزيمة بعد النصر، والضعف بعد القوة.

٢٥٩٢- تفيد أن محبة المال والظفر على الأعداء مسائل فطرية في كل الناس.

٢٥٩٣- تفيد أن النفوس مهما كانت على درجةٍ من التقوى والإيمان لا تخلوا من التعلق بالدنيا.

٢٥٩٤- تفيد أن حب الدنيا والتعلق بها سببٌ للبلايا والمصائب.

٢٥٩٥- تفيد أن الميل للدنيا بما فيها من غنائمٍ ومالٍ يؤدي لضعف الروح المعنوية للمقاتلين.

٢٥٩٦- تفيد تفضيل الآخرة وأهلها على الدنيا وأهلها، وعدم الانشغال عن الآخرة بزخرف الدنيا ومرغوباتها.

٢٥٩٧- تفيد أهمية الاستفادة من الأخطاء، وتحليل الأسباب والمسببات التي يقع فيها الأفراد والمؤسسات في الأمور العامة لتجنبها في المستقبل، فإن العاقل من يستفيد من أخطائه وأخطاء غيره، والمؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين، وليس من الغيبة البحث وكذا الحديث عمن كانوا السبب في هزيمة وفشل المسلمين في أي زمانٍ ومكانٍ، بل وينبغي للعلماء دراسة تلك الهزائم دراسة شاملة من كل النواحي، والتخطيط الجيد في المستقبل لتفاديها.

٢٥٩٨- تفيد إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى، لقوله: ﴿ لِيَبۡتَلِيَكُمۡ ﴾.

٢٥٩٩- تفيد صدق إيمانهم؛ إذ عجّل الله لهم الإعلام بالعفو لكيلا يدخل إلى نفوسهم الخوف والرهبة من غضب الله تعالى.

٢٦٠٠- تفيد أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ليسوا معصومين من الخطأ والمعصية، ولكن كانت لهم قدمٌ راسخةٌ في نصرة هذا الدين، ولهذا عفا الله عنهم، ونحن المتأخرون ماذا قدمنا لهذا الدين حتى نقع في صحابة رسول الله ﷺ ونطعن في بعضهم بسبب ما جرى بينهم.

٢٦٠١- تفيد بإشارةٍ أن العبد المطيع ينبغي ألَّا يحتقر العبد العاصي، فقد يحل عليه عفو الله تعالى بعد توبته من المعاصي.

٢٦٠٢- تفيد إثبات صفة العفو لله ﷻ؛ فهو عفوٌّ يحب العفو؛ وترشد إلى التوسل بها كما في الحديث: [اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني].

٢٦٠٣- فيها: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ إظهارٌ في مقام الإضمار؛ يؤخذ منه عظمة فضل الله تعالى على عباده المؤمنين.

٢٦٠٤- تفيد أن الله ذو فضلٍ على المؤمنين في الأحْوالِ كُلِّها، إمّا بِالنُّصْرَةِ وإمّا بِالِابْتِلاءِ، فَإنَّ الِابْتِلاءَ فَضْلٌ ولُطْفٌ خَفِيٌّ، لِيَتَمَرَّنُوا بِالصَّبْرِ عَلى الشَّدائِدِ، والثَّباتِ في المواطِنِ، ويَتَمَكَّنُوا في اليَقِينِ، ويَجْعَلُوهُ مَلَكَةً لَهم، ويَتَحَقَّقُوا أنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأنْفُسِهِمْ، ولا يَمِيلُوا إلى الدُّنْيا وزُخْرُفِها، ولا يَذْهَلُوا عَلى الحَقِّ، ولِيَكُونَ عُقُوبَةً عاجِلَةً لِلْبَعْضِ، فَيَتَمَحَّصُوا عَنْ ذُنُوبِهِمْ، ويَنالُوا دَرَجَةَ الشَّهادَةِ، فَيَلْقَوْا اللَّهَ طاهِرِينَ.

قال تعالى: ﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[آل عمران: ١٥٣].

٢٦٠٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡ﴾؛ جاءت هذه الآية تصور هذا الصرف والابتلاء الذي وقع.

٢٦٠٦- ومن المناسبات: لما سبق ذكر العفو عن المؤمنين لانصرافهم عن العدو، جاء بيان وتفصيل المعفو عنه.

٢٦٠٧- فيها مع التي قبلها: تأكيدٌ على عناية الله ﷻ بالمؤمنين، فبرغم الفرار وعدم إجابة القائد، إلا أن الغني الكريم سبحانه؛ غفر لهم وعفا عنهم.

٢٦٠٨- تفيد دقة التعبير وروعة التصوير؛ فقد صورت الآيات المشاهد بحيث يستحضرها القارئ، ومن ذلك تصوير شدة الهرب وسرعته، بلفظة: ﴿ تُصۡعِدُونَ ﴾ من الصعيد، وهي الأرض المستوية حيث إنها الأنسب للهرب.

٢٦٠٩- تفيد دقة تصوير القرآن لما حدث من المؤمنين، وفي ذلك تنفيرٌ من الفرار والتولي يوم الزحف.

٢٦١٠- تفيد التحذير من الخوف الذي يسلب من الإنسان الشعور بما يحصل حوله، فيفر مما يخافه لا يلوي على شيء.

٢٦١١- فيها إبرازٌ لفضل النبي الكريم ﷺ، والتأكيد على إقدامه وشجاعته، فهو في مقدمة الجيش حال الإقدام، وفي آخره حال الإحجام، فعلى الحالين هو ﷺ مقابل الأعداء.

٢٦١٢- فيها إظهارٌ لمزيد اللطف منه سبحانه بعباده المؤمنين، فها هم يخالفون أمر نبيهم ﷺ، ولم يلتفتوا لندائه، إلا أنه أبرز اللطف في عقابهم، فقال: ﴿ فَأَثَٰبَكُمۡ ﴾.

٢٦١٣- فيها التأكيد على لطفه ورحمته سبحانه حال العقاب؛ فإنه علل الغم الذي أصابهم جزاء لما تسببوا به من الغم لقائدهم حال فرارهم؛ علله بغاية العناية والرعاية، حيث جعل مشاعر الحزن على المخالفة والخزي من الفرار، تشغلهم عن الأسى والحزن على ما فاتهم من النصر والغنائم.

٢٦١٤- تفيد أن الجزاء من جنس العمل.

٢٦١٥- تفيد الإفادة من الدروس والاعتبار بالمواقف؛ فإن ما حصل كان تمريناً لهم على المصائب وتدريباً على احتمال الشدائد في مستقبل الأيام.

٢٦١٦- تفيد عدم التقهقر والرجوع عن الحق.

٢٦١٧- تفيد توطين النفس على الصبر والثبات في مقارعة الشيطان وأعوانه.

٢٦١٨- فيها إشارة للمربي لاستحضار معاني اللطف والرحمة حال تأديبه لمن يربيهم، وخصوصاً حال معاقبته لهم.

٢٦١٩- تفيد أن الملامة في التربية والتوجيه خيرٌ من التوبيخ.

٢٦٢٠- تفيد أن اشتمال العبد على الكمالات الإنسانية والدينية لا ينافي الوقوع في المخالفات والإخفاقات بحكم الفطرة وغلبة الضعف البشري.. وأن ذلك لا يسلبه محبة الله ولا

حفاوته به فقد علل ذكر الإثابة بالغم كي لا يحزنوا على ما فاتهم ولا ما أصـــابهم.. وهذا المبدأ الرباني في التعامل مع عباده قد يكون غائباً في تعاملات بعض المؤمنين مع إخفاقات إخوانهم.

٢٦٢١- تفيد أن الغموم قد تكون فرجاً؛ فلا تبتئس، وبعض الفقد قد يكون فرجاً فلا تبتئس.

٢٦٢٢- تفيد النهي عن الحزن على ما فات لأنه لا يفيد شـــيئا، وهذا في كل مصـــيبة، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٢ – ٢٣].

٢٦٢٣- تفيد أن معصية النبي ﷺ يعقبها الهم والغم.

٢٦٢٤- تفيد سعة علم الله جل وعلا وأن أعمال العباد لا تخفى عليه.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٢٦٢٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد ما أصابهم من الغم والهلع، جاءهم الأمن وغشيهم النعاس الذي يؤكد أمنهم واطمئنانهم ويقطع عنهم كل ألوان الألم.

٢٦٢٦- فيها: الأداة ﴿ثُمَّ﴾ أفادت البعد والتراخي في حصـــول الأمن؛ لتصـــوير ما للمقام من شدة ومعاناة.

٢٦٢٧- في قوله: ﴿أَنزَلَ﴾ دلالةٌ على أنه عطاءٌ من الله ومِنَّةٌ منه سبحانه.

٢٦٢٨- فيها دليلٌ على علو الله تعالى على خلقه.

٢٦٢٩- الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿عَلَيۡكُم﴾ إشارةٌ إلى تعظيم الأمن وتعظيم شأنه.

٢٦٣٠- تفيد أن من النعم العظيمة النوم الهانئ الناتج عن الشـــعور بالأمن الذي يعيشـــه المرء؛ ويشهد لذلك قوله ﷺ: "من بات آمنا في سربه...".

٢٦٣١- تفيد تكريم المؤمنين والعناية بهم بإنزال النعاس عليهم؛ لينقلهم من الخوف إلى الأمن.

٢٦٣٢- تفيد التعريض بأهل النفاق الذين لم ينتفعوا بالنعاس وبقوا يعانون الهم والغم.

٢٦٣٣- تفيد إهانة الله تعالى لأعدائه بحرمانهم مما أكرم به أولياءه وهم في مكان واحد.

٢٦٣٤- فيها: كانوا خائفين محتاجين إلى الأمن فقدم ﴿أَمَنَةً﴾ وفسرها بقوله: ﴿نُّعَاسًا﴾، وفي الأنفال كانوا محتاجين إلى الاستراحة فقدم النعاس: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال:١١].

٢٦٣٥- فيها: النعاس في القتال من الله. وفي الصلاة من الشيطان. كما قال ابن مسعود ﷺ. ويذم النعاس في حلق العلم أيضاً.

٢٦٣٦- تفيد أن النعاس يدل على الأمن.

٢٦٣٧- تفيد أن النوم والنعاس نعمة من الله تعالى لعباده تتحقق به مصالح عظيمة.

٢٦٣٨- تفيد أن الله تعالى ينصر عباده بما شاء وكيف شاء.

٢٦٣٩- تفيد أن الحياة لا تسير على وضع واحد، وبالصبر يتجاوز العبد المحن؛ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾.

٢٦٤٠- تفيد بيان حال أهل النفاق الذين أهمتهم أنفسهم، فباتوا يشكّون ويكذبون بوعد الله سبحانه وتعالى، ويظهرون خلاف ذلك.

٢٦٤١- فيها بيان حال المنافقين في كل زمانٍ ومكانٍ في أنهم يقدمون مصلحة أنفسهم على المصلحة العامة.

٢٦٤٢- تفيد ذم [الأنا] وتقديم الذات على أمر الجماعة والمصلحة العامة.

٢٦٤٣- تفيد أن الكبار من الناس لا يعيشون لهمِّ أنفسهم؛ بل يعيشون لهموم أمتهم ونصرة دينهم

٢٦٤٤- تفيد ذم الظن السيئ.

٢٦٤٥- تفيد الوعيد لصاحب الظن السيئ بالله سبحانه.

٢٦٤٦- تفيد تحريم سوء الظن بالله سبحانه وتعالى، وظن الجاهلية، وأنه من كبائر الذنوب ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

٢٦٤٧- تفيد أن من صفات المؤمن حسن الظن بربه، ومن صفات الكافر سوء الظن بالله تعالى.

٢٦٤٨- تفيد أن القول السيئ يصدر عن صاحب الظن السيئ، والقول الحسن يصدر عن صاحب الظن الحسن.

٢٦٤٩- تفيد بيان شؤم الانهماك باللذات والتهالك عليها على حساب المصالح الشرعية العليا؛ فإنه يورث التصورات الزائفة والظنون الباطلة وأعظمها الظن بالله تعالى ظن الجاهلية.

٢٦٥٠- تفيد أن المنافقين في كل زمانٍ ومكانٍ يجددون ما عليه أهل الباطل، حتى لو زخرفوه ونمقوه؛ فيبقى القرآن فاضحاً لهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

٢٦٥١- تفيد أنه لا يظن أحدٌ بالله ظناً غير الحق إلا وهو جاهل؛ ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.

٢٦٥٢- تفيد جبن المنافق وهلعه وحرصه على الدنيا وشكّه في وعد الله ﷻ.

٢٦٥٣- تفيد خبث المنافقين، وعدم وضوحهم، وصراحتهم، فهم يظهرون خلاف ما يبطنون.

٢٦٥٤- تفيد كراهية التلاوم في وقت الهزيمة؛ كقول البعض لم تأخذوا بمشورنا، لم تقبلوا رأينا، ونحوه

٢٦٥٥- تفيد التربية العظيمة على توحيد الله تعالى، وصدق العبودية له، والتسليم الكامل له؛ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾.

٢٦٥٦- تفيد أن الأمر كله لله ﷻ، سواء الأمر الشرعي والأمر الكوني، فليس لأحدٍ مع الله ﷻ أمر.

٢٦٥٧- تفيد أنه يجب على العالم أن ينكر القول المنكر بذكر القول الحق، لأن الله تعالى قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾.

٢٦٥٨- تفيد أن أمور الخلائق كلها إلى الله ﷻ، وفي ذلك توجيهٌ إلى التعلق به سبحانه، وعدم الرغبة إلى غيره، والرهبة من غيره جل وعلا.

٢٦٥٩- تفيد التسليم لأمر الله ﷻ، والاطمئنان لحكمته وتدبيره.

٢٦٦٠- تفيد أن الرسول ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله ﷻ عليه ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ وفي ذلك ردٌ على كل مدعي علم الغيب من الكهان والدجالين.

٢٦٦١- تفيد أن الغم والأمن فتنةٌ وابتلاءٌ؛ ليميز أهل الإخلاص من أهل النفاق.

٢٦٦٢- تفيد أن الموت حقٌ، وأجلٌ محتومٌ سواء أكان المرء في ساحة القتال أو منعَّماً في فراشه.

٢٦٦٣- تفيد تحفيز العبد المؤمن على الثبات في ساحة الجهاد، وعدم الخوف من الموت الذي يأتي في حينه، والعبد المؤمن الكَيِّس يختار الموت في سبيل الله في ميدان العزة والكرامة.

٢٦٦٤- تفيد الحث على الاســتعداد للموت؛ فالأجل يأتي بغتةً، وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت

٢٦٦٥- تفيد إثبات القضاء والقدر، وأن من كُتب موته في مكان لابد أن يموت فيه.

٢٦٦٦- تفيد إثبات مرتبةٍ من مراتب الإيمان بالقدر وهي مرتبة الكتابة لقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ﴾، فقد كتب الله تعالى كل شيءٍ في اللوح المحفوظ.

٢٦٦٧- تفيد الحث على التسـليم لقضـاء الله ﷻ وقدره، وعدم التحسـر على ما فات كحال المنافقين في الآية.

٢٦٦٨- تفيد التنديد والإنكار بمن يعترضون على القدر.

٢٦٦٩- تفيد أن [لو] تفتح عمل الشيطان.

٢٦٧٠- تفيد أن الأمور كلها تجري بتقدير الله تعالى وتدبيره، ولا يكون في الكون إلا ما قدره وشاءه؛ فليطمئن المؤمن لما يقع من أحداثٍ فإن من ورائها ربٌ عليمٌ حكيمٌ.

٢٦٧١- تفيد إثبات الحكمة في أفعال الله تعالى؛ لقوله: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾.

٢٦٧٢- تفيد أن الله تعالى يختبر قلوب العباد ويمتحنهم بما يمر عليهم من محنٍ ومصـــائب ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾ وهي القلوب؛ فإذا نجحت في الامتحان الأول نقلها للامتحان الثاني ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ بتنقيتها، فالابتلاء كان للقلب، والتمحيص كان تنقية لما في القلب.

٢٦٧٣- تفيد أن الابتلاءات تنقي القلوب من كثيرٍ من الأمراض.

٢٦٧٤- تفيد أن أعمال القلوب أعظم من أعمال الجوارح.

٢٦٧٥- تفيد أن الثواب والعقاب بحسب النية.

٢٦٧٦- تفيد الحث على الصدق في التعامل مع الله ﷻ، وأن يصلح الإنسان سريرته فتكون خيراً من علانيته؛ فإن الله عليمٌ بذات الصدور.

٢٦٧٧- تفيد سعة علم الرب جل وعلا فلا تخفى عليه وساوس صدور العباد ولا خواطرهم: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

٢٦٧٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق ذكر سعة علمه ومن ذلك ما أخفوه ولم يبدوه، جاء في هذه الآية ذكر ما كان منهم وما وقع عليهم يوم أحد.

٢٦٧٩- تفيد التنبيه على كيد الشيطان الذي يستدرج المؤمنين للوقوع في العثرات والزلات.

٢٦٨٠- تفيد التحذير من مكائد الشيطان وخطواته.

٢٦٨١- تفيد أن العلم بمداخل الشيطان يحمي من التعثر والزلل.

٢٦٨٢- تفيد أن الشيطان يوظِّف مرغوبات بني آدم وشهواتهم في استدراجهم نحو المعصية.

٢٦٨٣- تفيد أن الذنوب والمعاصي مدخلٌ عظيمٌ من مداخل الشيطان.

٢٦٨٤- تفيد أن الشيطان يعجِّل للإنسان الوقوع في الخطأ بسبب ذنب ارتكبه.

٢٦٨٥- تفيد التأكيد على أن المعصية تجر أختها.

٢٦٨٦- تفيد أن تلبس المؤمنين بالمعاصي هزيمةٌ أمام الشيطان وأعوانه؛ تفضي إلى الهزيمة في القتال ومجالدة الأعداء؛ ومن كان أصبر على الطاعة، كان أصبر على قتال الكفار.

٢٦٨٧- تفيد أن المعاصي لا تنسب لله ﷻ؛ والدليل أنه سبحانه نسبها للشيطان.

٢٦٨٨- تفيد سعي الشيطان الدائم لاستزلال العبد وحرفه عن الهداية والخير، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

٢٦٨٩- فيها: لفظة ﴿بِبَعۡضِ﴾ الباء: إما أن تكون للإلصاق، وعليه يكون المعنى: أنه صدرت منهم جنايات فاستزلهم الشيطان، وإما أن تكون الباء للتبعيض، وعليه يكون المعنى: أن الزلة وقعت لهم في بعض أعمالهم، وكلاهما وارد.

٢٦٩٠- تفيد أن الشيطان تسلط عليهم ببعض ذنوبهم؛ فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي، لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثُمَّ أَخْبَرَ ﷻ عَنْ تَوَلِّي مَن تَوَلّى مِنَ المُؤْمِنِينَ الصّادِقِينَ في ذَلِكَ اليَوْمِ وأنَّهُ بِسَبَبِ كَسْبِهِمْ وذُنُوبِهِمْ، فاسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِتِلْكَ الأعْمالِ حَتّى تَوَلَّوْا، فَكانَتْ أعْمالُهم جُنْدًا عَلَيْهِمُ ازْدادَ بِها عَدُوُّهم قُوَّةً، فَإنَّ الأعْمالَ جُنْدٌ لِلْعَبْدِ وجُنْدٌ عَلَيْهِ ولا بُدَّ، فَلِلْعَبْدِ كُلَّ وقْتٍ سَرِيَّةٌ مِن نَفْسِهِ تَهْزِمُهُ أوْ تَنْصُرُهُ، فهو يَمُدُّ عَدُوَّهُ بِأعْمالِهِ مِن حَيْثُ يَظُنُّ أنَّهُ يُقاتِلُهُ بِها، ويَبْعَثُ إلَيْهِ سَرِيَّةً تَغْزُوهُ مَعَ عَدُوِّهِ مِن حَيْثُ يَظُنُّ أنَّهُ يَغْزُو عَدُوَّهُ، فَأعْمالُ العَبْدِ تَسُوقُهُ قَسْرًا إلى مُقْتَضاها مِنَ الخَيْرِ والشَّرِّ، والعَبْدُ لا يَشْعُرُ أوْ يَشْعُرُ ويَتَعامى، فَفِرارُ الإنْسانِ مِن عَدُوِّهِ وهو

يُطِيقُهُ إنّما هو بِجُنْدٍ مِن عَمَلِهِ بَعَثَهُ لَهُ الشَّيْطانُ واسْتَزَلَّهُ بِهِ. ثُمَّ أخْبَرَ سُبْحانَهُ أنَّهُ عَفا عَنْهُمْ، لِأنَّ هَذا الفِرارَ لَمْ يَكُنْ عَنْ نِفاقٍ ولا شَكٍّ، وإنَّما كانَ عارِضًا عَفا اللَّهُ عَنْهُ فَعادَتْ شَجاعَةُ الإيمانِ وثَباتُهُ إلى مَرْكَزِها ونِصابِها.

٢٦٩١- تفيد أن العبد كما يتحصن من الشيطان بالاستعاذة والذكر، كذلك يتحصن منه بالطاعة والبعد عن المعصية.

٢٦٩٢- تفيد عداوة الشيطان لبني آدم.

٢٦٩٣- تفيد الرد على الجبرية؛ لأنه ذكر أن المعاصي من كسبهم وفعلهم.

٢٦٩٤- تفيد تحريم الفرار من الزحف؛ فلو لم يكونوا يستحقون العقوبة ما جاء ذكر العفو.

٢٦٩٥- تفيد أن الوقوع في الكبائر لا تخرج العبد عن ولاية الله تعالى ورحمته.

٢٦٩٦- تفيد النهي عن الطعن في هؤلاء؛ لأن الله ﷻ عفا عنهم.

٢٦٩٧- تفيد سعة رحمة الله ﷻ وحلمه لكل من أذنب فلا يقنط.

٢٦٩٨- تفيد إثبات صفات العفو والمغفرة والحلم لله ﷻ، وتوجه العباد إلى طلب عفوه ومغفرته.

٢٦٩٩- تفيد إثبات ثلاثةٍ من أسماء الله الحسنى وهي: العفو والغفور والحليم.

٢٧٠٠- تفيد إرشاد العباد إلى التوسل بهذه الأسماء الحسنى والصفات العلى.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [آل عمران:١٥٦].

٢٧٠١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق ذكر المنافقين وما دعوا إليه، جاء تحذير المؤمنين منهم والتأكيد على عدم متابعتهم ومشابهتهم حتى لا يصيبهم ما سيصيبهم.

٢٧٠٢- فيها التودد للمؤمنين، والتلطف بهم بالموعظة والأمر والنهي.

٢٧٠٣- تفيد الحث على الامتثال والترغيب في الانقياد لما دلت عليه الآية؛ لأنها مصدَّرةٌ بالنداء لأهل الإيمان.

٢٧٠٤- فيها دليلٌ على النهي عن التشبه بالكفار والمنافقين في كل شيء، وخاصة في معتقداتهم.

٢٧٠٥- تفيد التحذير من المنافقين، وطاعتهم، والسير في ركبهم.

٢٧٠٦- تفيد جواز إطلاق الأخوة على الاتفاق في النسب والاتفاق في الجنس.

٢٧٠٧- تفيد مدح السفر بقصد العلم والتجارة وغير ذلك من المنافع المستحبة والمشروعة.

٢٧٠٨- تفيد أن ذكر السفر مع الجهاد دليلٌ على فضله؛ للاقتران.

٢٧٠٩- تفيد أن التنافس الحقيقي في من ينال الشرف عند الله ﷻ بموته في سبيله.

٢٧١٠- تفيد فضل الموت في ساحات الجهاد، ونيل الشهادة في سبيل الله ﷻ.

٢٧١١- تفيد تربية المسلم على الشجاعة والإقدام لأن الموت والحياة بيد الله وحده.

٢٧١٢- تفيد أنه لا يغني حذرٌ من قدرٍ. وأن الموت الذي يفر الناس منه لابد ملاقيهم.

٢٧١٣- تفيد أن الإكثار من [لو] و[ليت] تورث الوحشة في القلب، وازدراء عطايا الرب.

٢٧١٤- تفيد النهي عن كلمة [لو]؛ التي تفتح عمل الشيطان.

٢٧١٥- تفيد أن حسن الظن بالله سبحانه وتعالى يتحقق بقدر الإيمان فيزيد بزيادته وينقص بنقصه؛ فمن سخط فله السخط ومن رضي فله الرضا، وإنما يتحسر على أقدار الله ضعيف الإيمان؛ فلا تجزع من موت من تُحِب فإنما من أحياه ثم أماته هو الله سبحانه وتعالى.

٢٧١٦- تفيد أن الأسباب لا تمنع الأقدار.

٢٧١٧- تفيد أن الشدائد تُظْهِر الحقائق.

٢٧١٨- تفيد أن الاعتراض على القدر من علامات النفاق الاعتقادي.

٢٧١٩- تفيد إثبات الجعل لله سبحانه وتعالى وهو من الصفات الفعلية لله سبحانه وتعالى لأنه يتعلق بمشيئته، وينقسم إلى قسمين: جعلٌ كوني، وجعلٌ شرعيٌ.

٢٧٢٠- تفيد أن الجزاء من جنس العمل؛ فلما جعلوا القلوب محل المعتقد الفاسد، نزلت فيها العقوبة، فأصابها الهم والغم والحسرة.

٢٧٢١- تفيد أن الإيمان بالقضاء والقدر يورث الرضا والطمأنينة.. والاعتراض عليهما يورث الحسرة والندامة والتعاسة.

٢٧٢٢- تفيد أهمية تربية الأفراد والمجتمعات على عقيدة التوكل على الله ﷻ، وعلى الإيمان بالقدر خيره وشره؛ ليتمكنوا من مواجهة ما يقع للمسلمين بصبرٍ وعزيمةٍ، مع السعي الحثيث في إيجاد الحلول الناجعة.

٢٧٢٣- تفيد أن الخير والشر مقدران من الله عز وجل.

٢٧٢٤- تفيد النهي عن الندم فيما يقع من أمور جرى بها القدر، وأن الندم في ذلك يورث الحسرة والحزن والضعف.

٢٧٢٥- تفيد أن أهل النفاق والفساد يصيبهم الغم في حال عدم استجابة المؤمنين لدعواهم.

٢٧٢٦- تفيد تجنب سماع أقوال الكفار والمشركين والمنافقين وسائر أهل الأهواء الذين يثيرون الشبهات ويشككون في ثوابت الدين.

٢٧٢٧- تفيد أن المقالات الفاسدة ناشئةٌ عن الاعتقادات الفاسدة.

٢٧٢٨- تفيد أن أعمال أهل الكفر عاقبتها حسرةٌ وندامةٌ.

٢٧٢٩- تفيد كراهية الكفار للموت والقتال، وحرصهم على الحياة والسلامة.

٢٧٣٠- تفيد أن الموت والحياة بيد الله ﷻ، وفي هذا ردٌ عليهم.

٢٧٣١- تفيد التذكير برقابة الله سبحانه وتعالى الشاملة.

٢٧٣٢- يفيد تكرار لفظ الجلالة ثلاث مرات في آخر الآية، والإظهار في مقام الإضمار: التشديد في الوعيد على الكافرين. ويؤخذ هذا التشديد أيضاً من تذييل الآية بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

٢٧٣٣- تفيد تربية المسلم على مراقبة الله ﷻ، وخشيته؛ لأن الله سبحانه وتعالى بصيرٌ بأعمال العباد لا يخفى عليه شيء.

٢٧٣٤- تفيد إثبات صفة البصر لله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

٢٧٣٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق التحذير من متابعة المنافقين وطاعتهم في صدهم عن الجهاد والسفر المستحب، جاء في هذه الآية بيان فضل القتل والموت في سبيل الله ﷻ.

٢٧٣٦- تفيد دقة المناسبة بين هذه الآية وما سبقها؛ لأنه لَمّا نَهاهم عَنْ قَوْلِ المنافِقِينَ الدّائِرِ عَلى تَمَنِّي المحالِ مِن دَوامِ البَقاءِ؛ وكَراهَةِ الموْتِ؛ بَيَّنَ لَهم ثَمَرَةَ فَواتِ أنْفُسِهِمْ في الجِهادِ؛ بِالموْتِ؛

أوِ القَتْلِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ مُبْعِدًا لَهم مِمّا قالَ المنافِقُونَ؛ مُوجِبًا لِتَسْــلِيمِ الأمْرِ لِلْخالِقِ؛ بَلْ مُحَبِّبًا فِيهِ؛ وداعِيًا إلَيْهِ.

٢٧٣٧- تفيد أهمية التســلية ورفع الهمم وقت وقوع المصــائب لأن هذه الآيات نزلت تســليةً للمؤمنين بعد ما أصابهم يوم أحدٍ حتى تبقى روحهم المعنوية قوية ومستمرة على الجهاد في سبيل الله.

٢٧٣٨- تفيد أن القتل في ســـبيل الله أو الموت فيه، ليس فيه نقصٌ ولا محذورٌ، وإنما هو مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون؛ لأنه سببٌ موصلٌ إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم.

٢٧٣٩- تشـير إلى تعدد أشـكال الموت في سـبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، كأعمال البر والخير التي يحبها الله سبحانه.

٢٧٤٠- فيها: إذا مات المرء وهو في طلب العلم فهو في سبيل الله بشرط صحة النية، وكذلك من مات وهو مهاجر، أو غريب، أو مسافر سفر طاعةٍ كالسفر للدعوة أو التعليم.

٢٧٤١- تفيد أن ما يحذر البعض ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله ليس مما ينبغي أن يحذر بل مما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون.

٢٧٤٢- تفيد تقديم الآخرة على الدنيا والانشغال بما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الرحمة والخير العظيم.

٢٧٤٣- تفيد التأكيد على فضل الجهاد في سبيل الله وموت العبد على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ.

٢٧٤٤- تفيد أهمية الإخلاص في قبول الأعمال ورفع الدرجات.

٢٧٤٥- تفيد تكريم المؤمنين وبيان فضـلهم، وتعريض بالكافرين أنهم أهل دنيا حريصـون عليها وعلى جمع حطامها.

٢٧٤٦- تفيد التوجيه للحرص على طلب المغفرة من الله سبحانه.

٢٧٤٧- فيها: قدمت المغفرة على الرحمة؛ فالمغفرة تعني ســتر الذنوب بحيث لا يراها الخلق ولا يراها العبد المذنب نفســه مع أنها مثبتةٌ في صـحيفة الأعمال، والرحمة أوسـع من ذلك لأن من رَحِمَه الله فقد وجبت له الجنة.

٢٧٤٨- تفيد أن أعظم ثواب يناله العبد أن يجمع الله عَزَّ وَجَلَّ له بين المغفرة التي يزول بها المكروه، والرحمة التي يتحقق بها المطلوب.

٢٧٤٩- في التعبير بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿ يَجۡمَعُونَ ﴾ دليلٌ على أن الشهادة في سبيل الله خير من الاستمرار في جمع أهل الدنيا للدنيا.

٢٧٥٠- تفيد التزهيد في الدنيا وأن الجهاد في سبيل الله ﷻ خيرٌ مما يجمع الناس من حطامها الزائل، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: " لغدوةٌ في سبيل الله أو روحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها".

٢٧٥١- تفيد إثبات صفة المغفرة والرحمة لله سبحانه، وأن الجهاد والموت في سبيل الله من أسباب نيل هذه المغفرة والرحمة.

٢٧٥٢- تفيد أن رحمة الله ومغفرته خير من نعيم الدنيا، وذلك من وجوه:

- أحدها: أن من يطلب المال فهو في تعبٍ من ذلك الطلب في الحال، ولعله لا ينتفع به غداً لأنه يموت قبل الغد وأما طلب الرحمة والمغفرة فإنه لا بد وأن ينتفع به لأن الله لا يخلف وعده، وقد قال: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧].

- ثانيها: هب أنه بقي إلى الغد لكن لعل ذلك المال لا يبقى إلى الغد، فكم من إنسانٍ أصبح أميراً وأمسى أسيراً، وخيرات الآخرة لا تزول لقوله: ﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [مريم: ٧٦]، ولقوله: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ ﴾ [النحل: ٩٦].

- ثالثها: بتقدير أن يبقى إلى الغد ويبقى المال إلى الغد، لكن لعله يحدث حادثٌ يمنعك عن الانتفاع به مثل مرضٍ وألمٍ وغيرهما، ومنافع الآخرة ليست كذلك.

- ورابعها: بتقدير أنه في الغد يمكنك الانتفاع بذلك المال، ولكن لذات الدنيا مشوبةٌ بالآلام ومنافعها مخلوطةٌ بالمضار، وذلك مما لا يخفى، وأما منافع الآخرة فليست كذلك.

- خامسها: هب أن تلك المنافع تحصل في الغد خالصةً عن الشوائب ولكنها لا تدوم ولا تستمر، بل تنقطع وتفنى، وكلما كانت اللذة أقوى وأكمل، كان التأسف والتحسر عند فواتها أشد وأعظم، ومنافع الآخرة مصونةٌ عن الانقطاع والزوال.

- سادسها: أن منافع الدنيا حسيةٌ ومنافع الآخرة عقليةٌ، والحسية خسيسةٌ، والعقلية شريفةٌ، فهذه المعاقد الستة تنبهك على ما لا نهاية لها من الوجوه الدالة على صحة قوله ﷻ: ﴿ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران:١٥٨].

٢٧٥٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلَمّا ذَكَرَ أشْرَفَ المَوْتِ، بادِئًا بِأشْرَفِهِ، ذَكَرَ ما دُونَهُ، بادِئًا بِأدْناهُ، فَقالَ: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾، أيْ: في أيِّ وجْهٍ كانَ، عَلى حَسَبِ ما قُدِّرَ عَلَيْكم في الأزَلِ، ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾، أيْ: الَّذِي هو مُتَوَفِّيكُمْ، لا غَيْرُهُ، وهو ذُو الجَلالِ والإكْرامِ، الَّذِي يَنْبَغِي أنْ يُعْبَدَ لِذاتِهِ، ودَلَّ عَلى عَظَمَتِهِ، بَعْدَ الدَّلالَةِ بِالِاسْمِ الأعْظَمِ، بِالبِناءِ لِلْمَجْهُولِ، فَقالَ: ﴿تُحْشَرُونَ﴾، فَإنْ كانَ ذَلِكَ المَوْتُ، أوِ القَتْلُ عَلى طاعَتِهِ، أثابَكُمْ، وإلّا عاقَبَكُمْ، والحاصِلُ أنَّهُ لا حِيلَةَ في دَفْعِ المَوْتِ عَلى حالَةٍ مِنَ الحالاتِ، قَتْلٍ، أوْ غَيْرِهِ، ولا في الحَشْرِ إلَيْهِ ﷻ، وأمّا الخَلاصُ مِن هَوْلِ ذَلِكَ اليَوْمِ، فَفِيهِ حِيلَةٌ بِالطّاعَةِ؛ واللَّهُ ﷻ المُوَفِّقُ. ذكره البقاعي، وأيضاً في مناسبة تقديم القتل في الأولى لأنها جاءت في المقاتلين، حيث يكون لقاء الله ﷻ بسبب القتل أكثر من غيره من الأسباب. وفي هذه الآية قدم الموت على القتل لأنها جاءت في ذكر مصير العباد وأن مرجعهم إلى الله ﷻ، حيث يكون مرجعهم الأغلب بالموت لا بالقتل.

٢٧٥٤- فيها مع ما قبلها ترغيبٌ في الجهاد والقتل في سبيل الله ﷻ؛ فهو أعلى منزلة وأعظم مكرمة عند الله ﷻ، أو الموت على طاعة الله جل وعلا.

٢٧٥٥- تفيد أن الذي يجعل موقف المؤمنين أقوى وأصلب سواء في حال النصر أو الهزيمة هو يقينهم التام بأن المرد إلى الله ﷻ والحشر إليه، وعلمهم بأن مقامهم في هذه الدنيا بعد النصر ليس إلا مسألة وقتٍ، وهنا تظهر للمتأمل والمتدبر مناسبة تقديم الموت على القتل في هذه الآية الكريمة.

٢٧٥٦- فيها دلالةٌ على أن الأجل واحدٌ بالموت أو بالقتل.

٢٧٥٧- تفيد أنه على أي حالٍ كان الموت ولأي سببٍ فإلى الله المصير، وإلى لقائه جميع الخلق صائرون؛ فالكيس من أعد للقاء الملك الديان.

٢٧٥٨- فيها وعيدٌ ونذارةٌ، ولذلك ناسب ورود اسم الجلالة لما فيه من المهابة والعظمة.

٢٧٥٩- إثبات الحشر والمعاد إثباتًا مؤكداً بالقسم في أول الآية، وبتقديم ﴿ لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ على ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في آخر الآية.

٢٧٦٠- فيها تشنيعٌ على من صرفوا العبادة لغير الله ﷻ؛ بأنكم ستحشرون إلى المعبود الحق لا إلى غيره ممن تعبدونهم.

٢٧٦١- تفيد أن الدنيا مؤقتةٌ ولها نهايةٌ.

٢٧٦٢- تفيد أن مصير جميع الخلق إليه، فيجازي كل صنفٍ ممن سبق وغيرهم بعمله.

٢٧٦٣- تفيد وعظاً بليغاً للمؤمنين في قوله: ﴿ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾، وَعَظَهُمُ اللَّهُ ﷻ بِهَذَا الْقَوْلِ، أَيْ لَا تَفِرُّوا مِنَ الْقِتَالِ وَمِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ، بَلْ فِرُّوا مِنْ عِقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، فَإِنَّ مَرَدَّكُمْ إِلَيْهِ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ أَحَدٌ ضَرًّا وَلَا نفعاً غيره.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: ١٥٩].

٢٧٦٤- تفيد دقة المناسبة بما يظهر مكانة وقدر نبينا الكريم الممدوح بالخلق العظيم ﷺ؛ فحتى في أحلك الظروف التي تستوجب الغلظة كانت الرحمة واللين خلقه؛ حيث خالفوا أمره، ثُمَّ خِذْلانِهِمْ لَهُ، وتَقْدِيمِ أَنْفُسِهِمْ عَلى نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ، ثُمَّ عَدَمِ العَطْفِ عَلَيْهِ وهو يَدْعُوهم إلَيْهِ، ويَأْمُرُ بِإقْبالِهِمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اتِّهامِ مَنِ اتَّهَمَه، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الَّتِي تُوجِبُ لِرُؤَساءِ الجُيُوشِ، وقادَةِ الجُنُودِ، اتِّهامَ أتْباعِهِمْ، وسُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ، الموجِبَ لِلْغَضَبِ والإيقاعِ بِبَعْضِهِمْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ زاجِرًا لَهم عَنِ العَوْدِ إلى مِثْلِهِ.. فما أجمل خُلق نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٢٧٦٥- ومن المناسبات: لما سبق ذكر مخالفتهم لأمره، وعدم إجابة ندائه، واستماعهم لقول المرجفين وتوليهم عنه، جاء في هذه الآية تذكيره بطبيعته الرحيمة لحثه على العفو عنهم وعدم الالتفات إلى السيء من أعمالهم.

٢٧٦٦- تفيد أن حسن الخلق رحمةٌ من الله ﷻ يهبها لمن شاء من عباده.

٢٧٦٧- تفيد سعة رحمة الله تعالى، فرحمة النبي ﷺ، بل رحمة الخلق من رحمته وفضله.

٢٧٦٨- تفيد حسن رعاية الله تعالى لرسوله ﷺ، وفضل إحسانه عليه وكذلك يجزي المحسنين.

٢٧٦٩- تفيد أن القائد الحكيم لا يكثر من لوم جنده على أخطائهم الماضية، لأن كثرة اللوم والتعنيف قد تولد اليأس، وإنما يلتفت إلى الماضي ليأخذ منه العبرة والعظة لحاضره ومستقبله، ويغرس في نفوس الذين معه ما يحفز همتهم ويشحذ عزيمتهم ويجعلهم ينظرون إلى حاضرهم ومستقبلهم بثقةٍ واطمئنانٍ وبصيرةٍ مستنيرة.

٢٧٧٠- تفيد أن النبي ﷺ لم يكن فظاً ولا غليظ القلب بل كان رحيماً بمن معه من المؤمنين فهي أثبتت له الرحمة واللين ونفت عنه الشدة والغلظة؛ ولذلك التف أصحابه من حوله يفتدونه بأرواحهم وبكل مرتخصٍ وغالٍ، ويحبونه حباً يفوق حبهم لأنفسهم ولأولادهم ولآبائهم.

٢٧٧١- تفيد تعزيز الخلق الطيب في صاحبه، وذلك بالثناء عليه ومدحه فيه.

٢٧٧٢- تفيد أن الله تعالى إذا أراد بأمةٍ خيراً جعل عليهم قائداً رحيماً؛ لأن المعنى: برحمة الله لك ولأصحابك، منّ الله عليك أن ألِنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك.

٢٧٧٣- تفيد ما يترتب من عواقب وخيمةٍ عند تخلف خلق الرحمة من قلب القائد والداعية والمعلم والمربي، ولذا قال الحكماء: الداعية يحتاج لجناحين يطير بهما في الناس: العلم والرحمة؛ كما قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

٢٧٧٤- تفيد أن الأخلاق الحسنة من الداعية والقائد تجذب الناس إلى دين الله ﷻ، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم ﷺ يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟!

٢٧٧٥- تفيد الحث على الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به ﷺ، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله ﷻ، وجذباً لعباد الله إلى دين الله ﷻ، لأن الله تعالى بين هنا ثمرة أخلاقه ﷺ.

٢٧٧٦- تفيد أن النفوس الكبيرة دائماً متميزةٌ في أخلاقها، ورقي تعاملها مع الآخرين.

٢٧٧٧- تفيد أن اصطفاء الله تعالى لرسوله ﷺ كان بمقوماتٍ دقيقةٍ، ثم كمله تعالى بما يؤهله لأداء رسالته؛ مما يتطلب توفر الكفاءة الوظيفية لكل من يرجى منه مهمة كبيرة في الأمة.

٢٧٧٨- تفيد أن رقة القلب والتلطف علامة خيرٍ، وصفة جمالٍ اتصف بها إمام المرسلين.

٢٧٧٩- تفيد أن من أخلاق الداعية التي تجمع الناس حوله وتكون سبباً في سماع نصحه: الرحمة والرفق واللين؛ فسيد الدعاة ﷺ كان كذلك.

٢٧٨٠- تفيد أن الفظاظة والغلظة في الدعوة من أسباب تمسك أهل الضلال بضلالهم؛ فكم من داعيةٍ كان فتنةً للضالين.

٢٧٨١- تفيد ذم الشَّرَاسَة وَالْخُشُونَة فِي الْمُعَاشَرَةِ، وَهِيَ الْقَسْوَةُ وَالْغِلْظَةُ، وَهُمَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُنَفِّرَةِ لِلنَّاسِ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى مُعَاشَرَةِ صَاحِبِهِمَا وَإِنْ كَثُرَتْ فَضَائِلُهُ، وَرُجِيَتْ فَوَاضِلُهُ، بَلْ يَتَفَرَّقُونَ وَيَذْهَبُونَ مِنْ حَوْلِهِ وَيَتْرُكُونَهُ وَشَأْنَهُ لَا يُبَالُونَ مَا يَفُوتُهُمْ مِنْ مَنَافِعِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَالتَّحَلُّقِ حَوَالَيْهِ

٢٧٨٢- تفيد أن الشدة في غير موضعها تفرق ولا تجمع، وتضعف ولا تقوي.

٢٧٨٣- تفيد أن الداعية مهما عظم قدره وعلا شأنه إن لم يتحلّ باللين انفض الناس من حوله.

٢٧٨٤- تفيد أن بعض الدعاة قد يكونون سبباً لنفور الناس عن الدعوة وعدم تقبلهم لها.

٢٧٨٥- تفيد أن الأصل في الدعوة إلى الله ﷻ: الرفق واللين.

٢٧٨٦- تفيد تعظيم شأن لين الجانب ولين الكلام.

٢٧٨٧- تفيد بإشارةٍ لطيفةٍ إلى أنه ينبغي للمؤمنين -وخاصة الأمراء والعلماء والدعاة- أن يستعملوا مع الناس كل ما يجلبهم ويقربهم إليهم، بشرط ألا يضيعوا شيئاً من الواجبات والحقوق.

٢٧٨٨- تفيد أن الأولى بالإنسان المؤمن أن يستعمل مع الناس ما يجلبهم إليه ويحببهم فيه.

٢٧٨٩- تفيد أن الداعية والقائد لا بد له من تزكية نفسه بالأعمال الصالحة من قيامٍ وصيامٍ وتلاوةٍ وذكرٍ حتى يلين قلبه وتحسن أخلاقه ويرق طبعه.

٢٧٩٠- تفيد أن العوام وطلبة العلم قد يعذرون في الابتعاد عن أهل الخير والعلم إذا كانوا جفاةً غلاظ القلوب؛ ووجه ذلك: أنه إذا كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يلامون على الانفضاض عن الرسول ﷺ إذا كان فظاً غليظاً، فما بالكم بمن دونه.

٢٧٩١- تفيد أن ذكر عواقب الأخلاق السيئة ونتائجها في التعليم من أعظم المنفرات عن سلوكها.

٢٧٩٢- تفيد الحث على العفو والصفح خصوصاً عن أهل الجهاد والعمل، والتجاوز عن الزلات.

٢٧٩٣- تفيد أن العفو من شيم الكرام وهو سيد الأخلاق، ولذا بدأ به تعالى في هذه الآية فيما أمره به.

٢٧٩٤- تفيد الأمر بالاستغفار للمؤمنين. وفي الحديث الصحيح: "من استغفر للمؤمنين والمؤمنات اعطاه الله بكل مؤمن ومؤمنة حسنة".

٢٧٩٥- تفيد حسن ترتيب القرآن في عرض أوامره جل وعلا؛ قال السمين: جاء على أحسن النسق وذلك أنه أمر أولاً بالعفو عنهم فيما يتعلق بخاصة نفسه، فإذا انتهوا إلى هذا المقام أمر أن يستغفر لهم ما بينهم وبين الله لتنزاح عنهم التبعات، فلما صاروا إلى هنا أمر بأن يشاورهم في الأمر إذ صاروا خالصين من التبعتين متصفّين بهما.

٢٧٩٦- تفيد فضل ومكانة الصحابة بما خصهم به في هذه الآية من العفو والاستغفار والمشاورة وبيان كرامتهم وعزتهم.

٢٧٩٧- تفيد أهمية دعاء الرجل لإخوانه المسلمين بالرحمة والمغفرة مهما بدر منهم.

٢٧٩٨- تفيد أن الشورى أصلٌ من أصول الحكم في الإسلام، وقد استشار النبي ﷺ أصحابه في غزوات بدرٍ وأحد والأحزاب، وفى غير ذلك من الأمور التي تتعلق بمصالح المسلمين، وسار على هذا المنهج السلف الصالح من هذه الأمة.

٢٧٩٩- تفيد الأمر بالشورى والحض عليها، وهي المصطلح الشرعي الذي ذكره القرآن، والأولى بالمؤمنين أن يستمسكوا به. وأما ما يسمى الْيَوْمَ بالديمقراطية ففيها محاذير عقدية لا تخفى.

٢٨٠٠- تفيد أن بعض الأمور تحتاج إلى استشارةٍ ونظرٍ وفكرٍ، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره: منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله. ومنها: أن فيها تسميحاً لخواطرهم، وإزالةً لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس -إذا جمع أهل الرأي: والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث- اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبدٍ عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبةً صادقةٍ، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعةٌ غير تامةٍ. ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول. ومنها: ما تنتجه الاستشارة من: الرأي المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم

يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله ﷻ يقول لرسوله ﷺ وهو أكمل الناس عقلا، وأغزرهم علما، وأفضلهم رأيا-: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ فكيف بغيره؟!

٢٨٠١- تفيد أن النبي ﷺ قاد أصحابه بالحب وليس بالقهر وهكذا يكون القائد الناجح، فإن من يحبك يضحي من أجلك خلاف من يظهر لك الطاعة بالقهر فإنه يتخلى عنك في أول فرصةٍ تلوح له.

٢٨٠٢- تفيد كمال صفات رسول الله ﷺ الخُلقية.

٢٨٠٣- تفيد أن ذكر محاسن الرجل قبل الزامه بتوجيهاتٍ جديدةٍ من المحفزات التربوية.

٢٨٠٤- تفيد أن صدور الأمر من المستشارين لا يكون ملزماً للمستشير، لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ ولم يقل: [وخذ بمشورتهم في الأمر]. لهذا على المستشير أن يتبع الأصلح في الأمر حتى ولو خالف رأيه رأي المستشارين.

٢٨٠٥- تفيد تعليم خلق التواضع للنبي ﷺ وأمته؛ لأن المستشير يكون متواضعاً وليس مستبداً برأيه.

٢٨٠٦- تفيد أن الرسول ﷺ قد يعتريه ويصيبه ما يصيب البشر من التردد في الأمور التي كان يشاور فيها أصحابه، ووجه الدلالة: أولاً: في قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، وثانياً: في قوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ فإن العزيمة قد يسبقها تردد.

٢٨٠٧- تفيد أنه لا يستشار إلا من كان أهلًا لذلك، فالله تبارك وتعالى هنا أمر نبيه ﷺ أن يستشير الصحابة الذين هم خير جيل مر على وجه البسيطة بعد الأنبياء.

٢٨٠٨- فيها إشارةٌ إلى أن التوكل ليس هو إهمال التدبير بالكلية وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل بل هو مراعاة الأسباب الظاهرة، مع تفويض الأمر إلى الله ﷻ، والاعتماد عليه بالقلب.

٢٨٠٩- تفيد أنه ينبغي على العبد إذا عزم على الأمر ألا يتردد، بل يمضي في أمره متوكلا على ربه؛ لأن التردد يحير العبد ويوقعه في القلق، وصدق الشاعر حين قال: إذا كنت ذا رأيٍ فكن ذا عزيمةٍ... فإن فساد الرأي أن تترددا

٢٨١٠- تفيد أن الذي يوصل لتحقيق الأهداف بعد حسن الرأي: العزيمة الصادقة والشروع في تنفيذ ما استقر عليه كما في الحديث: "والعزيمة على الرشد ".

٢٨١١- تفيد فضل العزيمة الصادقة مقرونة بالتوكل على الله تعالى.

٢٨١٢- تفيد أن الخلق مهما بلغوا في درجات العبودية والولاية لا غنى لهم من الاستعانة بربهم.

٢٨١٣- تفيد ضلال من يتوكلون على غير الله ﷻ، وهم أبغض الخلق إليه.

٢٨١٤- تفيد أن من أبرز صفات القائد الناجح:١/ الرحمة. ٢/ لين الجانب في غير ضعف. ٣/ طيب الحديث، وهو ضد الفظاظة.٤ / سلامة الصدر. ٥/ العفو وعدم التوقف كثيراً في الأخطاء التي تقع ممن لا يشك في إخلاصهم وصدقهم. ٦/ الدعاء لمن يعملون معه لنصرة الدين. ٧/ الأناة وهي من لوازم الشورى. ٨/ المشاورة. ٩/ الحرص على اجتماع الكلمة وهي ثمرة كل ما سبق من أخلاق.١٠/ العزيمة على الرشد مع حسن الثقة بالله تعالى.وكل هذا جاء هنا في وصف النبي ﷺ به أو أمره تعالى بالتحلي به.

٢٨١٥- تفيد أهمية وجود صفات القائد في اجتماع الكلمة، ووحدة الصف؛ وهما من أقوى عوامل النصر.

٢٨١٦- تفيد أن القائد في حاجةٍ لمن يلتفون حوله يسدون الثغور، ويردون كيد الأعداء، وليس هنالك قيادةٌ ناجحةٌ إلا وحولها رجالٌ يصعب تجاوزهم.

٢٨١٧- في الآية منهجٌ نفسيٌ تربويٌ اجتماعيٌ إداريٌ قياديٌ ودعويٌ متكامل.

٢٨١٨- تفيد الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات، لوجهين: أحدهما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ والآخر: الضمان الذي في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ الطلاق: ٣.

٢٨١٩- تفيد إثبات صفة المحبة لله ﷻ.

٢٨٢٠- تفيد أن التوكل عبادة لا تكون إلا لله وحده ومن العبادات التي تنال بها محبة الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

٢٨٢١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق ندب النبي الكريم صاحب الخلق العظيم ﷺ لأن يرحم ويعفو عمن تولوا ولم يجيبوه للثبات أمام العدو، جاء في هذه الآية تحفيز المؤمنين وتحريضهم على ما يستوجب النصر، وتحذيرهم مما يستوجب الهزيمة والخذلان.

٢٨٢٢- فيها مع ما قبلها: لَمّا أمَرَهُ بِمُشاوَرتِهِمْ وبالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، أوْضَحَ أنَّ ما صَدَرَ مِنَ النَّصْرِ أوِ الخِذْلانِ إنَّما هو راجِعٌ لِما يَشاءُ. وأنَّهُ مَتى نَصَرَكم لا يُمْكِنُ أنْ يَغْلِبَكم أحَدٌ، ومَتى خَذَلَكم فَلا ناصِرَ لَكم فِيما وقَعَ لَكم مِنَ النَّصْرِ، أوْ بِكم مِنَ الخِذْلانِ كَيَوْمَيْ بَدْرٍ وأُحُدٍ، فَبِمَشِيئَتِهِ. وفي هَذا تَسْلِيَةٌ لَهم عَمّا وقَعَ لَهم مِنَ الفِرارِ. ثُمَّ أمَرَهم بِالتَّوَكُّلِ، وناطَ الأمْرَ بِالمُؤْمِنِينَ، فَنَبَّهَ عَلى الوَصْفِ الَّذِي يُناسِبُ مَعَهُ التَّوَكُّلَ وهو الإيمانُ؛ لِأنَّ المُؤْمِنَ مُصَدِّقٌ بِأنَّ اللَّهَ هو الفاعِلُ المُخْتارُ بِيَدِهِ النَّصْرُ والخِذْلانُ. وأشْرَكَهم مَعَ نَبِيِّهِمْ في مَطْلُوبِيَّةِ التَّوَكُّلِ، وهو إضافَةُ الأُمُورِ إلى اللَّهِ تَعالى وتَفْوِيضِها إلَيْهِ.

٢٨٢٣- تفيد أن النصر يطلب من الله ﷻ بعد بذل الأسباب، وأن طلب النصر من غير الله ﷻ خذلانٌ، والمنصور من نصره الله ﷻ، والمخذول من خذله الله جل وعلا.

٢٨٢٤- تفيد الاعتقاد الجازم بأن النصر من الله تعالى مهما بلغ المقاتلون من القوة والخبرة ومهما ملكوا من الأسباب المادية.

٢٨٢٥- تفيد أن النصر يأتي بمعنى الإعانة على الأعداء، كما أنه يأتي بمعنى المنع من الأعداء. ومن أسباب النصر ومقدماته: الإقلاع عن المعاصي والذنوب، والتوبة منها، والإقبال على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، والدعاء بإخلاصٍ وصدقٍ، والتوفيق للسداد بالرأي، والتخطيط.

٢٨٢٦- فيها: قدم المرغوب والمطلوب وهو [النصر]؛ لأن الآية في سياق التثبيت والتحفيز والتحريض.

٢٨٢٧- فيها تَنْبِيهٌ عَلى أنَّ الأمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﷻ، وتَرْغِيبٌ في الطّاعَةِ، وفِيما يَسْتَحِقُّونَ بِهِ النَّصْرَ مِنَ اللَّهِ تَعالى والتَّأْيِيدَ. وتَحْذِيرٌ مِنَ المَعْصِيَةِ، ومِمّا يَسْتَوْجِبُونَ بِهِ العُقُوبَةَ بِالخِذْلانِ.

٢٨٢٨- فيها: كما أن التخذيل والتثبيط له دورٌ فاعلٌ في الهزيمة؛ فكذا التشجيع ورفع المعنويات له دورٌ كبيرٌ في تحقيق النصر.

٢٨٢٩- تفيد أن رفع المعنويات من المحفزات.

٢٨٣٠- تفيد أن الرضا مهمٌ في تجاوز الأزمات. وهذه المعاني مهمة حال الهزيمة.

٢٨٣١- فيها تَنْبِيهٌ إلى أنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَوْمًا في بَعْضِ الأيّامِ، وخَذْلَهُ إيّاهم في بَعْضِها، لا يَكُونُ إلّا لِحِكَمٍ وأسْبابٍ، فَعَلَيْهِمُ السَّعْيُ في أسْبابِ الرِّضا المُوجِبِ لِلنَّصْرِ، وتَجَنُّبُ أسْبابِ السُّخْطِ المُوجِبِ لِلْخَذْلِ.

٢٨٣٢- تفيد لطفه تعالى بالمؤمنين حيث صرح لهم بعدم الغلبة في الأول، ولم يصرح لهم بأنه لا ناصر لهم في الثاني، بل أتى به في صورة الاستفهام وإن كان معناه نفياً ليكون أبلغ، ومن علم أنه لا ناصر له إلا الله سبحانه وأن من نصره الله لا غالب له، ومن خذله لا ناصر له فوض أموره إليه وتوكل عليه، ولم يشتغل بغيره.

٢٨٣٣- تفيد أهمية التذكير بمعاني العقيدة والإيمان مهما كان استقرار ذلك في النفس، فهي تزيد الإيمان وترسخ معانيه؛ فالآية أخبرت بِأَمْرٍ مَعْلُومٍ عِنْدَ المخاطَبِينَ إذْ هم مُؤْمِنُونَ، ولا يَجْهَلُ مُؤْمِنٌ أنَّ اللَّهَ إذا قَدَّرَ نَصْرَ أحَدٍ فَلا رادَّ لِنَصْرِهِ، وأنَّهُ إذا قَدَّرَ خَذْلَهُ فَلا مَلْجَأ لَهُ مِنَ الهَزِيمَةِ، فَإنَّ مِثْلَ هَذا المَعْنى مُحَقَّقٌ في جانِبِ اللَّهِ لا يَجْهَلُهُ مُعْتَرِفٌ بِإلَهِيَّتِهِ، مُؤْمِنٌ بِوَحْدانِيَّتِهِ ولكن في التذكير بذلك فوائد عظيمة يصعب حصرها.

٢٨٣٤- من ملك أسباب النصر المادية من قوةٍ وتدبيرٍ وكثرةٍ... فإنه لا يستغني عن الناصر والمعين الحقيقي سبحانه.

٢٨٣٥- تفيد أنه يجب الاعتماد والتوكل على الله وحده لا على غيره؛ وتقديم المعمول يفيد ذلك القصر والاختصاص.

٢٨٣٦- تفيد منزلة التوكل على الله من الدين؛ فهو عبادةٌ جليلةٌ لا تكون إلا لله ﷻ وحده.

٢٨٣٧- الآية كلها من خلال سياقها وخاتمتها هي في تأكيد التوكل على الله، فهي بمعنى توكلوا على الذي نصركم بيده، وتوكلوا على من يدعوكم إيمانكم إلى التوكل عليه.. وقد ختمت الآية السابقة بحثّ نبيه ﷺ على التوكل عليه، وبين محبته للمتوكلين عليه، فهي مناسبات دقيقة ومعاني عجيبة في بيان كيفية استجلاب النصر الذي مفتاحه وأساسه التوكل عليه ولو كان قائدكم هو النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

٢٨٣٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق التحريض على طلب أسباب النصر والتحذير من أسباب الخذلان، جاء في هذه الآية التحذير من أهم أسباب الخذلان [الغلول] من غنائم الحرب؛ حيث إنه من أعظم الذنوب الموجبة للخذلان.

٢٨٣٩- فيها مع التي قبلها: أن الأمانة والتنزه عن الغلول من الأسباب الجالبة للنصر.

٢٨٤٠- تفيد أن الخيانة الخفية منفيةٌ عن المصطفين الأخيار حملة الرسالة عليهم الصلاة والسلام.

٢٨٤١- تفيد أن الخيانة تتنافى مع النبوة.

٢٨٤٢- تفيد أن الأنبياء لهم صفاتٌ مشتركةٌ؛ خاصةً فيما يتعلق بالصدق والأمانة.

٢٨٤٣- تفيد تزكية النبي الكريم ﷺ، وذلك بالتأكيد على أنه منزهٌ عن كل عيبٍ مترفعٌ عن كل نقصٍ.

٢٨٤٤- تفيد دفاع الله ﷻ عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

٢٨٤٥- تفيد أن من يكون أمام الناس ويقودهم سيناله الأذى من أصحاب النفوس المريضة وسيتهم بما ليس فيه فعليه بالصبر والتحمل.

٢٨٤٦- تفيد تحذير أتباع النبي الكريم ﷺ من الوقوع في هذا الذنب العظيم؛ الذي يفضي إلى الخذلان.

٢٨٤٧- تفيد ضرورة عدل القائد في قسمته للغنائم بين الجند في الحرب.

٢٨٤٨- تفيد عظم خطر الغلول وهو: الأخذ من المال العام بغير حق ومنه [الفيء قبل قسمته]، وأنه من كبائر الذنوب؛ حيث يأتي الغال بما غل يوم القيامة ويحاسب عليه.

٢٨٤٩- تفيد وجوب صيانة المال العام من أيدي الغالين.

٢٨٥٠- تفيد اطراد سنن الله تعالى في العقوبة والجزاء؛ فسننه لا تتبدل ولا تحابي.

٢٨٥١- تفيد أهمية التربية العملية والتوجيه في لحظة ارتكاب الخطأ بأسلوبٍ حكيمٍ، فالخطاب موجهٌ لأصحاب النبي ﷺ الذين تركوا أمره وتسارعوا نحو جمع الغنائم قبل أن يقوم النبي ﷺ بجمعها وقسمتها، فبينت لهم أنه لا يغل وهذا معلومٌ مستقرٌ في أنفسهم، ولا يحكم فيها إلا بالعدل، ومن ظلم فيها يأتي بما غل يوم القيامة فما الذي دعاكم للتسارع نحوها، فمثل هذا الخطأ لا ينبغي تكرره، ولكن التوجيه القرآني جاء بأسلوبٍ لطيفٍ راقٍ لا يظهر فيه التعنيف المباشر لمن يتدبره.

٢٨٥٢- تفيد أن الدنيا عندما تنفتح على العبد، وتكون بين يديه ويتسارع الناس حول حطامها؛ تحتاج إلى مجاهدةٍ لدفع فتنتها.

٢٨٥٣- تفيد أنه لا يضيع شيءٌ في الآخرة كبر أو صغر؛ لعموم قوله: ﴿ يَأْتِ بِمَا غَلَّ ﴾.

٢٨٥٤- تفيد إثبات القيامة والحساب، وأنه يومٌ يفضح فيه العباد وترى فيه العجائب الشداد؛ حيث يقف العبد بأوزاره يحملها على رأسه وظهره كالجبال في يوم مقداره خمسين ألف سنة: ثقل حملٍ يعذب به في جسده وفضيحةٌ يعذب بها في قلبه.

٢٨٥٥- تفيد إثبات الجزاء الذي ينتظر العباد يوم القيامة، والوعيد لمن عصى الله ﷻ وغلّ من الغنائم.

٢٨٥٦- تفيد تهويل الجرم، وتهويل الحساب عليه؛ وذلك بجعله يوم القيامة: اليوم الذي يشيب له الولدان، وتضع فيه كل ذات حملٍ حملها، وترى الناس فيه سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

٢٨٥٧- تفيد خطورة الفساد في المال العام ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي يأت به حاملاً له على ظهره كما صح ذلك عن النبي ﷺ فيفضحه بين الخلائق، وهذه الجملة تتضمن تأكيد تحريم الغلول والتنفير عنه؛ لأنه ذنبٌ يختص فاعله بعقوبةٍ على رؤوس الأشهاد يطلع عليها أهل الحشر، وهي مجيئه يوم القيامة بما غل حاملاً له قبل أن يحاسب عليه ويعاقب به.

٢٨٥٨- تفيد أهمية التربية على التخويف من حساب الآخرة.

٢٨٥٩- تفيد أهمية التربية على العفة عن المال المحرم؛ فهؤلاء المجاهدين على فضلهم، وعظم أثر الجهاد في تزكية النفس قد يقعون في الغلول.

٢٨٦٠- تفيد أن الجزاء من جنس العمل.

٢٨٦١- تفيد أن كل نفسٍ تستوفي حقها من الجزاء يوم القيامة من خير أو شر.

٢٨٦٢- تفيد التأكيد على كمال عدل الله تعالى.

٢٨٦٣- تفيد عدالة الله تعالى المطلقة مع كل نفسٍ تقترف إثماً.

٢٨٦٤- تفيد عدم ظلم أي نفسٍ بظلمٍ غير الذي ارتكبته.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ **[آل عمران: ١٦٢].**

٢٨٦٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق التحذير من الغلول وأنه من أسباب الخذلان، والوعيد الشديد لمن غل يوم القيامة، جاء التأكيد على ضرورة اتباع رضوان الله والتحذير والتنفير من التعرض لغضبه وسخطه.

٢٨٦٦- تفيد دقة مناسبة هذه الآية لما قبلها لأنَّهُ تَعالى لَمّا قالَ: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ﴾ أتْبَعَهُ بِتَفْصِيلِ هَذِهِ الجُمْلَةِ، وبَيَّنَ أنَّ جَزاءَ المُطِيعِينَ ما هو، وجَزاءَ المُسِيئِينَ ما هو، فقال: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ﴾.

٢٨٦٧- فيها مع ما قبلها أن المعتدي على المال العام الراتع فيه بغير حقٍ متوعَّدٌ على فعله بالنار.

٢٨٦٨- فيها براعة استهلال بالاستفهام؛ لاستنطاق السامع فيحتج على نفسه.

٢٨٦٩- تفيد أن أسلوب السؤال فيه من التشويق لما بعده ولفت الانتباه ما يحسن بالداعية والمعلم اتباعه

٢٨٧٠- تفيد أنَّ التَّحْصِيلَ عَلى رِضْوانِ اللَّهِ تَعالى مُحْتاجٌ إلى اتباعٍ لما يوصل لذلك؛ ولذا قال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ ﴾.

٢٨٧١- فيها مزيد تشريف للرضوان وأهله بإضافته إلى الله سبحانه.

٢٨٧٢- تفيد أن اتباع طريق رضوان الله يحتاج لمجاهدةٍ واهتمامٍ وصبرٍ ومصابرةٍ وتواصي على الثبات.

٢٨٧٣- تفيد أن طلب رضوان الله واجب، وتجنب سخطه واجب كذلك، فالأول يكون بالإيمان وصالح الأعمال، والثاني يكون بترك الشرك والبدع والمعاصي.

٢٨٧٤- فيها إشارةٌ إلى أن رضا الله ﷻ يتحقق باتباع الهدى الذي أنزله في كتابه وبينه نبيه الخاتم ﷺ

٢٨٧٥- تفيد شحذ الهمم وتحفيز النفوس للسعي في رضا الله ﷻ؛ وذلك بتقرير استحالة أن يستوي جزاء أهل الإيمان والطاعة، وجزاء أهل النفاق والمعصية.

٢٨٧٦- تفيد إثبات الرضا لله ﷻ.

٢٨٧٧- تفيد التأكيد على الإخلاص في الطاعات والقربات بصرفها لله ﷻ وابتغاء مرضاته.

٢٨٧٨- تفيد أن الدين قائمٌ على التفريق بين المتناقضين: الكفر والإيمان، والذنب والطاعة، والسخط والرضا؛ وعلى ذلك ينصب الميزان يوم القيامة ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴾ [السجدة: ١٨].

٢٨٧٩- تفيد أنه لَا يَسْتَوِي مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ فِيمَا شَرَعَهُ، فَاسْتَحَقَّ رِضْوَانَ اللَّهِ وَجَزِيلَ ثَوَابِهِ وأُجِيرَ مِنْ وَبِيلِ عِقَابِهِ، وَمَنِ اسْتَحَقَّ غَضَبَ اللَّهِ وَأُلْزِمَ بِهِ، فَلَا مَحِيدَ لَهُ عَنْهُ.

٢٨٨٠- تفيد التفريق بين الأمين والخائن، والمحسن والمسيء، والصالح والفاسد؛ فكل امرئٍ بما اكتسب، ولكل عاملٍ ثوابٌ ولكل مقصرٍ عقابٌ.

٢٨٨١- فيها استنكار واستحالة أن يكون أهل الإيمان والطاعة الذين يسعون لإرضاء خالقهم، كأهل النفاق والكفر الذين يرتعون في معصيته سبحانه.

٢٨٨٢- تفيد بيان كمال عدل الله تعالى بين خلقه وانتفاء الظلم عنه تعالى.

٢٨٨٣- فيها المقابلة بين الرضى والسخط؛ لبيان ثواب الحائزين على الرضى [المؤتمنين] وجزاء الحاملين للسخط [الخائنين].

٢٨٨٤- تفيد تعظيم وتهويل السخط؛ دل على ذلك تنكيره.. وعلى هذا فإنه لا يكون من اتبع أقل شيءٍ من رضا الله كمن باء بسخطٍ منه سبحانه.

٢٨٨٥- تفيد أنه لا أعظم من أن يسخط الله ﷻ على العبد... وقد استعاذ النبي ﷺ من سخط الله ﷻ؛ وبئس المصير مصير من سخط عليه الله ﷻ، وهذا الذم فيه من التهويل ما فيه.

٢٨٨٦- تفيد الخسران العظيم لمن سعى في معصية الله ﷻ وأسرف على نفسه، فيعود عليها بسخطه وغضبه.

٢٨٨٧- تفيد إثبات السخط لله سبحانه وتعالى.

٢٨٨٨- تفيد إثبات النار، وأن من اسمائها جهنم، وبيان سوء عاقبة ومصير من دخلها.

قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

٢٨٨٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق الترغيب باتباع رضوانه سبحانه، ودعوة العباد لتجنب أسباب سخطه.. جاء في هذه الآية الترغيب في التنافس في السعي إلى مرضاته، ولما عظم شأن اتباع الرضوان وأنه سبب للنجاة من العذاب الأليم، جاء التأكيد على طلب الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة.

٢٨٩٠- تفيد أن الذين اتبعوا رضوان الله ﷻ في رحمةٍ ونعيمٍ، ونعيمهم درجات بحسب أعمالهم.

٢٨٩١- فيها: ناسب قوله: ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ تقديم ﴿بَصِيرُۢ﴾ على ﴿بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ لأن المقام مقام تعظيمٍ لعطاء الكريم سبحانه.

٢٨٩٢- فيها: الدرجات تتفاوت في الدنيا وفي الآخرة، فما كان منها للدنيا قد تبلغ به الدنيا أو قد لا تبلغها، وقد تخسر بها الدنيا والآخرة. وما كان لله ستبلغ به الآخرة لا محالة، وإن لم تبلغ به شيئاً في الدنيا، وقد تبلغ به الدنيا والآخرة، فاختر وارتق.

٢٨٩٣- تفيد الترغيب في الأعمال الصالحة والتنافس فيها تقرباً إلى الله تعالى وطلبا لمرضاته.

٢٨٩٤- تفيد أن الناس يتفاوتون في درجاتهم، وكذا في سعيهم لبلوغ تلك الدرجات، وفي نياتهم بغية تلك الدرجات، وتصحيح النيات بابٌ عظيمٌ في الترقي في باب الدرجات عند الله ﷻ.

٢٨٩٥- تفيد أن الله ﷻ مطلعٌ على أعمال العباد ظاهرها وباطنها، وبحسب أعمالهم يرقيهم في الدرجات، أو يركسهم في الدركات.

٢٨٩٦- في قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ تعظيمٌ لشأن الدرجات؛ ليزيد الشوق إليها، والطمع لبلوغها.

٢٨٩٧- تفيد أن درجات من اتبع رضوان الله ﷻ ليست كدركات من باء بسخط من الله ﷻ، فإن الأولين في أرفع الدرجات، والآخرين في أسفل الدركات.

٢٨٩٨- فيها: على الإنسان أن يرتقي على الدنايا من الشهوات ويرتفع عن سفاسف الأخلاق، فيرتقي في درجات الجنان ويرتفع في منازل الرضوان.

٢٨٩٩- تفيد التربية على معاملة الله تعالى والإخلاص له في الأعمال فعنده لا يضيع العمل ولا يفوت الاستحقاق.

٢٩٠٠- تفيد أن هؤلاء متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم بحسب تفاوتهم في أعمالهم؛ فالمتبعون لرضوان الله يسعون في نيل الدرجات العاليات، والمنازل والغرفات، فيعطيهم الله من فضله وجوده على قدر أعمالهم، والمتبعون لمساخط الله يسعون في النزول في الدركات إلى أسفل سافلين، كلٌ على حسب عمله، والله تعالى بصيرٌ بأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، بل قد علمها، وأثبتها في اللوح المحفوظ، ووكل ملائكته الأمناء الكرام، أن يكتبوها ويحفظوها، ويضبطوها.

٢٩٠١- تفيد عدل الله تعالى، فكلٌ ينال درجته باستحقاق لا ظلم ولا إجحاف ولا محاباة.

٢٩٠٢- ترشد الآيات إلى وضع معايير دقيقة لقياس مستوى الإحسان وترتيب المكافآت بناء على دقة تلك المعايير.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران: ١٦٤].

٢٩٠٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما أشارت الآيات السابقة لما ورد على لسان بعض المنافقين من اتهام النبي الخاتم ﷺ بالغلول، جاءت هذه الآية لا لتدفع عنه التهمة فحسب، بل لإثبات أنه النعمة المسداة الذي يزكي أتباعه بالإقلاع عن السلوكيات المذمومة والباطلة، ويعلمهم كل ما ينفعهم في الدين والدنيا.

٢٩٠٤- ومن المناسبات: لما سبق الحث على الصدق والأمانة، جاء ذكر المنة ببعثة الأسوة والأنموذج الأكمل في الصدق والأمانة ﷺ.

٢٩٠٥- تفيد بيان فضلٍ آخر من الله تعالى على المؤمنين من خلال هذا النبي ﷺ؛ بعد أن بين ما من به عليهم من رحمة، وما أمره به من العفو والاستغفار لهم، وعظيم الصفات التي اختص بها، بيّن هنا كيف منّ به عليهم من خلال اختياره منهم، وليقوم بمهام عظيمة مما كلفه به من تلاوة كتابه وتزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة.

٢٩٠٦- تفيد أنَّ بِعْثَةَ الرَّسُولِ ﷺ إحسانٌ إلى كُلِّ العالَمِينَ، وذَلِكَ لِأنَّ وجْهَ الإحْسانِ في بِعْثَتِهِ كَوْنُهُ داعِيًا لَهم إلى ما يُخَلِّصُهم مِن عِقابِ اللَّهِ ﷻ ويُوَصِّلُهم إلى ثَوابِ اللَّهِ ﷻ، وهَذا عامٌّ في حَقِّ العالَمِينَ؛ لِأنَّهُ مَبْعُوثٌ إلى كُلِّ العالَمِينَ، كَما قالَ تَعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] إلّا أنَّهُ لَمّا لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَذا الإنْعامِ إلّا أهْلُ الإسْلامِ، فَلِهَذا التَّأْوِيلِ خَصَّ تَعالى هَذِهِ المِنَّةَ بِالمُؤْمِنِينَ، ونَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] مَعَ أنَّهُ هُدًى لِلْكُلِّ.

٢٩٠٧- تفيد أن الإسلام أكبر نعمة وأجلها على المسلمين فيجب شكرها بالعمل به، والتمسك بشرائعه وأحكامه.

٢٩٠٨- تفيد أهمية التنبيه على وجوه النعم الخفية. والتأكيد على النعم الظاهرة؛ حتى لا يقصر العبد في القيام بشكرها وذكرها.

٢٩٠٩- تفيد أن بعثة النبي ﷺ من النعم والمنن الكبرى التي تستوجب الشكر بصورة مستمرة.

٢٩١٠- تفيد منزلة ومكانة أهل الإيمان عند ربهم عَزَّوَجَلَّ حيث خصهم بهذه المنة العظيمة.

٢٩١١- تفيد تزكيةً لأتباع النبي الكريم الخاتم ﷺ.

٢٩١٢- فيها تكريمٌ للعرب ولغتهم ببعثة الرسول الخاتم ﷺ منهم.

٢٩١٣- تفيد التأكيد على صدق النبي الخاتم ﷺ وأمانته وعفته... وهذا ما عهده فيه أبناء قومه الذين نشأ بينهم وبعث فيهم.

٢٩١٤- تفيد صدق النبوة المحمدية وأنه مبعوث من الله تعالى.

٢٩١٥- تفيد إثبات بشرية الرسول ﷺ؛ وفي هذا ردٌ على الغلاة الذين يعطونه صفات الألوهية، ويدعونه من دون الله سُبْحَانَهُ.

٢٩١٦- تفيد علو منزلة النبي الكريم ﷺ.

٢٩١٧- تفيد أن أفضل ما تزكو به النفس هو تلاوة كتاب الله تعالى.

٢٩١٨- تفيد فضل تلاوة القرآن والعمل به.

٢٩١٩- تفيد أن العلم يحتاج الي تزكيةٍ للنفس وتطهيرٍ لها حتى ينتفع به ولذا قُدم في الآية.

٢٩٢٠- تفيد تعظيم شأن التزكية بتقديمها على التعليم.

٢٩٢١- تفيد أهمية التزكية والأخلاق في الإسلام؛ ولذا أفردت بالذكر، مع أنها يمكن أن تدخل تحت تعليم الكتاب والحكمة، فالقرآن والسنة مشتملان عليها.

٢٩٢٢- تفيد أن التزكية: تخليةٌ عن الكفر والشرك والضلال ومتعلقاتها، وتحليةٌ بالعلم والتوحيد والإيمان ومتعلقاتها.

٢٩٢٣- تفيد أن منهج النبي ﷺ كافٍ في تحقيق تزكية النفوس، وأن الذين يحدثون مناهج للتزكية خلاف ما جاء في الكتاب والسنة هم منحرفون عن ما يوصل إليها كما يفعله بعض المتصوفة من لبس المرقع واعتزال الناس، وترديد بعض الألفاظ والحروف والعبارات والأوراد، وترك طيب الطعام والشراب واعتزال النكاح وغيرها.

٢٩٢٤- تفيد أن التزكية عملٌ مقصودٌ لذاته يجب الاهتمام به من قبل الدعاة والمربين - وهم يعلمون العلوم الشرعية - في أنفسهم وفي غيرهم.

٢٩٢٥- تفيد أن التزكية عملٌ مستمرٌ لا ينقطع بحال من الأحوال؛ من التعبير بالفعل المضارع.

٢٩٢٦- تفيد أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتزام طاعة الله تعالى، وترك معصيته من خلال التزكية.

٢٩٢٧- تفيد فضل العلم بالكتاب والسنة.

٢٩٢٨- تفيد أن علم الكتاب والسنة أشرف العلوم وأجلها على الإطلاق.

٢٩٢٩- تفيد شرف تعليم علوم الكتاب والسنة، فهي مهمةٌ اصطفى الله تعالى لها خير رسله ﷺ.

٢٩٣٠- تفيد أهمية التلقي والتعليم لعلوم الكتاب والسنة، وأن أخذ علومهما دون معلمٍ من أسباب الانحراف عن الهدي المستقيم؛ لقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾.

٢٩٣١- تفيد منزلة القرآن؛ حيث سماه الله كتابا قبل أن يكتب، وجعل فقهه هو عين الحكمة على قول من جعل الحكمة: فقه القرآن.

٢٩٣٢- تفيد أن كل آيةٍ في القرآن الكريم دليلٌ وبرهانٌ على صدق الرسالة، حيث تكونت السور من آيات فكل آيةٍ وحدها دليلٌ وبرهانٌ؛ ولذا سماها الله تعالى آية.

٢٩٣٣- تفيد فضل تلاوة وتعليم الآيات فضلا عن تلاوة وتعلم السور.

٢٩٣٤- فيها إشارةٌ إلى أن التلاوة والتعليم فيها هداية الله للبشرية.

٢٩٣٥- تفيد أهمية تلاوة آيات القرآن على المؤمنين، وهي مما يزكي النفوس ويزيد الإيمان.

٢٩٣٦- تفيد شرف وفضل القرآن الكريم حيث كلف النبي ﷺ بتلاوته وتعليمه.

٢٩٣٧- تفيد منزلة تعلم وتعليم السنة حيث جعلها الله تعالى بياناً للقرآن الكريم.

٢٩٣٨- تفيد التأكيد على أهمية السنة واتباع هدي النبي الكريم ﷺ.

٢٩٣٩- تفيد أن هذه المنافع: التلاوة والتزكية والتعليم.. انتفع بها أهل الإسلام الذين استجابوا للنبي الخاتم ﷺ وآمنوا به وصدقوه.

٢٩٤٠- تفيد أن الخلق أحوج الي بعثة الانبياء من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لتزكية أنفسهم، وتعليمهم وربطهم بخالقهم جل وعلا.

٢٩٤١- فيها بشارةٌ بالنور والهدى الذي ستحظى به أمة الاستجابة لهذا النبي الخاتم ﷺ، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾.

٢٩٤٢- تفيد بيان حال العرب والأمم قبل بعثة النبي ﷺ فكانَ دِينُ العَرَبِ أرْذَلَ الأدْيانِ وهو عِبادَةُ الأوْثانِ، وأخْلاقُهم أرْذَلَ الأخْلاقِ وهو الغارَةُ والنَّهْبُ والقَتْلُ كما قال تعالى: ﴿ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[آل عمران: ١٦٥].

٢٩٤٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما أزال شبهة النسبة إلى الغلول بحذافيرها، وأثبت ما له من أضدادها من معالي الشيم وشمائل الكرم، صوّب إلى شبهة قولهم: لو كان رسولاً ما انهزم أصحابه عنه، فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ ﴾ أي أتركتم ما أرشدكم إليه الرسول الكريم الحليم العليم الحكيم؟ ولما ﴿ أَصَٰبَتۡكُم ﴾ أي: في هذا اليوم ﴿ مُّصِيبَةٞ ﴾ لمخالفتكم لأمره، وإعراضكم عن إرشاده ﴿ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ﴾ أي: في بدرٍ، وأنتم في لقاء العدو، وكأنما تساقون إلى الموت، على الضد مما كنتم فيه في هذه الغزوة؛ وما كان ذلك إلا بامتثالكم أمره وقبولكم لنصحه ﴿قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ﴾ من أين؟ وكيف أصابنا؟ ﴿هَٰذَا﴾ أي: بعد وعدنا بالنصر ﴿ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ أي: لأن الوعد كان مقيداً بالصبر والتقوى، وقد تركتم المركز وأقبلتم على الغنائم قبل الأمر به...؛ فكان ذكر المصيبة التي كان سببها مخالفة ما رتبه ﷺ بعد ختم الآية التي قبلها بالتذكير بما كانوا عليه من الضلال على ما ترى من البلاغة. [أفاده البقاعي في نظم الدرر].

٢٩٤٤- فيها تسليةٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين، حين أصابهم ما أصابهم يوم أحد.

٢٩٤٥- فيها التنبيه على أن أمور الدنيا لا تبقى على نهجٍ واحدٍ.

٢٩٤٦- تفيد أنه يستحسن أن يذكر الإنسان في لحظة المصيبة ما يهون عليه مصيبته؛ ﴿ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ﴾.

٢٩٤٧- تفيد أن من خالف أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ؛ فسوف يقع عليه الذل ويقع في الخسران.

٢٩٤٨- تفيد أن الله ﷻ لا يظلم الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

٢٩٤٩- تفيد أن الذي أصابهم إنما أتوا فيه من قبل أنفسهم، وبسبب أعمالهم؛ فالنفس منبع الشرور ولذا استعاذ منها نبينا ﷺ. فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنبٍ يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره.

٢٩٥٠- تفيد أن ما منّ الله ﷻ به عليك منه، والمصيبة إنما نشأت من قبل نفسك وعملك، فالأول فضله، والثاني عدله، والعبد يتقلب بين فضله وعدله، جارٍ عليه فضله، ماضٍ فيه حكمه، عدلٌ فيه قضاؤه.

٢٩٥١- تفيد عظم أثر المعصية في حصول الأزمات، وحدوث المصائب والنكبات، وتحذر من هذه المعاصي.

٢٩٥٢- تفيد خطورة المعصية على الجماعة المسلمة؛ لأن المصيبة تنزل على الجميع وإن كان الفاعل للمعصية بعضهم.

٢٩٥٣- تفيد أنه حال نزول المصيبة على المؤمن العود بها إلى سببها الحقيقي وهو تقصير النفس وعصيانها والنأي عن التبرير.

٢٩٥٤- تفيد الاعتبار بأخطاء من سبق وما أصابهم بسبب عصيانهم.

٢٩٥٥- تفيد جواز توبيخ الأصفياء الخلص إذا فعلوا ما يستحقون التوبيخ عليه.

٢٩٥٦- تفيد أن حب الدنيا والتعلق بها من أعظم أسباب المعاصي والخطايا؛ وهذا مشاهدٌ في واقعنا من سفك الدماء والتعدي على الأموال والأعراض.

٢٩٥٧- تفيد أن سنة الله ﷻ وقانونه الكوني ينطبق على كل فرد، مسلماً كان أو كافراً، فالمسلم ينبغي أن يوافق نفسه على مقتضى سنة الله ﷻ ابتداءً.

٢٩٥٨- تفيد أن كل ما يقع في هذا العالم سبق به علم الله ﷻ ولا يقع إلا بإذنه.

٢٩٥٩- تفيد أن الله تعالى قادرٌ على نصرة عباده ولكن يصرف ويؤخر النصر لأسبابٍ وحكمٍ.

٢٩٦٠- تفيد بيان عظمة الرب جل وعلا وكمال قدرته؛ لا يعجزه شيءٌ في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً.

٢٩٦١- فيها: ختم الآية الأولى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ بعد قوله: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ إعلاماً لهم بعموم قدرته مع عدله، وأنه عادلٌ قادرٌ، وفي ذلك إثبات القدر

والسبب، فذكر السبب وأضافه إلى نفوسهم، وذكر عموم القدرة وأضافها إلى نفسه، فالأول ينفي الجبر، والثاني ينفي القول بإبطال القدر. وفي ذكر قدرته هاهنا نكتةٌ لطيفةٌ، وهي أن هذا الأمر بيده وتحت قدرته، وأنه هو الذي لو شاء لصرفه عنكم، فلا تطلبوا كشف أمثاله من غيره، ولا تتكلوا على سواه.

٢٩٦٢- في ختم الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾؛ التحذير من سوء الظن بالله ﷻ، فإنه قادرٌ على نصركم، ولكن له أتم الحكمة في ابتلائكم ومصيبتكم.

٢٩٦٣- تفيد اختصاص الله ﷻ بقدرته على كل شيء؛ حيث قدم ما حقه التأخير في ختام الآية، وهذا من أساليب القصر.

٢٩٦٤- فيها: فِي استعمال الله سبحانه ﴿كُلِّ﴾ وهي أقوى صيغ العموم دليلٌ على عموم قدرته سبحانه على كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٦].

٢٩٦٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق قوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ جاء في هذه الآية تعيين اليوم الذي أصابتهم فيه المصيبة.

٢٩٦٦- تفيد مزيد تحذيرٍ من المعصية ومغبتها وشؤمها على أصحابها.

٢٩٦٧- تفيد إثبات القدر وأنه لا يكون شيءٌ في هذا الكون إلا بإذن الله ﷻ؛ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

٢٩٦٨- تفيد أن الله تعالى هو المتصرف في هذا الكون؛ فلا يتحرك متحركٌ ولا يسكن ساكنٌ إلا بإذنه.

٢٩٦٩- تفيد أن كل الأحداث التي تتم في العالم سبق بها علم الله تعالى، ولا تحدث إلا بإذنه.

٢٩٧٠- تفيد إثبات الإذن لله ﷻ؛ وهو نوعان: إذنٌ كونيٌ وإذنٌ شرعيٌ.

٢٩٧١- تفيد التأكيد على عظيم حكمته سبحانه.

٢٩٧٢- تفيد أن النتائج مرهونةٌ بالمقدمات.

٢٩٧٣- تفيد أن البلاء يصيب المؤمنين تربيةً لهم ورفعةً لدرجاتهم.

٢٩٧٤- تفيد أن على المسلم الصبر على النكبات والمحن والمصائب فهي حكم الله ﷻ وتقديره.

٢٩٧٥- تفيد الثناء على المؤمنين الذين لا يبغون إلا مرضاة الله ﷻ، وإعلاء كلمته.

٢٩٧٦- تفيد أن الله سبحانه يمتحن العباد ليتبين الصادق في إيمانه من الكاذب؛ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١].

٢٩٧٧- فيها: في قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليظهر ما علمه الله ﷻ في الأزل؛ ليميز المؤمنين الصادقين منكم.

٢٩٧٨- فيها بيان حال المؤمنين وماهم عليه من صدق الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

٢٩٧٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق ذكر البلاء لتمييز المؤمنين والعلم بحالهم، عطف على هذا العلم: العلم بالمنافقين، الأدنى مرتبةً وأحط منزلةً.

٢٩٨٠- ومن المناسبات: لما ذكرت الآية السابقة وجهاً من أوجه الحكمة من البلاء الذي أصابهم، جاء في هذه الآية ذكر وجهٍ آخر من أوجه الحكمة لهذا البلاء؛ هو كشف أهل النفاق للحذر منهم وتوقي شرهم.

٢٩٨١- في الآية الكريمة مع سابقاتها دروسٌ مستفادةٌ من الهزيمة: أسباب الهزيمة، وفوائدها.

٢٩٨٢- تفيد أن من إيجابيات البلاء والمصيبة كشف أهل الإيمان من أهل النفاق، وأهل الصدق من أهل الكذب.

٢٩٨٣- تفيد أن من عظيم حكمة الله تعالى أن أطلع عباده المؤمنين وأعلمهم عن المنافقين علم عيانٍ ورؤيةٍ يتميز فيه أحد الفريقين عن الآخر تمييزاً ظاهراً.

٢٩٨٤- تفيد شرف القتال في سبيل الله ﷻ، وهو شرف كتبه الله ﷻ لأهل الإيمان وحرمه أهل النفاق فلا يتحسر ويحزن المؤمن لتخلفهم، فإن النصر بيد الله ﷻ والمخذول من حرمه الله تعالى فرصة ثوابه.

٢٩٨٥- فيها: تكلم المنافقون بما في نفوسهم فسمعه المؤمنون، وسمعوا رد الله ﷻ عليهم وجوابه لهم، وعرفوا مؤدى النفاق وما يؤول إليه، وكيف يحرم صاحبه سعادة الدنيا والآخرة، فيعود عليه بفساد الدنيا والآخرة.

٢٩٨٦- تفيد أن أهل النفاق منهزمون في دواخلهم، مخذِّلون لغيرهم.

٢٩٨٧- تفيد أن أهل النفاق يخالفون أهل الإيمان في الاعتقاد والفهم.. فلما ابتعدوا عن سبيل المؤمنين كانوا للكفر أقرب.

٢٩٨٨- تفيد ذم وتحقير المنافقين، والتحذير منهم، ومن شرورهم.

٢٩٨٩- تفيد أن أخطر النفاق ما ألبسه صاحبه ثوب الفضيلة.

٢٩٩٠- تفيد وجوب الإخلاص في الجهاد بأن يكون في سبيل الله ﷻ.

٢٩٩١- فيها: في قوله: ﴿قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾ اختبارٌ لقلوب المنافقين وصدق حبهم لدين الله ﷻ، ولرسوله ﷺ.

٢٩٩٢- تفيد أن أهل النفاق لا غيرة لهم على الدين ولا على الأعراض والحريم: ﴿قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾: قَاتلُوا فِي سَبِيل الله ﷻ، وَإِن لم تقاتلوا لأجل الدّين، فادفعوا عَن الْأَهْل والحريم وهم في كليهما لا يقاتلون.

٢٩٩٣- تفيد أن شأن أهل النفاق دوام الكذب ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ﴾ إنكم تقاتلون لسرنا معكم، ولكن لا نرى أن يكون بينكم وبين القوم قتال فأظهروا من كلامهم ما ليس يعتقدون.

٢٩٩٤- تفيد ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ أن الشَّخْصَ قَدْ تَتَقَلَّبُ بِهِ الْأَحْوَالُ، فَيَكُونُ فِي حَالٍ أَقْرَبَ إِلَى الْكُفْرِ، وَفِي حَالٍ أَقْرَبَ إِلَى الْإِيمَانِ.

٢٩٩٥- تفيد أن المخبر لا ينبئ دائماً عن الجوهر، ولا اعتبار لقول قائلٍ خالف فعله قوله.

٢٩٩٦- تفيد أن السعيد من توافق قوله الطيب مع اعتقاده الصحيح، واستوى ظاهره وباطنه.

٢٩٩٧- تفيد خطورة اللسان والكلام، وأنه ينبغي أن يتحرى الإنسان في قوله، ومن المعلوم أن القول يكون من الأفواه، ولكن لمزيد التأكيد قال: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم﴾.

٢٩٩٨- تفيد تهديداً عظيماً للمنافقين من خلال ختم الآية بالحديث عن علمه.

٢٩٩٩- تفيد سعة علم الله ﷻ، وإحاطته بكل شيءٍ.

٣٠٠٠- تفيد أن من علامات النفاق وصفات المنافقين:

- الاعتذار عن لقاء العدو.
- التلون في العلاقات وعدم الثبات على المبادئ.
- التلون في المواقف.
- الكذب في الحديث، والمبالغة في المدح، وتملق أصحاب المناصب ومن لهم عنده مصلحة.
- إخلاف الوعد وعدم الالتزام بالمواعيد.
- الغش والتحايل واعتبار ذلك من الذكاء والحنكة.
- كثرة الكلام وقلة العمل.
- الإكثار من عبارات المدح والثناء للوصول إلى الغايات والمآرب.
- عذوبة الكلام وتنميقه لإقناع الآخرين بصدق نصحهم.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

٣٠٠١- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق وصف المنافقين بأنهم تخلفوا عن القتال وقعدوا، وبرروا لقعودهم، جاء ذكر تثبيطهم لغيرهم.

٣٠٠٢- فيها متابعة لذكر أوصاف أهل النفاق من رديء الأقوال والأفعال.

٣٠٠٣- تفيد شهادتهم على أنفسهم أنهم قد خذلوا المجاهدين، بدلالة: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾.

٣٠٠٤- تفيد أن المنافقين جمعوا بين التخلف عن الجهاد، وبين الاعتراض والتكذيب بقضاء الله ﷻ وقدره.

٣٠٠٥- تفيد أن من علامات المنافقين التثبيط عن فعل الخير.

٣٠٠٦- تفيد أنهم لم يكتفوا بالقعود فحسب، لكنهم لاموا من خرج وقاتل في سبيل الله ﷻ.

٣٠٠٧- تفيد إظهارهم الشماتة بالذين قتلوا في سبيل الله رضي الله عنهم، ولم يطيعوهم في القعود.

٣٠٠٨- فيها: ادعاؤهم أن طاعتهم سببٌ للسلامة وحصول الخير مع أن العكس هو الصحيح.

٣٠٠٩- تفيد أن كل نفسٍ لا تموت إلا بعد استكمال أجلها.

٣٠١٠- تفيد أن الجهاد لا يقدم الأجل، وأن القعود عنه لا يؤخره.

٣٠١١- فيهـا: أن حجة المنـافقين في القعود عن جهـاد الكفـار؛ المحـافظة على الأرواح، ولم ينتبهوا إلى أن الذي يشتري الأرواح هو الذي وهبها سبحانه، وأن القتل بيد الله ﷻ وبقضائه، كما هو حال الموت.

٣٠١٢- تفيد بيان صــفة من صــفات المنافقين: أنهم يفرحون في حياتهم الدنيا لأنهم لم يقتلوا بسبب عدم خروجهم مع علمهم أن في ذلك مخالفة لأمر الله ﷻ ورسوله ﷺ.

٣٠١٣- تفيد أنهم قالوا قولتهم بقصد إثارة الريب، وتوريث المرارة في نفوس المؤمنين.

٣٠١٤- تفيد الرد المفحم على قولهم الباطل، بقوله تعالى: ﴿ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾؛ فإذا كانوا يعرفون سبيل السلامة من القتل، فهل يعرفون سبيل السلامة من الموت؟!

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

٣٠١٥- تفيد مناســبة ظاهرة لما قبلها: فلما ســبق قوله ســبحانه: ﴿ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ الذي هو بقدر الله ﷻ كما أن القتل بقدر الله ﷻ، جاء في هذه الآية بيان فضل الذين يقتلون في ســبيل الله ﷻ. وبعد أن ســبق بيان أن الموت لا مفر منه على كل حال، جاء الترغيب بالموت في سبيل الله ﷻ وابتغاء مرضاته.

٣٠١٦- فيها: أن هذه الآية هي آية الشهداء.

٣٠١٧- فيها: في القتل في سبيل الله ﷻ ردٌ على شبهة المنافقين بأن قعودهم عن الجهاد خوفاً على حياتهم؛ ذلك أن القتل في سبيل الله ﷻ حياةٌ وأي حياة!

٣٠١٨- فيها طمأنةٌ لنفوس المؤمنين الذين حرص المنافقون على إيذائهم وجعلهم يعيشـــون الحسرة، لتنقلب الحسرة على المنافقين.

٣٠١٩- فيها مدحٌ للمؤمنين الصـادقين المستجيبين لأمر الله ﷻ، وتعريضٌ بالمنافقين المنهزمين المخذِّلين.

٣٠٢٠- فيها إشارةٌ إلى أن حقيقة العلم بالخير والشر والفضيلة والرذيلة؛ مصدره القرآن والسنة.

٣٠٢١- تفيد فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله ﷻ، وكرامة الشهداء.

٣٠٢٢- فيها تأكيدٌ على إخلاص النية وصدق التوجه في القربات والطاعات.

٣٠٢٣- تفيد تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم.

٣٠٢٤- تفيد أن النبي ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله ﷻ عليه، وعلمه إياه.

٣٠٢٥- فيها تحفيزٌ على القتال في سبيل الله ﷻ، وعلى الشجاعة والإقدام.

٣٠٢٦- فيها نصٌ في النهي عن حسبان أنّ الذين قتلوا في سبيل الله وفارقوا هذه الحياة أنهم أموات، ونصٌ كذلك في إثبات أنهم أحياءٌ عند ربهم، وهي حياةٌ برزخيةٌ خاصةٌ لا علاقة لها بالحياة الدنيا نؤمن بها كما أخبر القرآن الكريم.

٣٠٢٧- فيها: اسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من صيغ العموم فيدل على أن كل من قتل في سبيل الله فهذا فضله وجزاؤه.

٣٠٢٨- فيها ترغيبٌ في الحرص على الموت في سبيل الله ﷻ طمعاً بما أعده الله ﷻ للشهداء.

٣٠٢٩- فيها مزيدٌ من التكريم للشهداء؛ برفع الدرجات وقرب المنزلة من ربهم سبحانه.

٣٠٣٠- تفيد أن الشهداء أحياءٌ، والمؤمنون احياءٌ في الجنة غير أن حياة الشهداء أكمل.

٣٠٣١- تفيد أن الجزاء من جنس العمل؛ فلما بذلوا أرواحهم في سبيل الله ﷻ جعلهم أحياءً يرزقون.

٣٠٣٢- تفيد أن الحياة الحقيقية هي في طاعة الله ورسوله.

٣٠٣٣- فيها: ردٌ على منكري البعث.

٣٠٣٤- يفيد الإتيان بظرف المكان ﴿عِندَ﴾ الدلالة على شريف مكانهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾.

٣٠٣٥- فيها: التعبير بالمضارع في آخر الآية ﴿يُرۡزَقُونَ﴾ دلالةٌ على أن نعيمهم مستمرٌ.

٣٠٣٦- فيها: حذف معمول الرزق دليلٌ على عظم ذلك الرزق عند الله تعالى.

٣٠٣٧- تفيد أن الشهداء يرزقون وهم أموات.

٣٠٣٨- تفيد أن أعظم الرزق ما كان في الجنة بجوار الرب الكريم.

قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[آل عمران: ١٧٠].

٣٠٣٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق الوعد بالنعيم للذين يقتلون في سبيل الله ﷻ، جاء بيان حالهم وفرحهم بما يلقونه من فضل الله العظيم.

٣٠٤٠- ومن المناسبات: لما سبق ذكر شرف الشهادة في سبيل الله، جاء ذكر حال الشهداء مع ما يتمتعون به من النعيم، وما يحظون به من الزلفى عند ربٍ كريمٍ.

٣٠٤١- ومن المناسبات: لما سبق إنكار المنافقين على إخوانهم وعتابهم أنهم ما أطاعوهم بالقعود عن الجهاد والإحجام على القتال خشية على حياتهم الدنيا، وما حملت مقالتهم من شؤم المعصية لله ورسوله، جاء في هذه الآية استبشار الشهداء الأحياء المنعمين عند ربهم لإخوانهم أحياء الدنيا من بعدهم أن ينالهم من هذا الفضل وهذا النعيم.

٣٠٤٢- تفيد سعادة الشهداء، وفرحهم بما هم فيه من النعيم الذي هو من فضل الله ﷻ وحده.

٣٠٤٣- تفيد أن النعيم والسعادة والجنة محض فضل الله ﷻ، والله ذو الفضل العظيم.

٣٠٤٤- تفيد مشروعية الفرح بهبة الله وفضله دون النظر إلى حجمها، ودون مقارنةٍ مع الآخرين قلةً أو كثرةً.. بل يكون مناط الفرح استشعار العبد أنها فضل من الله ﷻ؛ وهذا دليلٌ على ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من المعرفة بالله وهباته، وقوله تعالى: ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يعم كل النعم محسوسها ومعنويها.. فلا ينفك الملاحظ لفضل الله يراوح من ذكرٍ للنعمة وشكرٍ لمسديها ﷻ.

٣٠٤٥- فيها إشارةٌ إلى أن فضل الله علامة محبته لعبده؛ حيث ينقله إلى رضوانه ونعيمه.

٣٠٤٦- فيها بيان أن فضل الله عظيمٌ وجزاءه جزيلٌ.

٣٠٤٧- فيها دليلٌ على رضا الله تعالى عن الشهداء، فهم يستقبلون رزق الله بالفرح؛ لأنهم يُدركون أنه من فضله عليهم، فأي شيءٍ يُفرحهم أكثر من رزقه الذي يتمثل في رضاه عنهم؟!

٣٠٤٨- تفيد أن المسلم يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه، وهذا من النصح؛ فها هم الشهداء يستبشرون بمن خلفهم ويريدون لهم من الكرامة مثل ما نالوا هم.

٣٠٤٩- فيها إشارةٌ إلى صفاء قلوب أهل الجنة، وحبهم الخير لغيرهم.

٣٠٥٠- فيها: تعزيةٌ لمن فقد شهيداً؛ أنه ترك حياة التعب والشقاء وانتقل إلى حياةٍ يفرح وينعم فيها، فحقٌ لمن طلب الشهادة أن يقبل عليها فرحاً مسروراً، وأن يهنأ ذووه ومحبوه.

٣٠٥١- فيها إشارةٌ إلى أن الحياة الدنيا تعتريها الأكدار والمنغصات، والحياة عند الله لمن امتن عليهم بالشهادة: حياةٌ كلها صفاءٌ ونعيمٌ.

٣٠٥٢- فيها حثٌّ لمن هم بعد الشهداء على زيادة الطاعات والمسارعة فيها، والحرص على نيل مرتبة الشهادة، ودعاء الله لبلوغها والظفر بها.

٣٠٥٣- فيها تأكيدٌ على أن المجاهدين في سبيل الله لا خوفٌ عليهم فيما سيلقونه؛ بسبب جهادهم، ولا هم يحزنون على ما فاتهم.

٣٠٥٤- فيها دليلٌ على أن المؤمن الصالح إذا مات فلا خوفٌ يصيبه ولا حزنٌ.

٣٠٥٥- في هذه الآية وما بعدها: إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكانٍ عند ربهم، وفيها تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضاً، وتبشير بعضهم بعضاً.[السعدي].

قال تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١].

٣٠٥٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق قوله للذين لم يلحقوا بهم: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ جاء ذكر حالهم أنهم يستبشرون بنعمة الله وعظيم فضله.. ولما استبشروا لإخوانهم، استبشروا لأنفسهم تحقيقاً لمعنى البشارة، وبسبب ما لقوه من النعيم وواسع الفضل.

٣٠٥٧- فيها مع ما قبلها تأنيسٌ وتسليةٌ لنفوس المؤمنين أن الفرح لهم على كل حالٍ؛ ففي جهادهم إرضاءٌ لخالقهم مهما كانت النتيجة، وفي قتلهم حياةٌ ونعيمٌ مقيمٌ، وفي نصرهم عزةٌ وتمكينٌ.

٣٠٥٨- فيها مع التي قبلها أن المؤمن في جهاده في خيرٍ وإلى خيرٍ؛ فإما أن يفرح بنصره على الأعداء، وإما أن يفرح بالشهادة وبلوغ رضوان الله ﷻ.

٣٠٥٩- فيها مع التي قبلها التعبير عن أثر الفرح الذي وقع في نفوسهم أنه قد ارتسم على وجوههم بشراً وسروراً.

٣٠٦٠- فيها مع التي قبلها أن أرواح الشهداء قد آتاها الله صفاءً، جعلها تدرك ما يقع به النفع على غيرهم ممن يهمهم أمرهم.

٣٠٦١- في مجيئها بعد قوله: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ دلالةٌ على أن من كان في نعمة الله وفضله لا يحزن أبداً، ومن كانت أعماله مشكورة لا يخاف العاقبة.

٣٠٦٢- فيها تسليةٌ للمؤمنين الذين أصابهم القرح يومئذٍ.

٣٠٦٣- تفيد أن الاستبشار والتفاؤل صفةٌ للمؤمنين لا تفارقهم أبداً.

٣٠٦٤- فيها الحث على الفرح والاستبشار بنعم الله وفضله؛ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

٣٠٦٥- فيها إشارةٌ إلى استبشارهم بالعزة لدينهم وللحق الذي ماتوا في سبيل الدفاع عنه، ويستبشرون لمن بعدهم إدراك هذا النصر وهذه العزة.

٣٠٦٦- فيها التحفيز على الجهاد في سبيل الله، والصبر عليه، فلو أدرك العباد ما للجهاد في سبيل الله من ثوابٍ ومنزلةٍ ما تخلف عنه أحدٌ.

٣٠٦٧- تفيد عظيم نعيم الشهداء؛ فهم فرحون بما حصل لهم من النعيم، ويستبشرون بنعمةٍ وفضلٍ زائدٍ.

٣٠٦٨- تفيد أهمية إسناد النعمة إلى مسديها وهو الله جل وعلا فهم لا يرون لأنفسهم فضلاً بل يرون المنة والفضل لله ﷻ عليهم.

٣٠٦٩- تفيد أن النعم كلها من الله ﷻ؛ فعلى العباد أن يشكروه ولا يكفروه.

٣٠٧٠- تفيد فضل الله ﷻ على العباد عموماً، وعلى الشهداء خصوصاً والله ذو الفضل العظيم.

٣٠٧١- فيها بيان فضل الله ورحمته بالعباد وأنه لا يضيع أجر عاملٍ مهما بلغ؛ ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

٣٠٧٢- فيها إشارةٌ إلى سمو مكانة الإيمان، وأنه مناط السعادة.

٣٠٧٣- تفيد أن الله ﷻ كما امتن على الذين نالوا الشهادة وقتلوا في سبيله، يمتن على الذين لم ينالوا الشهادة بعد ويوفيهم أجورهم، فهو لا يضيع أجر المؤمنين.

٣٠٧٤- تفيد إثبات عدل الله ﷻ؛ وذلك بعدم إضاعته أجر المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

٣٠٧٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلازالت الآيات تضعنا في صورة الحدث العظيم... نستحضر المشهد، نستلهم العبر، نستخلص الهدايات: ولما ختمت الآية السابقة بوعد الله

سبحانه أنه ﴿لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ جاء في هذه الآية بيان حال المؤمنين وسرعة استجابتهم وطاعتهم لله ﷻ ورسوله ﷺ.

٣٠٧٦- تفيد دقة المناسبة بين هذه الآية وما سبقها فبعد أن ذَمَّ تعالى المنافِقِينَ بِرُجُوعِهِمْ مِن غَيْرِ أنْ يُصِيبَهم قَرْحٌ؛ ومَدَحَ أحْوالَ الشُّهَداءِ؛ تَرْغِيبًا في الشَّهادَةِ؛ وأحْوالَ مَن كانَ عَلى مِثْلِ حالِهِمْ؛ تَرْغِيبًا في النَّسْجِ عَلى مِنوالِهِمْ؛ وخَتَمَ بِتَعْلِيقِ السَّعادَةِ بِوَصْفِ الإيمانِ؛ أخَذَ يَذْكُرُ ما أثْمَرَ لَهم إيمانُهم مِنَ المُبادَرَةِ إلى الإجابَةِ إلى ما يَهْدِيهِمْ إلَيْهِ ﷻ؛ إشارَةً إلى أنَّهُ لَمْ يَحْمِلْ عَلى التَّخَلُّفِ عَنْ أمْرِهِ مِن غَيْرِ عُذْرٍ إلّا صَرِيحُ النِّفاقِ؛ فَقالَ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ﴾.

٣٠٧٧- تفيد فضل الاستجابة لله وللرسول وقد جاء الأمر بذلك من الله جل وعلا في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤].

٣٠٧٨- تفيد: المبادرة بالاستجابة بعد المصيبة، والتحلي بالإحسان والتقوى، وهذه مراتب لكلٍ منا منها قدر بقدر إيمانه.

٣٠٧٩- فيها: لا تجعل الكلوم والجراح والمصائب تمنعك من الاستجابة.

٣٠٨٠- فيها: دافع المصائب بالاستجابة لا الجزع.

٣٠٨١- تفيد أن قوة الإيمان تنسي الآلام، وتدفع للاستجابة، التي تبعث عليها لذة الإيمان وحلاوته، وطلب الأجر العظيم من المولى الكريم سبحانه.

٣٠٨٢- تفيد أن البلاء يزيد المؤمن تمسكاً واستجابةً ومسارعةً؛ فلا يكون كمن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

٣٠٨٣- تفيد أن المؤمن مبتلىً؛ وهذا مما يزيد في حسناته ويكفر من سيئاته.

٣٠٨٤- فيها توجيهٌ لتعظيم الله ﷻ في النفوس، وتعظيم أمره، وسرعة الاستجابة إليه.

٣٠٨٥- فيها رفعة قدر الرسول ﷺ، وعظيم أمره، وأن طاعته طاعةٌ لله ﷻ؛ وذلك لاقتران اسمه مع اسم الله ﷻ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

٣٠٨٦- فيها منقبةٌ لصحابة رسول الله ﷺ، وفضيلةٌ لهم في سرعة استجابتهم لأمره وعدم ترددهم رغم ما أصابهم.

٣٠٨٧- تفيد أن الصحابة الكرام ضربوا أروع الأمثلة في الاستجابة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ، والثبات على ذلك.

٣٠٨٨- تفيد تقديم الصحابة للآخرة على الدنيا، ورغبتهم فيما عند الله ﷻ، فهو الذي دفع بهم للخروج لملاقاة العدو برغم ما فيهم من الجراحات والآلام المادية والمعنوية.

٣٠٨٩- تفيد أن النوازل والابتلاءات تقاوم بالتمسك بالدين وتواجه بالثبات عليه وسرعة العودة إليه. وقد قال ﷺ: "... سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم" [السلسلة الصحيحة].

٣٠٩٠- فيها استنهاضٌ للهمم، وعدم الركون والعجز واليأس بعد الهزيمة.

٣٠٩١- تفيد أنه كلما اشتدت المشقة في الطاعة عظُم ثوابها وضوعف أجرها.

٣٠٩٢- تفيد: حقيقة الإيمان أن يترجم إلى أعمال، والعمل الصالح لازم من لوازم الإيمان.

٣٠٩٣- تفيد أن المؤمن كلما ازداد إيماناً؛ ازداد ثباتاً وثقةً بالله ﷻ وموعوده.

٣٠٩٤- تفيد فضل الإحسان فهو أعلى مراتب الدين.

٣٠٩٥- تفيد فضل التقوى.

٣٠٩٦- تفيد الحث على الإحسان والتقوى، وهما سبب الأجر والثواب العظيم من الرب الكريم جل جلاله.

٣٠٩٧- فيها: وصف الأجر من العظيم بأنه عظيمٌ مما لا يمكن وصفه ومعرفة قدره؛ فنسأل الله العظيم من فضله العظيم.

٣٠٩٨- تفيد فضل الله ﷻ وكرمه وإحسانه لخلقه حيث سمى ما يعطيهم تفضلاً منه: أجراً.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]

٣٠٩٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلا تزال الآيات تصف حال المؤمنين الذين رضي الله عنهم ووعدهم بالأجر العظيم، وتصور الآيات ثبات الصحابة الكرام، كما تصور إيمانهم الراسخ رسوخ الجبال.

٣١٠٠- تفيد أن الإرجاف سلوكٌ عدائيٌ خطيرٌ؛ والعصمة منه بأمرين:

- الأول: قلبيٌ بتجديد الإيمان

- الثاني: لفظيٌ بقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

٣١٠١- تفيد أن الإرجاف حربٌ خطيرةٌ، وسلاحٌ فعالٌ ينبغي مدافعته.

٣١٠٢- تفيد أن الإرجاف يُضاد بالإيمان، وحسن التوكل على الله ﷻ.

٣١٠٣- فيها: الإرجاف يواجه بما يُضاده من بث العزيمة والهمة والتفاؤل.

٣١٠٤- فيها: المنهج الشرعي في التعامل مع الإشاعات والارجاف؛ وهو منهج الصدّ والردّ:

أولاً: الصد بالإيمان والتوكل وعدم التداول؛ ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾، ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦].

ثانياً: الردّ إلى العلماء وولاة الأمر؛ ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣]؛ إنه المنهج القرآني في التعامل الأمثل لعامة الناس مع الأحداث والفتن: منهج يقوم على صدّ الشائعات سواءٌ كانت إيجابيةً أو سلبيةً، وإرجاف المرجفين، وعدم تداولها، ووأدها في مهدها، وكذلك عدم إفشاء أسرار المسلمين ومعلوماتهم وتحركات جيوشهم، ومنهج يقوم على ردّ الامور إلى أولي الامر (العلماء والأمراء) الذين سماهم الله ﷻ أولي الأمر لأنهم المختصون بإدارة الأمور ومعرفة حقيقتها وأبعادها ومآلاتها.

٣١٠٥- فيها توجيهٌ للثبات أمام كل التحديات وعدم الالتفات لدعايات المثبطين، وأقوال المرجفين.

٣١٠٦- تفيد أن الإرجاف شأن الخائنين والمنافقين وأهل الخور وضعف الدين.

٣١٠٧- تفيد أن المؤمن لا يلتفت لقول المنافقين والمرجفين الذين يعظمون به الأعداء وقوتهم.

٣١٠٨- تفيد أن الإرجاف الإعلامي ربما يتزعمه شخصٌ واحدٌ من الناس، ويصور للعوام بأنه السواد الأعظم.

٣١٠٩- فيها أن الفرد قد يصنع ما لا تصنعه الجماعة سواءٌ في الخير أو الشر؛ فهذا نعيم بن مسعود الذي حاول أن يرهب المسلمين في أحد، هو نفسه الذي خذّل الأحزاب في الخندق وتفرقوا؛ فكان من أسباب انتصار المسلمين؛ وفي التاريخ الكثير من الأمثلة: أبو بكرٍ في الردة،

وأحمد في الفتنة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم. وفي الشر: مسبب الحرب العالمية شخصٌ واحدٌ.

٣١١٠- فيها: تكرار لفظ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ مع أن المراد متغيرٌ: إشارةٌ إلى أن المنافق قد يجمع أو يشارك في الجمع ضد معسكر الإسلام ثم يكون هو المنبه لهم.. كأنه يحذرهم ويشفق عليهم.. وما أصدق هذه الصورة في واقعنا!

٣١١١- فيها: هذه الآية هي الأشهر عند علماء علوم القرآن في التمثيل للعام المراد به الخصوص، وقد حصرها أحد الباحثين في رسالةٍ علميةٍ فوقع على واحدٍ وستين مثالًا غيرها.

٣١١٢- فيها أن الإرجاف الذي يمارس في حق أمة الإسلام اليوم آكد دليلٍ على أنهم على الحق، وأن الإرجاف الذي يشاع فيهم، قد وقع في سلفهم من قبلهم، فحري أن يتأسوا بهم في الثبات على الحق.

٣١١٣- فيها أن الحرب الإعلامية ضد أصحاب الحق هي من مصادر قوتهم وزيادة إيمانهم.

٣١١٤- تفيد مدح الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وإثبات رضا الله عنهم؛ بتوفيقهم لما يرضيه.

٣١١٥- تفيد أن من صفات المحسنين: قوة القلب، وثبات القدم في الحق وللحق، وعدم تهيّب الأعداء.

٣١١٦- تفيد أن المرجفين من المنافقين والإعلاميين لصوص العقول، لا يتورعون في كذبهم وسرقتهم للعقول من التأكيد على صحة موقفهم بكل ما يستطيعون من التأكيدات اللفظية والمغالطات العقلية، والانحرافات العقدية؛ ﴿إِنَّ﴾ ﴿قَدۡ﴾ ﴿جَمَعُواْ﴾ ﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾؛ إذ ما علاقة الجمع بالخشية، ثم إن اختيارهم للفظة [الخشية] دون لفظة [الخوف] جاءت بعنايةٍ وخبث طويةٍ من هؤلاء، لإخراج المؤمنين الصادقين من العقيدة الصحيحة في خشية الله تعالى دون غيره، ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

٣١١٧- يفيد ورود لفظة الخشية:

- أن المرجفين حاولوا تهويل شأن العدو، دون الانتقاص من شأن المؤمنين، على خلاف الخوف الذي يفيد ضعف الخائف.

- فيها مدحٌ لمحمد ﷺ وصحبه أنهم في حالة إقدامٍ وثباتٍ، ولا يُتوقع منهم النكوص والهروب الذي يفيده الخوف، فكان الإرجاف فيهم ليأخذوا وضع السكون الذي تفيده الخشية وترك القتال.

- أراد المرجفون استغلال ما وقع في المؤمنين من قتلٍ وجراحاتٍ في إرجافهم، فالخشية تفيد معرفة المخشي منه.

٣١١٨-

٣١١٩- فيها دليلٌ على أن الإيمان يزيد وينقص؛ فيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٣١٢٠- تفيد أنَّ تعلق القلب بالله تعالى، واعتماده عليه من أسباب زيادة الإيمان.

٣١٢١- تفيد أن المؤمن علاقته بربه وخالقه، وهو كافيه وناصره. والمؤمن المتوكل على الله لا يخاف ولا يخشى الا الله ﷻ:

جهلت عيون الناس ما في داخلي ... فوجدتُ ربّي بالفؤادِ بصيرا
ربّي معي، فمَنْ الذي أخشى إذن ... ما دام ربّي يُحسِنُ التدبيرا
وهو الذي قد قال في قرآنه: ... وكفى بربّك هاديًا ونصيرا

٣١٢٢- فيها أهمية الاعتصام بالله، والتوكل عليه، والثقة بنصره.

٣١٢٣- تفيد أن رُب ضارةٍ نافعةٍ، ورب عبارات يراد بها الانهزامية والخذلان تكون سبباً للفوز ورفعة الشأن، فأبشروا يا أمة الإسلام والإيمان، وأصلحوا من شأن علاقتكم بربكم الديان، ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾.

٣١٢٤- فيها الإشارة إلى عظم أثر هذه الكلمة العظيمة ﴿ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ في إبطال كيد الأعداء وإطفاء نارهم؛ فما أحوجنا للإكثار من قولها في هذا الواقع المؤلم.

٣١٢٥- فيها: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾؛ فقول هذه الكلمة العظيمة من سنن الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

٣١٢٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق ذكر ثباتهم، وعدم التفاتهم لقول المثبطين والمرجفين، وتوكلهم على مولاهم وخالقهم، جاء ذكر ما نالوا وما ظفروا به.

٣١٢٧- تفيد مع ما قبلها عاقبة التوكل على الله ﷻ؛ فقد رجعوا من حمراء الأسد بثوابٍ عظيمٍ من الله ﷻ، وزيادة في درجاتهم والسلامة من كيد العدو، واتبعوا ما يرضي الله عنهم من التزام الطاعة والكف عن المعصية وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٣١٢٨- تفيد مع ما قبلها كثرة نعم الله وعظم فضله على المجاهدين في سبيله، ففي الآخرة قال عنهم: ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾، وفي الدنيا قال عنهم: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾؛ ومن هنا قد يظهر للمتأمل والمتدبر سر الفرق في صيغتي المضارع والماضي في الآيتين.

٣١٢٩- فيها مع ما قبلها أن من رضوان الله تعالى الذي ينبغي اتباعه عدم الانجرار مع الأراجيف الموهنة، وكذلك قول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

٣١٣٠- فيها أن النعم كلها من الله تعالى وحده، والنعم تشمل النعم الظاهرة والباطنة، وتشمل نعم الدنيا والآخرة.

٣١٣١- تفيد أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

٣١٣٢- تفيد سرعة إجابة دعاء المؤمنين الثابتين الواثقين بربهم المتوكلين عليه.

٣١٣٣- تفيد فضل التوكل والاعتماد على الله ﷻ؛ فهؤلاء لَمَّا تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ ﷻ كَفَاهُمْ مَا أَهَمَّهُمْ، وَرد عَنْهُمْ بَأْسَ مَنْ أَرَادَ كَيْدَهُمْ، فَرَجَعُوا إِلَى بَلَدِهِمْ ﴿بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾.

٣١٣٤- تفيد أن العبد إذا عمل العمل الصالح وسعى فيه ولم يكمله أو لم يدرك كله كتب الله له أجر عمل كامل؛ لقوله تعالى: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ ﴾.

٣١٣٥- تفيد أن المحفوظ هو من تولى الله تعالى حفظه؛ ما أبلغ قوله تعالى: ﴿ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾.

٣١٣٦- فيها أن صرف السوء من نعم الله تعالى وفضله على عباده.

٣١٣٧- تفيد أن العبد يعمل العمل الصالح، ويسأل الله السلامة والعافية من السوء والبلاء، ولهذا جاء في الحديث: "لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية".

٣١٣٨- تفيد إثبات صفة الرضا لله تعالى، لقوله: ﴿رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾.

٣١٣٩- تفيد الحث على اتباع ما يرضي الله ﷻ.

٣١٤٠- تفيد إثبات اتصاف الله تعالى بالفضل العظيم في كميته وكيفيته.

٣١٤١- تفيد عظم ثمرة التوكل على الله فلما اعْتَمَدُوا بِقُلُوبِهِمْ عَلَيْهِ، أَعْطَاهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ أَرْبَعَةَ مَعَانٍ: النِّعْمَةُ، وَالْفَضْلُ، وَصَرْفُ السُّوءِ، وَاتِّبَاعُ الرِّضَا. فرضاهم عنه، ورضي عنهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

٣١٤٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن رغَّبهم سبحانه بولايته والثبات أمام كل التحديات وذكر ما أعدَّ لهم من الجزاء والمكرمات، جاء التقليل من شأن العدو من المشركين الذين والوا الشيطان... ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

٣١٤٣- تفيد دقة المناسبة بين هذه الآية والآيات السابقة؛ قال البقاعي: "ولَمّا جَزاهم - سُبْحانَهُ - عَلى أمْثالِ ذَلِكَ؛ بِما وقَعَ لَهم مِن فَوْزِهِمْ بِالسَّلامَةِ؛ والغَنِيمَةِ؛ بِفَضْلِ مَن حازَ أوْصافَ الكَمالِ؛ وتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ؛ بِما لَهُ مِن رِداءِ الكِبْرِياءِ والجَلالِ؛ ورَغَّبَهم فِيما لَدَيْهِ؛ لِتَوَلِّيهِمْ إيّاهُ؛ أتْبَعَ ذَلِكَ بِما يَزِيدُهم بَصِيرَةً مِن أنَّ المُخَوِّفَ لَهم مَن كَيْدُهُ ضَعِيفٌ؛ وأمْرُهُ هَيِّنٌ؛ خَفِيفٌ؛ واهٍ؛ سَخِيفٌ؛ وهو الشَّيْطانُ؛ وساقَ ذَلِكَ مَساقَ التَّعْلِيلِ لِما قَبْلَهُ مِن حِيازَتِهِمْ لِلْفَضْلِ؛ وبُعْدِهِمْ عَنِ السُّوءِ؛ بِأنَّ ولِيَّهُمُ اللَّهُ؛ وعَدُوَّهُمُ الشَّيْطانُ؛ فَقالَ - التِفاتًا إلَيْهِمْ بِزِيادَةٍ في تَنْشِيطِهِمْ؛ أوْ تَشْجِيعِهِمْ؛ وتَثْبِيتِهِمْ -: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾؛ أيْ: القائِلُ الَّذِي تَقَدَّمَ أنَّهُ النّاسُ؛ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أيْ: الطَّرِيدُ البَعِيدُ المُحْتَرِقُ".

٣١٤٤- ومن المناسبات: لما سبق ذكر فضله على المؤمنين، جاء تحفيزهم لنيله بالثبات وعدم الخوف من أعدائهم الذين يحاول الشيطان تخويفهم بهم.

٣١٤٥- فيها مع ما قبلها تأكيدٌ على عدم التخلف عن اتباع النبي الكريم ﷺ فيما يدعو إليه.

٣١٤٦- فيها ردٌ على قول المرجفين الذين قالوا للمؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾.

٣١٤٧- فيها تحفيزٌ على الجهاد في سبيل الله، والإقدام، وعدم الخوف، والقعود عنه.

٣١٤٨- تفيد التنبيه لكيد الشيطان الذي يوسوس للمؤمنين محاولاً تخويفهم من أعدائهم من المشركين.

٣١٤٩- تفيد أهمية الذكر ودوره في الجهاد لدفع وساوس الشيطان وتحقيق النصر والفلاح؛ لأن هذا التخويف يتم عن طريق الوسوسة لذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

٣١٥٠- تفيد أن للشيطان - العدو المبين - أولياء.

٣١٥١- تفيد بيان حقيقة العلاقة مع الشيطان، فالمؤمنون لا يطيعونه ولا سلطان له عليهم لأن وليهم الله وهو الذي يخافونه ويطيعونه ويتوكلون عليه؛ ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾[النحل: ٩٩ - ١٠٠].

٣١٥٢- تفيد أن ولاية شياطين الجن والأنس لا يجني من ورائها العبد إلا الخوف والخسران، عكس ولاية الرحمن فإنها توجب الطمأنينة والسعادة.

٣١٥٣- تفيد شدة عداوة الشيطان للمؤمنين؛ فهو يسعى دائما لما يرعبهم ويخوفهم ويقلقهم.

٣١٥٤- تفيد التقليل من شأن أعداء الدين، وذلك بتحقير من حرصوا على توليه من دون الله، ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

٣١٥٥- فيها عند ملاقاة العدو من المشركين، يستحضر العبد المؤمن عظمة وليه وكمال قدرته سبحانه وتعالى.

٣١٥٦- تفيد النهي عن الخوف من غير الله عز وجل، وخوف السر: شركٌ أكبرٌ وهو أن يخاف من ميتٍ أو صاحب قبر أن يضره مثلاً، وأما الخوف الطبيعي من سبعٍ أو نارٍ أو عدوٍ مثلاً فلا حرج فيه.

٣١٥٧- تفيد أن أمر الشيطان وأتباعه أحقر من أن يخاف منهم، لأن كيد الشيطان كان ضعيفاً، ومن تولاه كذلك فهو ضعيف.

٣١٥٨- فيها وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله.

٣١٥٩- تفيد أنّ الإيمانَ يَقْتَضِي إيثارَ خَوْفِ اللَّهِ تَعالى عَلى خَوْفِ غَيْرِهِ، ويَسْتَدْعِي الأمْنَ مِن شَرِّ الشَّيْطانِ وأوْلِيائِهِ.

٣١٦٠- فيها دليلٌ على العبادات القلبية، ومنها الخوف، وصرفها لله وحده.

٣١٦١- تفيد أن شرط الإيمان الخوف من الله، ومن خاف من الله أمن شر الشيطان وأولياءه.

٣١٦٢- تفيد أن خوف العبد يجب أن يكون من الله وحده ومن خاف الله تحقق له الأمن من عدوه.

٣١٦٣- تفيد أن الإيمانَ يَقْتَضِي إيثارَ خَوْفِ اللَّهِ تَعالى عَلى خَوْفِ غَيْرِهِ ويَسْتَدْعِي الأمْنَ مِن شَرِّ الشَّيْطانِ وأوْلِيائِهِ.

٣١٦٤- تفيد أنه كلما قوي الإيمان زاد الخوف من الله ﷻ، وضعف الخوف من أولياء الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

٣١٦٥- تفيد دقة المناسبة بين الآيات فلَمّا مَدَحَ ﷻ المسارِعِينَ في طاعَتِهِ؛ وطاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ وخَتَمَ ذَلِكَ بِالنَّهْيِ عَنِ الخَوْفِ مِن أوْلِياءِ الشَّيْطانِ؛ أعْقَبَهُ بِذَمِّ المسارِعِينَ في الكُفْرِ؛ والنَّهْيِ عَنِ الحُزْنِ مِن أجْلِهِمْ.

٣١٦٦- فيها رحمة النبي ﷺ، وحرصه على هداية الكافرين، وحزنه على مسارعتهم في الكفر.

٣١٦٧- تفيد أن الأنبياء يصيبهم ما يصيب البشر من الحزن والضيق، ولكن الله تعالى يثبتهم.

٣١٦٨- تفيد أن من القول ما يحزن، ولكن علاجه يكون بطرح الحزن من خلال عدم الالتفات إليه، وعدم المبالاة بهم وبما يقولون.

٣١٦٩- فيها تسليةٌ ومواساةٌ للنبي ﷺ عمّا يقع في قلبه من الأسى والحزن من مسارعة الكفار إلى الكفر.

٣١٧٠- فيها إشارةٌ إلى أن حقيقة ما يحزن النبي الكريم ﷺ هو إغضاب الله تعالى وتحديه ومخالفة أوامره.

٣١٧١- تفيد أن الحزن والانشغال به يضر الدعوة؛ من جهة أن الحزن يثقل القلب، ويضيق الصدر، ويبطئ عن العمل.

٣١٧٢- تفيد ضرورة ضبط المشاعر، والتحكم فيها، وعدم الاسترسال فيها بلا حدود ضابطةٍ من شرعٍ وعقلٍ، وذلك في كل الأحوال وفي مقام الدعوة إلى الإسلام على وجه الخصوص.

٣١٧٣- تفيد إمكانية ضبط انفعال الحزن والتحكم فيه. وكان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الهم والحزن.

٣١٧٤- فيها: الحزن على معصية العاصي وكفر الكافر طاعةٌ، فكيف نهى عنه؟ قال الواحدي: إنما نهي عنه النبي ﷺ لأنه كان يفرط في الحزن على قومه حتى كاد يؤدي إلى أن يضر به؛ فنهي عنه ألا ترى إلى قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

٣١٧٥- تفيد أن السعيد من دفع الله تعالى عنه الخوف والحزن في الدنيا، فالقرآن يحقق من خلال توجيهاته المتوالية سعادة أهل الإيمان.

٣١٧٦- تفيد أن للباطل محبين يسارعون في اعتقاده ودعمه؛ لكنهم يسارعون لما فيه هلاكهم وخسارتهم، فإنهم لن يضروا الله تعالى ودينه شيئاً؛ لأنه متمه ولو كره الكافرون.

٣١٧٧- فيها: جاء التعبير في الآية: ﴿فِى ٱلْكُفْرِ﴾ ولم يقل [إلى الكفر] إشارةً إلى أنهم ما خرجوا منه؛ لأن إسلامهم كان نفاقاً فقط. وقد يكون المعنى أيضاً: يدخلون في الكفر بسرعة. فيشمل المنافقين وغيرهم، وهذا إن دل على شيءٍ فإنما يدل على قمة البلاغة القرآنية وأن العبارة القصيرة تعطي معاني كثيرةٍ ودلالاتٍ متعددةٍ، ولو أنه قال: [يسارعون إلى الكفر] لما أعطت هذه المعاني والدلالات، فما أعظم كلام ربنا، وما ألطف هداياته، وأدق عباراته.

٣١٧٨- تفيد هوان الكفار الذين يسارعون في الكفر على الله تعالى حيث أمره أن لا يلتفت إليهم، ولا يحزن عليهم فسوف يعذبون، وفيها تهديدٌ لهم.

٣١٧٩- فيها أن هناك من يسارع في الكفر ولو كان فيه هلاكه وعذابه وهذا يدل على جهل الكافر والمنافق وعدم مبالاته بالعواقب الوخيمة، واتباعه للشيطان.

٣١٨٠- تفيد أن بعض الخلق يسارع لما فيه هلاكه وهو لا يدري؛ وهذا نتيجة العمه والضلال.

٣١٨١- تفيد أن من طبيعة المنافقين ومرضى القلوب واهل الاهواء وأصحاب الدين الرقيق المسارعة في الكفر والكفار وأهل الكتاب عند الفتن، بل يُقدِّمون لهم فوق ما يريدون ويسارعون في تحقيق رغباتهم قبل أن يطلبوا. أما المؤمن فهو ثابتٌ بإيمانه، موقنٌ بأن فتح الله آتٍ وأمره ماضٍ، وأن دين الله منصور لن يتضرر من كيد الكائدين ولا خذلان المنافقين.

٣١٨٢- فيها التنويه إلى تمام بصـــيرة أهل الإيمان وكمال عقلهم في كف أنفســـهم عن الكفر وأعماله مهما تكاثرت جاذبيته الآخذة لبعض الناس للإسراع في الدخول فيه.

٣١٨٣- تفيد أن من صفات أهل الإيمان أنهم يسارعون عن الكفر إلى الإيمان، بل يتسارعون في درجات ومنازل الإيمان كما قال تعالى في وصـــف المؤمنين بالمســـارعة في الإيمان، فقال: ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ [المؤمنون: ٦١]، وحقيقة المسارعة في ذلك أن يترقى الإنســان فيما يتحرّاه منزلةً فمنزلة، خيراً كان أو شراً، فيتعوَّده فيتقوَّى به.

٣١٨٤- فيها كمال غنى الله ﷻ عن الخلق؛ فلا تضـره معصـية العاصـين ولا طاعة الطائعين ﷻ.

٣١٨٥- تفيد أن الكفار أضعف من أن يضروا الله شيئاً، فهم في ضلالةٍ كاملةٍ ليس معهم من الحق شـيء. وهم أضـعف من أن يضـروا أولياء الله ودعوته، مهما بلغوا من القوة ومهما أوقعوا بالمؤمنين من أذىً وقتيٍ إلى حينٍ.

٣١٨٦- تفيد إثبات الإرادة لله تعالى، وهي إما إرادةٌ كونيةٌ بمعنى المشيئة، أو إرادةٌ شرعيةٌ بمعنى المحبة.

٣١٨٧- تفيد إثبات الآخرة، وأن العباد فيها منقســـمون إلى قســـمين: منهم من له نصـــيبٌ وحظٌ، ومنهم من لا نصيب له ولا حظ.

٣١٨٨- تفيد التخويف والتحذير من عذاب الله ﷻ؛ فإنه عذابٌ عظيمٌ مخيفٌ مؤلمٌ.

٣١٨٩- تفيد أنه لا حظ للكافر في الآخرة لأنه مخلدٌ في النار.

٣١٩٠- تفيد بدلالة المفهوم أن الكافر قد يكون له حظٌ في الدنيا، فكفره لا يمنعه من الحظ في الدنيا.

٣١٩١- تفيد إثبات العقوبة الإضـــافية لهؤلاء الكفار، فليس حظهم ألا يجدوا حظاً في الآخرة فقط، بل مع ذلك يعذبون، لقوله: ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

٣١٩٢- تفيد التنفير والتحذير من الكفر من خلال بيان ما لهم في الآخرة من العذاب العظيم.

٣١٩٣- تفيد أن درجات العذاب في الآخرة تختلف ولكن أعظمه وأشده يكون للكافر.

٣١٩٤- تفيد شـــدة تمادي بعض الناس في الكفر والطغيان وبلوغهم الغاية فيه، حتى أنّ أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[آل عمران: ١٧٧].

٣١٩٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما اختاروا بمقتضى فكرهم ورأيهم الكفر على الإيمان وسارعوا فيه.. جاء التأكيد على أنهم قد عارضوا وعاندوا من لا يضره إعراض المعرضين وعناد المعاندين وكفر الكافرين، بل وقعوا باختيارهم في الخسران المبين ولحقهم الضرر من كل وجه.

٣١٩٦- فيها مع التي قبلها أنهم وقعوا في الكفر بمحض اختيارهم الصادر عن رأيهم وتدبيرهم، أفاد ذلك ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ و﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾؛ وحال الذين اختاروا الكفر اليوم وسائر الدهر - يجادلون به وينافحون عنه ويدعون إليه - يؤكد ذلك.

٣١٩٧- فيها مع التي قبلها أن السرعة الممدوحة في مواطن معناها عدم تأخير الشيء عن أوانه، على عكس العجلة التي تفيد التعجيل بالشيء وتقديمه على أوانه؛ ولذلك جاء ذمها، فإذا جعلت السرعة في الشر كانت أشد ذماً من العجلة لأنها عن رأيٍ وتدبيرٍ، والأشد ذماً مسارعتهم في الكفر الذي هو ملاك الشر كله، ويعود عليهم قبل غيرهم بالضرر والعذاب الأليم.

٣١٩٨- فيها: نبه المفسرون على أن مضمون هذه الآية مؤكدٌ لمعنى الآية السابقة؛ وهذا فيه أهمية التأكيد على المعاني الكبيرة بالتأكيد اللفظي والمعنوي ولو بالموالاة من غير فاصل. أما على رأي الراغب الأصفهاني: وهو يرى ألا تأكيد في الآية؛ فالآية الأولى في المسارعين في الكفر الذين لم تتنور قلوبهم بالإيمان، وهذه فيمن ارتد عن دينه وذمٌ له.. وعلى قوله يؤخذ من الآية: أن المرتد عن دينه لن يضر ربه شيئاً، وإنما الضرر كله واقعٌ عليه بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

٣١٩٩- تفيد بيان شدة رغبة الكفار في الكفر، لأنهم اشتروا الكفر اشتراءً، والمشتري طالبٌ للسلعة؛ فهم قد أخذوا الكفر عن وفور رغبةٍ ومحبةٍ.

٣٢٠٠- فيها: في معنى الشراء إشارةٌ إلى أن لديهم الإرادة الكاملة في القبول أو الرفض بين الإيمان والكفر، فأخذوا أحدهما وأعرضوا عن الآخر بملء إرادتهم. وفي هذا ردٌ على الجبرية.

٣٢٠١- تفيد دقة القرآن في اختيار الألفاظ التي تظهر المعنى المراد فهم أَخَذُوا الكُفْرَ بَدَلًا مِنَ الإيمانِ رَغْبَةً فِيما أخَذُوا، وإعْراضًا عَمّا تَرَكُوا؛ ولِهَذا وضَعَ ﴿ ٱشْتَرَوُاْ ﴾ مَوْضِعَ "بَدَّلُوا" فَإنَّ الأوَّلَ أظْهَرُ في الرَّغْبَةِ، وأدُلُّ عَلى سُوءِ الِاخْتِيار.

٣٢٠٢- تفيد بياناً دقيقاً لسفه هؤلاء الكفار حيث صور حالهم بحال من يشتري الكفر الذي هو أقبح الأمور بالإيمان الذي هو أعظم الأمور، فمن يأخذ الكفر بغير ثمن هو سفيهٌ فكيف بمن يشتريه بأغلى ثمنٍ وهو الإيمان.

٣٢٠٣- تفيد بيان خسارة هؤلاء الكفار، حيث أخذوا الكفر بدلاً عن الإيمان، وهذه أخسر صفقة على وجه الأرض، أن يأخذ العبد الكفر بالإيمان طائعاً طيبةً به نفسه.

٣٢٠٤- تفيد أن الذين يرتدون بعد إيمانهم فيبيعون الإيمان بالكفر، ويشترون الضلالة بالهدى؛ فإنهم لن يضروا الله شيئاً، وقد توعدهم الله جل وعلا بالعذاب الأليم؛ وهو عذاب النار المؤلم الموجع.

٣٢٠٥- تفيد أهمية التكرار في تقرير الحقائق المهمة، فكرر نفي الضرر عن نفسه تعالى [بكفرهم للتأكيد] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٣٢٠٦- فيها كمال الله تعالى وغناه عن خلقه فلا تنفعه طاعة المطيع، ولا يضره كفر الكافر.

٣٢٠٧- تفيد كمال سلطان الله تعالى، وأنه لا تضره كثرة من خالف أوامره.

٣٢٠٨- فيها التخويف من عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه أليمٌ شديدٌ على القلوب والأبدان والأرواح.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

٣٢٠٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق ذكر تثبيط المؤمنين بتخويفهم من القتل ودعوتهم للقعود، وحث المؤمنين على الثبات وعدم الالتفات إلى قولهم وتخذيلهم، وأن يرجوا ما أعد الله لهم من الفضل العظيم، جاء التأكيد على أن بقاء المتخلفين ليس خيراً لهم، بل هو خزيٌ في الدنيا وعذابٌ في الآخرة.

٣٢١٠- ومن المناسبات: لما سبق ذكر الذين اختاروا الكفر على الإيمان، جاء بيان أن إمهالهم بكفرهم ومعاداتهم لله ورسوله والمؤمنين؛ خزيٌ لهم في الدنيا وعذابٌ ينتظرهم في الآخرة.

٣٢١١- فيها مع ما قبلها: لما كان النبي ﷺ خارجاً من غزوة أحد وقد حزن على ما أصاب المسلمين وما فقد من الشهداء، وحزن على من سارع في الكفر من المنافقين ومرضى القلوب، والكفار الأصليين الذين لم يهتدوا وتجبروا؛ جاءت هذه الآيات الثلاث تسليةً للنبي ﷺ وللمؤمنين وتقريراً لحقائق الايمان والسنن الإلهية، فكأن الآية الاولى كانت عن الماضي ومحو أثر الحزن على من لم يثبت ويهتدي وعن المنافقين ومرضى القلوب، والآية الثانية عن الحاضر وعن الكفار الأصليين، والآية الثالثة عن المستقبل وأنه سيزداد أهل الباطل في غيهم وتجبرهم فلا تخف فإنها سنة الله الماضية فالعاقبة أنَّ لهم عذاباً عظيماً أليماً مهيناً وتمحيصاً للمؤمنين واجتباءً وأجراً عظيماً.

٣٢١٢- فيها مع الآية قبلها: هاتان الآيتان تحكيان واقعنا وواقع العالم المعاصر.

٣٢١٣- تفيد أن هنالك أمورٌ لمن يتأملها جيداً هي خلاف ما تظهر له من حقائق في البداية، حيث أن مقصود الآية هي الإعْلام بِخِلاف الحُسْبانِ في حالَتَيْنِ: إحْداهُما تَلُوحُ لِلنّاظِرِ حالَةَ ضُرٍّ، والأُخْرى تَلُوحُ حالَةَ خَيْرٍ، فَأعْلَمَ اللَّهُ أنَّ كِلْتا الحالَتَيْنِ عَلى خِلافِ ما يَتَراءى لِلنّاظِرِينَ.

٣٢١٤- تفيد أنه لا ينبغي للعبد أن يغره إمهال الله له، وعليه أن يبادر بالتوبة من كل ذنب إذ ليس هنالك إهمال وإنما هو إمهال.

٣٢١٥- فيها: رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ بَرٍّ وَلَا فَاجِرٍ إِلَّا وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بَرًّا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗا﴾.

٣٢١٦- تفيد أن إطالة العمر والإمهال وكثرة المال ليست من الإكرام في شيء.

٣٢١٧- تفيد أنه ليس كل من رزق عمراً طويلاً ونعمةً واسعةً كان ذلك خيراً له، كما أنه ليس كل من مات سريعاً كان شراً له، لأن القضية: في أي شيء تقضى الأعمار وتسخر النعم.

٣٢١٨- تفيد أن لا يغتر العباد المؤمنون وخاصة من الشباب أو ضعيفي الإيمان بإمهال الله للكافرين. ومن أسباب ضعف الإيمان والإلحاد اغترار البعض بإمهال الله للكافرين والفاجرين وفتحه لهم أبواب كل شيء.

٣٢١٩- فيها تخويف من هو مقيمٌ على المعاصي وهو في عافيةٍ في بدنه وسعةٍ في رزقه، فهذا قد يكون من الإملاء كما في الحديث: إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

٣٢٢٠- تفيد أن الكفر بالله يجعل الفرد يزداد في الآثام والإجرام والعدوان والظلم.

٣٢٢١- تفيد أن الكفر يمنع من الانتباه والتذكر والمحاسبة والتقويم للنفس والعمل.

٣٢٢٢- فيها غفلة الكفار وما هم عليه من الاغترار بزخرف الدنيا، وفي ضمن ذلك التحذير من حالهم.

٣٢٢٣- تفيد الاطمئنان والراحة للمؤمنين الذين يتعرضون للابتلاءات ويرون الكفار يتنعمون في الخيرات؛ فيعلمون أن هذا النعيم للكفار له أمدٌ محدودٌ وحياةٌ قصيرةٌ، ويعقبه عذابٌ مهينٌ.

٣٢٢٤- فيها إشارة إلى حكمة أهل الإيمان ورجاحة عقولهم وسداد رأيهم، كما أنها تشير إلى سفاهة الكافرين وركاكة رأيهم وسوء تقديرهم.

٣٢٢٥- تفيد خطورة النعم إذا لم يُردُّ الفضل فيها إلى المنعم فيشكر بسببها بما شرع، فالعمر نعمةٌ ومن هوان العبد أن تعمى بصيرته عن الحق الذي جاءه من ربه.

٣٢٢٦- تفيد أن إمهال العباد خيرٌ لهم إذا كانوا على الطاعة، فخير الناس من طال عمره وحسن عمله، كما أنه شرٌ لمن كانوا على المعصية، فشر الناس من طال عمره وساء عمله.

٣٢٢٧- تفيد بطلان مذهب القدرية: لأنه أخبر أنه يطيل أعمارهم ليزدادوا الكفر بعمل المعاصي، وتوالي أمثاله على القلب.

٣٢٢٨- تفيد أن في الإمهال للكافر والمنافق بفجورهم وإفسادهم؛ استدراجٌ وإذلالٌ ومهانةٌ، وابتلاءٌ للمؤمن ورفعٌ لدرجته لصبره وثباته.

٣٢٢٩- فيها: قَوْلُه تَعالى: ﴿مُّهِينٌ﴾ سِرٌّ لَطِيفٌ، وهو أنَّهُ لَمّا تَضَمَّنَ الإمْلاءُ التَّمْتِيعَ بِطَيِّباتِ الدُّنْيا وزِينَتِها، وذَلِكَ مِمّا يَسْتَدْعِي التَّعَزُّزَ والتَّجَبُّرَ، وُصِفَ عَذابُهم بِالإهانَةِ، لِيَكُونَ جَزاؤُهم جَزاءً وِفاقًا.

٣٢٣٠- تفيد أن الجزاء من جنس العمل؛ فالذين كفروا تكبَّروا في الأرض وأفسدوا فيها فكان جزاؤهم العذاب المهين في الآخرة.

٣٢٣١- تفيد شناعة العقوبة بالإهانة والإذلال؛ ومن دلائل ذلك أن الله تعالى خصّ الكافرين بالعذاب المهين؛ حيث لم يوصف العذاب بالمهين إلا في حق الكافرين؛ ويتفرع عن ذلك خطورة إهانة أهل الإيمان، وأن ذلك يدخل في إيذاء أولياء الله الذي توعد الله بالحرب لمن فعله؛ فويل لمن تعمد إهانة مؤمن وإذلاله.

٣٢٣٢- تفيد أن إكرام الكافر وتعظيمه من المنكرات الشنيعة، ومن سوء الأدب مع الله تعالى؛ فما أسوأ حال من يكرم من أهانه الله ﷻ! ومن تكريم الكافر الذي يسخط الرب سبحانه: أن يقال للكافر: سيد، أو السيد.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

٣٢٣٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد كل ما ذكر في شأن غزوة أحد وما احتف بها من البلاء والمحن، جاء تأكيده سبحانه على أن كل ذلك إنما هو لتمييز الصف المؤمن، ولإظهار أهل النفاق وفضح حالهم ومقالهم.

٣٢٣٤- ومن المناسبات: لما صورت الآيات الأحداث التي كشفت أموراً غيبية؛ كتمييز أهل الإيمان من غيرهم، جاء التأكيد على أن هذا من الحكم التي أرادها الله تعالى من كل ما سبق.

٣٢٣٥- ومن المناسبات: لما سبق الوعيد الشديد للذين اختاروا الكفر على الإيمان بالعذاب: [العظيم، والأليم، والمهين]، جاء الوعد بالأجر العظيم والخير العميم لمن آمن بالله ورسله.

٣٢٣٦- ومن المناسبات: لما لمز المنافقون النبي الخاتم ﷺ وشككوا في نبوته؛ بسبب ما أصاب المؤمنين في أحد، جاء الرد منه سبحانه، أنه إنما كان ذلك ليميز المؤمنين الصادقين الثابتين من غيرهم.

٣٢٣٧- فيها كذلك أن مما يخفف المصاب على المبتلى أن يُظهَر له الجانب المشرق.. فيرى النعمة في النقمة، والمنحة في المحنة.

٣٢٣٨- تفيد حث المؤمن على اليقظة والاستعداد للتمحيص والبلاء.

٣٢٣٩- تفيد أن الله ﷻ لا بد أن يميز الخبيث من الطيب؛ وذلك إما بالوحي وإما بالقرائن والأحوال.

٣٢٤٠- تفيد بيان انقسام الناس إلى قسمين خبيثٍ وطيبٍ.

٣٢٤١- تفيد بيان رحمة الله تعالى بعباده حيث لا يتركهم حتى يشتبه بعضهم ببعض، بل لا بد أن يميز هذا عن هذا. وصدق الشاعر الجاهلي [زهير] حين قال: ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ وإن خالها تخفى على الناس تعلم

٣٢٤٢- تفيد بيان حكمة الله عَجَّلَ في أفعاله وأحكامه.

٣٢٤٣- تفيد أن قضية الميز بين المؤمنين والمنافقين ليست إلى البشر وظنونهم بل إلى الله تعالى.

٣٢٤٤- تفيد أن سنة الله في عباده أن يميز صف الإيمان من صف النفاق. وتعلق المِيْزِ بِالْخَبِيثِ المعَبَّرِ بِهِ عَنْ المنافِقِ يفيد أن المؤمن يظل في الابتلاء على ما هو عليه لا يتغير وإنما يكشف الابتلاء حال المنافقين.

٣٢٤٥- تفيد أن تمييز الخبيث من الطيب من صفات الكمال والجلال.. ويترتب عليها آثارٌ في الدنيا والآخرة.

٣٢٤٦- تفيد أن تمييز الخبيث من الطيب رحمةٌ ولطفٌ من الله تعالى بالفريقين والصنفين أفراداً وأفعالاً.

٣٢٤٧- تفيد أن الإنسان يوصف بحسب عمله.

٣٢٤٨- فيها وصف المؤمنين بأجمل وصف تحبه النفس وتألفه: ﴿ٱلطَّيِّبِ﴾ ووصف المنافقين بأقبح وصف تبغضه النفس وتعافه: ﴿ٱلطَّيِّبِ﴾.

٣٢٤٩- تفيد أن تمييز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، والمبتدع من السني مقصدٌ شرعيٌ.

٣٢٥٠- تفيد أن المؤمن طيب القلب والقول والفعل والمنافق والكافر والمشرك عكس ذلك.

٣٢٥١- فيها بيان كمال عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٣٢٥٢- تفيد أن المجتمعات مهما كانت نقيةً وطاهرةً إلا أنه يوجد بها شيء من الخبث ينبغي أن يعرف ليحذر ويتقى شره.

٣٢٥٣- تفيد أن من لطف الله بالمؤمنين أنه يظهر الخبث المندس فيهم بأمارات ودلائل يطلعهم عليها.

٣٢٥٤- القاعدة المستمرة هي عدم اطلاع البشر على الغيب إلا ما استثناه الله تعالى من اطلاعه الرسل على بعض الغيب؛ وكل ذلك لحكمٍ جليلةٍ وفوائد عظيمةٍ. وفي ذلك ردٌ مفحمٌ لكل مدعٍ للغيب من العرافين والرمالين.. إنساً وجناً.

٣٢٥٥- تفيد خطورة أن يتولى أفراد المجتمع تصنيف الناس إلى مؤمن ومنافق بأوهى الأسباب وأتفه الشُبه؛ ولولا ذاك ما خص الله رسله بإطلاعهم عليه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾

٣٢٥٦- تفيد أنه ليس لأحدٍ أن يحكم على أحدٍ بالنفاق أو أن يصفه بأنه من أهل الجنة أو النار، دون دليلٍ قاطعٍ، وبرهانٍ ساطعٍ.

٣٢٥٧- فيها تأديبٌ للمؤمنين بعدم التقصي عن قلوب الخلق والبحث عن مكنونات النفس.. فهذا مما اختص به علم الله تعالى.. وعلينا بالظاهر ونكل البواطن لله ﷻ. ومع ذلك يجب أن لا ينخدع المؤمنون لكل منافق مندس في الأمة.. فالمسألة دقةٌ وفراسةٌ وموازنةٌ بين الكفتين.

٣٢٥٨- تفيد أن إظهار الشعائر ووجود المرء في مواطن الطاعة، ليس دليلاً على حقيقة إيمانه وصدق نيته؛ فكم من منافقٍ يسابق إلى الصف الأول في الصلاة، ويحرص على الظهور بلباس الطاعة والبر... ويخفي حقداً وعداءً لله ولدينه وللمؤمنين.

٣٢٥٩- تفيد أن تمييز الدعاة والمصلحين بين الخبيث والطيب يعد من صفات الكمال في حقهم وليس طعناً فيهم إذا التزموا بضوابط الشرع.

٣٢٦٠- تفيد أن الابتلاء الذي تمر به الأمة اليوم هو من متطلبات تميز الخبيث من الطيب، فالله تعالى في كل فترة لَا بُد أَنْ يَعْقِدَ سَببًا مِنَ الْمِحْنَةِ، يَظْهَرُ فِيهِ وَلِيُّهُ، وَيَفْتَضِحُ فِيهِ عَدُوُّهُ. يُعرف بِهِ الْمُؤْمِنُ الصَّابِرُ، وَالْمُنَافِقُ الْفَاجِرُ. يَعْنِي بِذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ الَّذِي امْتَحَنَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَظَهَرَ بِهِ إِيمَانُهُمْ وَصَبْرُهُمْ وَجَلَدُهُمْ وَثَبَاتُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَهَتَكَ بِهِ سِتْرَ الْمُنَافِقِينَ، فَظَهَرَ مُخَالَفَتُهُمْ ونُكُولهم عَنِ الْجِهَادِ وَخِيَانَتُهُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.

٣٢٦١- فيها: تمييز الخبيث من الطيب يدل على أن الطيب هو الأصل والخبيث عارض لا أصل له. مما يدل على نقاء وسلامة فطرة الإنسان وأصله ولكن الكفر والنفاق يشوه تلك الفطرة.

٣٢٦٢- تفيد أن الإيمان الحق بالله تعالى يستلزم الإيمان برسله.. فعطف الإيمان بالرسل على الإيمان بالله من باب الاهتمام والتخصيص بالذكر للمناسبة.

٣٢٦٣- فيها: في ربط الأمر بالإيمان بالرسل باطلاعهم على الغيب ما يشير إلى حكمة الإعجاز بذلك. وفي اطلاعهم على بعض الغيب تأييدٌ لهم، وبيانٌ لنبوتهم؛ لأن من خصائص الأنبياء الإخبار عن الغيب. وفي ذلك تسفيةٌ لمن يدعي علم الغيب أو لمن يظن في غيره علم الغيب ولا يقوم له تحدٍّ بذلك.. والواقع يقول أنهم يتكسبون من وراء ذلك من ضعاف العقول ليس إلا.

٣٢٦٤- تفيد أن من ادعى الغيب فهو كاذبٌ في ادعائه بل وكافرٌ أيضاً؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

٣٢٦٥- تفيد أن الله ﷻ قد يطلع الخلق على الغيب بواسطة الرسل.

٣٢٦٦- تفيد أن الرسل هم صفوة الخلق الذين اجتباهم واصطفاهم على عباده.

٣٢٦٧- تفيد أن الرسالة اصطفاءٌ واجتباءٌ من الله تعالى وليست من كسب العبد كالولاية والصلاح ﴿أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]؛ فأن الوقوف على أمثال تلك الأسرار الغيبية لا يتأتى إلا ممن رشحه الله تعالى لهذا المنصب الجليل الذي تقاصرت عنه همم الأمم، واصطفاه الله على الجماهير لإرشادهم، وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على أن شأنه ﷺ في هذا الباب أمرٌ متينٌ له أصلٌ أصيلٌ جارٍ على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل عليهم السلام.

٣٢٦٨- فيها: لعل في ترتيب اجتباء الرسل بعد الإخبار عن الخبيث والطيب ما يومئ إلى أن هذا التقسيم ليس ناتجاً عن الموقف من الرسل.. بل الموقف من الرسل هو الناتج عن هذا التقسيم.

٣٢٦٩- تفيد إثبات المشيئة لله تعالى؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

٣٢٧٠- تفيد وجوب الإيمان بالله، وبرسله.

٣٢٧١- يفيد التعقيب بقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ التنبيه على التوكل على الله، وحسن الظن بنبيه ﷺ، والتحقق أن الله يفعل بعباده ما هو أصلح لهم.

٣٢٧٢- يفيد حذف المتعلق في ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ﴾ لتوسيع المعنى ليدخل فيه الإيمان بكل ما يجب الإيمان به.

٣٢٧٣- فيها: في حذف متعلق ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ ما يدخل كل ما يجب أن يتقيه المؤمن من المخاوف والآفات الدنيوية والأخروية.. وقد يدخل في ذلك اتقاء الخبيث لأنه يدنس المؤمن ويصيبه من شره عاجلاً وآجلاً.

٣٢٧٤- تفيد فضيلة الإيمان ومكانة التقوى؛ حيث رتب الثواب والأجر العظيم عليهما.

٣٢٧٥- فيها: تحقيق الإيمان والتقوى من أعظم الأعمال فناسبه الأجر العظيم.

٣٢٧٦- فيها: يتناسب الأجر العظيم تناسباً طردياً مع مقدار تحقق الإيمان والتقوى.. لأن العقل يأبى أن يتساوى الناس في الأجر إن تفاوتوا في الأداء؛ ويتفرع عن ذلك أن الإيمان ليس شيئاً واحداً، وكذلك التقوى بل هو شعبٌ ودرجاتٌ يزيد وينقص.

٣٢٧٧- تفيد بيان عظيم منة الله تعالى على عباده؛ حيث جعل إثابتهم على أعمالهم بمنزلة الأجر المتقرر لهم، وذلك أنه ﷻ قادرٌ على أن يأمر عباده ولا يثيبهم على إتيانهم بتلك الأوامر شيئاً، إلا أنه ﷻ تفضل بأن يثيبهم بالأجور العظيمة، وهذا من عظيم منة الله تعالى وفضله على عباده.

٣٢٧٨- فيها تعليم للمؤمنين بأن كل ما حدث في المعركة إنما كان لمصلحتهم كأفراد ومصلحتهم كأمة.. وفي ذلك دعوةٌ لدراسة الأقدار بصورة عميقةٍ ومتأنيةٍ لاستخلاص الدروس والعبر العامة والخاصة.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

٣٢٧٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق التحريض على بذل النفس في سبيل الله، جاء التحريض على بذل المال في سبيل الله ﷻ.

٣٢٨٠- فيها مع ما قبلها: أَنَّهُ تعالى لَمّا بالَغَ في التَّحْرِيضِ عَلى بَذْلِ النَّفْسِ في الجِهادِ في الآياتِ المُتَقَدِّمَةِ - شَرَعَ هَهُنا في التَّحْرِيضِ عَلى بَذْلِ المالِ في سَبِيلِ اللَّهِ، وبَيَّنَ الوَعِيدَ الشَّدِيدَ لِمَن يَبْخَلُ بِبَذْلِهِ فِيهِ، وإيرادِ ما بَخِلُوا بِهِ بِعُنْوانِ: [إيتاءِ اللَّهِ تَعالى إيّاهُ مِن فَضْلِهِ] لِلْمُبالَغَةِ في بَيانِ

سُوءِ صَنِيعِهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِن مُوجِباتِ بَذْلِهِ فِي سَبِيلِهِ، كَما فِي قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[الحديد:٧]، ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ لِاسْتِجْلابِ العِقابِ عَلَيْهِمْ، والتَّنْصِيصِ عَلى شَرِّيَّتِهِ لَهم، مَعَ انْفِهامِها مِن نَفْيِ خَيْرِيَّتِهِ، لِلْمُبالَغَةِ فِي ذَلِكَ، والتَّنْوِينُ لِلتَّفْخِيمِ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بَيانٌ لِكَيْفِيَّةِ شَرِّيَّةِ مَآلِ ما بَخِلُوا بِهِ. وقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ إلى أنَّ هَذا الوَعِيدَ عَلى طَرِيقِ التَّمْثِيلِ أيْ: سَيُلْزَمُونَ وبالَ ما بَخِلُوا بِهِ لُزُومَ الطَّوْقِ، وذَهَبَ آخَرُونَ إلى أنَّهُ عَلى ظاهِرِهِ، وأنَّهُ نَوْعٌ مِنَ العَذابِ الأُخْرَوِيِّ المَحْسُوسِ.

٣٢٨١- تفيد أن القرآن يصوِّب المفاهيم والأفكار، كما يصوب السلوك والتصرفات.

٣٢٨٢- فيها أن المال مال الله، والرزق منه، والفضل فضله ﷻ.

٣٢٨٣- تفيد أنه لا يجوز البخل بما استخلفهم الله ﷻ فيه.

٣٢٨٤- فيها: أن البخل بالمال شرٌ لصاحبه، وليس بخيرٍ له كما يظن البخلاء.

٣٢٨٥- تفيد الوعيد الشديد على عدم البذل في سبيل الله ﷻ.

٣٢٨٦- فيها: دل الوعيد الشديد على أن المقصود بالبخل هنا: البخل فيما يجب الإنفاق فيه، فالوعيد لا يكون إلا على فعل محرمٍ أو ترك واجبٍ.

٣٢٨٧- فيها إشارةٌ إلى ذم البخل في جميع أوجه الخير، فالله ﷻ يحب البذل في أوجه الخير. ومما يعين على البذل أن يستحضر العبد أن المال زائلٌ وأن الخلق جميعاً عن الدنيا راحلون وإلى الله راجعون، وسيُجازى المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.

٣٢٨٨- تفيد أن من آثر شيئاً على الله تعالى لم يبارك له فيه وكان عليه وبالاً في الدنيا والآخرة.. فالله يعوض عن كل شيء وليس عن الله عوض.. والبخيل علق قلبه بالمال وآثره على الواجب لله فيه فكان وبالاً عليه.

٣٢٨٩- تفيد أن الحكم على الأمور ووصفها بالخير أو الشر مرده إلى الشرع، وفي ذلك تأكيدٌ على أن الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع.

٣٢٩٠- تفيد أن من أوتي مالاً ومنع منه حق الله تعالى يعذب به يوم القيامة؛ وقد قال رسول الله ﷺ: "ومن آتاه الله مالا ولم يؤد زكاته مثل له شجاعٌ أقرعٌ له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ

بلهزمتيه - أي شدقيه - يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا الآية ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

٣٢٩١- تفيد أن الشر عاقبته وخيمة وخطره جسيم.

٣٢٩٢- فيها: التحذير الشديد، والوعيد الأكيد لمانعي إخراج الزكاة.

٣٢٩٣- فيها: المناسبة بين التحذير من البخل وبين قوله تعالى في آخر الآية: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: جميع ما في الكون ملك له ﷻ، فإذا كان ذلك كذلك فلم البخل إذن؟! وخطاب على ما يفعله البشر دال على فناء الجميع وأنه لا يبقى مالك إلا الله تعالى وإن كان ملكه تعالى على كل شيء لم يزل.

٣٢٩٤- فيها: قصر ميراث السماوات والأرض عليه ﷻ، حيث قدم الجار والمجرور؛ والقاعدة في علم المعاني في مبحث القصر أن من أنواع القصر تقديم ما حقه التأخير. وقدم الجار إشارة إلى أن علمه بأعمالهم بالغ إلى حد لا تدرك عظمته لأن ذلك أبلغ في الوعيد.

٣٢٩٥- فيها: تأمل كيف ذكر السبب الابتدائي والسبب الغائي، الموجب كل واحد منهما أن لا يبخل العبد بما أعطاه الله ﷻ؛ أخبر أولاً: أن الذي عنده وفي يده فضل من الله ونعمة، ليس ملكا للعبد، بل لولا فضل الله عليه وإحسانه، لم يصل إليه منه شيء، فمنعه لذلك منع لفضل الله وإحسانه؛ ولأن إحسانه موجب للإحسان إلى عبيده كما قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧]. فمن تحقق أن ما بيده فضل من الله، لم يمنع الفضل الذي لا يضره، بل ينفعه في قلبه وماله، وزيادة إيمانه، وحفظه من الآفات. ثم ذكر ثانياً: أن هذا الذي بيد العباد كله يرجع إلى الله، ويرثه تعالى، وهو خير الوارثين، فلا معنى للبخل بشيء هو زائل عنك منتقل إلى غيرك. ثم ذكر ثالثاً: السبب الجزائي، فقال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فإذا كان خبيراً بأعمالكم جميعها - ويستلزم ذلك الجزاء الحسن على الخيرات، والعقوبات على الشر- لم يتخلف من في قلبه مثقال ذرة من إيمان عن الإنفاق الذي يجزى به الثواب، ولا يرضى بالإمساك الذي به العقاب.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

٣٢٩٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق التحريض على الإنفاق في سبيل الله، شكك اليهود وأهل الكفر في صدق دعوة النبي الكريم ﷺ بسبب ذلك، وقالوا: إن النفقة لا يطلبها إلا الفقير من الغني، جاء في هذه الآية كشف عوارهم وفضح سوء أقوالهم وأفعالهم والوعيد على ما كان منهم.

٣٢٩٧- فيها: جمع الله ﷻ لهم بين الافتراء الشنيع والجرم العظيم؛ فقولهم سوء وفعلهم سوء، ومن كان هذا حاله فقد جمع الشر كله.

٣٢٩٨- تفيد إحاطة الخالق السميع البصير بكل أقوال الخلق وأفعالهم، فليحذروا من الوقوع فيما يغضب الملك الجبار جل جلاله.

٣٢٩٩- تفيد إثبات السمع لله تعالى، وما يترتب على ذلك من العقوبة.

٣٣٠٠- تفيد الانتباه لخطورة الأقوال، ومراعاة عدم الكلام فيما يسخط الله تعالى؛ وقد قال رسول الله ﷺ: "وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا تهوي به في النار سبعين خريفاً...".

٣٣٠١- فيها: غلظ كفر اليهود، وسوء أدبهم مع الله تعالى، ومع أنبيائه، ومع الناس أجمعين، والمؤمن عكس ذلك.

٣٣٠٢- فيها إشارةٌ إلى أن اليهود أئمة ضلالٍ، وقدوةٌ سيئةٌ في الأقوال والأفعال، وأنهم أكثر الخلق وقاحةً وجرأةً على الله ورسله.

٣٣٠٣- تفيد أن المشبهة قدوتهم في ذلك اليهود الذين شبهوا الله بخلقه؛ فعندما نزل قول الله تعالى ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥] قالوا: ربنا يستقرض نحن أغنى منه، فهم شبهوا غنى الله تعالى بغنى المخلوق تعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ لذلك منهج أهل السنة في الأسماء والصفات هو إثبات الأسماء والصفات كما جاء في الكتاب والسنة من غير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ومن غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ.

٣٣٠٤- تفيد أن الله ﷻ يحصي أعمال وأقوال العباد، ويكتبها، وسيحاسبهم على النقير والقطمير.

٣٣٠٥- تفيد أهمية الكتابة والتدوين، والحاجة إليها في حفظ المعلومات وإثبات الحقوق.

٣٣٠٦- تفيد إثبات النبوات.

٣٣٠٧- فيها: تقرير جريمة قتل اليهود للأنبياء؛ وهي من أبشع الجرائم في تاريخ البشرية.

٣٣٠٨- تفيد أن اليهود يفعلون هذه الجريمة وهم يعلمون أنهم أنبياء.

٣٣٠٩- تفيد أن نظرة اليهود ومن كان على شاكلتهم لجميع القضايا والأمور دقها وجلها؛ نظرةٌ ماديةٌ.

٣٣١٠- تفيد إثبات القول لله ﷻ.

٣٣١١- تفيد شدة العذاب الذي ينتظر هؤلاء اليهود فهو عذابٌ محرقٌ أليمٌ.

٣٣١٢- تفيد التخويف والتحذير من أعمال وأقوال اليهود حتى لا يصيبنا ما أصابهم.

٣٣١٣- تفيد التخويف من عذاب الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

٣٣١٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما تقدم وعيده الشديد سبحانه، جاء ذكر سبب هذا الوعيد.

٣٣١٥- ومن المناسبات: لما تقدم الوعيد بعذاب الحريق، جاء ذكر التوبيخ والتحقير الذي يقال لمستحقي هذا العذاب.

٣٣١٦- فيها مع ما قبلها: يجمع الله يوم القيامة لهؤلاء الكافرين المعاندين العذاب المادي والعذاب المعنوي.

٣٣١٧- فيها مع التي قبلها: أن الجزاء من جنس العمل؛ فقال ﷻ: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ والذوق للمحسوس من الطعام الذي يتناوله العبد بالفم، واللسان آلة الذوق؛ هذا اللسان الذي قالوا به مقالة الكفر الشنيعة. وقال: ﴿وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ﴾ والقتل عادةً يكون بجارحة اليد، فأكد أن عذاب الحريق بسبب ما اقترفته أيديهم وارتكابهم لجريمتهم النكراء.

٣٣١٨- فيها تأكيدٌ على أن العذاب متعلق بصاحبه الذي اقترف أسبابه.

٣٣١٩- تفيد إثبات كمال العدل لله ﷻ، فهو لا يعذب إلا بذنب.

٣٣٢٠- فيها تأكيدٌ على أن النتائج تعتمد على الأسباب والمقدمات.

٣٣٢١- تفيد أن أكثر الذنوب بجارحة اليد.

٣٣٢٢- فيها إعذار الله ﷻ إلى الخلق بتحذيرهم من أسباب غضبه قبل أن يحاسب المسيء على إساءته والمجرم على جريمته.

٣٣٢٣- تفيد أن العذاب عند الله ﷻ له سببان: الأول: ما يقدمه العبد مما اقترفته يداه.الثاني: عدل الله ﷻ الذي يثيب المحسن ويعذب المسيء.

٣٣٢٤- تفيد نفي الظلم عن الله ﷻ مطلقاً؛ كثيراً كان أو قليلاً، قال ابن عاشور رحمه الله: "ونفي ظَلّام بصيغة المبالغة لا يفيد إثبات ظلم غير قوي؛ لأنّ الصيغ لا مفاهيم لها، وجرت عادة العلماء أن يجيبوا بأنّ المبالغة منصرفة إلى النفي كما جاء ذلك كثيراً في مثل هذا، ويزاد هنا الجواب باحتمال أنّ الكثرة باعتبار تعلّق الظلم المنفي لو قدر ثبوته، بالعبيد الكثيرين، فعبّر بالمبالغة عن كثرة أعداد الظلم باعتبار تعدّد أفراد معموله".

٣٣٢٥- تفيد تعظيم الخالق سبحانه، وأنه متصف بصفات الكمال.

٣٣٢٦- تفيد أن الخلق جميعاً هم عبيدٌ لله ﷻ، وتحت قهره وتصرفه، فعليهم القيام بحق العبودية لله سبحانه الذي خلقهم ورزقهم، ولا يكونوا كمن قال فيهم ابن القيم: هربوا من الرق الذي خلقوا له فبلوا برق النفس والشيطان.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[آل عمران: ١٨٣].

٣٣٢٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ عندما أمر بالصدقة، جاء بيان بطلان ادعائهم واضطراب مزاعمهم؛ حيث يؤكدون أن التقرب إلى الله بالمال والصدقات من دينهم، بل إنهم لا يرون صحة تدين من لا يتقرب إلى الله بالقرابين.

٣٣٢٨- فيها تربيةٌ للمؤمن على تقبل الخلاف مهما كان غير شرعيٍ ولا موضوعيٍ ولا منطقيٍ.. والتعاطي معه بإيجابيةٍ.. بإسقاط حجة الخصم دون التعرض لذاته.. فهؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية كذَّبوا ولبَّسوا في حجتهم.. وقتلوا الأنبياء ومع ذلك حاجَّهم الله في كتابه وأمر نبيه ﷺ بمحاجَّتهم.. وفق هذا النمط السامي.

٣٣٢٩- تفيد أهمية توجيه التساؤلات المنطقية في الخطاب الدعوي للمخالفين.

٣٣٣٠- فيها خبث اليهود وتحريفهم وكذبهم على الله ﷻ، وفي ضمنه التحذير من التشبه بهم في هذا وغيره.

٣٣٣١- تفيد أن اليهود يحاجون بالباطل، ويرفضون الحق الذي تيقنوه ظلماً وعلواً.

٣٣٣٢- تفيد أن اليهود معاييرهم مضطربةٌ فاسدةٌ؛ فهم يكيلون بمكيالين، ويزنون بميزانين.

٣٣٣٣- تفيد إقامة الحجة على اليهود بأنهم يعلمون ولا يعملون، ويعملون بخلاف ما يعلمون؛ للتنفير من أن يسلك سلوكهم أتباع خاتم المرسلين.

٣٣٣٤- فيها إشارةٌ إلى أهمية الحرب المعنوية، وضرورة الحصول على معلومات تفضح العدو وتظهر عواره.

٣٣٣٥- فيها تيسير الله ﷻ على هذه الأمة، ورحمته بها حيث أحل لهم الانتفاع بالقرابين والغنائم وكان من مضى تأتي النار فتأكلها إن كانت متقبلة.

٣٣٣٦- تفيد تلقين النبي الكريم ﷺ الحجة تلو الحجة؛ لتبكيتهم وفضح كذبهم وافترائهم.

٣٣٣٧- فيها أن الرسل جاءوا بالبيِّنات الواضحة، والدلائل الساطعة من الله ﷻ التي تدل على صدقهم

٣٣٣٨- فيها أن دعوات الرسل تقوم على العلم والحجة، ودعوات أهل الباطل تقوم على الكذب والتدليس والتزوير واتهام أهل الحق بالباطل ورميهم بما ليس فيهم.

٣٣٣٩- فيها الإيمان بالرسل، وتوقيرهم، وعدم اقتراح الآيات، والتعنت معهم كما هو صنيع اليهود مع أنبيائهم.

٣٣٤٠- تفيد شدة تعنت اليهود الذين ردوا البينات الواضحة.

٣٣٤١- فيها أن قتل الأنبياء من أعظم وأفظع جرائم اليهود؛ ولذلك تكرر ذكرها في القرآن؛ ولذا لا يستغرب المسلم مما يحصل منهم اليوم من قتلٍ وتدميرٍ وسعي للإفساد في الأرض.

٣٣٤٢- فيها: مما يدل على عناد اليهود وتكبرهم على الحق، أن جاءهم الكثير من الرسل فكذبوا فريقاً منهم وقتلوا آخرين.

٣٣٤٣- تفيد شدة ما وجده الأنبياء من أذىً من قبل اليهود حتى بلغ ذلك قتلهم.

٣٣٤٤- تفيد شدة كذب اليهود فيما يدعونه وأنهم أهل عناد ومكابرة.

٣٣٤٥- تفيد أن تكذيب الدعاة وعدم الاستجابة لهم سنةٌ قد مضت مع خير الأنبياء والرسل؛ فعليهم بالصبر والثبات.

٣٣٤٦- تفيد أهمية المجادلة ودحض حجة الخصم وهو من هدي القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].

٣٣٤٧- تفيد مناســبة ظاهرة لما قبلها: فلما ســبق بيان افتراءاتهم الباطلة، وتفنيد مزاعمهم، وتلقين نبي الهدى ﷺ للرد عليهم، جاء في هذه الآية تســليته ﷺ، وبيان أن ما لاقاه من اليهود إنما هو امتدادٌ لتكذيبهم لأنبيائهم وسوء معاملتهم لهم.

٣٣٤٨- فيها مزيد عناية وتكريم للنبي الخاتم ﷺ باستخدام ضمير الخطاب.

٣٣٤٩- فيها تســلية للنبي ﷺ على تكذيب الكفار له؛ بأن هذا عملهم مع من ســبق من الأنبياء مع أنهم جاؤوهم بالحجج البينات والزبر والكتاب المنير.

٣٣٥٠- فيها تســليةٌ للدعاة والمصــلحين؛ فإذا كذب الناسُ الأنبياءَ مع تأييدهم بالبينات والحجج والمعجزات فلا غرو أن يُكَذّب الذين هم دونهم من الدعاة؛ فعلى الداعية أن يتحلى بالصبر كما صبر الأنبياء من قبله.

٣٣٥١- تفيد عدم اليأس في مجال الدعوة والإصلاح؛ وإن كُذب الدعاة والمصلحون السابقون الذين تفانوا وقدموا العلم المنير.

٣٣٥٢- تفيد أهمية الاستفادة من تجارب السابقين، وأنها تورث القلب الطمأنينة والثبات على الطريق

٣٣٥٣- تفيد أهمية علم التاريخ، ومعرفة أحوال الأمم.

٣٣٥٤- فيها تأكيدٌ على اتصاف يهود بالعناد والتكذيب بالرسل والرسالات.

٣٣٥٥- فيها: حذف الفاعل في ﴿كُذِّبَ﴾ فيه غير التحقير للمكذبين، عدم الاهتمام بماهية المكذب ومركزه وجاهه.. وفي ذلك إشـــارةٌ إلى أن الوزن الحقيقي لا يثقل إلا بالإيمان والتصديق.. وأن المكذب يجب أن يكون ضئيلاً عند المسلمين مهما كان.

٣٣٥٦- فيها كثرة تكذيب البشــر للرســل وخصــوصــاً اليهود ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

٣٣٥٧- فيها إشارة إلى كثرة الرسل عليهم السلام.

٣٣٥٨- تفيد أن المجادلة بالباطل سنة أهل الضلال في كل زمان ومكان.

٣٣٥٩- فيها ركنان من أركان الإيمان وهما: الإيمان بالرسل والإيمان بالكتب.

٣٣٦٠- فيها أهمية الكتب المنزلة وحاجة البشر إليها في هدايتهم وعباداتهم ومعاملاتهم.

٣٣٦١- تفيد عناية الله تعالى برسله من خلال تأييدهم بالبينات، وكشف سلوك المجرمين مع المرسلين.

٣٣٦٢- فيها بيان منهج الرسل في الدعوة إلى الله تعالى القائم على البينات والكتب المنيرة.

٣٣٦٣- فيها ضرورة استخدام البيان، والأدلة الواضحة في دعوة الناس للحق.

٣٣٦٤- فيها تبيين ما في الكتب السماوية من بينات وإنارة وهداية ورشاد.

٣٣٦٥- فيها إشارةٌ إلى افتقار الخلق لنور الله تعالى المتمثل بالوحي يهتدون به في حياتهم الدنيا.

٣٣٦٦- تفيد أن تكذيب الكفار للأنبياء مبنيٌ على المكابرة والعناد.

٣٣٦٧- تفيد أنه لا يستلزم من البينات والهدى المنير أن يتبعه ويهتدي به العباد؛ فهداية القلوب لا يملكها إلا علام الغيوب.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

٣٣٦٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلَمّا تَقَدَّمَ في قِصَّةِ "أُحُدٍ"، رُجُوعُ المنافِقِينَ، وهَزِيمَةُ بَعْضِ المؤْمِنِينَ، مِمّا كانَ سَبَبَ ظَفَرِ الكافِرِينَ، وعابَ سُبْحانَهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِأنَّهم هَرَبُوا مِن مُوجِباتِ السَّعادَةِ والحَياةِ الأبَدِيَّةِ إلى ما لا بُدَّ مِنهُ، وإلى ذَلِكَ أشارَ بِقَوْلِهِ: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾[آل عمران: ١٥٤]، ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١٥٧] ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ [آل عمران: ١٦٨] ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا﴾ [آل عمران: ١٦٩]؛ وغَيْرِ ذَلِكَ، مِمّا بَكَّتَهم بِهِ في رُجُوعِهِمْ حَذَرَ المَوْتِ، وطَلَبَ امْتِدادِ العُمْرِ، مَعَ ما افْتَتَحَ بِهِ مِن أنَّ مَوْتَ هَذا النَّبِيِّ الكَرِيمِ، وقَتْلَهُ مُمْكِنٌ، كَما كانَ مَن قَبْلَهُ مِن إخْوانِهِ مِنَ الرُّسُلِ - عَلى جَمِيعِهِمْ أفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ، والتَّحِيَّةِ والإكْرامِ -، وخَتَمَ بِالإخْبارِ بِأنَّهُ وقَعَ قَتْلُ كَثِيرٍ مِنَ الرُّسُلِ؛ فَكانَ ذَلِكَ مُحَقَّقًا؛ لِأنَّهُ لا يُصانُ مِنَ المَوْتِ خاصٌّ ولا عامٌّ، مَضْمُومًا إلى ما نُشاهِدُ مِن ذَلِكَ في كُلِّ لَحْظَةٍ، صَوَّرَ ذَلِكَ المَوْتَ بَعْدَ أنْ صارَ مُسْتَحْضَرًا لِلْعِيانِ تَصْوِيرًا أوْجَبَ التَّصْرِيحَ بِهِ، إشارَةً إلى أنَّ حالَهم في هَرَبِهِمْ، ورُجُوعِهِمْ، وما تَبِعَ ذَلِكَ مِن قَوْلِهِمْ حالَ مَن هو في شَكٍّ مِنهُ؛ فَقالَ تَعالَى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾؛ أيْ: مَنفُوسَةٍ، مِن عِيسى، وغَيْرِهِ، مِن أهْلِ الجَنَّةِ والنّارِ؛

﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أيْ: وهو المعْنى الَّذِي يَبْطُلُ مَعَهُ تَصَرُّفُ الرُّوحِ فِي البَدَنِ؛ وتَكُونُ هي باقِيَةً بَعْدَ مَوْتِهِ؛ لِأنَّ الذّائِقَ لا بُدَّ أنْ يَكُونَ حالَ ذَوْقِهِ حَيًّا، حَسّاسًا، ومَن يَجُوزُ عَلَيْهِ ذَوْقُ المَوْتِ يَجُوزُ عَلَيْهِ ذَوْقُ النّارِ، وهو عَبْدٌ، مُحْتاجٌ، فالعاقِلُ مَن سَعى فِي النَّجاةِ مِنها، والإنْجاءِ، كَما فَعَلَ الخُلَّصُ الَّذِينَ مِنهم عِيسى، ومُحَمَّدٌ - عَلَيْهِما أفْضَلُ الصَّلاةِ وأزْكى السَّلامِ -، وكانَ نَظْمُها بَعْدَ الآياتِ المُقْتَضِيَةِ لِتَوْفِيَةِ الأُجُورِ بِالإثابَةِ عَلَيْها، وأنَّهُ لَيْسَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ؛ شَدِيدَ الحُسْنِ؛ وذَلِكَ مُناسِبٌ أيْضًا لِخَتْمِ الآيَةِ بِالتَّصْرِيحِ لِتَوْفِيَةِ الأُجُورِ يَوْمَ الدِّينِ، وأنَّ الزَّحْزَحَةَ عَنِ النّارِ، ودُخُولَ الجَنَّةِ، لَهو الفَوْزُ، لا الشُّحُّ فِي الدُّنْيا بِالنَّفْسِ والمالِ، الَّذِي رُبَّما كانَ سَبَبًا لِامْتِدادِ العُمْرِ، وسَعَةِ المالِ.

٣٣٦٩- فيها: كفى بالموت واعظًا.

٣٣٧٠- فيها: أشارت الآية لإسناد [ذوق الموت] إلى [النفس] لبقائها بعد موت البدن.

٣٣٧١- تفيد حث الإنسان على المبادرة إلى العمل الصالح؛ لأنه إذا كان ميتاً لا محالة، ولا يدري متى يموت، فإنه لا بد أن يبادر إلى فعل الواجبات، ورد المظالم والحقوق لأهلها.

٣٣٧٢- فيها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وليس [ميتة] فقط؛ البلاغة: في الإشارة إلى حرارة الموت وشدة إيلامه.

٣٣٧٣- فيها: ﴿كُلُّ﴾ من ألفاظ العموم، ثم أضيف إليه تنكير ﴿نَفْسٍ﴾ ليدخل فيه كل حي إنساً وجناً وملائكةً؛ وفي ذلك دلالةٌ على ضعف المخلوق وأنه مملوكٌ لا مالك. فكيف يكون غنياً وخالقه الذي حكم عليه بالموت فقيراً؟!

٣٣٧٤- تفيد أن الحساب الحقيقي والعادل في الآخرة، يؤخذ من الحصر في قوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. وفي هذا إشارةٌ إلى أن أتم الجزاء بالسيئة أو الحسنة لا يكون إلا يوم القيامة؛ فليس الإنعام في الدنيا إكراماً ولا الحرمان إهانةً.

٣٣٧٥- تفيد أن كمال الأجر إنما يكون يوم القيامة، ولهذا ناسب أن يقول في الآية: ﴿تُوَفَّوْنَ﴾ دون [تؤجرون] لأن العبد المؤمن قد يثاب في الدنيا على مقابل العمل الصالح، إلا أنه ليس هو كل الثواب.

٣٣٧٦- فيها: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بعد قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ فيه إشارة إلى أن طريقة الموت ليست داخلة دائماً في الجزاء.. فربما مات المصلح

بطريقة أسوأ في ظاهرها من ميتة المفسد.. وفي ذلك تعليم لعدم الحكم بالسعادة أو الشقاء لمجرد سهولة الموت أو صعوبته.

٣٣٧٧- فيها: جمع ﴿أُجُورَكُمْ﴾ وليس أجركم بالنظر إلى جمع المخاطبين، وبالنظر إلى تعدد الأجر وتنوعه وعظمته على العمل الواحد.. وفي ذلك إشارةٌ إلى فضل الله وكرمه. وكذلك يُفهم من الجمع التفاوت في الأجر.

٣٣٧٨- فيها دعوةٌ لعدم الاكتراث لأقدار الدنيا، وتعليمٌ للصبر.

٣٣٧٩- فيها إشارةٌ لطيفةٌ إلى [نعيم البرزخ وعذابه] وأن العاملين يجزون فيه [بعض الجزاء] مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: توفية الأعمال التامة.

٣٣٨٠- فيها كرم الرب ﷻ، وسعة فضله؛ حيث سمى ثواب الأعمال أجراً وهو محض فضله جل وعلا.

٣٣٨١- فيها أن الأجر المادي والمعنوي يكون بعد نهاية العمل.. ولا مانع من التحفيز والتشجيع ببعض المكافأة أثناء العمل رفعاً للهمم؛ فقد يعجل الله للمحسن وللمسيء بعض جزاء ما فعل مادياً أو معنوياً بشرح الصدر أو ضيقه أو غير ذلك.

٣٣٨٢- فيها تعليم الخلق إعطاء العامل والأجير جزاء عمله بعد انتهائه من واجبه.

٣٣٨٣- فيها: الأجور كما اعتاد الخلق تختلف باختلاف العمل كماً ونوعاً.. والدقة في اختيار الأجر أشار إلى التفاوت في الجزاء.

٣٣٨٤- فيها إثبات يوم القيامة والبعث والحساب والجزاء.

٣٣٨٥- فيها أن الإيمان بيوم القيامة من أسباب الصبر، ومن أسباب الاجتهاد في العمل الصالح.. والتناسب بينهما طردياً؛ ولذلك كان الصبر واليقين أهم شروط الإمامة في الدين.

٣٣٨٦- فيها: الفعل ﴿زُحْزِحَ﴾ فيه إشارةٌ إلى أن النجاة من النار تحتاج إلى عملٍ وتكلُّفٍ ومشقةٍ.. وأن الفضل في ذلك لا يعود للعبد فقط، فعدم تسمية الفاعل؛ فيه أن الله تعالى هو الفاعل للزحزحة بالتوفيق.. والعبد فاعلٌ للزحزحة بالإيمان والعمل والاجتهاد. وكذلك كل من شارك في تحقيق النجاة للعباد داخل في الفعل.. وأولهم النبي ﷺ؛ وكذلك في الفعل ﴿وَأُدْخِلَ﴾

وليس [دخل] فيها ما سبق.. وفيها معنى ما جاء في الحديث القدسي: {يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه}. والعكس في دخول النار؛ وفي الحديث: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات.

٣٣٨٧- فيها إثبات النار، والتخويف من عذابها، وأن النجاة منها فوزٌ وأي فوزٍ!

٣٣٨٨- فيها إثبات الجنة، وأن دخولها فوزٌ عظيمٌ.

٣٣٨٩- تفيد أن كل فوزٍ سوى الجنة فإنه يؤول للعدم؛ فعلى المؤمن الاجتهاد لنيل الفوز الأكبر.

٣٣٩٠- تفيد أن الفوز الحقيقي: هو النجاة من النار ودخول الجنة.

٣٣٩١- تفيد الحث على السمو بطلب الحياة العليا؛ دار الحيوان، دون الغرور بالحياة الدنيا.

٣٣٩٢- فيها بيان حقارة الدنيا من وجهين: الأول: وصفها بالمتاع. الثاني: النفي والإثبات من أساليب القصر.

٣٣٩٣- فيها مع حقارة الدنيا عند الله تعالى: نتانتها وخستها؛ فقد قيل في معاني ﴿مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ أنه إناءٌ يجمع فيه دم نفاس الوالدة؛ ويؤخذ ذلك أيضاً من تسميتها [دنيا].

٣٣٩٤- تفيد التحذير من الاغترار بمتاع الدنيا، ومغبة الجري وراء زينتها وبهجتها.

٣٣٩٥- فيها المقابلة بين الفوز الآجل مع بيان خسة الدنيا؛ فدلت المقابلة على عظم الآخرة وقدرها عند الله ﷻ، وخسة فوز الدنيا للفائزين بها مهما أُوتوا وجمعوا.

٣٣٩٦- تفيد الحث على التخفف والتقلل من الدنيا وزينتها.

٣٣٩٧- تفيد الحث على تربية النفس على الزهد. والتزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة.

قال تعالى: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

٣٣٩٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبقت تسليته ﷺ بأن المكذبين سيموتون ويجدون العقاب وأن المؤمنين سيموتون ويجدون الثواب، تابعت هذه الآية تسليته التي شملت تسلية المؤمنين الصابرين على البلاء والأذى.

٣٣٩٩- ومن المناسبات: لما سبقت تسلية النبي ﷺ والمؤمنين عما وقع من الكفار، جاءت تسليتهم مما سيقع منهم في المستقبل.

٣٤٠٠- فيها: في إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فوائد: منها: أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، ليتميز المؤمن الصادق من غيره. ومنها: أنه تعالى يقدر عليهم هذه الأمور، لما يريده بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، وليزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك ووقع كما أخبر ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾ [الأحزاب:٢٢]، ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهون عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجؤون إلى الصبر والتقوى.

٣٤٠١- تفيد كثرة مصادر البلاء وأسباب الأذى للمؤمنين.

٣٤٠٢- تفيد أن البلاء يقع على ما يحبه الإنسان من المال والنفس والولد ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

٣٤٠٣- تفيد أن البلاء نازلٌ لا محالة؛ وعلاجه بالصبر والتقوى؛ وأكد نزوله بلام القسم وبنون التوكيد الثقيلة، وأنه لَا بُدَّ أَنْ يُبْتَلَى الْمُؤْمِنُ فِي شَيْءٍ مِنْ مَالِهِ أَوْ نَفْسِهِ أَوْ وَلَدِهِ أَوْ أَهْلِهِ، وَيُبْتَلَى الْمُؤْمِنُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، إِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي الْبَلَاءِ.

٣٤٠٤- تفيد أن البلاء في المال أخف من البلاء في النفس ولذلك قدم في الآية.

٣٤٠٥- تفيد عناية الله ﷻ بعباده المؤمنين حيث أخبرهم بالمصائب قبل حلولها وعرفهم أن علاجها بالصبر والتقوى.

٣٤٠٦- تفيد تهيئة المؤمنين للتغييرات المتوقعة سواءٌ في النفس أو المال، وخاصة التغييرات المنقصة لهما. والإنسان الذي يكون معدل التوقع لديه مرتفعاً تكون صحته النفسية عالية ودرجة تأثره بالصدمات الناتجة من الكوارث قليلة جداً. وذلك لما يتوفر لديهم من الصلابة النفسية؛ ولذلك فإن هذه الآية والآيات المشابهة لها في سورة البقرة وغيرها تنمي عوامل الصلابة النفسية الواقية من آثار الصدمات النفسية عند حدوث الابتلاءات.

٣٤٠٧- فيها أن الكفار - وإن اختلفت عقائدهم - متفقون على إيذاء المسلمين والإضرار بهم.

٣٤٠٨- تفيد أن أذى اللسان بليغٌ أثره على النفس؛ وعلاجه الصبر والتقوى.

٣٤٠٩- تفيد أن مكمن الأذى يرجع لثلاث جهات وهم اليهود والنصارى، والذين أشركوا في كل زمان ومكان.

٣٤١٠- تفيد أنه لابد من عبودية الصبر عند البلاء وترك الجزع والسخط.

٣٤١١- تفيد أن طريق نجاح الدعوة معترضٌ بالبلاء والإيذاء، والتغلب على ذلك يكون بالصبر والتقوى.

٣٤١٢- تفيد فضيلة التقوى، وأثرها في الصبر على الأذى والبلاء.

٣٤١٣- تفيد فضل الصبر، وأهميته في مواجهة البلاء والشدائد وتحمل الأذى.

٣٤١٤- تفيد الحث على الصبر والتقوى وأنها من عوالي الأمور.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

٣٤١٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق بيان كذب وافتراءات أهل الكتاب، وكتمانهم الحق وأنهم يؤذون المؤمنين، جاء التشديد عليهم بأنهم قد أخذ عليهم الميثاق أن يبينوا الحق ولا يكتمونه.

٣٤١٦- تفيد التوجيه لمزيد الاهتمام بهذا الميثاق، والتأكيد على قوته وذلك بوروده بصيغة الخطاب.

٣٤١٧- فيها: وجوب قول كلمة الحق للعالم لا يخاف في الله لومة لائم.

٣٤١٨- فيها: التحذير مما وقع فيه أهل الكتاب من كتمانهم العلم.

٣٤١٩- تفيد خطورة وعظم معصية كتمان العلم؛ لأنه يؤدي لإضلال الخلق.

٣٤٢٠- تفيد أن البيان واجبٌ على أهل العلم؛ وأكد النص ذلك باللام الموطئة للقسم ونون التوكيد الثقيلة. كما أكده أيضاً بنفي الكتمان، وبالنعي عليهم أنهم نبذوا الكتاب وراء ظهورهم.

٣٤٢١- فيها: نبذ الكتاب وراء الظهور عبارة تجسد الصورة المادية لتعاملهم مع الكتاب المنزل، كما ترسم الصورة النفسية والمعنوية لكفرهم وتكذيبهم.

٣٤٢٢- تفيد بيان سـوء فعلهم وشـدة مخالفتهم لأوامر ربهم، فقد عبر عن نقضـهم الميثاق بالنبذ، دلالة على أنهم طرحوه وراء ظهورهم وأهملوه أشد الإهمال.

٣٤٢٣- تفيد مسارعتهم في نبذ الميثاق الذي أخذ عليهم؛ بدلالة حرف الفاء الذي يدل على التعقيب.

٣٤٢٤- تفيد حقارة الدنيا لأن أثمانها قليلة فانية.

٣٤٢٥- تفيد خسارتهم وغبنهم؛ فإن الإنسان لو أعطي الدنيا بحذافيرها لكانت ثمناً قليلاً.

٣٤٢٦- تفيد سفاهتهم وسوء تقديرهم بتقديم الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

٣٤٢٧- تفيد تبكيتهم وذم أفعالهم والتشنيع على سوء اختيارهم.

قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

٣٤٢٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق ذكر أخذ الميثاق من اليهود أن يبينوا الحق ولا يكتمونه، ثم أهملوا ذاك الميثاق وطرحوه وراءهم، جاء بيان حرصـهم على إضـلال الناس، وتلبيسـهم عليهم أنهم أصـحاب علمٍ وفي الحقيقة أنهم ليسـوا كذلك، وأحبوا أن يحمدوا بأنهم أصحاب حقٍ وعلمٍ وهم بخلاف ذلك.

٣٤٢٩- ومن المناسبات: لما سبق ذكر فعل أهل النفاق بقعودهم خلاف رسول الله ﷺ، جاء ذكر حالهم إذا انصرف رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

٣٤٣٠- فيها: هذه الآية الكريمة مشـتملة على النهي عن الحسبان في شـأن من شـؤون الحياة والأحياء.. وهي ومثيلاتها مما سبق تنداح في سبيل تصحيح مفاهيم يكثر فيها الغلط عند الناس ويفسـرونها على غير وجهها.. والمتتبع لسورة آل عمران يجد مسـاحة واسعة من تصـحيح النظر حيال قضايا كثيرة.

٣٤٣١- تفيد أنه لا يُحكم على الأمور بظاهرها، وكل حقيقةٍ لا بد لها من برهان.

٣٤٣٢- تفيد التحذير من فعل القبائح والباطل القولي والفعلي، وخطورة الفرح بهذه المعاصي.

٣٤٣٣- تفيد النهي عن محبة المدح على ما لم يفعله الإنسان من الخير.

٣٤٣٤- تفيد أنه يدخل في هذه الآية الكريمة أهل الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم، ولم ينقادوا للرسـول ﷺ، وزعموا أنهم هم المحقون في حالهم ومقالهم، وكذلك كل من ابتدع بدعةً قوليةً أو فعليةً، وفرح بها، ودعا إليها، وزعم أنه محقٌ وغيره مبطلٌ، كما هو الواقع من أهل البدع.

٣٤٣٥- تفيد بمفهومها على أن من أحب أن يحمد ويثنى عليه بما فعله من الخير واتباع الحق، إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة، أنه غير مذموم، بل هذا من الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزي بها المحسنين له الأعمال والأقوال، وأنه جازى بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الصافات:٧٩] وقد قال عباد الرحمن: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان: ٧٤] وهي من نعم الباري على عبده، ومننه التي تحتاج إلى الشكر.

٣٤٣٦- فيها إشارة إلى عدم نبذ الفرح بالكلية، بل يجوز للمرء أن يفرح بما يوفق له من أعمال الخير، ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

٣٤٣٧- فيها: فرح اليهود بما كتموه من الحق، فرحٌ أعقبه حسرةٌ وندامةٌ يوم القيامة.

٣٤٣٨- تفيد أن المنافقين ضاعفوا الذنب فضاعف الله لهم العقوبة، حيث إنهم لما تخلفوا لم يتوبوا أو يندموا... لكنهم فرحوا، والأعجب أنهم يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فلم يسلموا من العذاب، وينتظرهم عذابٌ أليمٌ.

٣٤٣٩- تفيد النكير والوعيد الشديد لمن ادعى شيئاً لم يفعله.

٣٤٤٠- فيها دليلٌ على أهمية العناية بالأعمال القلبية؛ قال ابن كثير رحمه الله تعالى في الآية: يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُرَائِينَ الْمُتَكَثِّرِينَ بِمَا لَمْ يُعْطَوا، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "مَنِ ادَّعَى دَعْوى كَاذِبَةً لِيتَكَثَّر بِهَا لَمْ يَزِدْه اللَّهُ إِلَّا قِلَّة"، وَفِي الصَّحِيحِ: "الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَي زُور".

٣٤٤١- تفيد أن العبرة بحقائق الأمور لا بما يظهر منها فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى؛ فهو يعلم بواطن الأشياء وظواهرها ولا تخفى عليه خافية.. كما قال الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩].

٣٤٤٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما أخبر بهلاكهم، دل عليه بحالٍ من فاعل [تحسب]، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ﴾، أي: الذي له جميع صفات الكمال وحده ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا يقع في فكرهم ذلك، والحال أن ملكه محيطٌ بهم، وله جميع ما يمكنهم الانحياز إليه، وله ما لا تبلغه قُدَرُهم من ملك الخافقين، فهو بكل شيءٍ محيطٌ ﴿وَٱللَّهُ﴾ أي: الذي له جميع العظمة ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وهو شامل القدرة، فمن كان في ملكه كان في قبضته، ومن كان في قبضته كان عاجزاً عن التفصي عما يريد به؛ لأنه الحي القيوم، الذي لا إله إلا هو -كما افتتح به السورة. [البقاعي]

٣٤٤٣- تفيد تكذيباً من الله جل ثناؤه للذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ آل عمران: ١٨١. يقول تعالى ذكره، مكذباً لهم: لله ملك جميع ما حوته السموات والأرض، فكيف يكون أيها المفترون على الله، من كان مُلْك ذلك له فقيرًا؟!

٣٤٤٤- تفيد أن من ذكرهم الله ﷻ في الآية السابقة مِن جُمْلَةِ ما مَلَكَ، وأنَّهُ قادِرٌ عَلَيْهِمْ، فَهم مَمْلُوكُونَ مَقْهُورُونَ مَقْدُورٌ عَلَيْهِمْ، فَلَيْسُوا بِناجِينَ مِنَ العَذابِ.

٣٤٤٥- تفيد تهديدًا للمكذبين فإنهم لا ينجون مِنَ الْعَذَابِ، فَإِنَّ لِلَّهِ كُلَّ شيءٍ، وَهُمْ فِي قَبْضَةِ الْقَدِيرِ، فَيَكُونُ مَعْطُوفًا عَلَى الْكَلَامِ الْأَوَّلِ، أَيْ إِنَّهُمْ لَا يَنْجُونَ مِنْ عَذَابِهِ، يَأْخُذُهُمْ مَتَى شَاءَ.

٣٤٤٦- فيها: في تقديم ما حقه التأخير في بداية الآية دليلٌ على اختصاص الله ﷻ بأنه المالك لكل شيء، وفي تقديم ما حقه التأخير في نهايتها دليلٌ على اختصاص الله ﷻ بالقدرة على كل شيء، ويتفرع على هاتين الهدايتين أهمية توجه القلوب إليه سبحانه لقضاء الحوائج؛ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢].

٣٤٤٧- تفيد ملك الله للسماوات والأرض فهو يملك أمرهما وما فيهما من خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها.

٣٤٤٨- تفيد تفرد الله وحده دون غيره بملك السماوات والأرض وما فيهما خَلْقًا وتدبيرًا.

٣٤٤٩- تفيد أن لله ﷻ وحده الملك المطلق.

٣٤٥٠- فيها إشارة إلى أن العبد ينبغي ألا يتصرف في ملكه إلا وفق إذن مالكه ورضاه.

٣٤٥١- تفيد أن ما أخرجه الله ﷻ وليس من صنع إنسان لا يملكه أحد إلا من سبق إليه بمقتضى النصوص الشرعية.

٣٤٥٢- تفيد إثبات صفة القدرة لله ﷻ، وهي تفيد عموم قدرته تعالى وكما غناه.

٣٤٥٣- تفيد ما يوجب كمال الهيبة من الله ﷻ، وخطورة مخالفة أمره، والحذر من عقابه جل وعلا، فَإِنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ، الْقَدِيرُ الَّذِي لَا أَقْدَرَ مِنْهُ. وهُوَ مَالِكُ كُل شَيْءٍ، وَالْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

٣٤٥٤- تفيد: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ تَقْرِيرٌ إِثْرَ تَقْرِيرٍ، والإظْهارُ في مَقامِ الإضْمارِ لِتَرْبِيَةِ المهابَةِ مَعَ الإشْعارِ بِمَناطِ الحُكْمِ.

٣٤٥٥- تفيد أنه لا ينبغي للإنسان اليأس أو القنوط فربه على كل شيءٍ قديرٌ.

٣٤٥٦- تفيد أن ما أخبر الله ﷻ به عن نفسه فهو حق لأنه على كل شيءٍ قديرٌ.

٣٤٥٧- تفيد بيان عظمة الخالق سبحانه، وسعة ملكة، وقدرته على كل شيء؛ وفي ضمن ذلك توجيه القلوب إلى التعلق به وعبادته وحده.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

٣٤٥٨- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلَمّا ذَكَرَ هَذا الملْكَ العَظِيمَ، وخَتَمَ بِشُمُولِ القُدْرَةِ، دَلَّ عَلى ذَلِكَ بِالتَّنْبِيهِ عَلى التَّفَكُّرِ فِيهِ، الموجِبِ لِلتَّوْحِيدِ، الَّذِي هو المقْصِدُ الأعْظَمُ مِن هَذِهِ السُّورَةِ؛ الدّاعِي إلى الإيمانِ، الموجِبِ لِلْمَفازَةِ مِنَ العَذابِ، لِأنَّ المقْصُودَ الأعْظَمَ مِن إنْزالِ القُرْآنِ تَنْوِيرُ القُلُوبِ بِالمعْرِفَةِ، وذَلِكَ لا يَكُونُ إلّا بِغايَةِ التَّسْلِيمِ، وذَلِكَ هو اتِّباعُ الملَّةِ الحَنِيفِيَّةِ؛ وهو مُتَوَقِّفٌ عَلى صِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَدَأ - ﷻ - السُّورَةَ بِدَلائِلِ صِدْقِهِ، بِإعْجازِ القُرْآنِ، بِكَشْفِهِ - مَعَ الإعْجازِ بِنَظْمِهِ عَلى لِسانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ - لِلشُّبُهاتِ، وبَيانِهِ لِلْخَفِيّاتِ، وأظْهَرَ مُكابَرَةَ أهْلِ الكِتابِ، وفَضَحَهم أتَمَّ فَضِيحَةٍ، فَلَمّا تَمَّ ذَلِكَ عَلى أحْسَنِ وجْهٍ، مُنْظَمًا بِبَدائِعِ الحِكَمِ، مِنَ التَّرْغِيبِ، والتَّرْهِيبِ، شَرَعَ في بَثِّ أنْوارِ المعْرِفَةِ، بِنَصْبِ دَلائِلِها القَرِيبَةِ، وكَشْفِ أسْتارِها العَجِيبَةِ، فَقالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، أيْ: عَلى كِبَرِهِما، وما فِيهِما مِنَ المنافِعِ، ونَبَّهَ عَلى التَّغَيُّرِ الدّالِّ عَلى المغَيِّرِ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، أيْ: اخْتِلافًا هو - كَما تَرَوْنَ - عَلى غايَةِ الإحْكامِ، بِكَوْنِهِ عَلى مِنهاجٍ قَوِيمٍ، وسَيْرٍ لا يَكُونُ إلّا بِتَقْدِيرِ العَزِيزِ العَلِيمِ؛ ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾، أيْ: عَلى جَمِيعِ ما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَنِ الخالِقِ، وزادَ الحَثَّ عَلى التَّفَكُّرِ والتَّهْيِيجِ إلَيْهِ، والإلْهابِ مِن

أجْلِهِ، بِقَوْلِهِ: ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وذَكَرَ - ﷻ - في أُخْتِ هَذِهِ الآيَةِ، في سُورَةِ "البَقَرَة"، ثَمانِيَةَ أنْواعٍ مِنَ الأدِلَّةِ، واقْتَصَرَ هُنا عَلى ثَلاثَةٍ، لِأنَّ السّالِكَ يَفْتَقِرُ في ابْتِداءِ السُّلُوكِ إلى كَثْرَةِ الأدِلَّةِ، فَإذا اسْتَنارَ قَلَّتْ حاجَتُهُ إلى ذَلِكَ، وكانَ الإكْثارُ مِنَ الأدِلَّةِ كالحِجابِ الشّاغِلِ لَهُ عَنِ اسْتِغْراقِ القَلْبِ في لُجَجِ المَعْرِفَةِ، واقْتَصَرَ هُنا مِن آثارِ الخَلْقِ عَلى السَّماوِيَّةِ، لِأنَّها أقْهَرُ، وأبْهَرُ، والعَجائِبَ فِيها أكْثَرُ، وانْتِقالَ القَلْبِ مِنها إلى عَظَمَتِهِ - ﷻ - وكِبْرِيائِهِ أشَدُّ وأسْرَعُ، وخَتَمَ تِلْكَ بِما هو لِأوَّلِ السُّلُوكِ، العَقْلِ، وخَتَمَ هَذِهِ بِلُبِّهِ، لِأنَّها لِمَن تَخَلَّصَ مِن وساوِسِ الشَّيْطانِ، وشَوائِبِ هَواجِسِ الوَهْمِ المانِعَةِ مِنَ الوُصُولِ إلى حَقِّ اليَقِينِ، بَلْ عِلْمِ اليَقِينِ. [البقاعي].

٣٤٥٩- ومن المناسبات: المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والأرواح عن الاشتغال بالخلق إلى الاستغراق في معرفة الحق، فلما طال الكلام في تقرير الأحكام، والجواب عن شبهات المبطلين عاد إلى إنارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والإلهية والكبرياء والجلال فذكر هذه الآية.

٣٤٦٠- تفيد أن الله ﷻ في كل شيءٍ خلقه آيةٌ من آياته، علمها من علم وجهلها من جهل. وقد قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية وما بعدها: "ويل لمن قرأها ولم يتدبرها".

٣٤٦١- تفيد أن خلق السموات والأرض من أعظم الآيات الدالة على بديع خلقه، وكمال قدرته، واستحقاقه للعبادة.

٣٤٦٢- تفيد أهمية التأمل في آيات الله الكونية، وهي من أعظم عوامل زيادة الإيمان.

٣٤٦٣- فيها إثبات أن الله تعالى هو الخالق وحده.

٣٤٦٤- تفيد أن لا يجعل العبد نظره للآيات في خلق الأرض والسماوات نظر متعةٍ فحسب بل يجعله نظر عبرة.

٣٤٦٥- تفيد أن اختلاف الليل والنهار، وتعاقبهما بإحكام في جميع فصول السنة يدل على قدرة الله تعالى، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

٣٤٦٦- تفيد حث العباد على التفكر في هذه الآيات، والتبصر بها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ ولم يقل: "على المطلب الفلاني" إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة

على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره. وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم. [السعدي].

٣٤٦٧- تفيد أن الله ﷻ يدعوا عباده للنظر والتفكر في مخلوقاته.

٣٤٦٨- تفيد أن الكون هو آيات الله الصامتة.

٣٤٦٩- تفيد كثرة الآيات التي بثها الله تعالى في الكون ولكن من يعتبر؟! ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

٣٤٧٠- فيها تعليم العبد كيف يصل بنظر عينيه واعتبار فكره إلى ربه ﷻ.

٣٤٧١- تفيد أن الاعتبار بالآيات مرتبةٌ جليلةٌ في تحقيق العبودية.

٣٤٧٢- تفيد أنه ليس من العقل في شيء أن تُدرك المعجزة ولا تصل بها إلى الله ﷻ.

٣٤٧٣- تفيد أن غير العقلاء في عمى وغفلة عن آيات الله ﷻ الظاهرة في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار.

٣٤٧٤- تفيد مكانة العقل وأهميته ودوره في الوصول للهداية.

٣٤٧٥- فيها الثناء على أصحاب العقول النيرة والبصائر المتفكرة.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]

٣٤٧٦- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما ذكر دلائل الإلهية والقدرة والحكمة وهو ما يتصل بتقرير الربوبية، ذكر بعدها ما يتصل بالعبودية، وأصناف العبودية ثلاثة أقسام: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، فقوله تعالى: ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ إشارة إلى عبودية

اللسان، وقوله: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ إشارة إلى عبودية الجوارح والأعضاء، وقوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إشارة إلى عبودية القلب والفكر والروح، والإنسان ليس إلا هذا المجموع، فإذا كان اللسان مستغرقاً في الذكر، والأركان في الشكر، والجنان في الفكر، كان هذا العبد مستغرقاً بجميع أجزائه في العبودية، فالآية الأولى دالةٌ على كمال الربوبية، وهذه الآية دالةٌ على كمال العبودية، فما أحسن هذا الترتيب في جذب الأرواح من الخلق إلى الحق، وفي نقل الأسرار من جانب عالم الغرور إلى جانب الملك الغفور.

٣٤٧٧- تفيد أن من صفات أولي الألباب كثرة ذكر الله ﷻ على كل أحوالهم.

٣٤٧٨- تفيد فضل الذكر.

٣٤٧٩- تفيد الحث على استغلال الأوقات والأحوال في الذكر.

٣٤٨٠- تفيد أن الذكر والتفكر موصل إلى الإقرار بالوحدانية، وخشية الله ﷻ.

٣٤٨١- فيها: جواز الذكر على كل الأحوال، والحث عليه.

٣٤٨٢- فيها يسر عبادة الذكر ومحبة الله ﷻ لها، ولأهلها.

٣٤٨٣- فيها فضل عبادة التفكر في عظم خلق الله ﷻ.

٣٤٨٤- فيها: في قرن ذكر الله تعالى بالتفكر في خلق السموات والأرض دلالةٌ على عظم عبادة التفكر وأنها من أسباب زيادة خشية الله ﷻ.

٣٤٨٥- فيها: في التعبير بالمضارع في ﴿يَذۡكُرُونَ﴾ و﴿وَيَتَفَكَّرُونَ﴾ دلالةٌ على الاستمرار، فهذا ديدنهم، وقد جمعوا بين آيات الله الشرعية والكونية.

٣٤٨٦- تفيد انتقال العبد في مراقي الإيمان والانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين.

٣٤٨٧- تفيد أن خلق السماوات والأرض إنما هو لأمرٍ عظيمٍ وليس باطلاً كما يظن الكفار ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ص: ٢٧.

٣٤٨٨- تفيد أدباً من آداب الدعاء؛ وهو تقديم الثناء على الطلب فقولهم: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ﴾ هذا ثناء، وقولهم: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ هذا طلب.

٣٤٨٩- تفيد أن التسبيح من أفضل أنواع الذكر.

٣٤٩٠- فيها إثبات النار وعذابها الشديد.

٣٤٩١- تفيد خوف أولي الألباب من النار، ودعاءهم لله ﷻ أن يقيهم عذابها.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

٣٤٩٢- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فقد عقبوا بقولهم — معظمين ما سألوا دفعه من العذاب، ليكون موضع السؤال أعظم؛ فيدل على أن الداعي في ذلك الدعاء أكمل، وإخلاصه أتم، مكررين الوصف المقتضي للإحسان مبالغةً في إظهار الرغبة، استمطاراً للإجابة- ﴿رَبَّنَا﴾، وأكدوا، مع علمهم بإحاطة علم المخاطب إعلاماً بأن حالهم في تقصيرهم حال من أمن النار حثاً لأنفسهم على الاجتهاد في العمل فقالوا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ [البقاعي].

٣٤٩٣- فيها: النداء بهذا الاسم الجليل ﴿رَبَّنَا﴾ في هذه الآية والتي قبلها وما بعدها، على سبيل الاستعطاف وطلب رحمة الله بندائه بهذا الاسم الشريف الدال على التربية والملك والإصلاح. وأكثر دعاء الأنبياء والصالحين في القرآن بهذا الاسم.

٣٤٩٤- تفيد استحباب التوسل في الدعاء باسم [الرب].

٣٤٩٥- تفيد إثبات النار، وتخوف مما فيها من خزيٍ وأهوالٍ.

٣٤٩٦- تفيد أن الهوان الأعظم في دخول النار، وهذا مؤكد بمؤكدين [إنَّ]، و[قد].

٣٤٩٧- فيها أن من أدب الدعاء: الإفاضة في ذكر شيءٍ من متعلقات المسألة العظيمة؛ فذلك أدعى لكمال الإقبال على الدعاء والإخلاص فيه؛ وهذا تعليم من الله ﷻ لعباده كيفية إيراد الدعاء.

٣٤٩٨- فيها تأكيدٌ على تكريم المؤمن، وإظهار لمزيد إشفاقه وخشيته وحيائه من ربه، حيث أشفق على نفسه من الخزي الذي في النار.

٣٤٩٩- فيها: في ورود ﴿أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ بصيغة الماضي، تحقيقٌ للمذلة والمهانة لمن دخل النار.

٣٥٠٠- تفيد أنّ من أسباب خوفهم من النار الخوف من الخزي الذي يصيب أهل النار.

٣٥٠١- تفيد أن من نجا من النار فقد نجا من الخزي العظيم.

٣٥٠٢- تفيد التحذير من ظلم النفس بالمعاصي؛ وأعظمها الشرك.

٣٥٠٣- تفيد أنه لا ناصر لكل الظالمين لعموم الآية.

٣٥٠٤- فيها: في جانب قوة الله ﷻ يعد النصير صفراً إن وجد، أو تخلي الظالمون عن بعضهم البعض وقت الشدة ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

٣٥٠٥- يفيد الإظهار في موضع الإضمار تعليق الحكم بالوصف، والتعميم.

٣٥٠٦- تفيد أن النصير هو الله ﷻ وحده؛ نعم المولى ونعم النصير.

قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

٣٥٠٧- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فبعد أن تقدم التوجيه للتأمل والتفكر بآيات الكون المنظور؛ للتعرف على خالقه وتعظيم موجده، والتنبيه على أن الخالق يثيب ويعاقب... تهيئة للفكر والقلب لتلقي دعوة الرسول ﷺ، واستقبال الرسالة ليقع الإيمان فيه موقع القبول والإذعان.

٣٥٠٨- فيها مع ما قبلها توجيه الدعاة لإظهار عظمة الله في الكون وبديع خلقه قبل دعوة الناس لدين التوحيد.

٣٥٠٩- تشير إلى ضرورة الدعوة للإيمان بالله وحده.

٣٥١٠- تفيد تقديم الترغيب في الدعوة، وإظهار عطف الله وحنوه على عباده وعظيم إنعامه، بدلالة قوله ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾ ترغيباً للمدعوين.

٣٥١١- فيها إشارة إلى شرف الدعوة إلى الله تعالى، وتكريم الدعاة.

٣٥١٢- فيها تأكيدٌ على أن الدعوة إنما تكون إلى الله وحده وللإيمان به، ولا تكون لمصالح شخصيةٍ أو حزبيةٍ.

٣٥١٣- تفيد وجوب الإيمان بالله ويشمل الإيمان بوجوده، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

٣٥١٤- التعبير بفاء التعقيب في قوله: ﴿فَـَٔامَنَّا﴾ دليلٌ على سرعة استجابتهم لأمر الله ﷻ.

٣٥١٥- تفيد أن التوحيد فطرةٌ في النفوس، وأن أصحاب القلوب السليمة يستجيبون له بمجرد النداء إليه، ولا يطلبون دليلاً وبرهاناً.

٣٥١٦- تفيد جواز توسل العبد بعمله الصالح.

٣٥١٧- تفيد حاجة العباد إلى مغفرة الذنوب وتكفير السيئات.

٣٥١٨- تفيد خطر الذنوب على الفرد والجماعة.

٣٥١٩- تفيد أن أهم ما يشغل المؤمن؛ هو عفو ربه ومغفرته.

٣٥٢٠- تفيد خشية العبد المؤمن وإشفاقه من الذنوب والسيئات التي تقع منه.

٣٥٢١- فيها: يتضمن هذا الدعاء ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، والثبات إلى الممات.

٣٥٢٢- تفيد حرص المؤمن على الوفاة على حالٍ صالحةٍ.

٣٥٢٣- تفيد أن الله تعالى هو المحيي والمميت.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

٣٥٢٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق بيان استجابة المؤمنين لدعوة الرسل، والإيمان بالله، وما جاء به الرسل من الوعد والوعيد، جاء في هذه الآية دعاؤهم وطلبهم الوعد الذي جاءتهم به رسلهم.

٣٥٢٥- فيها مع ما قبلها أن الاستجابة للرسل والإيمان بالله سبب للنجاة من النار.

٣٥٢٦- تفيد استحباب الدعاء والتوسل باسم [الرب].

٣٥٢٧- تفيد استحباب الدعاء والافتقار إلى الله جل وعلا.

٣٥٢٨- تفيد الإيمان بالرسل ومحبتهم وتوقيرهم وتصديقهم في كل ما أخبروا به.

٣٥٢٩- فيها: أن المصدر للوعد والوعيد هم الرسل عليهم الصلاة والسلام المبلغين عن رب العالمين.

٣٥٣٠- فيها أن وعد الرسول ﷺ حقٌّ لا ريب فيه.

٣٥٣١- فيها أن أهل الإيمان مستبشرين مطمئنين لموعود الله ورسوله ﷺ.

٣٥٣٢- تفيد يقين المؤمنين الكامل بالوعد والوعيد.

٣٥٣٣- تفيد إثبات يوم القيامة، وتخوف مما فيه من الخزي والعار لمن عصى الله تعالى وكذّب رسله.

٣٥٣٤- تفيد أن الآخرة هي هم المؤمنين.

٣٥٣٥- فيها: أهمية ارتباط المؤمن بالدار الآخرة.

٣٥٣٦- فيها أن الهوان الأعظم يكون يوم القيامة؛ ولذا نصُّوا عليه.

٣٥٣٧- فيها الثناء على الله تعالى بعد الدعاء ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

٣٥٣٨- تفيد أن الله جل وعلا لا يخلف الميعاد.

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

٣٥٣٩- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما تقدمت استجابتهم لدعوة الرسل وإيمانهم بما جاءهم من ربهم، جاءتهم البشرى بإجابة دعائهم وطمأنة نفوسهم على ما اجتهدوا له وبذلوا في سبيله؛ حرصاً منهم على الفوز بموعود الله لهم.

٣٥٤٠- تفيد أن الجزاء من جنس العمل، فلما أجابوا دعوة ربهم، أجاب الله دعاءهم.

٣٥٤١- تفيد بيان عظيم شكر الله لعباده المؤمنين العاملين، والتأكيد على جزيل الثواب وسرعة إجابته دعاءهم، بتأمينهم مما أشفقوا وخافوا، وإكرامهم بما رجوا وأملوا؛ أفادته الفاء في قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ﴾.

٣٥٤٢- فيها: من دقة استنباط السلف للهدايات من الآيات قول عطاءٍ: ما قال عبدٌ يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ ثلاث مرات، إلاّ نظر الله إليه، فذكر ذلك للحسن، فقال: أما تقرؤون القرآن؟ ثم تلا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ١٩٤ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٥].

٣٥٤٣- تفيد أن الله لا يضيع عمل العاملين، ولا يضيع أجر المحسنين بل يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله.

٣٥٤٤- فيها إنصاف للمرأة، وأنها في الطاعات والقربات تعامل معاملة الرجل. ومن تكريم الله لها أن أنزل الآية بسبب سؤال امرأةٍ كريمةٍ عن ذكر الله لهن في الهجرة.

٣٥٤٥- تفيد أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم من بعض وهم سواء في الثواب والعقاب، وهم أولياء بعض.

٣٥٤٦- تفيد أن المؤمنين يضحون بكل محبوب ومرغوب في سبيل الله، بل يضحون بأرواحهم طاعةً لله وابتغاء مرضاته.

٣٥٤٧- فيها بيان فضل الهجرة في سبيل الله ﷻ.

٣٥٤٨- تفيد عظم البلاء والأجر لمن أخرج من داره في سبيل الله تعالى.

٣٥٤٩- فيها: فضيلة الأذى في سبيل الله لمن صبر واحتسب.

٣٥٥٠- تفيد التأكيد على عظيم أجر الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

٣٥٥١- فيها أن تكفير السيئات من أعظم نعم الله على العباد.

٣٥٥٢- تفيد إثبات الجنة، وما فيها من نعيمٍ مقيمٍ من أعظمه الأنهار التي تجري من تحت القصور والأشجار.

٣٥٥٣- فيها: قوله: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم، لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلاً كثيراً.

٣٥٥٤- تفيد أن الله عنده أحسن الثواب مما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ فمن أراد ذلك فليطلبه من الله بطاعته والتقرب إليه، بما يقدر عليه العبد.

قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧].

٣٥٥٥- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فَلَمَّا وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّوَابِ الْعَظِيمِ، وَكَانُوا فِي الدُّنْيَا فِي نِهَايَةِ الْفَقْرِ وَالشِّدَّةِ، وَالْكُفَّارُ كَانُوا فِي النِّعَمِ، ذَكَرَ اللَّهُ تعالى فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يُسَلِّيهِمْ وَيُصَبِّرُهُمْ عَلَى تِلْكَ الشِّدَّةِ.

٣٥٥٦- في مناسبة الآيتين لما قبلهما: قال البقاعي: ولما كانت هذه المواعدة آجلة، وكان نظرهم إلى ما فيه الكفار من عاجل السعة ربما أثر في بعض النفوس أثراً يقدح في الإيمان بالغيب الذي هو شرط قبول الإيمان؛ داواه سبحانه بأن تلا تبشير المجاهدين بإنذار الكفار المنافقين والمصارحين الذين أملى لهم بخذلانهم المؤمنين بالرجوع عن قتال أحد وغيره من أسباب الإملاء على وجه يصدق ما تقدم أول السورة من الوعد بأنهم سيغلبون، وأن أموالهم إنما هي صورة، لا

حقائق لها، عطفاً لآخرها على أولها، وتأكيداً لاستجابة دعاء أوليائه آخِرَ التي قبلها بقوله مخاطباً لأشرف عباده، والمراد من يمكن ذلك عادة فيه، لأن خطاب الرئيس أمكن في خطاب الأتباع - ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ﴾ أي لا تغتر بتصرف ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تصرف من يقلب الأمور بالنظر في عواقبها لسلامتهم في تصرفهم وفوائدهم وجودة ما يقصدونه في الظاهر كجودة القلب في البدن ﴿فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ فإن تقلبهم ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ أي لا يعبأ به ذو همة علية، وعبر بأداة التراخي إشارة إلى أن تمتيعهم - وإن فرض أنه طال زمانه وعلا شأنه - تافه لزواله ثم عاقبته، وإلى هول تلك العاقبة وتناهي عظمتها، فقال: ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ﴾ أي بعد التراخي إن قدر، ﴿جَهَنَّمُ﴾ أي الكريهة المنظر الشديدة الأهوال، العظيمة الأوجال، لا مهاد لهم غيرها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي الفراش الذي يوطأ ويسهل للراحة والهدوء. أ هـ نظم الدرر [٢ / ٢٠٠ . ٢٠١].

٣٥٥٧- فيها: ما أعظم هذه الآيات في هذا الزمان، وما أحوج المسلمين إليها!

٣٥٥٨- فيها: ما أحوج المسلمين للتفكر في هذه الآيات في هذا الزمان حيث اغتر كثير من الناس وفتنوا بما عند الكفار من القوة، وزخرف الدنيا، ومتاعها من أنواع الصناعات والتكنولوجيا وغيرها.

٣٥٥٩- تفيد أن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب.

٣٥٦٠- فيها التمكين في النهاية للإسلام وأهله، والعاقبة للمتقين.

٣٥٦١- تفيد التسلية للمؤمنين عما يحصل للكافرين من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات.

٣٥٦٢- تفيد أن على المؤمن أن لَا يَنْظُرْ إِلَى مَا عَلَيْهِ الكفار مِنْ سَعَةِ الرِّزْقِ، وَالْمُضْطَرَبِ وَدَرْكِ الْعَاجِلِ وَإِصَابَةِ حُظُوظِ الدُّنْيَا، وَلَا يغتر بِظَاهِرِ مَا يرى مِنْ تَبَسُّطِهِمْ فِي الْأَرْضِ وَتَصَرُّفِهِمْ فِي الْبِلَادِ.

٣٥٦٣- فيها معنى حديث: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر". فليعرف حقيقتها ولا يغتر بها.

٣٥٦٤- تفيد أنه مهما عظمت الدنيا في أعين أهلها فحقيقتها متاعٌ قليلٌ زائلٌ.

٣٥٦٥- تفيد التزهيد في الدنيا؛ فقد وصفت بأنها ﴿مَتَٰعٌ﴾و ﴿قَلِيلٌ﴾. وفي صحيح مسلم عن النبيّ ﷺ: والله! ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليمّ، فلينظر بم يرجع؟!

٣٥٦٦- فيها التخويف من النار ودار البوار، وأنها بئس الفراش والمهاد لمن دخلها.

٣٥٦٧- تفيد التخويف من عاقبة الكفار السيئة، وفي ضمن ذلك التحذير لهم من الكفر.

٣٥٦٨- فيها: المهد هو المكان الذي ينام فيه الطفل. ومعنى ذلك أن الحق يقلب فيهم في جهنم كما يريد، لأنه لا قدرة لهم على أي شيء، شأنهم في ذلك شأن الطفل، لا يزال ملازماً لفراشه ومهده حتى يقلبه ويحركه غيره.

٣٥٦٩- فيها إشارة إلى أن مصيرهم إلى تلك الدار مما جنته أنفسهم وكسبته أيديهم.

قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

٣٥٧٠- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق منه الوعيد سبحانه بدار البوار، جاء في هذه الآية وعده في دار كرامته.

٣٥٧١- ومن المناسبات: لما سبق بيانه سبحانه سوء عاقبة الكافرين، بيّن في هذه الآية حسن عاقبة المؤمنين.

٣٥٧٢- تفيد مع ما قبلها أن الذين اتقوا ربهم وإن تقلبوا في البلاد، فمآلهم ليس كمآل الكفار المتقلبين في البلاد؛ لقوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾، أي: بمعنى أن المتقين قد يتقلبون في البلاد ويتنعمون في الدنيا ولكن كل ذلك يتصاغر في مقابل ما أعده الله لهم في الآخرة من النزل والخير الكثير، ومن خلال مفهوم سياق هذه الآية نفهم قول النبي ﷺ: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر".

٣٥٧٣- تفيد أن القرآن الكريم مثاني حيث يجمع بين الترهيب والترغيب.

٣٥٧٤- فيها: قوله: ﴿لَٰكِنِ﴾ تفيد المخالفة بين الكفار والذين اتقوا في عدة أمور: التقلب في البلاد، المتاع القليل في الدنيا، المصير يوم القيامة؛ ففي الأول: إما أن الذين اتقوا تقلبهم في البلاد قليلٌ وربما فيه إشارةٌ إلى فقرهم مقارنة بالكفار لتكلفة السفر المادية في الماضي والحاضر. وإما أن تقلبهم في البلاد هدفه الاعتبار والنظر في عاقبة الظالمين، والكافرون هدف تقلبهم

السياحة وامتاع العين والجسد، وفي الثاني: متاع الذين كفروا متاعٌ جسديٌ حسيٌ قليلٌ لأنه مرتبطٌ بالحياة الدنيا القصيرة، ولأنه مهما عظم فهو ضئيل إذ لم يرتبط بالمتعة المعنوية لأن أصحابه ينظرون دائماً لمن هو أعلى منهم فيتنغص عليهم ما هم فيه من النعيم.. أما المتقون فقد يفتح الله عليهم بمتع الدنيا فيكونون أسعد بها لوجود الرضا والشكر، مع ما فيهم من المتعة القلبية بمحبة الله والأنس به فيكون متاعهم حسياً ومعنوياً وممتداً غير منقطع، وأما الاختلاف في المصير يوم القيامة فقد جاء صريحاً منطوقاً به في الآيات.

٣٥٧٥- فيها: ذكر كل من [الكافرين] و[المتقين] بالموصولية فيه إشارةٌ إلى نشوء الكفر والتقوى.. اختياراً وفعلاً؛ ففيها ردٌ على الجبرية.

٣٥٧٦- تفيد منزلة التقوى والحث عليها والسعي لتحقيقها.

٣٥٧٧- تفيد الربوبية الخاصة للمتقين؛ لقوله تعالى: ﴿ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾، أي ربهم المعتني بشأنهم عناية خاصة. ويستفاد منه أن مما يحمل على التقوى ويعين عليها استحضار صفات الرب لأنها تورث الخوف الباعث على ترك المذموم من الأفعال والأقوال والأحوال، ويفيد أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية. وكذلك في إسناد الرب لهم وليس [الرب] فقط أهمية استشعار صفات الملك والتدبير عند المتقين والذي يحملهم على الثقة وحسن الظن بالله..

٣٥٧٨- تفيد بيان ثمرات التقوى، ومكانة المتقين عند ربهم.

٣٥٧٩- تفيد أن التقوى من أعظم أسباب دخول الجنة.

٣٥٨٠- فيها: ذكر أنهار الجنة في كثير من الآيات إجمالاً وتفصيلاً يدل على عظمة وفضل هذا النوع من أنواع النعيم في الجنة.

٣٥٨١- تفيد أن هذه الجنات العظيمة المذكورة إذا كانت نزلاً -وهو ما يقدم للضيف من الكرامة- فكيف بما يكون بعد ذلك؟ لا شك أنه سيكون خيراً كثيراً، وخصوصاً أنه خيرٌ لا ينقطع في وقتٍ من الأوقات لكونهم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

٣٥٨٢- تفيد بإشارةٍ لطيفةٍ الاهتمام باستقبال الضيوف وتمتيع أعينهم ونظرهم قبل كل شيء، من خلال تجهيز أماكنهم وتحسينها وتزيينها قبل مجيئهم؛ حيث إنها بوابةٌ تشعرهم برضاء المضيف، كما تشعرهم بأن ما خفي بعد ذلك مما أعد لهم من الضيافة أعظم وأبهر مما ظهر،

وهنا تظهر للمتأمل والمتدبر دقة الأسلوب القرآني وخطابه المعجز في الاعتناء والاهتمام بنفسيات المخاطبين ومعرفة احتياجاتهم.

٣٥٨٣- يفيد الاطناب في وصف الجنة وفي بيان خلودهم فيها الإشارة إلى أهمية مراعاة طبائع النفس من حبها للنعيم وحبها للخلود.. وقد كان هذا مدخل إبليس لإغواء أبينا آدم عليه السلام. وحسن استغلال هذه الطبيعة البشرية في الترغيب في الخير يقوي احتمال الاستجابة.. وهو درسٌ للمعلمين والدعاة وكل مصلح.

٣٥٨٤- تفيد تشريف المتقين وما أعد الله لهم من النعيم؛ يفيد ذلك قوله: ﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ومن المعلوم أن كل شيء من عنده؛ فالعندية هنا عندية تشريف؛ فتفيد شرف الجزاء وعظمه وشرف المجازِي والمجازَى لأن تلك الجنات بتلك الأوصاف لا تكون إلا من كريمٍ عظيمٍ متفرد الاوصاف.. وتفيد بيان عظم هذا الجزاء والثواب الحاصل.

٣٥٨٥- فيها: مجيء اسم الله في قوله: ﴿نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يشير إلى صفات الإله التي تورث المحبة.. وإما قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ فإنها تحمل معنى الجود والكرم والغنى فتشير إلى صفات الرحمة؛ ويكون مجموع ذلك قد ألمح إلى اجتماع الحب والخوف والرجاء في قلوب المتقين

٣٥٨٦- فيها فضل الرب سبحانه وكرمه وإحسانه إلى عباده حيث بلغهم هذه المنازل العالية تفضلاً منه جل وعلا.

٣٥٨٧- تفيد التزهيد في الدنيا فإن ما عند الله خيرٌ وأبقى.

٣٥٨٨- تفيد أن البر سببٌ لبلوغ هذا النزل والنعيم من عند الله جل وعلا.

٣٥٨٩- فيها: هؤلاء برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجراً عظيماً، وعطاءً جسيماً، وفوزاً دائماً.

٣٥٩٠- تفيد أن الجزاء من جنس العمل، فهؤلاء المتقون لما كانوا بررة كثيري الخيرات، كان لهم عند الله هذا النزل العظيم والخير الكثير؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾. والاظهار في مقام الاضمار للتعظيم والاهتمام. ويستفيد الدعاة من ذلك ومما سبقه ما يجب أن يكون التركيز عليه من الألفاظ والمعاني في الخطاب المقروء أو المسموع.

٣٥٩١- فيها دليلٌ على أن لفظ ﴿ٱللَّهِ﴾ هو العلم الدال على الذات وأن كل الأوصاف تابعةٌ له

٣٥٩٢- تفيد تسليةً لكل مؤمنٍ محرومٍ من النعم المادية الدنيوية.

٣٥٩٣- تفيد أنهم ينالون في الجنة كل خيرٍ؛ لعموم الآية.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[آل عمران: ١٩٩].

٣٥٩٤- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] جاء في هذه الآية بيان أن من أهل الكتاب من آمن بما أنزل على النبي الخاتم ﷺ، وهو الحق الذي جاءهم من ربهم، فآمنوا به كله ولم يكتموه طمعاً بعرضٍ من الدنيا قليلٍ.

٣٥٩٥- تفيد كمال عدل الله سبحانه وتعالى بإسناد الفضل إلى أهله.

٣٥٩٦- فيها توجيهٌ لطيفٌ لعدم تعميم الحكم على الجماعة من الناس.

٣٥٩٧- فيها إشارةٌ إلى إنصاف العدو وذكر ما فيه من غير إجحاف.

٣٥٩٨- فيها دعوة محركة للنفوس تجاه الإيمان بدعوة النبي الخاتم ﷺ، من خلال مدح الفريق الذين استجابوا لدعوته ولم ينقضوا العهد الذي أخذه الله عليهم، ومن خلال التلطف بهم وتذكيرهم بأنهم أهل كتاب يصدرون عنه في تبني الحق الذي جاءهم فيه.

٣٥٩٩- تفيد الثناء على بعض أهل الكتاب.

٣٦٠٠- تفيد وجوب الإيمان بالله، والإيمان بما أنزله من كتب لهداية الناس.

٣٦٠١- تفيد إثبات علو الله تعالى؛ لأن النزول لا يكون إلا من علوٍ.

٣٦٠٢- تفيد وجوب الإيمان بالقرآن تفصيلاً وجميع ما أنزله الله عز وجل إجمالاً قَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ الْقُرْآنُ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ.

٣٦٠٣- تفيد فضيلة ومنزلة القرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ، لتقديمه في الذكر على الكتب السماوية الأخرى.

٣٦٠٤- تفيد منزلة الإيمان بالله وكتبه واليوم الآخر.

٣٦٠٥- فيها أن الخشوع لله تعالى سمةٌ من سمات المؤمنين.. ومن شأنها أن تزع صاحبها عن اشتراء الثمن القليل بآيات الله فلا يبيع دينه بأي ثمن ولو كان الدنيا بحذافيرها.

٣٦٠٦- فيها فضيلة الخشوع، وأنه عبادةٌ جليلةٌ لا تكون إلا لله سبحانه.

٣٦٠٧- تفيد منزلة الخشوع التي تدل على علمهم بالله وعظمته وشدة حسابه.

٣٦٠٨- فيها مدح التواضع الذي يستفاد من الخضوع لله ولحكمه سبحانه.

٣٦٠٩- تفيد بيان إخلاص هؤلاء حيث لم يؤمنوا بالله وما أنزل إلينا من أجل الدنيا، فهم لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، لقوله: ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾.

٣٦١٠- تفيد هدايةً لمن أراد الخشوع لله، أن يبحث عن ذلك في كتاب الله المنزل على محمد ﷺ، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

٣٦١١- تفيد أن من خشع قلبه عف بطنه؛ لقوله تعالى: ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

٣٦١٢- فيها إشارةٌ إلى ذم الذين يبتغون الدنيا... من مالٍ أو جاهٍ ورياسةٍ بتعلم وتعليم كتاب الله.

٣٦١٣- تفيد ذم الذين يغيرون حكم الكتاب ويحرفونه طمعا بالمال وغيره من المكاسب الدنيوية.

٣٦١٤- تفيد أن أي مقابل يناله العبد من الدنيا مع ضياع دينه فهو قليل، وكل ثمنٍ يدفعه لنيل الآخرة فهو قليل لما يترتب على نيلها من أجرٍ عظيمٍ.

٣٦١٥- تفيد عظمة القرآن ومنزلته، وأنه أعظم من الدنيا وما فيها ومن كل ثمن، وهو التجارة الرابحة لمن يعرف التجارة مع الله ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

٣٦١٦- فيها أن ابتغاء أجر الإيمان والصبر عليه لا ينبغي أن يكون إلا من عند الله.. وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فينبغي للمؤمن أن يترفع بإيمانه عن زخرف الدنيا ومتاعها.

٣٦١٧- تفيد عظم أجر هؤلاء، لأن أجرهم كائنٌ عند ربهم، فهو ﷻ يربيها وينميها لهم، فما أكرمه وما أجوده.

٣٦١٨- يفيد قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ كمال عِلْمِهِ بِمَقادِيرِ الأُجُورِ ومَراتِبِ الِاسْتِحْقاقِ، وأنَّهُ يُوَفِّيها كُلَّ عامِلٍ عَلى ما يَنْبَغِي، وقَدْرِ ما يَنْبَغِي.

٣٦١٩- تفيد كمال علمه وعظمته حيث يحاسبهم ويجازيهم جميعاً في سرعةٍ لا يمكن تصورها، لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ.

٣٦٢٠- تفيد بيان قدرة الله ﷻ في سرعة حسابه.

٣٦٢١- تفيد إثبات الحساب، وأن العبد يحاسب على عمله إن خيراً فخيرٍ وأن شراً فشرٍ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

٣٦٢٢- جاءت هذه الآية الأخيرة مناسبةٌ لما تحدثت عنه السورة من مواجهة الحق والباطل، وتربية أهل الحق على الثبات، ومواجهة أهل الباطل بالحجة واللسان، والجهاد بالسيف والسنان..

٣٦٢٣- تفيد مناسبة ظاهرة لما قبلها: فلما سبق الثناء على الذين بذلوا وضحوا في سبيل الله ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٥] جاء في هذه الآية الترغيب والتحفيز للصبر والثبات على أمر الله، ومصابرة الأعداء المتربصين بهذا الدين وأهله.

٣٦٢٤- من التناسب بين أول السورة وخاتمتها يستفاد:

- أهمية اشتمال الخطاب الدعوي على أهم العناصر وهي: الإعجاز.. التعريف بالله.. ذكر نعمه على الخلق.. التركيز على النعم الدينية [إنزال الكتب] وكل هذا يصب في خانة الترغيب ثم الوعيد للمُعرِض.. وهو الترهيب..
- ختم الدعوة أو الخطاب ببيان حال المؤمنين والكافرين..
- التفصيل في ما يرد سوء فهمه أو نقص استيعابه.
- مراعاة الطبيعة المادية في البشر ومخاطبتهم بما يستوعب كل مستوياتهم الفكرية والروحية.

- أهمية الوصية والنصح في ختام الخطبة.

٣٦٢٥- من التناسب بين خاتمة آل عمران وخاتمة البقرة يستفاد: هناك أخبر عنهم ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ وهنا ناداهم باسم استفيد من الخبر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ وهذا له أثرٌ نفسيٌ قويٌ وهو من عوامل ثبات الصفة في الموصوف، هناك: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ وهنا: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾؛ فدل على أن المأمور به داخل نطاق الوسع والطاقة وهذا مما يعين على الامتثال والاستجابة، هناك دعوا فقالوا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ وهنا أمرهم بما يعين على تحقيق ما سألوه ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾.

٣٦٢٦- فيها: ابتدأت الآية بخطاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهو خطابٌ محببٌ للنفوس، وفيه الإيذان بأمر مهم، والتحفيز لتلقي الأوامر والتوجيهات.

٣٦٢٧- فيها: بعد أن هيأت السورة لأسباب النصر والفلاح، ختمت بذكر مقومات ذلك.

٣٦٢٨- فيها الحث على الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى؛ وبها يحصل فلاح العبد في الدنيا والآخرة.

٣٦٢٩- فيها: التعبير بـ ﴿ ٱصۡبِرُواْ ﴾ وهذا يعني أن هناك مشقة.

٣٦٣٠- تفيد أن الصبر من أول المطلوبات لتحقيق الاستقامة؛ لأن الإخلاص السابق للدخول في الإيمان يحتاج إلى الصبر.. ولذلك كان أول أوصاف المؤمنين التي ذكرها الله في هذه السورة ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧].

٣٦٣١- تفيد الحث على مجاهدة النفس بالصبر على الطاعة والصبر عن المعصية، والصبر على المصائب.

٣٦٣٢- تفيد الحث على المصابرة وهي الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال.

٣٦٣٣- فيها أن الدنيا دار فتنٍ وابتلاءٍ، والنجاة منها وإصابة الخير فيها يكون بالثبات على الطاعات والمداومة عليها.

٣٦٣٤- فيها فضل الرباط في سبيل الله؛ وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها". رواه البخاري. وروى مسلم، عن سلمان الفارسي،

عن رسول الله ﷺ أنه قال: "رباط يومٍ وليلةٍ خيرٌ من صيام شهرٍ وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان".

٣٦٣٥- تفيد الحث على الرباط وهو هنا: الثبات على الحق، ومجاهدة العدو، والاستعداد له علمياً وفكرياً وعسكرياً وغير ذلك؛ [أي: الاستعداد المادي والمعنوي].

٣٦٣٦- تفيد الحث على المداومة على الطاعة والعبادة، ولزوم مواطنها. وفيها إشارةٌ إلى كثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فقد جاء في الحديث: " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط ". رواه مسلم.

٣٦٣٧- يفهم منها أن من عوامل النصر على الكفار مرابطة المرأة في ثغرها وهو بيتها.. فبالقرار تحصن نفسها ومجتمعها من كثير من الآفات والمخاطر.. وتتفرغ لعبادة ربها وحسن تربية أبنائها.

٣٦٣٨- تفيد أن جزاء الأعمال مداره على التقوى.

٣٦٣٩- فيها ردٌ على طوائف من أهل البدع؛ فالعبد له إرادةٌ وقدرةٌ واختيارٌ، ويفعل الفعل على الحقيقة

٣٦٤٠- تفيد أن الإيمان والصبر وتقوى الله هي أهم أسباب الفلاح؛ وقدم الإيمان لأنه أساسها ومن دونه تكون كالعدم.

٣٦٤١- تفيد أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحداً الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها.

٣٦٤٢- فيها بيان أهمية العمل الصالح؛ حيث أمر المؤمنون بالصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى ليفلحوا.

٣٦٤٣- تفيد أهمية الأمر بالسهل ثم الأصعب.. وبما ينبني عليه الشيء قبل ما يتفرع عنه.. وهي قاعدة تربوية مهمة لتحقيق التزكية المطلوبة.

٣٦٤٤- فيها إشارةٌ إلى أهمية التدرج وهو سنة ربانية مخالفتها تؤدي إلى الفشل في تحقيق المطلوب.

٣٦٤٥- فيها: التعبير بـ [الفلاح] ولم يقل سبحانه: إن تفعلوا تفلحوا، فالله سبحانه هنا عبر بالفلاح لأمرٍ مشهودٍ محسوسٍ للناس جميعاً.

٣٦٤٦- تفيد أن المقصود بالفلاح: الفلاح في الدارين: ففي الدنيا بالانتصار على العدو والعيش عيشة هنية، وفي الآخرة بالحظ الوافر من النعيم المقيم.

٣٦٤٧- فيها: حذف متعلق الفلاح يفيد إرادة العموم والاطلاق.. فدل على أن تنفيذ الأوامر المذكورة فيه تحقيق فلاح الدنيا والآخرة.. ومن ذلك النجاح في الدراسة والوظيفة والحياة الزوجية وفي الدعوة.. وفي القيام بأي عملٍ صغيراً كان أو كبيراً. وفي ذلك ما يؤكد على أن المؤمن الحق المستيقن بهداية القرآن لا يحتاج إلى دورات تدريبية.. وورش عملية لإنجاح مهامه.. فقط يحتاج لفهم كلام ربه وقوة الاستجابة لأوامره.. وفي ذلك ردٌ على كثير من الدعاة الذين أصيبوا بلوثة التنمية البشرية غير المؤصلة فأصبحوا يضيعون أوقاتهم وأوقات مستهدفيهم في دورات عن فن إدارة الوقت!!!

٣٦٤٨- فيها تصورٌ متكاملٌ لمسيرة المؤمن في الحياة وذلك كما يلي:

- تبيين لطبيعة الحياة الجادة والتي تتضمن العديد من العقبات الصعبة التي تتطلب الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى. ولذلك فإن المشكلات والصعوبات والتحديات لن تكون مفاجئةً ولا محبطةً للمؤمنين؛ بل قد تكون دليلاً ومؤشراً لصحة مسيرتهم وقصدهم لله.
- بيان لما ينبغي أن يكون عليه المؤمن إزاء الأزمات والتحديات والابتلاءات المختلفة سواء في نفسه أو في أمته؛ فالمؤمن يمتلك برنامجاً واضحاً: صبراً ومصابرةً ومرابطةً وتقوى؛ ولذلك فلن يكون مستسلماً ولا خانعاً ولا منهزماً ولا مستعجلاً ولا متهوراً. بل يكون مستمسكاً بمنهجه صابراً مرابطاً على فعل الطاعات وفعل الخيرات في أحلك الظروف، وصابراً في البعد عن المعاصي مهما كثرت الضغوط. وهو على قناعةٍ تامةٍ بأن هذا هو الطريق الصحيح للسير في الحياة.
- حث للمؤمنين على حل المشكلات ومواجهة التحديات مهما تطلب ذلك من صبرٍ ومصابرةٍ ومرابطةٍ وتقوى.

- بيان الثمرات التي سيجنيها المؤمن وخاصة ثمرة الفلاح عندما يتبع المنهج المرسوم لمواجهة التحديات والصعوبات. ولذلك ستكون شخصيته قويةً وقلبه مطمئناً ونفسه متفائلةً ونظرته إيجابيةً وتفكيره صائباً.

٣٦٤٩- ختم السورة بالنداء يشعر بأهمية الانتباه والتركيز حتى نهاية الكلام.

٣٦٥٠- فيها: ختمت السورة بسياقها الغالب على آياتها، وذلك بالدعوة للثبات على الدين الحق وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك.

٣٦٥١- فيها: جاءت خاتمة هذه السورة مناسبة لمضمونها في الحديث عن الجهاد في سبيل الله لتؤكد الصبر الذاتي من المؤمنين، ثم المصابرة التي تقتضي المفاعلة، فكما يجتهد الكفار ويصبروا أنفسهم للكيد للإسلام فإنه يتوجب على المؤمنين المصابرة ومواجهة عزيمة الكفار وصبرهم.

تم بحمد الله

وبهذا تمت سورة آل عمران في ٣٦٥٥ هداية

بتاريخ ١٤٣٩/٤/٣٠هـ

ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة.

تلخيص دكتور أحمد خليفة